المركز القومى للترجمة
مخطوطة
تاريخ
الأزمنة
تأليف :
ابن العبرى
ترجمة ودراسة وتقديم :
شادية توفيق حافظ
مراجعة :
السباعى محمد السباعى
المشروع القومى للترجمة
1153

مخطوطة تاريخ الأزمنة

المركز القومي للترجمة

المشروع القومي للترجمة

إشراف : جابر عصفور

- العدد : ١١٥٣

- مخطوطة تاريخ الأزمنة

- جريجوريوس أبو الفرج المعروف بـ« ابن العبرى »

- شادية توفيق حافظ

- السباعي محمد السباعي

- الطبعة الأولى ٢٠٠٧

هذه ترجمة كتاب :

ܟܬܒܐ ܕܡܟܬܒܢܘܬ ܙܒܢܐ.

ܐܘܡܢܘܬ ܒܪܘܠܪܐܦܐ.

ܕܡܣܝܡ ܠܡܪܝ ܠܒܪܥܒܪܝܐ

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة . ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

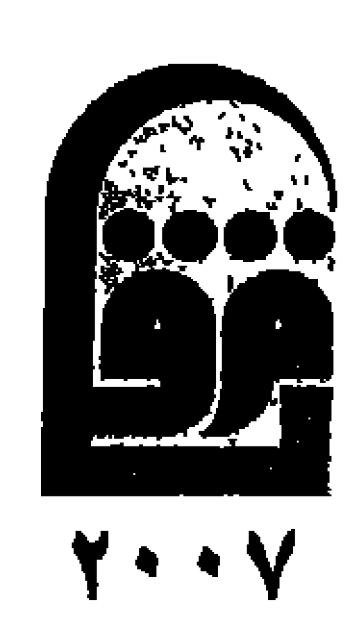
El-Gabalaya St., Opera House, El-Gezira, Cairo

e.Mail:egyptcouncil@yahoo.com Tel.: 27354524 - 27354526 Fax: 27354554

المركز القومى للترجمة
المشروع القومى للترجمة

مخطوطة تاريخ الأزمنة

تأليف العلامة : جريجوريوس أبو الفرج
المعروف بـ «ابن العبرى»
ترجمة ودراسة وتقديم : شادية توفيق حافظ
مراجعة : السباعى محمد السباعى



٢٠٠٧

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

ابن العبرى ، جريجوريوس أبو الفرج
مخطوطة تاريخ الأزمنـــة / تأليف : جريجـوريوس أبــو الفـــرج
[ابن العبرى مستعار] ؛ ترجمة ودراسة وتقديم : شادية توفيق حافظ ؛
مراجعة : السباعى محمد السباعى
القاهرة : (المشروع القومى للترجمة) ، ٢٠٠٧ .
٣٤٠ ص ، ٢٤ سم - المركز القومى للترجمة
التاريخ
التاريخ / الإسلامى ٩٠٧,٢
(أ) حافظ ، شادية توفيق (مترجم)
(ب) السباعى ، السباعى محمد (مراجع)

رقم الإيداع ٢٠٠٧/٤٤٥٤
الترقيم الدولى I.S.BN. 977 - 437 - 217 - 4
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

المحتويات

الصفحة

مقدمة المترجمة

تمر فى حياة الأمم ، كما تمر فى حياة الأفراد ، فترات، وأحداث لهـا تأثير بعيد المدى فى تطور الأمة ونموها. ولعل من أحلك تلك الفترات التـى مرت فى حياة أمتنا العربية عامة والإسلامية خاصة فترة الحروب الصليبية.

فقد شهدت تلك الفترة بداية انهيار النفوذ العربى فى الأمة الإسـلامية وبزوغ نفوذ الأجناس الأخرى، مثـل: الأكـراد، والأتـراك، والجراكـسة، وسيطرتهم على الحكم وتفتت الإمبراطورية الإسلامية إلى إمارات ودويلات صغيرة.

وفى الوقت نفسه بدأ غزو استيطانى أوروبى تحت ستار حرب دينيـة لنهب الأراضى المقدسة من أيدى المسلمين.

وعن هذه الدوامات المتصارعة على منطقة الشرق الأوسط كتب كثير من المؤرخين _ شرقيين وغربيين _ كل من وجهة نظره، يشرح الأحداث، ويقدم التفسيرات التى تلائم وجهة نظره لما عاصره أو شاهده أو سمع عنه.

وفى عصرنا هذا حيث تصحو الأمة العربية لتلحق بركب الحـضارة نجد إقبالا شديدا على قراءة ودراسة تاريخنا، ويجد القارئ أمامه هذا التاريخ بقلم المؤرخين العرب مدافعين عن قـومهم أو نـادبين هـزائمهم متغنـين بانتصاراتهم ومبالغين فى أمجادهم. وعلى النقيض نجد تاريخ المنطقة بقلـم المؤرخين الغربيين متحاملين علينا ناقدين لنا متجاهلين أى فـضل أو مجـد للشرق والشرقيين.

وبين هؤلاء وأولئك نجد طائفة السريان تبرز أمامنا، مقدمة لنا التاريخ من وجهة نظر ثالثة؛ فهم منذ عصور اضطهاد المسيحية الأولى قد تمرسـوا على كتابة تاريخ شهدائهم وتدوينه، لذلك كان باعهم فى هذا العلـم أطـول،

وقدمهم أرسخ، وقدرتهم على الدراسة التاريخية الموضـــوعية أعظـــم مـــن زملائهم المؤرخين العرب.

ومن ناحية أخرى بالمقارنة مع المؤرخين الغربيين نجـــدهم يختلفـــون عنهم فى نظرتهم إلى التاريخ؛ فهم وإن اشتركوا مع الصليبيين فى العقيدة إلا أنهم يخالفونهم فى القومية، كما كان الصليبيون بالنسبة لهم غزاة فاتحين.

وعند استعراض المؤرخين يبرز أمامنا "ابن العبرى" كمؤرخ وشـــاعر وفيلسوف.

هو جريجوريوس أبو الفرج بن أهرون، المعروف بابن العبرى. ولـــد سنة ١٢٢٦ ميلادية (٦٢٤ هجرية) فى مدينـــة ملطيـــة عاصـــمة أرمينيـــة الصغرى على ضفة الفرات، وكانت فى ذلك الوقـــت تحـــت حكـــم الدولـــة السلجوقية، وكانت تعد من أعظم تلك الأصقاع على الرغم مما دهمهـــا مـــن نوائب الزمان.

نشأ ابن العبرى فى مدينة ملطية وكان له خمسة أشقاء . وفـــى ســـنة ١٢٤٣ ميلادية (٦٤١ هجرية) عندما ناهز ابن العبرى السابعة عشرة مـــن عمره تعرض أهرون_ والده _ لمتاعب كثيرة شأنه فى ذلك شأن سائر سكان هذه المدينة بسبب غارات التتار عليها وعلى جميع النواحى المحيطـــة بهـــا. فاضطرته قسوة الحياة والظروف الصعبة التى تعرض لها أن يهـــرب مـــع أولاده إلى أنطاكية حيث بدأ ابن العبرى حياة الرهبنة.

مكث ابن العبرى مع عائلته فى أنطاكية ما يقرب من ثلاث ســـنوات، ولكن يد التدمير امتدت إليها فى سنة ١٢٤٦ ميلادية (٦٤٤ هجرية) حـــين وصل إليها التتار. ظل ابن العبرى فى أنطاكية حتى ســـنة ١٢٥٢ ميلاديـــة (سنة ٦٥٠ هجرية)، ثم انتقل مع أهله إلى حلب.

عرف مؤرخنا بالعديد من الألقاب، وكان أكثرها شهرة وشيوعا هـــو "ابن العبرى"، فقد دعى فى المعمودية باسم "يوحنا" ويـــشهد بـــذلك التـــاريخ

السرياني المحفور على ضريحه في "دير مار متى" كما اتخذ له في الكهنوت اسم " جريجوريوس" .

وقد اشتهر "ابن العبرى " أيضا باسم "أبو الفرج" . وليس معنى هذا أنه كان له ولد يدعى "فرج" كما ظن "برنشتين" BERNSTEIN. فمن المعروف أن ابن العبرى لم يتزوج طيلة حياته ووهب نفسه للرهبنة، ولا يوجد فى كتاباته ولا كتابات غيره من الكتاب السريان ما يوضح لماذا اختار هذا الاسم ولماذا أطلق عليه. وكان الوحيد الذى تعرض لهذه التسمية هو "بدج" BUDGE ولكن كان تفسيره لهذا الاسم فيه بعض الخطأ. لقد ذكر أن اسم "أبى الفرج" هو:" أبو الذى يبعث على السعادة "، وأنه كانت توجد بوابة شرقية فى حلب تسمى "بوابة الفرج"؛ لأن كل من ينظر من خلالها يشاهد حدائق وبساتين تبعث على السعادة. وهذا التفسير غير مقبول إذ إن كلمة "الفرج" فى اللغة العربية لا تعنى السعادة، ولكنها تعنى انفراج الكرب أو زوال الغم ويظل سر تسميته بـ "أبى الفرج" قائما.

كما أخطأ أيضا "بوكوك" POCOCKE فى ظنه، إذ قال إن "أبا الفرج" هو "أبو الفرج" المدعو "بابن الطيب" وخدع بمشابهة الاسم، مع أن ابن الطيب كان نسطوريا وتوفى قبل "ابن العبرى" بما يقرب من مائتى سنة (سنة ١٠٤٣ ميلادية – ٤٣٥ هجرية). كما خلط "بوكوك" أيضا بينه وبين أبى الفرج يعقوب، المشهور "بابن القف" (المتوفى سنة ١٢٨٦ ميلادية– ٦٨٥ هجرية) .

ولقد لعبت العاطفة والتعصب المذهبى دورهما فى أقلام بعض المستشرقين. فنسبوا "ابن العبرى" إلى أصل يهودى مستندين فى ذلك إلى كنيته وإلى اسم والده . لقد اعتبروه يهودى الأصل لا لشىء إلا لكونه سريانيا من غير أهل مذهبهم. ولقد وجد من بين المؤرخين من ينقض هذا الرأى فضلا عمن يؤيده. فقد ذكر رينودوت أنه وجد فى نسخة خطية من أعمال "ابن العبرى" _ فى باريس _ أنه كان أخا للبطريرك ميخائيل الكبير، وهو من أشهر الكتاب اليعاقبة. ولو كان كذلك "أى يهوديا"، أو على الأقل حديث

العهد بالنصرانية لم يكن أهل ملته قد وافقوا على انتخابه بطريركا وفقا لقوانين الكنيسة الشرقية .

كان أول من فند هذه الادعاءات من السريان هو البطريرك أفرام الأول برصوم، كما قامت مؤخرا المجلة البطريركية فى دمشق♦ بنشر مقالين بهذا المعنى فيهما التحليل الكافى لأصل "ابن العبرى". وكان رأى "بولس بهنام" أن "ابن العبرى" مسيحى سريانى لا غبارعليه. وقد دعى بابن العبرى نسبة إلى "عبرا "، وهى قرية بجوار ملطية على نهر الفرات كانت تقطنها أسرته قبل نزوحها إلى ملطية. وكانت عادة انتساب الأشخاص إلى المدن والقرى جارية لدى جميع الأمم. وذهب الأب أغناطيوس أفرام برصوما إلى أن نسبته إلى تلك المدينة ناجمة عن ولادته أو ولادة أحد أجداده أثناء عبور أسرته نهر الفرات.

وقد اشتهر ابن العبرى بعدة ألقاب أخرى، مثل : بحر الحكمة ، ونور المشرق والمغرب ملك العلماء، وأكبر الحكماء ، والأب القدس، والعلامة العارف بالله ، وزينة المؤلفين ، وإكليل المفارنة ، وتاج الرؤساء ، ودائرة معارف القرن الثالث عشر.

وتحتوى مؤلفات ابن العبرى على معلومات مفصلة ووافية عن حياته وسيرته الذاتية مذكورة فى تواريخه المختلفة، بينما لا تسعفنا المعلومات الواردة بها عن رسم صورة متكاملة لتاريخ أسرته. كان أبوه الشماس أهرون الطبيب ابن توما الملطى الملقب بتاج الدين – الذى ينحدر من أسرة ملطية عريقة – من رجال التقى ومن أشهر أطباء زمانه. كان وجيها فى قومه نافذ

♦ المجلة البطريركية الدمشقية – السنة الثانية ص ١٤٦

المقالة الأولى :للبطريرك يعقوب الثالث

المقالة الثانية : لجريجوريوس بولس مطران بغداد

الكلمة فى أهل بلده كريما على عشيرته، وكذلك كانت أمه من فضليات النساء فى عصرها.

كان هذا الطبيب عريقا فى المسيحية، لا كما توهم بعض المستشرقين من أنه كان يهوديا ثم تنصر إذ انخدعوا بالاسمين: "أهرون" و"ابن العبرى"

لقد أظهر ابن العبرى منذ الصغر نباهة فذة وذكاء خارقا ؛ فتعهده والده بالعلم والأدب، فراح يلقنه أصول العلوم واللغات حتى حصل على نصيب كبير منها فى وقت قصير.

كان أول ما دَرّسه "ابن العيرى" فى ملطية إبان صباه هو اللغة السريانية التى بذ فيها أقرانه، ثم حذق طقوس الكنيسة والكتاب المقدس وشروحه وتفاسير أئمة المسيحيين الأولين. ثم قرأ الطب على أبيه مقتفيا آثاره فيه وهو حكيم زمانه، كما درس _ أيضًا _علوم الفلسفة منذ أن اشتد ساعده فى حذق المعارف البشرية .

ولقد اتضح من أعمال ابن العبرى أنه كان يتمتع بدرجة كبيرة من القدرة على تحصيل اللغات، فبينما كانت لغته الأصلية هى السريانية فقد تعلم العربية بحكم نشأته فى مدينة ملطية فى سن مبكرة جدا. وليس هناك شك فى أنه كان يستطيع أن يتحدث العربية والعبرية ويقرأ ويكتب بهما.

ولقد ذهبت بعض الآراء إلى أن والدته كانت عربية، ولكن دراسته العميقة للسريانية والسهولة والبلاغة التى كتب بها توحى بأنها كانت مسيحية سريانية.

ولقد استمر ابن العبرى فى قراءة السريانية والعربية طيلة حياته. فقد قرأ بتوسع فى العربية، ودرس بإتقان التاريخ واللغة وديانة العرب أكثر من أى كاتب سريانى آخر. وتتأكد هذه الحقيقة من اقتباساته من الكتّاب الذين ذكرهم فى أعماله المختلفة، مثل: ابن سينا وأرسطو وميخائيل الكبير. كان ابن العبرى يمثل طرازا فريدا من الرجال، فكان يتميز عن أى كاتب سريانى

آخر بأنه مزج التراث الفكرى الإسلامى بالتراث الكنسى القومى للثقافة المسيحية.

أما بالنسبة لليونانية فقد أنكر "نولدكه" NOLDEKE معرفة ابن العبرى لهذه اللغة، ولكن يؤكد البعض إلمام ابن العبرى بهذه اللغة والرأى الأخير هو الأرجح. فقد اقتبس ابن العبرى فى كتاباته الكثير من المؤلفات اليونانية، كما أن هناك عدة مراجع لكتاب يونان ذكروا اسم ابن العبرى. ومن بين الكتّاب اليونان الذين اقتبس منهم ابن العبرى: هرمس، وأوكليد ، وأرشميدس. كما قام ابن العبرى بتعريب كتب كثير من فلاسفة اليونان الأقدمين كأرسطو وغيره.

ومن الذين أيدوا فكرة إلمام ابن العبرى باللغة اليونانية أغناطيوس أفرام برصوما؛ فقد قال إن اللغة اليونانية تعتبر أولى اللغات التى تعلمها ابن العبرى فى شبابه. وفى سنة ١٢٤٣ ميلادية (٦٣١ هجرية) – بعد رحيل الطبيب أهرون إلى أنطاكية واستقراره مع أسرته – أخذ ابن العبرى يتردد على علماء البلد ليجنى منهم ما أمكنه من الآداب والمعارف، كما انكب على درس الفلسفة واللاهوت فلم يدع مطلبا إلا بحث عنه ولامشكلة إلا وحاول حلها. وكان ابن العبرى فى ذلك الوقت لم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره. وبعد مضى عام فى العلم والتحصيل اعتكف ابن العبرى فى مغارة بالقرب من أنطاكية، حيث قضى سنة كاملة وقد بدأ حياة الرهبنة منذ ذلك الوقت. ولما كانت نفسه التواقة إلى العلم لم تشبع بعد فقد ترك صومعته الهادئة وانتقل مع رفيق له يدعى" صليب وجيه بن يعقوب" إلى مدينة طرابلس الشام، حيث أنهى دراسة الطب والبيان والمنطق على الأستاذ يعقوب النسطورى. ثم بعد فترة انتقل إلى حلب وهناك أتم دروسه الفلسفية واللاهوتية وأحكام اللغة العربية، ولم يكف طوال حياته عن المطالعة ومجالسة جهابذة زمانه.

كان من المعروف عن ابن العبرى أنه إذا زار مدينة أو قرية وعرف أن لها مكتبة كان لا يغادرها حتى ينال أكبر قسط من العلم منها. ففى خزانة مراغة وقف على الشروح الفلسفية باللغة العربية وأحاط بتصانيف ابن سينا الطبية والفلسفية كلها.

وقد عنى ابن العبرى – أيضا – بدراسة اللغة الفارسية عناية فائقة؛ فنظرا لطبيعة العلاقات الطيبة التى كانت قائمة بين ابن العبرى والمغول ومكوثه فترة – ليست قليلة – فى بغداد، كل هذا جعله يتجه إلى دراسة اللغة الفارسية دراسة مستفيضة، وكذلك نجده فى كتابه " تاريخ مختصر الدول" يتحدث مباشرة وبثقة عن الفرس والمغول والمعارك التى قامت بينهما. فلابد أن تكون تلك المعلومات آتية عن معرفة شخصية بتاريخهم، ربما يكون قد حصل عليها من صلته بالمغول مباشرة، كما يجوز أنه قد أخذها من كتب أو وثائق مختلفة. كما أن مخطوطته "كتاب الأزمنة" التى قام بكتابتها بنفسه – التى هى موضوع هذا الكتاب – يوجد بها بعض الكلمات الفارسية والمغولية، مثل: دقاق، وقراقجيان، ونويان..إلخ ويمكن القول بأنه تمكن من قراءة اللغة الأوغورية وربما تكلم بها.

ولقد قال عنه بدج : " إن ابن العبرى كان معدا إعدادا كافيا لعمله اللغوى، حتى إنه كان يعرف العبرية والسريانية والعربية والفارسية جيدا، كما كان لديه بعض المعلومات عن اليونانية، ومعرفة لا بأس بها باللغة الأرمينية، بالإضافة إلى بعض لهجات تركستان ومنغوليا وغرب الصين" .

المنهج التاريخى عند ابن العبرى

يمتاز ابن العبرى فى كتاباته بأنه جمع بين سعة المعارف التى لا حد لها وحاسة النقد المستنيرة، فقد استعاض عن الأساطير التى كانت ثمرة الجهل والسذاجة بأخبار صادقة أصيلة.

إن ابن العبرى لم يكن مؤرخا يعتمد على الرواية فحسب، بل كانت تستهويه فلسفة التاريخ. فهو يبحث عن الحادثة: أسبابها ونتائجها والظروف التى أدت إليها وأحاطت بها. فمثلا نجده يقص كيف ظهر رجل تركمانى زاهد يدعى "بابا" سنة ١٢٤٠ ميلادية وادعى النبوة، محدثا فتنة دينية بين العرب وكيف اشتد ساعده بمن انضم إليه من الفلاحين والتركمان الذين باعوا ممتلكاتهم وتبعوه، ثم وضح لنا ابن العبرى كيف أن قوات هذا البابا هزمت جيشًا أعدَّه حاكم ملطية، ولكن نبلاء بيت الروم أعدوا له كمينا وخنقوه فادعى أتباعه برئاسة تلميذه "إسحاق" أنه ذهب ليحضرملائكة لمساعدتهم. وقامت معارك بينهم وبين جند السلطان انتهت بحصارهم، حيث قتلوا جميعا بحد السيف ولم يبق منهم رجل أو امراة أو طفل أو حيوان فيه الروح. وهكذا أخمدت تلك الفتنة.

إن نظرة ابن العبرى للحدث الذى يتكلم عنه أو يصفه نظرة شاملة، فلا تشعر بانفصال بين الحدث السياسى ومسبباته ونتائجه. كان ابن العبرى يحرص على لقب مؤرخ أكثر من حرصه على لقب كاتب بليغ. وإذا كان العرب والفرس والمغول قد وجدوا فى مؤلفات ابن العبرى التاريخية منبعا فياضا لأقدم وأقوم الوثائق، فإننا نستطيع – أيضا – أن نستخلص منه مجموعة كبيرة من المعلومات التى يندر وجودها عند غيره. ففى مواضع كثيرة من تاريخه نستطيع أن نستكشف تاريخ بعض البلاد التى لم نكن نعرف عنها الكثير. ومن أمثلة ذلك: تاريخ الأمم التركية، ولاسيما تاريخ "الأويغوريين" و"الخطا" الذى استمده من سجلات تلك الأمم نفسها. لقد وصف كثيرا من البلاد وكان وصفه دقيقا صادقا. وقد تضمن وصفه الكثير من الملاحظات القيمة حول: مواقع المدن، وطبيعة الجو، وغلات الأرض، وعادات السكان الذين يسكنون تلك البلاد.

لقد استطاع ابن العبرى بفضل أسفاره ورحلاته العديدة أن يجمع بعض الروايات الصادقة من مهد الإمبراطورية المغولية، فحاول أن يخطط تاريخا

لفتوحات جنكيزخان وخلفائه. فنجده قد تعرض إلى أصل القبائل المغولية والصينية المختلفة، وإلى أنساب الأمراء والملوك وغيرهم من الشخصيات الهامة ذات المكانة الرفيعة.

ويكاد المرء لا يلحظ أى خلاف بين ابن العبرى والمؤرخين الآخرين فى سردهم للأحداث، ولكن إذا أمعنا النظر فى قراءة بعض الأحداث يمكن لنا أن نستبين بعض الفروقات. فلو أخذنا ما ذكره ابن الأثيرعن سقوط القسطنطينية نجد أنه كباقى المؤرخين المسلمين يسمى سكانها بالروم، بينما يدعوهم ابن العبرى باليونانيين، ونجد ابن الأثير يحكى مقتل الكهنة والقسس باختصار كجزء من معركة فتح القسطنطينية، بينما ابن العبرى يحكى لنا عن هذه الواقعة منفعلا بها ومتأثرا بمقتل رجال الدين المسيحى، كذلك نجد ابن الاثير يسمى قادة الفرنجة. "دوقس البنادقة "، و"المركيس مقدم الإفرنسيس"، والثالث "كندا فلند"، بينما يدعوهم ابن العبرى "دوقاس البندقية" و"مركيس رئيس الفرنسيس" و"جوندوفرى"، وكذلك نجد ابن العبرى يسمى كنيسة القسطنطينية الكنيسة العظمى التى تدعى "صوفيا" على حين يسميها ابن العبرى كنيسة "أيا صوفيا العظيمة".وهذه الفروق البسيطة فى الكتابة ونطق الأسماء إنما يرجع بالطبع الى الخلفية الدينية واللغوية لكل من المؤرخين.

ولو أخذنا حدثا هاما فى تاريخ الأمة الإسلامية _ وهو سقوط بغداد وانهيار الخلافة العباسية _ فسنجد أن مؤرخا مسلما مثل رشيد الدين فضل الله الهمذانى" فى كتابه "جامع التواريخ" الذى تحدث فيه عن تاريخ المغول بتكليف من غازان خان _ يكتب بتوسع شديد عن المكاتبات بين هولاكو والخليفة، وتحرك الرسل بينهما، ومحاولات التفاهم التى فندها ناصحو السوء المحيطون بالخليفة، ثم يقص كيف سقطت بغداد والحوار الذى دار بين هؤلاء والخليفة، ثم يورد أسماء الخلفاء العباسيين من أول السفاح والمنصور حتى ينتهى بالمستعصم، كما أنه عنى بشرح دور القادة المغول والقادة العرب ووزراء الخليفة وأمراء الجيوش. وفى الوجه المقابل نجد ابن العبرى يناقش

إستيلاء المغول على بغداد بواقعية مجردة ،ولايظهر تعاطفا مع الخليفة وأهل بغداد. والجملة الوحيدة التى تطغى فيها النفس البشرية على واقعية المؤرخ هى حينما يقول :" جمع الكاثوليكس جميع المسيحيين فى كنيسة سوق الثلاثاء حماية لهم ومحافظة عليهم ولم يُضب أحد من المسيحيين. ولقد أحضر العرب الأثرياء كميات كبيرة من ثرواتهم الى الكاثوليكس أملا فى إنقاذ أنفسهم والمحافظة على أملاكهم ولكنهم قتلوا جميعا". بينما يقول رشيد الدين فى اقتضاب شديد "فى مساء الأربعاء الرابع عشر من صفر سنة ٦٥٦ هجرية قضوا على الخليفة وعلى ابنه الأكبر"، نجد ابن العبرى يتحدث بالتفصيل "فأحضروا الخليفة أمامه وحاكمه وحكم عليه بالسجن حتى الموت، عندئذ أوثقوه ووضعوه فى جوال وخيطوا عليه وقتلوه بضربات من أقدامهم".

إننا نجد نفس الملاحظة عندما نقارن بين ما كتبه ابن العبرى فى تاريخه للحروب بين الصليبيين وملوك الدولة الأيوبية، وبين ما كتبه مؤرخ لبنى أيوب وهو جمال الدين بن واصل، فبينما يسهب ابن العبرى فى وصف قوات الفرنجة، وكيف كانوا على وشك الانتصار عندما مات ملكهم هنرى وتهادنوا مع الملك العادل وهم فى مركز القوة _ نجد أن ابن واصل يقول : "إن الملك العادل يواصل الغارات على الفرنج ويقصدهم بنفسه وجموعه مرة بعد أخرى حتى أضجرهم وأسأمهم فراسلوه فى طلب الصلح*". ولايمكن بالطبع ان ننفى عن ابن واصل تعاطفه مع الأيوبيين وتعصبه ضد الصليبيين كما لم ننف عن ابن العبرى تعاطفه مع المسيحيين؛ فقد كان ابن العبرى معاصرا للمغول ويخشى بطشهم فيما كتب بل يعدهم مناصرين لملته، فلذلك لم يكن محايدا.

---

* جمال الدين واصل : مفرج الكروب ج٣ ص٧٨ تحقيق د. الشيال سنة ١٩٦٠

أعماله

تناول ابن العبرى فى كتاباته كل فروع العلم التى كانت مطروقه فى أيامه. وكان هدفه من وراء ذلك هو المحافظة على اللغة السريانية: لغة وأدبا من ناحية، وتقديم علوم المسلمين باللغة السريانية إلى أهل ملته وتعريفهم بها من ناحية أخرى.

لم يتوقف ابن العبرى طوال حياته عن المطالعة والتأليف، فألف ما يزيد عن الثلاثين كتابا بالعربية والسريانية. وذكر العلامة السمعانى أسماءها فى المجلد الثانى من المكتبة الشرقية. ومن مجموعة كتبه هذه يتبين لنا أنه خاض معظم مجالات المعرفة؛ إذ كتب فى: المسائل اللاهوتية، وشرح الكتاب المقدس، والفلسفة، والطب، والتاريخ، والنحو، والشعر، والفكاهة.

ويلفت نظر القارىء من بين هذه المؤلفات مخطوطة سريانية من تأليفه، هى: "تاريخ الأزمنة" التى كتبها، وقلد فيها أستاذه "ميخائيل السريانى الكبير". وفيها يتناول التاريخ منذ بدء الخليقة حتى وفاته عام ١٢٨٦ ميلادية.

إن التأريخ الزمنى أو تاريخ الأزمنة لابن العبرى يعتبر موسوعة زمنية وتاريخية، يوجد بها حشد ضخم من المعلومات المتنوعة، فهو يتعامل مع التاريخ والدين واللغة وعادات الشعوب وتقاليدها، علاوة على قصة حياة العلماء والمحاربين الكبار. وهو يصف المعارك وحصار المدن، وظهور المذنبات الفلكية والظواهر غير الطبيعية فى السماء، والزلازل والمجاعات وسقوط الثلج ، وهو كذلك يحكى فضائح البلاط كما يحكى بعض القصص الهزلية .

ولقد رأيت _ كمحاولة استكمال تاريخ الأمة العربية من وجهة نظر المؤرخين السريان _ أن أقوم بترجمة مخطوطة "ابن العبرى" من سنة ١١٩٧ ميلادية حيث توقف تاريخ ميخائيل السريانى الكبير، إلى سنة ١٢٨٦ ميلادية .

ويشتمل هذا الكتاب على الفترة التى عاشها ابـن العبـرى وعايـشها بنفسه؛ ولذا فهى فترة لها أهميتها من حيث إنها لم تكتب نقلا وإنما كتبت عن رؤية ومشاهدة، فجاءت كتابته صورة حية لأحداث عصره.

وقد قسم ابن العبرى هذا الكتاب إلى ثلاثة مجلدات، يحتوى أولها على كتاب تاريخ الدول، ويتضمن هذا الكتاب أخبار العالم منذ الخليقة إلى قـرب سنة وفاة المؤلف سنة ١٢٨٥ ميلادية.

ويتناول هذا الكتاب تاريخ العالم والدول والعلماء فى غاية من الضبط والدقة، آخذا عن تاريخى: يعقوب الرهاوى، وميخائيـل الكبيـر، وتـواريخ سريانية وعربية وفارسية وقف عليها فى خزانة مراغة. وقـد كتـب هـذا المخطوط بالسريانية وطبعه لأول مـرة بـرونس، وكـرش BRUNS & KIRSH سنة ١٧٨٩ ميلادية فى جزءين ونقلاه إلى اللاتينية.ولكـن هـذه الطبعة تشوبها أغلاط لا تحصى، وقد قام العلامة "بدجان" BEDJAN سنة ١٨٩٠ ميلادية بإعادة طبع هذا الكتاب النفيس ووفـاه حقـه مـن الإصلاح والتحسين، ثم ترجمه "بدج" BUDGE إلى اللغة الإنجليزية تحت اسم THE CHRONOGRAPHY OF BAR HEBRAEUS.

مصادر المخطوطة

يدين العالم لروبرت هنتنجـدون ROBERT HUNTINGDON ، وهو أحد رجال الشركات البريطانية التى كانت تعمل فى بلاد الشام، بالفضل لوجود مخطوطة "تاريخ الأزمنة" لابن العبرى فـى متنـاول أيـدينا. كـان هنتنجدون قد تعلم اللغات الشرقية فـى أكـسفورد؛ حيـث درس العربيـة والسريانية والعبرية والقبطية والأرمنية. وأثناء إقامته فى حلب وثق صـلته برجال الكنائس والأديرة الشرقية وبالأهالى والحكام الأتراك، فمكنتـه هـذه الصلات من شراء الكثير من المخطوطات من الأديرة والكنائس. وفى سـنة

١٦٩٣ ميلادية اشترت منه مكتبة "بودلين" عدد ٦٤٦ مخطوطا نظير سبعمائة جنيه، وكان من بين هذه المجموعة نسختان لكتاب الأزمنة*.

أما المخطوطة التى قمت بترجمتها فهى المحفوظة فى مكتبة "بودلين" بأكسفورد تحت رقم HUNT 52.

كان من أهم أهداف ابن العبرى فى تأليف تلك المخطوطة أن يثير اهتمام السريان بتاريخهم ولغتهم وآدابهم؛ كى يستمروا كقوة ذات حيوية فى منطقتهم غرب آسيا، كما حاول أن يدفعهم إلى إدراك أهمية العلوم والمعارف الخاصة بالحضارتين اليونانية والعربية ولذلك فقد ألف _ إلى جانب ترجماته وتآليفه فى الفلسفة – كتابه فى تاريخ الدول .

كان من أهم المصادر التى اعتمد عليها ابن العبرى مؤلفات أوسبيوس EUSEBIUS ، ويوحنا الأسيوى وديونسيوس التلمحرى. ولكن اعتماده الكبير كان على المخطوطة التى قام بتأليفها رئيسه ومعلمه ميخائيل الكبير، إلا أنه خالفه فى كثير من الأحيان.

بدأ ابن العبرى كتابه أساسا كاستكمال لعمل ميخائيل الكبير؛ إذ كان ينوى أن يكتب تاريخ الثمانين سنة التى توقفت بعد وفاة ميخائيل الكبير، معتمدا فى ذلك على مشاهداته وما سمعه من معاصريه، وما كانت تحتويه خزائن مراغة وأذربيجان. كما أنه زاد على هذا الكتاب عدة إفادات وتعليقات نقلها من مشاهير مؤرخى العرب كالطبرى وابن الأثير، كما اعتمد ابن العبرى فى تأليف مخطوطته على المراجع التى أخذها من مكتبات مراغة وأذربيجان. وبعد أن أتمها _ وعلى إثر دراساته للمخطوطات السريانية والعربية والفارسية المختلفة فى مكتبات مراغة وأذربيجان _ عاد وبدأ فى كتابة التاريخ كاملا من عهد آدم.

* تحت رقم HUNT : 1 / HUNT : 52

ولقد ذكر بدج BUDGE أن العشر سنوات الأخيرة من تاريخ المخطوطة أى منذ سنة ١٢٨٦ ميلادية (١٥٩٧ يونانية) حتى النهاية قام برصوم الصفى بكتابتها وذلك لوفاة شقيقة ابن العبرى.

ترجمات المخطوطة

بدأت معرفة العالم الحديث بمخطوطة ابن العبرى عندما قام بوكوك POCOCKE* سنة ١٦٥٠ بنشر مقتطفات من ترجمة كتاب "تاريخ مختصر الدول"، وهو الكتاب الذى كتبه ابن العبرى باللغة العربية اختصارا لكتاب "تاريخ الأزمنة". ولكن هذه الترجمة التى نشرها بوكوك POCOCKE** أثارت الاهتمام بابن العبرى. فنشر "بوكوك" للمرة الثانية سنة ١٦٦٣ النص العربى لمختصر الدول مع ترجمة لاتينية.

ثم قام السمعانى ASSEMANI*** فى سنة ١٧٢١ بنشر مقتطفات من كتابات ابن العبرى بالسريانية والعربية لتاريخ الدول فى الجزء الثالث من كتابه ومعها ترجمة لاتينية، وفى نفس النسخة نشر الجزء الذى كتبه برصوم الصفى شقيق ابن العبرى عنه.

وفى سنة ١٧٨٩ ميلادية نشر برونز P.G. BRUNS والدكتور كرش G.G. KIRSH نصا سريانيا كما نسخها برونز BRUNS**** بنفسه، مصحوبا بترجمة لاتينية نشرها فى ليبزج. ولكن هذه الطبعة كانت مليئة بالأخطاء؛ سواء فى النسخ أو الترجمة، وكان من أشد مهاجميه برنشتين BERNSTEIN.

---

*POCOCKE : SPEAMEN HISTORIAE , OXFORD 1650

**POCOCKE : HISTORIA COMPARDISA DYNASTARIUM OXFORD, 1663

***ASSEMANI : B.O.ii CLEMENTINO VATICANA, ROME 244-263

****BRUNS& KIRSH : ABULPHARAGII RIVE BAR- HEBRAC CHRONICON SYRIACUM. LEIPZIG

وفى سنة ١٧٩٠ ميلادية نشر برونز BRUNS* ترجمـــة للفـــصول الثلاثة الأخيرة من المخطوطة، وهى : مهاجمة الفرس لديار بكر – القضاء على طور عبدين – جزء من كتاب الأزمنة.

كذلك فى سنة ١٨٢٣ ميلادية قام برنشتين BERNSTEIN** بنشر جزء عن حياة ابن العبرى، وتعرض لكتـــاب تـــاريخ الأزمنـــة وترجماتـــه المختلفة.

كما قام أبلوس ولامى ABBELOOS & LAMY*** سنة ١٨٧٢ ميلادية بنشر حياة ابن العبرى وأعماله، ومن بينها كتابـــه تـــاريخ الأزمنـــة وترجمه إلى اللاتينية

وفى سنة ١٨٧٥ ميلادية قام قرداحى CARDAHI**** فى رومـــا بنشر هذا، الكتاب وقام بترجمته هو _ أيضا _ إلى اللاتينية.

وفى سنة ١٨٩٠ ميلادية قام بدجان BEDJAN بنـــشر المخطوطـــة كاملة بالسريانية كما نسخها هو بنفسه، وإن كان قد كتبها بالخط النـــسطورى لأنه كان نسطوريا. وقد قام بنسخه لهذه المخطوطة بمراجعة مخطوطة كرش وبرونز كما استفاد من مذكرات برنشتينBERNSTEIN التى كـــان قـــد جمعها من مخطوطات الفاتيكان ودون فيها ملاحظاته علـــى الفـــروق بـــين مخطوطتى بودلين وبين أخطاء برونز وكرش. وهذه النسخة التـــى حققهـــا بدجان BEDJAN هى التى اعتمد عليها بدج فى ترجمة مخطوطة بـــودلين HUNT 1.

*BRUNS : REPORTOIUM FUI BIBLISCHE UND MORGENLANDISCHE LITERATURE

**BERNSTEIN : CHRONICI SYRIACI SPECIMINE. LEIPZIG 1823

***ABBELOOS& LAMY : CHRONICON ECLESIASTICUM

****CARDAHI : LIBER THESAURI DE ARTE POETICA SYRORUM-ROME 1875

وجاء بعد بدجان BEDJAN عدة مستشرقين وكتاب تعرضوا لحياة ابن العبرى وأعماله المختلفة، ولتلك المخطوطة على وجه الخصوص، مثل: نولدكه NOLDEKE سنة ١٨٩٢م ، ودوفال DUVAL وسميث SMITHسنة ١٨٩٤م ، وروبنز دوفال RUBENS DUVAL سنة ١٨٩٩م ، وبومشتارك BAUMSTARK سنة ١٩٢٢م ، ولعل أهم ترجمة للمخطوطة هى الترجمة التى قام بها بدج BUDGE وإن كان قد اكتفى بترجمة النص دون وضع أى هوامش للتعليق أو التحقيق أو شرح لوجهة نظره؛ لأن ذلك كان سيضاعف من حجم الكتاب. وكان التصرف الوحيد الذى قام به هو إضافة بعض الكلمات لتوضيح المعنى، فوضعها بين قوسين كما وضع علامة استفهام بعد الجملة المشكوك فى فهمها(جاء ذكر هذا فى ترجمتى للنص السريانى) .

وصف المخطوطة :

وتشتمل هذه المخطوطة على ٤٠٢ ورقة من الحجم المتوسط، وقد وضعت أرقام الصفحات فى أعلى الصفحة من الوسط. وتنتهى صفحات المخطوطة بالرقم ٢٠١؛ وذلك لأن الورقة تشتمل على رقم واحد للصفحتين:، الصفحة الأولى تأخذ الرقم ثم الصفحة الثانية تأخذ نفس الرقم مع الحرف V على يمينه.

وتنقسم الصفحة عادة إلى عمودين ويتراوح عدد أسطر العمود الواحد ما بين ٢٥ و ٣٦ سطرا. والمخطوطة مكتوبة فى معظمها بالخط الواضح الدقيق . ونعثر بين الحين والآخر فى أسفل الصفحة أو على أحد الجانبين على قوائم بعرض الصفحة، وهى عبارة عن هوامش مكتوبة _ أحيانا _ بالسريانية، وأحيانا باللغة العربية، وقد تكون فى بعض المواضع غير واضحة بالمرة. وقد تكون هذه الهوامش _ أحيانا _ تكملة لما جاء فى النص، أو تشتمل على بعض أسماء الخلفاء أو الملوك الفرس والمغول، وسنوات

حكمهم وتواريخ وفياتهم، فهى فى كثير من الأحيـــان تكـــون عبـــارة عـــن ملاحظات توضح لنا بعض ما خفى من الأمور.

ومن خط المخطوطة نستطيع أن نميز بين ناسخين لها؛ إذ نلاحظ أنها كتبت بخطين مختلفين، كما أننا نجد فى بعض الأحيان أنَّ الناسخ لـــم يقـــسم الصفحة إلى عمودين، بل كتب على الصفحة بأكملها .

لم يقسم ابن العبرى المخطوطة إلى فقرات، ولكنه قام بسرد الأحـــداث دون أن يحددها بعناوين، ولكن يمكننا الاستدلال على عنوان معين أو فصل معين من خلال وجود خط أكبر بقليل من الخط المكتوب بـــه المخطوطـــة، وأحيانا يكون رأس الموضوع بنفس الخط فلا يظهر الفرق بينهما ، وأحيانًـــا يضع علامة مميزة ويكتب العنوان فى الهامش الخارجى .

ونجد _ أيضا _ فى أماكن كثيرة فراغا يتسع لكلمة أو أكثر ناقـــصة، ولكن فى بعض الحالات الأخرى نجد أن الفراغ يتسع لكلمة أو أكثر؛ وعلى ذلك فلا نجد فى النص إخلالا بالمعنى ، كما توجد _ أيضا _ بعض الأعمدة الفارغة ، وكذلك بعض الصفحات بيضاء لا كتابة فيهـــا ولكنهـــا لا تخـــل بالمعنى.

كما نجد فى المخطوطة بعض التعليقات والهوامش فى أسفل الـــصفحة أو على أحد الجانبين.

أما طريقة إصلاح خطأ، فكان الناسخ عنما يخطئ فى كتابة كلمة فهو أحيانا يشطبها ويكتب بجوارها الكلمة الصحيحة ، وأحيانا يترك الخطـــأ دون أن يشطبه أو يضع أى علامة لوجوده أو لوجود حرف زائد ، كما أنه فـــى حالة سقوط كلمة ما فإنه يكتبها بين الكلمتين، وأحيانا يضع علامـــة معينـــة ويضع الكلمة أو الجملة الناقصة فى الهامش الخارجى ، وأحيانًا يضع ثلاث نقاط هكذا (∴) ويكتب الجملة الناقصة فى أسفل الصفحة ويحيطها ببـــرواز، وأحيانا إذا كان السطر غير كاف للكلمة فإنه يضع الحرف الأخير منها فوق

الكلمة، وهو عادة لا يقسم الكلمة أثناء النسخ على سطرين إلا إذا كانت الكلمة مركبة.

أما عن الاختصارات فهو شائع فى مخطوطات السريان؛ وهو استخدام كلمات مختصرة، أى حذف الجزء الاخير منها . ومن الملاحظ أنه لم يختصر أسماء الأعلام حتى ولو كان قد سبق له كتابتها كاملة، ولو كان ذلك فى السطر الذى يسبقه.

أما عن طريقة كتابة الأعداد فقد كتبت الأعداد بالحروف، أى: مفقطة ، كما كتبت _ أيضا _ بطريقة المقابل العددى للحروف السريانية. وقد كتبت هذه الحروف بالخط الإسطرنجيلى.

أما طريقة كتابة الأسماء _ سواء أسماء أعلام أو بلدان فلم يتبع الناسخ خطة ثابتة فى كتابتها، وإنما كتبها بطرق متعددة. وقد يكون ذلك راجعا إلى المصدر الذى نقل منه. فعند استخدام الأسماء العربية كان الناسخ ينقلها من العربية إلى السريانية فى أغلب الأحيان وفق القاعدة المتبعة فى اللغة السريانية فهو مثلا يتبع الضمة "واوا". وأحيانا أخرى لا يتبع القاعدة السريانية فلا يكتب واوا وراء الضمة، كما يتبع الكسرة "ياءا" وفقا للإملاء السريانى، وأحيانا أخرى يهملها وفقا للإملاء العربى، ووفقا لقاعدة الإملاء السريانى لايتبع الفتحة الطويلة المتوسطة ألفا بينما نجد الألف ترسم فى الإملاء العربى وأحيانا يسير على طريقة الإملاء العربى، فيتبع الفتحة الطويلة ألفا.

وقد كتب بعض الأسماء العربية مع إهمال رسمها فى الأصل؛ فمثلا اعتبر تشكيل الشدة فوق الحرف هو بمثابة حرفين، كما أنه يرسم الألف

المقصورة فى العربية بالألف الطويلة فى الخط السريانى، مع أنها ترسم فى العربية ياءا، ويكتب التاء المربوطة ألفا وإن كان أحيانا يكتبها بالهاء وأحياناً يكتب الأسماء العربية كما تنطق فى اليونانية، كما أنه يستخدم الطريقة التـــى يتبعها السريان فى نقل الكلمات اليونانية إلى السريانية، ويطبقها فـــى نقـــل الكلمات العربية إلى السريانية.

الأحداث التى وقعت بعد وفاة صلاح الدين

عندما سمع بكتمر[١] صاحب خلاط[٢] بموت صلاح الدين[٣] فرح فرحا عظيما، وبدأ فى جمع قواته، وخرج إلى ميافارقين [٤] فقتله رجل يدعى: هزار دينارى [٥] من عبيد شاهرمن،[٦] وتولى السلطة بدلا منه (من بكتمر). ولأن هزار دينارى كان صهرا لبكتمر فقد أعرض عن قتل ابنه الصغير محمد واتخذه ولدا له ورباه. وفى العام نفسه توفى _ أيضا _ سنان[٧] رئيس فرقة الإسماعيلية فى مصياب♦،[٨] وتولى بدلا منه رجل فارسى يدعى: ناصر[٩]. كان كل ملوك العرب والفرنجة يخشون سنان لأنه كان قد صنع خناجر وكتب على كل واحد منها اسم أحد الملوك، كما كان كل واحد من رجاله يتفانى فى تنفيذ ما وكِّل إليه من أوامر بالقتل ولو كان المراد قتله فى عرض البحر . كان سنان دارسا لحكمة الشعوب الأخرى وفلسفاتها وتناسخ الأرواح، وكان يدرس لمريديه تعاليم أفلاطون؛ ولذلك كانوا يحتقرون الموت ويعتقدون أنهم لن يغادروا الدنيا حتى ولو قتلوا. وكثيرا ما كان سنان يختفى ويذاع خبر موته ثم يعود للظهور مرة أخرى؛ ولذا حين توفى لم يصدق رجاله ذلك.

وفى هذه السنة سنة ١٥٠٤ يونانية (١١٩٣ ميلادية) تآمر لاون صاحب قيليقية وقبض على البرنس بيموند صاحب أنطاكية. كانت بغراس[١٠] مع لاون، لأنه كان قد استولى عليها بعد أن فر العرب منها؛ فاتفق الحاكم الأرمنى لبغراس أن يتآمر سرا مع البرنس ويخبره برغبته فى الثورة على صاحبها لاون، ويسلم القلعة إلى البرنس ويدخل أنطاكية ويسكن فيها .

♦ مصياب: فى النسخة السريانية مصيات (ص121v عامود ٢ سطر٢٩).أما فى النسخة الإنجليزية "مصريات". (and in the year also there died SINAN, the chief of the ISMAELITES in (MASRYATH p .343) أما الصحيح فهو "مصيات".

وعندما أرسل الحاكم إلى البرنس ووعده بأن يسلم له بغراس صدقه البرنس وخرج مسرعا كالمطارد ومعه ابنه وزوجته. وعندما جاءوا وعسكروا عند النبع أمام بغراس أرسل لهم الحاكم طعاما وخمرا، وقال لهم : "من المستحيل أن تصعدوا إلى القلعة فى الصباح، ولكن حين يحل الظلام وتأتون ستجدون الأبواب مفتوحة فتدخلون سرا. ولا تصحبوا معكم أحدا من الفرسان حتى لا يشعر الحراس وينكشف السر، وليبق الفرسان مختبئين بالقرب منكم". فصدق البرنس ذلك وانتقل من العين متظاهرا أنه ذاهب إلى أنطاكية. وعندما حل المساء عاد هو وزوجته وابنه ومن معهم من الصبية الصغار القائمين على خدمتهم. ولما اقتربوا من الباب وجدوه مفتوحا ودخلوا مسرورين فقال لهم الصاحب:" فلتستريحوا الآن حتى ينبلج الصباح ونتدبر الأمور، ثم ندخل بعض الفرسان تباعا ونقبض على الحراس ". عندما نام هؤلاء الفرسان أرسل الصاحب إلى لاون- الذى كان مختبئا هناك - فجاء بعدد كبير من الأرمن، ودخل بغراس وقبض على البرنس وكبله بالأغلال هو وزوجته وابنه وعذبه عذابا شديدا جزاء وفاقا لما ارتكبه مع روفين شقيق لاون. وظل البرنس أسيرا عند لاون حتى جاء هنرى♦ابن أخت♦♦ ملك إنجلترا وقدم العهود والمواثيق فحرروه. وازدادت قوة لاون بعد موت قلج أرسلان فاستولى على اثنين وسبعين قلعة؛ بعضها من الأتراك وبعضها من اليونانيين. ولقد أحرز النصر فى جميع معاركه. وعندما سمع عز الدين مسعود صاحب الموصل بوفاة صلاح الدين رغب فى أن يستعيد مملكة سوريا فأرسل إلى أخيه عماد الدين صاحب سنجار[11] ونصيبين، وإلى سنجر

♦ هنرى : فى النسخة السريانية هرزى (ص ١٢٢ عامود ٢ سطر ١٤) / وفى النسخة الانجليزية : هنرى (HANRI p.344) وهو الأصح لأن اسم هنرى اسم مألوف عند أهل إنجلترا.

♦♦ ابن أخت : فى النسخة السريانية : ابن أخت (ص ١٢٢عامود ٢ سطر١٤) وهو الأصح / فى النسخة الإنجليزية :(شقيق أخت)(THE BROTHER OF THE SISTER p.344) ملك إنجلترا .فإن شقيق أخت ملك إنجلترا هو شقيق ملك إنجلترا. فقد ترجمت كلمة ابن إلى كلمة شقيق خطأ.

شاه ابن أخيه صاحب مدينة الجزيرة، وإلى مظفر الدين بن زين الدين صاحب إربل؛ طالبا منهم أن يستعدوا للذهاب جميعا لاسترداد المدن من خلفاء صلاح الدين. كما أرسل الملك الأفضل الابن الأكبر لصلاح الدين الذى كان يحكم دمشق مكان أبيه◆ إلى عمه العادل الذى كان آنذاك فى دمشق، واستدعاه لكى يقوم على رأس القوات ويقابل خلفاء الأتابك. وأرسل إلى الملك العزيز أخيه الذى كان يحكم مصر، وإلى الملك الظاهر[١٢] الأخ الآخر الذى كان يحكم حلب، وإلى ناصر الدين بن◆◆ تقى الدين ابن عمه صاحب حماة، وإلى الملك مجاهد بن ناصر الدين[١٣] ابن عم أبيه صاحب حمص، وجمع منهم قوات أرسلها مع عمه العادل. وجاء العادل وعسكر عند مرج ريحان فى مدينة الرها. وعندما سمع عز الدين[١٤] صاحب الموصل بذلك جمع أنصاره بدوره وجاء إلى نصيبين، وهناك مرض بالدسنتاريا ورجع عائدا إلى الموصل ومات بعد قليل. وكان رجلا عطوفا ومتواضعا ولم يره أحد قط يتكلم إلا وعيناه تنظران أمامه، ولم يرفض قط طلبا لمحتاج. وحكم بعده ابنه نور الدين أرسلان شاه[١٥] الذى اتخذ مجاهد الدين قائما بأموره.

وفى سنة ٥٩٠ هجرية (١١٩٣ميلادية) ذهب علاء الدين بن تكش خوارزم شاه إلى منطقة خراسان[١٦]، فالتقى بالسلطان طغرل [١٧] (فى معركة) بالقرب من مدينة الرى، وقتل طغرل وأرسل رأسه إلى بغداد، وعلقت على رأس رمح وثبت على باب قصر الخليفة. حكم خوارزم شاه همذان وبقية البلدان، وعين له نائبا وهو قطلغ إينانج بن البهلوان، الذى كان

◆ أبيه : فى النسخة السريانية :أبيه (ص ١٢٢ عامود ٢ سطر ٣٢) / فى النسخة الإنجليزية :أخوته (HIS BROTHERS p.344) الأصح هو أبيه؛ لأن الملك الأفضل تولى حكم دمشق بعد وفاة والده الناصر صلاح الدين.(تاريخ مختصر الدول ص٢٣٧).

◆◆ بن " تقى الدين": فى النسخة السريانية : ابن (ص ١٢٧٧ عامود ١ سطر ٣). وفى النسخة الإنجليزية: شقيق (THE BROTHER p.344) والأصح هو"ابن" لأن ناصر الدين ابن تقى الدين وليس شقيقه. وهو الملك المنصور ناصر الدين محمد بن الملك المظفر تقى الدين.

من قبل حاكما على همذان. وكان ابن البهلوان هذا قد استدعى خوارزم شاه لأن السلطان طغرل كان قد هرب من سجنه وانتصر عليـه واسـترد منـه البلاد. وبمقتل طغرل انتهى ملك السلاجقة فى خراسان، وبقيت مملكتهم تلك التى لدينا فى بلاد الروم. كان طغرل بن أرسلان بن طغرل بن محمود◆ [18] بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود الذى هو جغرى بك بـن ميكائيـل بـن سلجوق بن دقاق[19]. فى هذا العام جاء الملك العزيز صاحب مـصر إلـى دمشق لانتزاعها من أخيه الأكبر الملك الأفـضل، فـذهب عمهمـا الملـك العادل[20] وأصلح بينهما على أن تكون أورشليم (القدس) للعزيـز، وجبلـة واللاذقية للملك الظاهرصاحب حلب، وللعادل بعض القرى فى مصر. فجاءا وتصالحا وذهب كل منهما إلى منطقته.

وفى سنة ٥٩١ هجرية (١١٩٤ ميلادية) أرسل الخليفة الناصر جيشا بقيادة سيف الدين طغرل _ أحد نبلائه _ إلى أصفهان التى استـسلمت لـه نتيجة ما عاناه أهلها من اضطهاد على يد الخوارزميين. فى العام نفسه استعد الملك العزيز ملك مصر ليحضر ويأخذها(دمشق) من الملك الأفضل أخيـه. وعندما سمع أخوه الأفضل بذلك توجه بنفسه إلى قلعة جعبر[22] عنـد عمـه العادل وعند أخيه الظاهر ودعاهما لمساعدته . وجاء معه إلى دمشق وعسكر الملك العزيز _ أيضا _ بالقرب منها (دمشق)، عندئذ خدع الشيوخ من عبيد صلاح الدين الملك العزيز وقالوا للعادل وللأفضل: "تعالوا إلينا وسنسلم لكـم هذا الرجل". عندما شعر العزيز بالخيانة رجع فورا إلى مصر، فتبعه العادل والأفضل ودخلا مصر وعسكرا فى بلبيس. ولأنهما كانا قادرين على أخـذ مصر فقد قام العادل بمنع الأفضل من إتمام الغزو واتفقا على الصلح، وعاد الأفضل إلى دمشق ودانت له أورشليم، ودخل العادل مصر وأصـبح قائـدا للملك العزيز .

◆ ابن محمود : فى النص السرياني ورد اسم "ابن محمود بن ملكشاه" (ص٧١٢٢ عامود١ سطر٣٦). أمـا فى الترجمة الإنجليزية "ابن محمود بن محمد بـن ملكـشاه" (the son of MAHMUD، the son of MAHAMAD، the son of MALIKSHAH p.345). ومما هو جدير بالإشـارة أن الـنص السريانى وكذلك الترجمة الإنجليزية خطأ لأن الاسم لا يوجد به اسم محمود.

فى سنة ٥٩٢ هجرية (١١٩٥ميلادية) خرج الملك العادل مع الملك العزيز من مصر وعسكرا عند دمشق ليستوليا عليها من الملك الأفضل؛ عندئذ استعد الأفضل لمعركة على الأسوار، وعين كل واحد من نبلائه على باب من أبواب المدينة وقلاعها. فقام أحد نبلاء الأفضل _ وهو المكلف بحماية البوابة الشرقية واسمه عز الدين الحمصى _ بخيانته. ودخل العادل دمشق وذهب وعسكر فى دار عمه أسد الدين شيركوه(٢٣) ودخل _ أيضا _ الملك العزيز. كذلك تم لهما الاستيلاء على المدينة من الملك من الأفضل وأعطوه قلعة صرخد (٢٤)، فخرج وذهب إليها. أما الملك العزيز فقد رجع إلى مصر، ومكث العادل بدمشق حاكما اسميا بينما كان الملك العزيز الحاكم الفعلى. وقد تراسل الملك الظاهر صاحب حلب مع الملك الأفضل كثيرا وحذره من الثقة بالعادل " فلاخير يرجى منه لنا، " وقال له: "إنه أكثر دراية وعلما به منه ومع أنه عم لنا جميعا فإننى زوج ابنته، ولو كنت قد شعرت بحنان بَدَرَ منه نحونا لكان من الأوفق لى أن أكون على علاقة طيبة به أكثر منك". فأجابه الأفضل معارضا وقائلا: "إنك لست على صواب فيما تقول، فهو فى مكانة والدنا فكيف يؤذينا؟" .

وفى سنة ٥٩٣ هجرية(١١٩٦ميلادية) قام النزاع مرة أخرى بين العادل والفرنجة، واحتج العادل بانهيار السلام بموت (ملك) إنجلترا◆ وصلاح الدين. وذهب وعسكر عند يافا (٢٥)واستولى عليها بالحرب. حينئذ أرسل فرنجة الساحل إلى من فى الداخل وقالوا: "إن لم تدركونا سريعا فسيسيطر العرب على كل شواطئ البحر". فأرسل فرنجة الداخل قوات كبيرة أقاموا على رأسها رجلا من أبناء الكنيسة يُدْعى: "شنتسلير"، وخرجوا وعسكروا عند تبنين (٢٦)وشنوا عليها حربا شعواء. وعندما كانوا على وشك الاستيلاء

◆ إنجلترا : فى النسخة السريانية :إنجلترا (ص ١٢٣ عامود ١ سطر ٢٩) / فى النسخة الإنجليزية :بموت ملك إنجلترا وقد كتب BUDGE كلمة "ملك" بين قوسين **The death of (king) of ENGLAND)** . ص٣٤٦ وهذا هو الأصح.

عليها علموا أن هنرى♦ صاحب عكا[٢٧] قد سقط من مكان مرتفع ومات. ولما لم يكن لهم ملك فقد توقفوا عن الحرب. ثم أرسلوا فى طلب صاحب قبرص وأعطوه زوجة هنرى. فلما سمع العادل بذلك تفاوض معه وعقد معه صلحا اشترط فيه أن تكون بيروت للفرنجة وتبنين للعرب. وترك الفرنجة تبنين ورحلوا.

وفى تلك السنة توفى ملكشاه بن خوارزم شاه تكش[٢٨] فى بلدة نيسابور، وتولى بعده قطب الدين محمد[٢٩] على الرغم من أن وصية أبيهم كانت تعطى المُلْكَ لشقيقه هندوخان وليس له. وفى ذلك الوقت _ أيضا _ توفى سيف الدين إسلام طغتكين بن أيوب[٤٤] شقيق صلاح الدين، الذي كان يحكم أرض الجنوب♦♦، وقد تولى بعده ابنه إسماعيل؛ ولعدم كفاءته فى الإدارة ثار عليه نبلاؤه وقتلوه.

وفى سنة ٥٩٤ هجرية (١١٩٨ميلادية) توفى عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي بن أقسنقر صاحب سنجار ونصيبين والخابورا والرقة[٣٠]، وملك بعده ابنه قطب الدين محمد، وتولى تدبير دولته مجاهد الدين بريقش مملوك أبيه. وفى السنة نفسها ذهب نور الدين أرسلان شاه صاحب الموصل وعسكر عند نصيبين، واستولى عليها من قطب الدين محمد ابن عمه بحجة أن قطب الدين كان قد وضع يده على عدة قرى فى بلاد ما بين النهرين على حدود الموصل . وعندما أرسل رسولا لاستردادها رفض؛ فجمع نور الدين قوة وذهب إلى نصيبين، وجاء _ أيضا _ قطب الدين فانهزم وهرب إلى حران[٣١]، فأرسل إلى العادل وطلب منه العون . وعندما دخل نور الدين نصيبين ومكث بها بضعة أيام تفشى المرض فى قواته، ومات ستة من نبلاء الموصل من بينهم مجاهد الدين قيماز[٣٢] قائده؛ ولذلك ترك نور الدين

♦ هنرى : فى النسخة السريانية " هررى"(ص ١٢٣ عامود ٢ سطر ٢) /والنسخة الإنجليزية (HANRI p.346) "هنرى" وهى الأصح.

♦♦ أرض الجنوب : المراد بها "بلاد اليمن" .

نصيبين وجاء إلى الموصل، وعادت إلى قطب الدين صاحبها مرة أخرى. وفى السنة نفسها ذهب خوارزم شاه إلى مدينة بخارى[٣٣] واستولى عليها من شعب الخطاى، أى: الصينيين. وعلى الرغم من اختلاف العقائد فقد كانت هناك صداقة بين عرب بخارى والصينيين لما توسموه فيهم من حكمة وعدل؛ ولذا وقفوا بجانبهم وحاربوا معهم بعنف على الأسوار ثم أخذوا كلبا* وألبسوه ملابس خوارزم شاه وألقوا به عند الخوارزميين وقالوا: "هذا هو ملككم." فلما استولى خوارزم على المدينة بالسيف لم يتذكر لهم إهانتهم، ولكنه أعطى لهم ذهبا وجعلهم يقسمون له يمين الولاء. وفى العام نفسه جاء الملك العادل وعسكر عند ماردين[٣٤] وحارب أهلها بشدة. وكان صاحبها صغيرا يدعى: حسام الدين[٣٥]، وقائده نظام الدين بريقش. وقد خانه أهل المدينة وسلموها للعادل التى قامت قواته بالنهب والتخريب فيها، ومع ذلك ظل أهلها يحاربون عند قلعتها.

وفى سنة ٥٩٥هجرية (١١٩٨ميلادية) توفى الملك العزيز[٣٦] بن صلاح الدين صاحب مصر، وكان قد خرج للصيد ** فشاهد ذئبا، فجرى خلفه، فسقط من فوق جواده وأصابته حمى عاد بعدها إلى القاهرة ***حيث توفى وترك طفلا صغيرا يدعى الملك المنصور[٥٤]. حينئذ وقع انقسام بين النبلاء، فمنهم من أراد تنصيب الغلام بدلا من أبيه، ومنهم من رغب فى تنصيب العادل، بينما رأى بعضهم تنصيب الأفضل. ولكن مؤيدي الأفضل

* أخذوا كلبا : كان خوارزم شاه تكش أعور. ففى أثناء هذا الحصار أخذ أهل بخارى كلبًا أعور وألبسوه ملابس تكش .

** خرج للصيد : كان هذا الصيد فى صحراء الفيوم .ورد ذلك فى (مفرج الكروب ص٨٢)، و(المختصر فى أخبار البشر ج٢ ص٦٥)، و(النجوم الزاهرة ج٦ ص١٢٨)، وكان ذلك فى السابع من محرم.

*** عاد إلى القاهرة : دخلها يوم عاشوراء (المختصر فى أخبار البشر ج٣ ص٦٥).

كانوا الأقوى فأرسلوا وأحضروه* من صرخد وحكم بالفعل. حينئذ هرب الذين كانوا يعارضون** الأفضل واستولوا على أورشليم؛ فاستدعى الملك الأفضل قوات من المصريين وخرج للهجوم على دمشق، فأخبر الدمشقيون الملك العادل فى أثناء حربه فى ماردين.عندئذ ترك ابنه الملك الكامل محمد على قلعة ماردين وعاد مسرعا إلى دمشق. ثم جاء الأفضل وعسكر عندها، فانقسمت القوات ضده فانسحب وعاد مرة أخرى إلى مصر، وكان مجيئه بلا فائدة. وتضايق أهل ماردين كثيرا نتيجة لما عانوه من نقص فى الغذاء وانتشار الأمراض إبان حكم الكامل بن العادل، وأوشك نظام الدين قائد الطفل حسام الدين على تسليم القلعة. وما إن سمع هذا نور الدين صاحب الموصل وأبناء أعمامه حكام سنجار والجزيرة حتى دب الرعب فى قلوبهم، وتشاوروا فيما بينهم قائلين: "إذا استولت أسرة العادل على ماردين فسوف يحرموننا من كل أراضينا ". لذلك ذهبوا خفية إلى دنيسر(٥٧)ونزل الكامل من ماردين*** إلى السهل، وقابلوا الأتابكة وهزموهم، وهرب الكامل ومن معه إلى ماردين. وعندما دخلوا (المدينة) وجدوا أن الذين كانوا بها قد فروا فذهبوا ونهبوا خيامهم ،وفى ذلك المساء جمع الكامل قواته وتوجه إلى حران، ومن حران

---

* أحضروه : فى النسخة السريانية "أحضروه" (ص ١٢٣٧ عامود ٢ سطر ٣). وفى النسخة الانجليزية أحضروا الملك منصور" (they sent and brought MALIK MANSOUR from SARKHAD p.347) .وهو يقصد بهذا زيادة التوضيح.

** يعارضون الأفضل : فى النسخة السريانية "يعارضون الأفضل"(لايطلبون) (ص ٧ 237عامود ١ سطر ٤) . وفى النسخة الإنجليزية "طلبوا الأفضل" (those who wanted AFDAL fled p.347) والنسخة السريانية هى الأصح لأننا نفهم من المتن أن مؤيدى الأفضل كانوا هم الأقوياء؛ ولذلك نصبوا الأفضل . أما بالنسبة لمن عارضوا فى تنصيبه فقد هربوا، ولا يمكن أن يكون الذين طلبوه هم الذين هربوا.

*** ماردين : فى النسخة السريانية "نزل من ماردين إلى السهل" (ص ٧ 123 عامود ٢ سطر ٢٨) . وفى النسخة الإنجليزية "نزل الكامل إلى السهل"(and KAMIL came down to the plain p. (348).

ذهب إلى دمشق إلى والده العادل. وقد قيل: إنه لو لم ينزل بيت الكامل إلى السهل◆ لما استطاع الأتابكة قط أن يزعزعوهم من ماردين، ولما استطاعوا استرداد القلعة مرة أخرى ولكن الله تبارك وتعالى يفعل ما يشاء .

وفى سنة ٥٩٦ هجرية (١١٩٩ميلادية) جمع الملك العادل قواته ودخل مصر وسمع بذلك الأفضل فجمع هو _ أيضا _ قواته وخرج وقابل عمه فهزم وهرب ليلا ودخل القاهرة.◆◆ وجاء العادل وعسكر عندها وأراد أن يشن حربا عليها؛ حينئذ نصح النبلاء الملك الأفضل بالتفاوض وطلب السلام؛ لأنه ليست لديه قوة العادل، فأرسل الأفضل إلى العادل طالبا السلام على أن يتولى دمشق بدلا من مصر، فلم يوافق الملك العادل. فطلب (الأفضل) أن يعوضه مرة أخرى الرها وحران، ولكن هذا المطلب رفض أيضا. فطلب لعلها: ميافارقين وحانى(٣٧) وجبل جور(٣٨). فوافق العادل وتم الصلح بينهما. وخرج الأفضل متوجها إلى صرخد، وأرسل رجاله ليتسلموا ميافارقين. عندئذ أعلن نجم الدين أيوب بن العادل العصيان وأبى التسليم، فأرسل الأفضل إلى العادل بهذا النبأ. فاعتذر العادل قائلا بأن ابنه قد تمرد على أمره ولم يستمع إليه. وعندما علم الأفضل بما حدث بين العادل وبين ابنه اجتمع به، وبعث إليه برسول يتفاوض معه مرة أخرى فى الموضوع نفسه.

وفى السنة نفسها توفى خوارزم شاه تكش بن ألب أرسلان صاحب خوارزم وجزء من خراسان والرى وباقى البلاد الجبلية، وتولى بعده علاء الدين بن قطب الدين محمد، وكان يسمى باسم أبيه. كما توفى فى العام نفسه القاضى الفاضل الموثق المصرى وحيد زمانه(٣٩) فى مصر.

◆ السهل : فى النسخة السريانية "نزل (من ماردين) إلى السهل "ص v 123 عامود ٢ سطر ٣٦) فى النسخة الإنجليزية " من الجبل إلى السهل"(**from the mountain to the plain p.348**).

◆◆ القاهرة : فى ص١٢٤ عامود ١ سطر ٨ وردت مكتوبة بياء ولكن فى (ص١٢٤ عامود ١ سطر ٩) وردت مكتوبة بدون ياء وهو الأصح.دخل الملك العادل القاهرة فى الحادى والعشرين من ربيع الآخر سنة ٥٩٦ هجرية. (مفرج الكروب ص١٠٩).

وفى سنة ٥٩٧ هجرية (١٢٠٠ميلادية) أبطل العادل الدعاء للملك الطفل المنصور[٤٠] ابن الملك العزيز؛ فساءت صورته في عين النبلاء وكتبوا إلى الملك الأفضل في صرخد، وإلى أخيه الملك الظاهر في حلب طالبين منهما الحضور والإقامة حول دمشق، ومعلنين أنه إذا قام الملك العادل بالحرب عليها فيجب عليهما القبض عليه وتسليمه لهم. فلما سمع العادل بهذا التدبير أرسل إلى ابنه الملك المعظم شرف الدين _ عيسى الموجود فى دمشق آنذاك _ للإسراع بالقبض على الأفضل فى قلعته بصرخد، فما إن سمع الأفضل بذلك حتى خرج مسرعا وجاء إلى حلب عند أخيه الظاهر، فذهب الاثنان إلى منبج[٤١] التى كانت ملكا للعادل واستوليا عليها. وبنفس الطريقة تم لهما الاستيلاء على قلعة نجم[٤٢] وعادا وعسكرا عند حماة، فأعطى لهما نصر الدين بن تقى الدين ثلاثين ألف دينار ثم تركاه وذهبا سالكين طريق بعلبك إلى دمشق. وعقد الأفضل والظاهر معاهدة بينهما تنص على أن يتولى الملك الأفضل دمشق عند الاستيلاء عليها، ثم يتوجهان معا للاستيلاء على مصر، بعد ذلك يعيد الأفضل دمشق للظاهر على أن تكون مصر له. وتطبيقا لهذا الاتفاق قاما بشن حملات على دمشق، فلما تحركا للاستيلاء عليها تحركت شهوة الحسد والحقد فى نفس الملك الظاهر على أخيه الملك الأفضل وقال له:" إن دمشق ستكون لي وسأرسل معك قواتى للاستيلاء على مصر، وعندئذ تكون من نصيبك". فقال له الأفضل : " ألا تعلم أن أمى وأبنائى موجودون على الأبواب الأخرى فى حمص؟ [٦٩] فقد أحضرتهم من صرخد التى أعطيتها لزين الدين قراجا◆ – أحد عبيد أبيه، والذى كان مساعدا له– لذلك أطلب منك أن تترك لي دمشق حتى تحتمى بها هؤلاء النسوة إلى أن تأخذ مصر". حينئذ عارض الملك الظاهرولم يقبل هذا العرض. ولما رأى النبلاء ذلك الانشقاق بينهما تركوهما وانضم فريق منهم إلى العادل، بينما دخل فريق آخر إلى دمشق فاتفق الأخوان؛ عندئذ أرسلا إلى العادل عمهما طالبين السلام، وأعطى العادل منبج للملك الظاهر بالإضافة إلى حلب وأفامية[٤٣] وكفر

◆ زين الدين قراجا الصلاحي : تسلم صرخد مقابل عشرة آلاف دينار، فأنزل الملك الأفضل والدته وأهله منها.(مفرج الكروب ص ١٢٤).

طاب[٤٤] وجزءا من بلاد المعارة، وتولى الملك الأفضل حكم سميساط [٤٥] وسروج ورأس العين وجملين، ودخل الملك العادل دمشق. أما هما فقد ذهب كل واحد منهما إلى بلده. وفى ذلك الوقت عندما دخل الظاهر والأفضل دمشق وعسكرا هناك جمع نور الدين قواته وأخذ معه ابن عمه قطب الدين محمد صاحب سنجار وماردين♦، وتوجها للاستيلاء على ما بين النهرين من بيت العادل. وعندما وصلوا إلى رأس العين حل بهم المرض لأن فصل الصيف كان قد حل . وكان الملك الفائز بن العادل فى حران فأرسل إلى نور الدين عارضا السلام فقبل نور الدين ذلك؛ لما كان يعانيه من مرض آنذاك، ولسماعه بالصداقة القائمة بين الأفضل والظاهر وبين عمهم العادل؛ فوافق على السلام وأقسم لهم يمين الولاء، ورجع إلى الموصل وعاد ومن معه كلٌ إلى بلده. وفى العام نفسه عندما حكم معز الدين قيصر شاه ملطية[٤٦] هاجمها أخوه ركن الدين سليمان♦♦ بن قلج أرسلان واستولى عليها فى شهر حزيران (يونيو) سنة ١٥١١ يونانية (٥٩٧ هجرية/ ١٢٠٠ميلادية). وهرب معز الدين قيصر شاه من أمام أخيه إلى الملك العادل صهره، فأرسل العادل وأسكنه الرها مزودا إياه بالمؤن. ومن هناك ذهب ركن الدين إلى أرزن الروم[٤٧]، وكان بها ابن الملك محمد بن صلتق وهو أحد أبناء البيوتات القديمة. ومنذ ذلك الوقت حكموا أرزن الروم. فلما ذهب صاحبها إلى ركن الدين أخذه وحبسه دون أن يؤذيه واستولى على المدينة وأخذ _ أيضا _ قونية [٤٨] من جلال الدين♦♦♦

♦ صاحب ماردين : فى النسخة السريانية :صاحب ماردين (ص ٧ 124 عامود ١ سطر١٩)". كما ورد ذلك _ أيضا _ فى (مفرج الكروب ص ١٢٧).

وفى الترجمة الإنجليزية (حاكم مصر) **(the lord of EGYPT p.350)** والأصح هو"صاحب ماردين"

♦♦ <u>ركن الدين سليمان</u> : فى النسخة السريانية :"ركن الدين سليمان بن قلج أرسلان" (ص ٧ 124 عامود ١ سطر ٣٤). فى النسخة الإنجليزية :"ركن الدين سلطان"**RUK AD-DIN SULTAN، the son of KELEJ ARSLAN p.350)** .الأصح هو "ركن الدين سليمان بن قلج أرسلان" كما ورد فى (مفرج الكروب ص١٦٠).

♦♦♦ جلال الدين : فى النسخة السريانية :"جلال الدين"

(ص ١٢٤V عامود ٢ سطر ١٣) / وفى النسخة الإنجليزية :"غيات الدين"(and he also took ICONIUM from GHAYATH AD-DIN KAI KESRU p. 350)

كيخسرو وأخيه، وهرب غياث الدين إلى سوريا وجاء إلى الملك الظاهر صاحب حلب، وأخبره بالأمر آملا فى مساعدته. ولما لم يجد منه العون هرب من عنده واختفى، وأخذ يتنقل من مكان إلى آخر حتى وصل إلى القسطنطينية؛ حيث أكرم ملك اليونان وفادته وزوجه ابنة أحد كبار البطاركة. ومكث هناك حتى استولى الفرنجة على القسطنطينية كما سنرى فيما بعد. وعندما تسلط الفرنجة على القسطنطينية هرب غياث الدين إلى حميه الذى كان يحكم إحدى القلاع، فاستقبله وقال له: "تكفى هذه القلعة لى ولك حتى يهبنا الله الراحة"، وبقى عنده حتى توفى أخوه .

وفى هذه السنة حدثت مجاعة كبيرة فى مصر؛ لأن النيل لم يفض كالمعتاد، وأكل البشر جثث الموتى وجيف الحيوانات. وبعد ذلك انتشر وباء الطاعون، كما وقع _ أيضا _ زلزال دمر كثيرا من المباني والأسوار العالية فى دمشق وحمص وحماة، وأيضا طرابلس وصور وعكا والسامراء[٤٩] ووصل حتى بلاد الروم . أما فى الشرق فلم يكن عنيفا.

وفى سنة ٥٩٨هجرية (١٢٠١ميلادية) ذهب خوارزم شاه محمد بن تكش إلى بلدة خراسان، واستولى على مدينة مرو[٥٠] ونيسابور من غياث الدين ومن شهاب الدين أخيه لأنهما كانا ملكين عليهما. ولكن عندما ذهب إلى خوارزم وشغل بموت أبيه استردهما غياث الدين، وعندئذ أرسل له قائلا: "لم أنتظر مثل هذا التصرف منك، ولكن على العكس انتظرت مساعدتك لي ضد الصينيين؛ وحيث إنك لم تقدم لى يد العون فلا يجدر بك إلحاق الأذى بى ". ولما لم يجب عليه بمودة جاء إلى المدن واستولى عليها بالسيف، وهزم غياث الدين لأنه كان يشكو من مرض النقرس، أما أخوه شهاب الدين فقد كان مشتبكا فى حرب مع الهنود .

وفى سنة ٥٩٩هجرية (١٢٠٢ ميلادية) أرسل الملك العادل أبو بكر أيوب صاحب مصر ودمشق قواته بقيادة ابنه الملك الأشرف موسى إلى ماردين؛ حيث حاصرها لفترة طويلة وتمت له فى النهاية السيطرة على

بلادها ومدنها. حينئذ توسط صاحب حلب الملك الظاهرغازى بن صلاح الدين بينهما، وعقد صلحا على شرط أن يعطى صاحب ماردين للعادل مائة وخمسين ألف دينار أبيض، كل دينار يساوى ستة زوازى، وينصب العادل ملكا، وتضرب السكة باسمه، ويكتب اسمه على العملة من الزوازى والدنانير. وأخذ الملك الظاهر من المبلغ عشرين ألف دينار♦، وكذلك مدينة القرادى من أرض الشبختان♦♦ وترك الأشرف. وفى الوقت نفسه خرب التركمان المدن المسلوبة تخريبا تاما، ولم يكن الناس بقادرين على عبور الطريق بغير مساعدة من قوات الفرسان والرجال المسلحين .

وفى هذه السنة نفسها عاد العادل، وأخذ من الأفضل ابن أخيه مدينة سروج(٥١) ومدينة رأس العين(٥٢) وجوملين، وكذلك أخذ الظاهر صاحب حلب قلعة نجم من أخيه الأفضل وبقيت له سميساط فقط. وعندما رأى أن عمه وأخاه قد ظلماه أرسل رسولا إلى ركن الدين سليمان♦♦♦ بن الملك قلج أرسلان صاحب مدينة مليتين وقونية، وأصبح تابعا له وبايعه وسك باسمه الزوازى (الدنانير) وأصبح واحدا من أمراء بيت الروم. عندئذ أرسل الأفضل والدته♦♦♦♦ إلى الملك العادل وتوسلت إليه أن يعيد البلاد التى أخذها من ابنها، ولكنه لم يلب طلبها . وهكذا كافأ الله صلاح الدين بعد موته بالطريقة نفسها التى كافأ بها الأتابكة(٥٣)، وذلك عندما أرسل صاحب الموصل أمه وابنة عمه إليه لتشفعا إليه، ولم يقبل طلبهما.

♦ عشرين ألف دينار : ذكر فى مفرج الكروب ص ١٤٠ "عشرة آلاف دينار ".

♦♦ أرض الشبختان : هى أرض الخطا الشماليين .

♦♦♦ ركن الدين سليمان : فى النسخة السريانية :"سليمان" (صv 124 عامود ١ سطر ٣٤٩) وفى النسخة الإنجليزية "سلطان"(RUKN AD-DIN SULTAN، the son of KELEJ ARSLAN p.350) والأصح هو "سليمان" .

♦♦♦♦ والدته : توجهت أم الملك الأفضل وتوجه معها من حماة القاضى زين الدين بن الهندى الى الملك العادل.(النجوم الزاهرة ج٣ ص١٠٤).

وفى هذه السنة نفسها أخرج الملكُ العادل الملكَ المنصور بن الملك العزيز من مصر

وأسكنه مدينة الرها مع أمه♦ وإخوته وأخواته؛ لأنه كان يخشى أن ينصبه المصريون ملكا.

بداية حكم المغول (التتار)(٥٤)

كان أول موطن للتتار قبل أن ينتشروا فى البلاد الخارجية هو واد فسيح فى الجزء الشمالي الشرقى من العالم. وكان طول الوادى وعرضه يمتد مسيرة ثمانية شهور، وعلى الجانب الشرقى من أرضهم تمتد دولة الخطاى الصينية، وإلى الغرب بلاد الأويغور التركية، وإلى الشمال البلاد المسماة: "سلنجاه"، وإلى الجنوب الهند . وقبل مجيء جنكيز خان – أول ملوكهم – كانوا بلا رئيس وكانوا يدفعون الجزية لملك الخطاى الصين . وكانوا يلبسون جلود الكلاب والذئاب، ويأكلون لحوم الفئران والحيوانات القذرة والجيف، كما كانوا يشربون لبن الخيل، وكانت علامة عظمة الأمير بينهم أنَّ ركاب خيله من حديد بينما ركاب الآخرين من خشب .

وفى سنة ١٥١٤يونانية (١٢٠٣ ميلادية) وسنة ٥٩٩هجرية (١٢٠٢ميلادية) بينما كان أونك خان _ الذى هو يوحنا الملك المسيحي ملكا على قبيلة من الهون البربر المسماة: كرايت(٥٥) _ ذهب جنكيزخان ليعمل فى خدمته، وبمجرد أن لاحظ أونك خان♦♦ (٥٦) ذكاءه الخارق وتقدمه يوما بعد

♦ مع أمه : توجد كلمة "أمه" (ص١٢٥ عامود ٢ سطر ٢٦) فى النسخة السريانية.أما فى الترجمة الانجليزية
he made him to live in the city of EDESSA with his brothers and sisters)
(p.352) نجد أن **BUDGE** قد أغفل كلمة أمه فى ترجمته الإنجليزية.

♦♦ أونك خان : فى النسخة السريانية الكلمة مكتوبة خطأ(أونوك)(ص٧ 125 عامود ١ سطر ٣٧) والصحيح (أونك) بدون حرف "الواو" بعد حرف "النون" وذلك كما كتبه فى نفس الصفحة ونفس العمود سطر ٢٦) ولقد ذكر أن" أونك خان هو الذى لجأ إلى جنكيزخان وليس جنكيزخان هو الذى لجأ إليه"(جامع التواريخ مجلد ٢ جزء ١ ص ١٣٢).

يوم شعر بالغيرة منه وأراد بالخديعة أن يقبض عليه ويقتله. وعندما علم شابان من أتباع أونك خان بالخيانة أبلغا جنكيزخان؛ وعلى الفور اتفق جنكيزخان مع رجاله، وفى المساء خرجوا من خيامهم واختبأوا فى مكان آمن. وفى الصباح هاجم أونك خان خيام التتار فلم يجد أحدا بها، ثم وثب أتباع جنكيزخان على الملك، وقابل كل منهم الآخر فى معركة على جانب بحيرة كانت تسمى بالجيونا، وانتصر فريق جنكيزخان وانهزم فريق أونك خان. والتقى الجمعان مرات عديدة حتى أُبِيد بيت أونك خان بأكمله، وقتل هو وأسرت زوجاته وبناته. ولقد كرم جنكيزخان الشابين♦ اللذين أبلغاه وسن لهما قانونا يحقق لهما بمقتضاه ألا يؤسر منهما أو من أبنائهما أحد، وسمح لهما بالدخول على الملوك دون استئذان، وألا يعاقبوا مهما ارتكبوا من حماقات، ورفع منزلة سائر الرجال الذين كانوا معه فى هذه الحرب وجعلهم نبلاء. ولأنه كان معه رجال من الجنس المغولي المسمى: الأويرات(٥٧)، ولأنهم أظهروا مهارة فى التمرينات البدنية وحاربوا بشجاعة _ فقد كرمهم جنكيزخان وسن لهم قانونا بمقتضاه تختار من بناتهم زوجات لأبناء الملوك من نسل جنكيزخان. وظل هذا القانون ساريا بينهم حتى يومنا هذا. وتجب الإشارة إلى أنه _ ودون سبب _ احتقر الملك يوحنا الكرايتى، ولكن حدث هذا بعد إعراضه عن المسيحية، واتخاذه زوجة له من قبيلة أحد الشعوب الصينية التى كانت تدعى قراخطاى(٥٨)، وترك ديانة آبائه وعبد آلهة آخرين؛ ولذلك أخذ منه الرب المملكة، وأعطاها لمن هو أفضل منه، وامتلأ قلبه بالإيمان بالنسبة للرب. وفى ذلك الوقت فى منتصف الشتاء وفى أشد درجات

♦ **الشابين** : منحهما جنكيزخان لقب "ترخان"(طرخان) وهو لقب كان يطلق على أشراف الجند وكان هؤلاء يعفون من دفع الضرائب ولهم الحق فى الاستيلاء على الغنائم التى يحصلون عليها فى الحروب ويباح لهم دخول بلاط الخان دون استئذان ويقدمون فى الحفلات ويتناول كل منهم كأسا من الشراب من يد الخان نفسه. (الصياد: المغول فى التاريخ ص ٣٦٠)

الصقيع والبرد فى البلدة ظهر رجل من التتار ظل عاريا متنقلا فى الجبال والمرتفعات وذلك لأيام كثيرة، ثم جاء وقال:" لقد اعتكفت طويلا وناجيت ربى وقال لي: لقد وهبت كل الأرض إلى تموجين[٥٩] ولأبنائه، ولقد أسميته "جنكيزخان"؛ لأن اسمه القديم كان تموجين، ولقد أطلق التتار على هذا الرجل اسم: توبوت تانجرى .

أبناء جنكيزخان

كان لجنكيزخان كثير من الأبناء والبنات، ولكن أبناء الملكة المفضلة يوسنجين بيكى* كانوا ينعمون بالمنزلة والمرتبة العظيمة بين أبنائه، وكان لها أربعة أولاد: الأول توشى(جوجى)، والثاني جغاتاى، والثالث أوكتاى، والرابع تولى.

ولقد عين جنكيزخان توشى للإشراف على أمور الصيد لشغفه به، وقد كرم باقى الصيادين. وجعل جغاتاى مشرفا على تنفيذ القانون المعروف عندهم باسم: الياصا** [٦٠] (الياسا). وسلم لأوكتاى إدارة المملكة. وعهد إلى أصغر أبنائه تولى بقيادة القوات المحاربة . وحدد لكل واحد منهم مكانا لإقامته. أما أخوه الذى يدعى: أوتكين تومان وبقية أبناء عمومته وأقربائه فقد أرسلهم جميعا إلى أرض الخطاى.

---

* يوسنجين بيكى : ورد هذا الاسم فى (الهمذانى:جامع التواريخ ج١ ص٥٦٢) "يورته فوجين"، ويقول BLOCHET إن: "يوسنجين تعنى باللغة المغولية "المرأة الحسناء". ويبدو أن "يوسنجين" كان لقبا لها.

** الياصا (الياسا) : نجد هذه الكلمة مكتوبة خطأ فى المتن السريانى فقد كتبت بإضافة حرف "دال" فى أولها (دياسا) (ص١٢٦ عامود ١ سطر ١٨)، وكذلك كتبها المترجم فى النص الإنجليزى (DYASA p. 353)

القوانين التى سنّها جنكيزخان

لم يكن للمغول أى نصيب من الدراية بالكتابة أو بالأدب؛ ولذا فقد أمر جنكيزخان كتاب الأويغور بسد هذا النقص، فقاموا بتعليم كتـبهم لأولاد التتار، كما قاموا بكتابة لغة المغول[٦١] بالحروف الأويغورية، تماما كما فعل المصريون بالحروف اليونانية، والفرس بالحروف العربيـة. وتـم تـدوين القوانين الآتية التى سنّها جنكيزخان:

١- يجب على المغول حين يفكرون فى غزو مدينة جديدة أن يكتبـوا خطابات لا تتضمن تهديدا أو وعيدا أو تفاخرا بكثرة ما لديهم من عدة وعدد، بل يطلبون منهم الاستسلام والإذعان؛ لأنهم إذا حدث ذلك فسيكونون آمنين. فإذا آثرتم العصيان وأبيتم الاستسلام فإن الله وحده هو العليم بما سيحدث لكم. وقولهم هذا ثم فعلهم دليل على ثقتهم فى الله، وبهذه الثقة أحرزوا ما أحرزوه من انتصارات. وسيكون ذلك دأبهم دائما .

٢- فَلْيُعظِّم المغول الأتقياءَ ورجالَ الدين، وليتـسامحوا مـع الكتـاب والنساخ والحكماء على اختلاف جنسياتهم، ولينزلوا صارم العقاب بالظالمين والأشرار. ونظرا لما وجده المغول من توافق فى العـادات والتقاليـد مـع المسيحيين فقد عاملوهم فى بداية حكمهم بمزيد من الإعزاز والتكـريم، بَيْـدَ أنهم سرعان ما أعرضوا عن الإعزاز والتكريم نظرا لتحول هذه الـشعوب المسيحية إلى الإسلام، واستحكم العداء بينهم .

٣- ونصت "الياصا" على أن تذكر أسماء ملوكهم ونبلائهم عارية من أى ألقاب، خلافا لما كان متبعا عند المسلمين، وأن يستثنى من ذلـك ملـك المغول وحده؛ فقد أضيف إلى اسمه لقب: "خان[٦٢] " فقط أو: " قاآن" ، على أن يظل ينادى من قبل إخوته وأقاربه باسمه مجردا.

٤- لقد أولى المغول الصيد عناية فائقة، فإذا فرغوا من قتـالهم مـع الأعداء كانوا يهرعون إلى مناطق الصيد وحلباته للتدريب، ويعلمون أبناءهم

صيد الحيوانات البرية المتوحشة تمهيدا لما يمكـــن أن يقابلـــه مـــن شـــدائد وصعاب فى أثناء المعارك.

٥ – يجب ألا يقل سن المحارب عن العشرين عاما، وأن يقسم هؤلاء المحاربون إلى: عشرات ومئات وآلاف وعشرات آلاف، على أن يكون على رأس كل منها قائد من بينهم يتولى إدارتها.

٦ – كل شعب المغول سوف يقدم لملوكه كل عام هدايا، من الأمـــوال والخيل وقطعان الماشية والأغنام والألبان والمنسوجات الصوفية.

٧ – إذا تمرد واحد من تلك المجموعات على أفراد مجموعته ولجـــأ إلى جماعة أخرى–يكون جزاؤه القتل، وكذلك قائد الجماعة التى انضم إليها.

٨ – كل مجموعة تتكون من عشرين ألف رجل مكلفة بإعداد الجيـــاد اللازمة للرسل، وذلك على جانبى الطريق.

٩ – الرجل الذى يموت _ وليس له وريـــث _ فـــإن جميـــع أموالـــه وممتلكاته تؤول إلى زوجته أثناء مرضه، ولا يُعْطَى للملك شىء منه .

وتشتمل "الياصا" على كثير من القوانين، ذكرنا بعضها فقـــط خـــشية الإطالة.

نشأة عبادة المغول للصور

لم يكن للمغول قديما أدب أو دين خاص بهم، ولكـــنهم عرفـــوا إلهـــا واحدا خالقا للكون، واعتبر بعضهم السماء إلهًا. استمروا كذلك حتى حكمـــوا شعب الأويغور التركى ووجدوا بيـــنهم بعـــض الـــسحرة الـــذين يـــدعون: "قمايا"(٦٣). ولقد سمعنا الكثيرين يقولون عنهم: ســـمعنا صـــوت الـــشياطين يتحدثون إليهم من خلال فتحات الخيام. وكانت محادثتهم السرية مع الشياطين لا تتم إلا بعد شذوذهم مع آخرين؛ لأن عددا كبيرا منهم كانوا رجالا كالنساء. وكان هؤلاء الرجال الملوثون يعتدون بالقوة على بعض الرجال لتحقيق بعض

الأعمال السحرية وإنجازها؛ ولهذا سالمهم المغول فى بداية الأمر. وبعد ذلك سمع جنكيزخان أن الصينيين _ أى: الخطاى _ كانوا سادة الحكمة؛ فبعث إليهم رسلا طالبا منهم قسسا وواعدا بإكرامهم، كما أمر جنكيزخان بإجراء مناظرة حول الدين المسيحي مع "القمايا" . وعندما تكلم القسس وقرأوا أجزاء من كتابهم الذي أسموه: "ناوم" بلغهم هزيمة السحرة، وهزموا ولم يتمكنوا من الرد لأنهم كانوا مجردين من المعرفة. ومنذ ذلك الحين ارتفع شأن القسس بين المغول وأمروا أن يصنعوا صورا ويطبعوا نسخا منها، كما كانوا يصنعون فى بلادهم، ويقدموا الذبائح والقرابين تبعا لتقاليدهم. وعلى الرغم من أنهم كرموا القسس تكريما عظيما فإنهم لم يرفضوا السحرة، وبقى الجانبان يقوم كل واحد بعمله لا يتعرض أى منهما للآخر بالإهانة أو الاستهزاء، والآن فى كتاب القساوسة المسمى: "ناوم" بالإضافة إلى حكم وأمثال عبدة الأوثان التى تشبه أقوال القديس جريجوريوس تيولوجوس_ توجد قوانين جيدة، مثل: حذر الاضطهاد، أو الايذاء الجسدى: وألا تقابل الشر بالشر ولكن تقابله بالخير، وألا يقتل الإنسان أى مخلوق آخر حتى ولو كان قملة أو بعوضة، لقد اعترفوا بانتقال الأرواح من جسد إلى جسد؛ فاعتقدوا أن أرواح الرجال العادلين والصادقين والخيرين عندما يموتون تهاجر إلى أجسام الملوك والنبلاء، وتتناسخ أرواح الأشرار وأهل السوء والمقاتلين، وتظهر فى الجيف والزواحف والطيور. وعندما يوضع أمام هؤلاء الرجال ليأكلوه فإنهم يسألون الذى أتى به: هل قتلت هذه الحيوانات من أجلنا أو اشتريتها من السوق؟ فإن قال: (قتلتها) من أجلكم فإنهم لا يلمسونها.

السبب فى غزو المغول لبلاد الفرس والمناطق الأخرى التى فى غربها وتدميرها

لم تكن للمغول مساكن ثابتة، ولأنهم يحتاجون للملابس والأسرة التي تأتيهم من المدن أعطى جنكيز خان كلمة سلام للتجار الذين جاءوا إليهم من كل جهة، وأمر بعدم إيذائهم هم وحراس الطرق الذين يدعون:

"قراقجيان".(٦٤) ثم حدث أن ثلاثة من رجال مدينة بخارى أحضروا ملابس وأحمالا من الأقمشة الفاخرة وأشياء أخرى كانوا يعلمون حاجة المغول إليها، وحملوها وذهبوا إلى المعسكر الكبير♦، وأمر جنكيزخان رجاله بالاستفسار عن أسعارها. فطلب أحد التجار – ويدعى: أحمد – فى بضاعة قيمتها عشرة دنانير ثلاثة أوزان من الفضة، كل زنة تساوى ما قيمته سبعمائة "زوزا" . فغضب جنكيزخان وقال: "ربما ظن هذا الرجل أننا لم نر بضاعة مثل هذه من قبل". وأشار إلى خزنة بيت المال فأحضروا ملابس مطرزة بالذهب وعرضوها أمام هؤلاء التجار، وأمر جنكيزخان بحبس هذا التاجر وأن تكتب قائمة بكل ما كان معه، وأحضروا زميليه الآخرين ونظر إليهما وسألهما عن أسعار ما معهما، ولكنهما لم يحددا ثمنا وقالا:" لقد أحضرنا هذه البضائع للخان". فأعجبت هذه الكلمات الخان، وأمر أن يعطى لهما على كل لباس مذهب وزنة ذهبية، أى: سبعمائة مثقال، وعلى كل قطعتين من أقمشة قطنية وزنة فضية واحدة، وعطف _ أيضا _ على زميلهما وأعطاه كما أعطى الآخرين. ولقد أمر الخان ملكاته وأبناءه وبناته أن يعطوا ذهبا لعبيدهم، وأن يرسلوهم مع هؤلاء التجار الثلاثة لإحضار ما يحتاجونه من أشياء، ففعلوا ذلك. واجتمع حوالى أربعمائة تاجر، وأرسل معهم رسولا إلى السلطان محمد(٦٥) فى فارس لإبلاغه بما يلى:" نحن أمرنا من الآن فصاعدا أن يكون هناك سلام بين كل ممالك الأرض، ويذهب التجار ويأتون دون خوف ويعيش الأغنياء والفقراء فى سلام ويحمدون الله ". وعندما ذهب الرسول ومعه التجار ووصلوا إلى أترارمدينة الفرس _ أرسل صاحب المدينة وأخبر السلطان بما هو معهم، فطمع السلطان فيما معهم من أمتعة، فأمر إينال جوق بقتلهم جميعا سرا. ولكن حدث أن هرب أحدهم نتيجة للإرادة الإلهية، فذهب وأخبر جنكيزخان بما وقع، فامتلأ بالغضب وذهب بمفرده وتسلق رأس الجبل، وكشف رأسه ووضعها فى التراب، وبقى هناك لمدة ثلاثة أيام دون طعام أو

♦ المعسكر الكبير : ويطلق عليه " قراقورم" .

شراب ونظر إلى السماء وقال: "يا رب، يا خالق الكون، أنت تعلم ماذا كان هدفى وأنه كان بنية طيبة، وها هو ذا عدوى قد بدأ وأراد الشر، وأنا أطمع الآن أن تجازيه وفقا لأعماله". ومنذ ذلك الوقت بدأ فى إرسال مجموعات من الجند إلى بلاد الفرس؛ ليهدموا المدن بحد السيف كما سيأتى فيما بعد.

أسباب استيلاء الفرنجة على القسطنطينية من اليونان

فى سنة ٦٠٠ هجرية (١٥١٥يونانية) فى شهر نيسان (أبريل) أخذ الفرنجة القسطنطينية من اليونان، ووصلوا بمملكتهم (اليونان) إلى النهاية؛ لأن ملك اليونان* أتخذ أخت ملك فرنسا زوجا له وأنجبت منه ولدا. وكان لملك اليونان شقيق قد ثار عليه، فسملوا عينيه وقتلوه فى السجن. حينئذ هرب ابن القتيل إلى خاله ملك فرنسا الذى غضب وجمع القوات وجاء وعسكر عند القسطنطينية. ولأن أبناء المدينة لم يكونوا راضين عن فعلة الطاغية مع أخيه أشعلوا النيران فى المدينة؛ فانشغل المحاربون الذين كانوا على الأسوار، وهنا تسلق الفرنجة ودخلوا المدينة وهرب الطاغية، وعلى الفور نصب الفرنجة شابا صغيرا على عرش المملكة(٦٦) حاكما اسميا فقط، بينما كان الحكم الفعلى فى أيديهم وبدأوا يغالون فى فرض الضرائب على المواطنين، ونهبوا ثروات الكنائس وأخذوا الصلبان وأغطية الكتب المقدسة والذهب والفضة التى كانت على الأيقونات. وعندما رأى أبناء المدينة أنهم منهوبون دون رحمة من الفرنجة أسرعوا إلى الطفل ابن ملك اليونان (السابق) وقتلوه، وطردوا _ أيضا _ الفرنجة من المدينة وأغلقوا الأبواب فى وجوههم، وبقى الفرنجة فى الخارج؛ يقاتلون. وطالت الحرب وضعف الذين فى الخارج وأرسلوا يطلبون مساعدة من السلطان ركن الدين صاحب قونية، ولكنه لم يستطع تقديم العون لهم. وكان بعض التجار من الفرنجة يعيشون فى

---

* ملك اليونان: كان وقتئذ ابن لاوود.

القسطنطينية[٦٧] ، وقد بلغ عددهم حوالى ثلاثين ألفا. ونظرا لكبر حجم المدينة فإنهم كانوا غير ظاهرين بها فأشعلوا فيها النيران مرتين، وأحرقوا ما يقرب من ربعها، وفتحوا الأبواب وخرج الفرنجة إلى الخارج واستلوا سيوفهم، وقتلوا عددا كبيرا من اليونان. وهاجم الفرنجة الكثيرين من الذين اجتمعوا فى كنيسة "أيا صوفيا الكبرى"، وخرج البطريرك ورؤساء الكهنة والقسس لمقابلتهم حاملين الصلبان والأناجيل، وألقوا بأنفسهم أمامهم وصرخوا متضرعين إليهم ليرحموا الباقين من السكان. ولكن الفرنجة احتقروهم وقتلوا الكهنة مع الشعب ونهبوا الكنيسة.

وكان للفرنجة ثلاثة ملوك: كان الأول العجوز الضرير دوقس البنادقة، وكانت لديه بواخر وسفن جاءت بها كل قوات الفرنجة. وكان الثاني المركيس[٦٨] رئيس الإفرنسيس. وكان ثالثهم يدعى: (كندافلند)[٦٩] جوندوفرى. ولقد أجروا قرعة لمن تؤول مملكة القسطنطينية، ووقعت على جوندوفرى وحكمها. وحكم البندقى جزر كريت ورودس وباقي الجزر، وأعطوا المركيس البلاد التى تقع شرقى الخليج من طريق البحر التى تمر على بنطس[٧٠] ولاذيق ونبقية[٧١] مع فيلادلف وغيرها، ولكن اليونان قاوموا ولم يستسلموا للفرنجة؛ فحكمهم بطريرك يوناني يدعى: لشكرى[٧٢]، وفى الوقت نفسه عندما كان نور الدين أرسلان شاه صاحب الموصل على وفاق مع ابن عمه قطب الدين محمد بن زنكي صاحب سنجار قام الملك العادل وأوقع بينهما؛ وعلى ذلك ذهب نور الدين إلى نصيبين التى كانت لابن عمه وشن عليها حربا، وكان على وشك الاستيلاء عليها، وعندئذ وصل إليه خبر من الموصل يفيده أن مظفر الدين كوكبورى بن زين الدين على كوجك صاحب إربل _ دخل نينوى ودمرها وأحرق زرعها؛ فترك نور الدين نصيبين وجاء إلى بلد[٧٣]، وعندما سمع أن مظفر الدين ذهب إلى إربل توجه إلى تليعفر[٧٤] وأخذها بمعركة؛ عندئذ جاء الملك الأشرف بن العادل الذى كان آنذاك فى حران إلى رأس العين، واتفق مع مظفر الدين صاحب إربل، ومع صاحب آمد وقلعة كيفا، ومع صاحب الجزيرة، ومع صاحب دارا، على

أن لا يسمحوا لنور الدين أن يأخذ شيئا من أملاك صاحب سنجار. وجاءوا جميعا إلى نصيبين، ومن هناك جاءوا إلى باعربايا، وذهب نور الدين إلى كفر زمار ومن هناك إلى بوشزة. وعندما عسكروا ليستريحوا بعد ما أصابهم من إنهاك تقابلت قوات الأشرف ومن كانوا معه فى معركة مع نور الدين. وانكسر جانب نور الدين انكسارا فظيعا، وهرب نور الدين ومعه أربعة أشخاص إلى الموصل، ودخل أتباع الأشرف مدينة الموصل وخربوها وأحرقوها، وخاصة مدينة بلد التى أمضوا فيها تدميرا وتخريبا. وقيل: إن امرأة كانت تطهو بعض الأطعمة وعندما سمعت بالتخريب خلعت أسورتين من ذراعها♦ وخبأتهما فى النار وهربت، عندئذ دخل أحد الفرسان إلى المنزل وطلب شيئا ليأكله فلم يجد بالبيت شيئا سوى بيضة واحدة فأخذها وجاء إلى الموقد ليشويها، وعندما أشعل النيران وجد الأسورتين بها، وكانت هذه أحدوثة عظيمة.

وظل الجنود يخربون فى المدينة لعدة أيام، وكان الرسل يجيئون ويذهبون بينهم. وأعاد نور الدين تليعفر لابن عمه وحل السلام، وبعد ذلك تفرق الجنود فى خلال السنة التي أخذ فيها الفرنجة القسطنطينية، وأصبحوا أقوياء جدا، وذهبوا إلى مدينة فينيقيا وخربوها كما خربوا الأردن وقتلوا الكثير من العرب، وجاءوا إلى حماة فخرج إليهم ناصر الدين بن تقي الدين بن شاهنشاه بن أيوب، وقابلهم فى معركة ولكنه هزم هزيمة نكراء، وهرب وخرج المواطنون العرب ليحاربوا مع الفرنجة وقد قتلوا جميعا. عندئذ أرسل إليهم الملك العادل وسلم لهم الناصرة[٧٥]، وقسم كل ما أنتجته الأرض من غلات بين الفرنجة والعرب وحل السلام. وبعد قليل خرج فرنجة آخرون إلى أرض مصر، وأحدثوا بها الكثير من التخريب والتدمير ثم رجعوا.

♦ ذراعها : قام **BUDGE** بترجمة هذه الكلمة إلى "ثوبها"(**from her dress p.359**)، وهى ترجمة خطأ لأن هذه الكلمة معناها الصحيح هو "ذراعها"، وفقا لما جاء فى النص السريانى (ص١٢٨ عامود ١ سطر ٢٢) وأيضا وفقا للمعنى الطبيعى .

وفى العام نفسه أخذ السلطان ركن الدين صاحب ملطية وقونية، واستولى على أنكورية_ وهى أنقرة_ من أخيه، بعد أن حاربها سنوات لأنها كانت قوية جدا. وأخرج منها أخاه وولديه وأعطى لهم قلعة فى الأطراف الخارجية، وبينما هم ذاهبون أرسل خلفهم قوة أخيه ركن الدين كما لو كانوا قطاع طرق وقتلوهم. وبعد خمسة أيام من موت أخيه وأبنائه أصابه مرض القولون ومات على الفور، وجاء بدلا منه ابنه الصغير الذي يدعى قلج أرسلان لقد قيل عن السلطان ركن الدين هذا: إنه كان فطنا وحكيما فى تصرفاته، وذا ولع بمعتقدات الفلاسفة الأجانب، واتبعها وإن لم يعلن ذلك. وفى العام نفسه _ أيضا_ وقع زلزال عنيف وهدم حائط صور، وأماكن أخرى فى مصر وفلسطين وبين النهرين والموصل، وأيضا فى جزر قبرص وصقلية.

وفى سنة ٦٠١ هجرية وقع انقسام بين نبلاء بيت الروم وأحد أمراء أيوج _ وهى مدينة كبيرة للتركمان كانت تقع على حدود بلاد اليونان_ فاستدعى غياث الدين كيخسرو◆ الذى كان هاربا لليونان، واجتمعت له قوات كبيرة وذهبوا وعسكروا عند قونية، وخرجت القوات التى كانت داخل قونية وقابلهم فى معركة، وهزم جند أمير أيوج وولوا الأدبار. وعندئذ ضاقت أمام غياث الدين الأرض بما رحبت ولم يعلم ماذا يفعل وإلى أين يمضى، واحتمى فى قرية صغيرة كانت قريبة من قونية، وكانت تسمى آبكرم(٧٦) عندما سمع أبناء أقسرا أسفوا لهم وطردوا صاحبهم، ونادوا باسم غياث الدين كيخسرو، واغتاظ أبناء قونية من أبناء أقسرا، وأمسكوا _أيضا_ بنبلائهم وهتفوا قائلين: "يعيش السلطان غياث الدين كيخسرو"، وتوجهوا إليه فى قونية، وأخذ قلج أرسلان ابن أخيه الطفل وحبسه ومَنْ كانوا معه. وفى وقت قصير كانت كل البلاد قد دانت له، وجاء إليه من الرها قيصر شاه الذى كان قد هرب من

◆ كيخسرو : فى النسخة السريانية مكتوبة(كيخسروب)(ص١٢٨ عامود ٢ سطر٣٧) وهذا خطا. والصحيح هو (كيخسرو) دون حرف "الباء" فى النهاية.

وجه أخيه ركن الدين عندما أخذ ملطية منه، ولم يبق غياث الدين عنده ولكنه أعطاه ذهبا كثيرا وأرسله مرة أخرى إلى الرها. وعندما ذهب السلطان غيـاث الدين إلى قيصرية جاء إليه الملك الأفضل بن صلاح الدين صاحب سميساط وأيضا نظام الدين صاحب قلعة زياد وخضعوا لسلطانه؛ فعلا شأنه.

وفى السنة نفسها ذهب نصر الدين محمود بن محمد بن قرا أرسـلان صاحب آمد إلى الملك الأشرف بن العادل، وطلب منه أن يذهب معه ويأخذ قلعة زياد كما وعده، وعندما جمع الأشرف قوات سوريا والموصل وسنجار والجزيرة هاجم قلعة زياد وأخذ المدينة، وبدأ فى شن هجوم علـى القلعـة، فأرسل صاحب قلعة زياد إلى السلطان غياث الدين وطلب العون، فأرسل له السلطان ستة آلاف فارس مع الملك الأفضل صـاحب سميـساط، وعنـدما وصلوا إلى سميساط أسرع الأشرف وصاحب آمد بالانتقال من خرتبرت[٧٧] وذهبوا وعسكروا عند بحيرة سمنين[٧٨]، التى بها قلعتان: واحـدة لـصاحب آمد، والأخرى لصاحب قلعة زياد، وشنوا حربا على صاحب القلعة واستولوا عليها وأنزلوا بها حامية. وعندما جاءت قوات السلطان إلى خرتبرت اتجـه صاحب آمد إلى آمد، وتوجهت قوات السلطان إلى بيت الروم.

وفى هذه السنة _ سنة ١٥١٦ يونانية _ خرج الأيبريون إلـى بلـدة أذربيجان[٧٩]، فارتكبوا جرائم كثيرة وأنزلوا بها خرابا كبيرا، ومـن هنـاك جاءوا إلى بلدة خلاط وأحدثوا تخريبا عظيما، ثم اتجهوا إلى بلدة أرجيش[٨٠] ونهبوا وأحرقوا، ثم عسكروا عند قلعة بيت خلاط وأرزن الروم. عندئذ ذهب صاحب خلاط إلى ابن قلج أرسلان صاحب أرزن الروم وأخذ منـه قـوة، وجاءوا وقابلوا الأيبريون، وقتل فى المعركة زخارى الصغير رئـيس قـوة أيبرس، وانسحب الأيبريون وعادوا إلى بلدهم .

وفى العام نفسه فى بغداد رزقت سيدة بطفل له رأسان وأربعة أرجـل وأربعة أيد، ولكنه توفى فى اليوم نفسه. وأيضا توجه عربيان ضريران فـى بغداد ليلا إلى أحد المساجد فقابلا رجلا ضريرا آخر وقتلاه لأنهما ظنا أنه قد

يوجد معه دنانير. وعندما بزغ النهار خافا وهربا إلى الموصل، فقابلهما أحد الجنود _ وكان متوجها لأداء إحدى المهام _ وقال بطريقة ساخرة: "هذان الرجلان الضريران قتلا هذا الرجل الضرير فقط لأن الرجل الضرير لا يستطيع قتل آخر إلا إذا كان ضريرا". وعندما سمع أحدهما كلمات الجندى جلس على الأرض وقال: "أقسم بالله أنى لست القاتل، بل القاتل الفعلى هو هذا الرجل" وقال الرجل الآخر: "لا، بل أنت الذى قتلته". فقبض الجندى على الاثنين وأخذهما للصاحب واعترفا بأن أحدهما أمسكه والثانى خنقه بوسادة، وقتل الاثنان.

وفى سنة ٦٠٢ هجرية خرجت جماعة كردية من جبال مديا كانت تسمى: تيراهايا؛ أحدثوا بكثير من المدن تخريبا وتدميرا، وتجمعت قوات من الفرس وقابلوهم فى معركة وقتل منهم الكثير. لم يدخل هؤلاء الجبليون فى دين المسلمين، ولكنهم اعتنقوا الوثنية القديمة والمجوسية التى كانت لديهم، وعندما يقع مسلم فى أيديهم يقتلونه بعد تعذيب أليم، وعندما تولد لأحدهم بنت يقف على باب بيته وينادى: من يتزوجها؟ وإذا أقبل أحد الرجال للزواج منها يتركها لتعيش ولا يقتلها؛ ولهذا السبب فإن النساء قليلات بينهم، وكانت السيدة الواحدة تصبح زوجة لأبناء البيت جميعا، وإذا تزوجها أحدهم يترك علامة على الباب حتى إذا ما رآها رجل آخر لا يدخل حتى يخرج فيدخل. وبالنسبة للأبناء فإن أكبرهم يدعى باسم أبيه.

وفى سنة ٦٠٣ هجرية جاء الأيبريون مرة أخرى إلى خلاط وسلبوا وأحرقوا وقتلوا وذهبوا. وأخذ غياث الدين كيخسرو أنطاليا♦، وهى مدينة على شاطئ البحر فى اليوم الثالث من الشهر الثامن♦♦؛ فإن غياث الدين قد أرسل إليهم قوة منذ عام، ولكن اليونانيين المقيمين بها استنجدوا بفرنجة

♦ <u>أنطاليا</u> : هو بلد كبير من مشاهير بلاد الروم وهو حصن للروم على شاطئ البحر . ولكن يوجد هناك خلاف فقد ذكر فى النسخة السريانية أن هذا البلد هو "إيطاليا". ولكن الترجمة الإنجليزية وضحت وقالت إنما "أنطاليا"، ودلك هو الصحيح بالنسبة للموقع. (الحموى:معجم البلدان ج١ ص٢٧٠). كما ورد فى أبى الفداء : المختصر فى أخبار البشر ج٣ ص١٠٨ "هى أنطاليا وليست إيطاليا أو أنطاكية".

♦♦ <u>الشهر الثامن</u>:هو الموافق لشهر شعبان فى الشهور العربية.

قبرص القريبة من أنطاليا لمساعدتهم؛ عندئذ أبعد السلطان قواته عن المدينة واتخذوا من الجبال مخبأ لهم، وأخذوا يلقون القبض على كل مَنْ يخرج منها، وبذلك ظل الفرنجة مُحَاصَرين لفترة طويلة، وبعد ذلك أرسلوا إلى السلطان وسلموا له المدينة. واشترك الأتراك واليونان فى حرب مع الفرنجة، واسترد السلطان قلعته وأسر الفرنجة الذين كانوا بها، وقبض على خوناس. وفى تلك السنة اشتدت قوة محمد بن بكتمر صاحب خلاط، وانتقم من صهرهزار دينارى الذى كان قد قتل أباه. ونظرا لحداثة سنه فقد انخرط فى حياة اللهو والمجون فكرهه شعب خلاط، وثار عليه، كذلك، أمير من عبيد شهرمان يدعى: بلبان؛ أعلن العصيان عليه فى منازكرد[٨١]، وعندئذ أرسل بعض رجال خلاط إلى ناصر الدين أرتق بن الغازى بن ألبى بن تيمور تاش بن الغازى بن ارتق صاحب ماردين وقالوا له:" هذا ابن خال والدك لامجال له للعيش بيننا تعال إذن لنسلم لك خلاط". وعندما ذهب صاحب ماردين ومعه قوات من الأتراك والمعديين اتحد أهالى خلاط لمواجهة خطر هؤلاء القوم الجياع، خشية قيامهم بأعمال السلب والنهب واستعدوا للحرب، وأرسل بلبان إلى صاحب ماردين، وقال له: "إن أهل خلاط خائفون من المعديين الذين معك، لذلك أرى أن نرحل من خلاط وسأتولى تدبير أمورك". وعندما استدار ورجع أرسل بلبان مهددا صاحب ماردين طالبا منه الانسحاب وإلا فسيتجه إليه ويحتل أرضه؛ فاستجاب لمطلبه نظرًا لقلة عدد الذين كانوا معه، ووجد أن بلده قد نُهبت من الملك الأشرف. دخل الأشرف دنيسر[٨٢] وجمع منها ثروة عظيمة، وتركها وذهب إلى حران .عندئذ جمع بلبان قوة وجاء إلى خلاط ولم يتمكن من الاستيلاء عليها بالقوة ولكنه عندما أغدق الخيرات على شعب خلاط أقسم لهم أنه لن يمس أى فرد منهم بسوء ولو كان صغيرا، فصدقوا قوله وخدعوا به، فدخل وحبس ابن بكتمر فى إحدى القلاع فأصبح أكثر قوة. وكان الملك الأوحد نجم الدين أيوب بن العادل قد استولى من قبْل على قلعة موش[٨٣] ومدينتها، وذهب وعسكر عند خلاط. خرج بلبان وأغلق

المضايق وقَتَل كثيرين من الذين كانوا، معه وهرب نجم الدين بن العادل مع عدد قليل من الرجال والجرحى إلى ميافرقاط .

وفى هذا العام نفسه أخذ الأيبريون مدينة فارس من مملكة مـــاط بعــد عدة سنوات وذلك، بعد أن أحكموا الحصار حولها ومنعوا المؤن من الوصول إليها .

وفى سنة ٦٠٤ هجرية أرسل الملك الأوحد إلى والده الملـــك العــــادل طالبا العون والمساعدة للاستيلاء على خلاط، فأرسل إليه الملك الأشرف قوة كبيرة وجاء إلى ضواحى خلاط. وخرج بلبان♦ وتقابل معهم ولكنه عجز عن مواصلة الحرب وفَرَّ من أمامهم، ودخل خلاط وأرسل رسولا إلى مغيث الـــدين بن قلج أرسلان صاحب أرزن الروم وطلب مساعدته. وجاء بنفسه وخـــرج أمامه بلبان، وقابل الاثنين: الملك الأوحد وأخاه فى معركة، فانهزما واضطرا إلى الفرار ثم ذهبا وعسكرا عند موش. وكانا على وشك الاســتيلاء عليهـــا عندما قام قلج أرسلان بخداع بلبان وقتله بحجة أنه هو الذى يحكم خلاطـــا. وعندما ذهب إلى خلاط أغلق أهلها الأبواب فى وجهه وغادرها ومن معـــه إلى منازكرد' ولما يئس من البقاء فيها تركها عائدا إلى موطنه، وأرسل أهل خلاط إلى الملك الأوحد وأحضروه وسلموها له. أما الحكـــام العـــرب فلـــم يرضوا بحكم ابن العادل وإمارته عليهم لخوفهم من والده؛ فـــشنوا هجمـــات متتالية على مدينة خلاط وعلى أيبريا بصفة خاصة، كما تمرد بعض أمـــراء خلاط على الأوحد واستولوا على حصن وان(٨٤)، أكثر قلاع المدينة تحصينا، وحكموا أيضا أرجيش. وبعد اضطرابات كثيرة تمكن الأوحد مـــن اســـترداد وان، فأرسل الأشرف فى طلب أخيه، وكان يثير الرعب عند أهـــل خـــلاط الذين سلموها إلى أحد أفراد بيت العادل، وعندما خرج الأوحد متوجها إلـــى منازكرد ذهب رؤساء الخلاطيين وطاردوا رؤساء العصابات الذين يدعون.

♦ بلبان : هو "سيف الدين بلبان" ولكنه كتب فى الترجمة الإنجليزية "بلدان " وهذا خطأ . وبلبان هو أحـــد عبيد "شاهرمن " (ابن واصل:مفرج الكروب ص١٧٥).

منجادا بكير، وشنوا حربا على القلعة؛ فدخل أبناء جانب الأوحد وطـردوهم من المدينة وشنوا حربا على القلعة. وعندما سمع الأوحد بذلك جاء وعسكر عند خلاط مع قوات من بين النهرين. ووقع انقسام بين الأهالى تغلب عليـه الأوحد، وقتل وأسر الكثيرين منهم وأرسلهم إلى ميافرقاط، وضـعفت قـوة رؤساء القبائل لأن رغبتهم فى إقامة الحكومات قد تحطمت.

وفى هذا العام نفسه توفى السلطان غياث الدين كيخسرو، وحكم ابنـه عز الدين كيكاوس، وقبض على أخيه علاء الدين كيقباذ وسجنه فـى قلعـة ماسارا التى تقع تحت دير القديس هارون[٨٥] للجبل المقـدس القريـب مـن مليتين.

وفى هذا العام خرج الفرنجة من طرابلس وعـسكروا فـى حمـص وخربوها، ولم يكن أسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه الكبير يملك قوة كبيرة لدفعهم. وحجز القبرصيون _أيضا_ سفنا كثيرة للعـرب وأسـروها، وعندما سمع العادل بذلك خرج من مصر مع قوات كبيرة وتجمع الفرنجة.

وفى هذه السنة _أيضًا_ توفى علاء الدين بـن قراسـنقر صـاحب مراغة، وحكم بعده ابنه الأصغر وتوفى هو الآخر بعد قليل . وجاء نصرت الدين أبو بكر بن بهلوان صاحب تبريز وحكم مراغة، وكل الممتلكات مـا عدا قلعة رواندان[٨٦] التى ثار عليها الطواشى مربى الغلام الذى مات.

وفى سنة ٦٠٥ هجرية خرج عدد كبير من شعب الكرج وجاءوا إلـى خلاط، وذهبوا إلى مدينة أرجيش وحاصروها ونهبوهـا وقتلـوا شـيوخها وأطفالها، وأسروا النساء والأولاد والبنات وهدموها وتركوها خرابـا. كـان نجم الدين الأوحد فى خلاط، ولم يستطع المشاركة فى القتال لكثرة عـددهم، ونظرا لانعدام الثقة عندهم فى أهل خلاط لما كان بينهم من ثأر، فقد ظن أنه إذا خرج فسيثور عليه أهل خلاط ويسلموها إلى الأيبريين.

وفى هذا العام نفسه وقع زلزال عنيف فى نيسابور وخرج كل سكانها إلى السهل، وظلوا هناك أياما كثيرة إلى أن هدأت ثورة الزلزال فعادوا ثانية. وقد شمل الزلزال كذلك منطقة خراسان بدرجة أقل حدة من نيسابور.

وفى سنة ٦٠٦ هجرية كانت هناك صداقة بين الملك العادل وبين نور الدين أرسلان شاه صاحب الموصل. وقد زوج نور الدين ابنته إلى أحد أبناء العادل، واتفقا على أن يتولى العادل حكم سنجار بدلا من قطب الدين(٨٧) صاحبها. ويتولى نور الدين أمر جزيرة قاردو(٨٨) بدلا من ابن سنجار شاه صاحبها، واستعد العادل وجاء وأخذ الخابورا ونصيبين التى حكمها صاحب سنجار، فلما سمع نور الدين ذلك أسف وأخذ يهذى، ثم هدأ وأخذ يتدبر الأمر. واستقر رأيه على أنه لو أخذ سنجار والجزيرة فإنه لن يعطيه الجزيرة بل أنه سيأخذ منه الموصل أيضا. وعندما تشاور نور الدين مع رؤسائه ألقوا باللوم عليه لإحجامه عن إفصاح القول والاتفاق الذى أبرمه مع العادل، وقالوا له: "لم يعد لك من سبيل سوى المضى فيما اتفقت عليه معه وإلا سيخترع لك سببا ويقف ضدك كالذى يدوس على القسم". وبينما تتصارع الأفكار وبدأ نور الدين فى تجهيز قوة لإرسالها عونا للعادل _ ذهب إليه ليلا رسول من مظفر الدين كوكبورى(٨٩) صاحب إربل، ووعد أن يجمع قواته ويحضر إليه ويتحدا، وألا يسمحا بسيطرة العادل على تلك البلاد. وفرح نور الدين فرحا كبيرا وأرسل له مؤكدا على الوفاء بالعهد والالتزام به. وفى هذه الليلة ذهب رسول وأخبرمظفر الدين، فجمع قواته وجاء مسرعا ونصب معسكره خارج الموصل، وبعث برسول إلى الخليفة طالبا توجيه اللوم للعادل لما أبداه من عناد، وبعث برسول إلى الملك الظاهر بن صلاح الدين صاحب حلب وإلى السلطان عز الدين كيكاوس فوعداه بالمساعدة. وفى الوقت نفسه لم يحارب من كان مع العادل من رجال بضراوة ضد سنجار، وخاصة أسد الدين(٩٠) صاحب حمص الذى كان يرسل المؤن والأغنام إلى المدينة. وبينما كان صاحب سنجار يستعد لحصار المدينة ازدادت قوته، وجاء رسول الخليفة الناصرإلى العادل ولامه وكان على وفاق تام. وأعلن الخليفة موافقته على أن

تبقى له الخابورا ونصيبين؛ فترك الموصل ومضى إلى سوريا. وفى الوقت نفسه كان مظفر الدين صاحب إربل فى الموصل وزوَّج ابنتيه إلى وَلَدَىْ نور الدين: عز الدين مسعود وعماد الدين زنكى. حينئذ آزر مظفر الدين بكل ما أوتى من قوة لدعم بيت العادل . ولكن صاحب سنجار أرسل ابنه؛ إليه مستعطفا إياه بالبقاء إلى جانبه حتى يترك له سنجار. فكتب مظفر الدين إلى العادل بذلك، وهو على ثقة لأنه كان على يقين أنه لو طلب منه نصف أملاكه لن يرفض طلبه. وعندما لم يهتم العادل بهذا الطلب غضب وانضم إلى نور الدين بعد الخصام الشديد الذى كان بينهما.

وفى هذه السنة توفى فخر الدين الرازى(٩١) عن ثلاث وستين سنة قمرية، وكان رجلا خيرا ومفكرا كبيرا عند العرب، كما كان له _ لما ألفه من كتب كثيرة_ أثر كبير فيما أصاب العرب من رقى فكرى، ولاتزال كتبه حتى اليوم منبعا فياضا. وأعتقد أن هذا الرجل يشبه إلى حد كبير أورجين وما أحدثه من تأثير ثقافى فى كثير من رجال الكنيسة، الذين كانت أفكارهم ومؤلفاتهم سببا كبيرا فيما أحرزوه من شهرة وثروة، ثم انقلبوا عليه وعَدُّوه كافرا. وقد حدث هذا بعينه مع فخر الدين الرازى الذى اتهمه العرب بالكفر وعدوه واحدا من أتباع أرسطو.

وفى سنة ٦٠٧هجرية (١٢١٠ميلادية) توفى محمد بن حسن رئيس فرقة الإسماعيلية، وقد سلك هذا الرجل مسلك والده (الحسن الصباح) الذى تابع الفلاسفة فى كل ما يقولونه، وأحدث انقلابا فى أسس العقيدة العربية الإسلامية. وفى أيامه قُتِل كثير من الحكام الذين لم يدفعوا ما طلبه من أموال عن طريق أتباعه الذين استخدمهم فى قتل ذوى السلطان، وبعد تنفيذهم لما كلفوا به كانوا يقتلون؛ وبذلك كانوا يرضون النزعة الشريرة لصاحبهم ويسلمون أرواحهم للموت، وتوفى بعد أن أمضى ستة وأربعين عاما فى جبروت وقوة، وقد خلفه من بعده ابنه جلال الدين حسين(٩٢) الذى تظاهر فى بداية حكمه باعتناق دين المسلمين، فكان يصوم ويصلى، كما أرسل وأخبر

خليفة بغداد والسلطان محمد خوارزم شاه وحكاما عربا آخرين _ بأنه قد أدار وجهه عن طريق أبيه الشرير واتخذ طريق الإسلام، فصدقوه وفرحوا به وأغدقوا عليه الكثير من الهبات والعطايا.

وفى هذا العام نفسه توفى _أيضا_ نور الدين أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكى بن آقسنقر(٩٣)صاحب الموصل، وكان رجلا عادلا قادرا، وكان مهابا من كل أبناء مملكته، وأيضا من الملوك الآخرين المعاصرين له. وعندما اقترب موعد مماته جعل نبلاؤه يقسمون على طاعة الملك القاهرعزالدين مسعود ابنه الأكبر، وكذلك لابنه الأصغر عماد الدين زنكى(٩٤) وأعطاهما قلعتين، هما: عقر الحميدية وشوش(٩٥) وممتلكاتهما، كما عين بدر الدين لؤلؤاً(٩٦) نائبا له. وقد كان رجلا عركته الأحداث والتجارب وصهرته الأحداث والخطوب، فكان جديرا بالمملكة. وعندما اشتد مرضه قال له الأطباء: " إنه يجب أن ينزل ويستحم فى عين دير القديس زينا♦ التى على ضفاف دجلة "، فأنزله بدر الدين فى مركب إلى الموصل، ولكنه توفى قبل أن يصل، وكان معهما مملوكان فقط. وحمله بدر الدين مع هذين الرجلين وأحضروه ليلا إلى القصر دون أن يشعر أحد، وعندما بزغ النهار استمر بدر الدين فى إدارة العمل كالمعتاد، وبعد تسع ساعات أعلن وفاة الملك. وفى المساء أعد المقبرة فى المدفن الذى كان قد بناه لنفسه أمام قصره، وتولى المُلْكَ من بعده ابنه الأكبر المعروف بالملك القاهر، وتسلم بدر الدين صولجان إدارة المملكة.

وفى سنة ٦٠٨ هجرية و٦٠٩ هجرية (١٢١١ميلادية و١٢١٢ ميلادية) لم يحدث ما يستحق الذكر.

وفى سنة ٦١٠هجرية (١٢١٣ميلادية) توفى موهادب طبيب بغداد الذى عرف باسم: ابن هوبل(٩٧) فى الموصل، وكان أشهر أطباء عصره، كما

♦ دير القديس زينا : ورد فى (ابن واصل:مفرج الكروب ص ٢٠٢) "أنه نزل ليستحم فى "عين القيارة".

كان تلميذا لأبى البركات [٩٨] الطبيب اليهودى المشهور فى بغداد. وانتقل هذا الرجل من بغداد إلى الموصل، ومن هناك لأذربيجان ثم إلى خلاط. وقد جمع ثروة كبيرة فى فترة خدمته مع شاهرمن. وعندما أصيب الملك بأحد الأمراض أخذت منه عينة من البول طبقا للتقاليد، فقال له أحد العبيد:" لماذا لا تذوقه أيها الطبيب؟ " ولكنه لم يرد عليه. ولما انتهى الطبيب وخرج ناداه وقال له سرا: "هل هناك رجل آخر كالملك مثلا أو أحد رفاقه علمك أن تقول لى أن أذوق البول؟ أو أنك قلت هذا من عندك؟" وأجاب العبد:" لا، ولكن سمعت الناس يقولون: إنه يوجد طعم للبول الذى يعطى معلومات تماما مثل اللون والرائحة والتكوينات ". فقال الطبيب: "هو كذلك ولكن ليس فى كل الأمراض، واعلم أنك سببت لى ألما بهذا الكلام، لأنه لو كان الملك قد سمع هذا الكلام لاعتقد أنني لا أؤدى واجبى العلاجى كما يجب". ومنذ ذلك الوقت شعر الطبيب بالإهانة فى نفسه ولم يستطع أن يمكث هناك كثيرا، وأعطى مبلغا كبيرا من المال لهذا العبد وطلب منه ألا يقول مثل ذلك مرة أخرى. فكان يعتذر عن أداء عمله فى بعض الأحيان، ثم صدر أمر وغادر خلاطا، فتوجه إلى الموصل وأقام بها حتى وافته المنية. وقد أصيب بالعمى فى أيامه الأخيرة. وجاء إليه الكثيرون ليتعلموا منه الطب مباشرة وعمره خمسة وتسعون عاما، وكتب كتابا عظيما فى الطب أسماه "المختار" ، ولقد قرأه الكثيرون واستفادوا منه حتى يومنا هذا .

وفى هذه السنة نفسها سنة ٦١٠هجرية (١٢١٣ميلادية) تمنى جنكيزخان أن يذهب بنفسه إلى مملكة فارس، وعندما وصل إلى بلاد الترك الأويغور[٩٩] ذهب كل الأفراد الذين كانوا هناك مع قواتهم إلى خدمته؛ من بيش باليغ، ومن الصاحب المسمى إيدى قوت[١٠٠] وجيشه، ومن الفلاحين ومن المالق[١٠١]، ومن الأمير سفناق[١٠٢] سكنات تبين وفرسانه... وكثيرين غيرهم. عندئذ أرسل جنكيزخان توشى ابنه الأكبر وخمسين ألف جندى إلى منطقة خوقند[١٠٣]، وأرسل ابنيه الآخرين: جغاتاى وأوكتاى لاستكشاف مدينة أترار[١٠٤]، وتوجه بنفسه إلى مدينة بخارى، وأمر الموكلين أترار بالاستماتة

فى القتال، وحينئذ بدأ الحرب بقسوة، وصمدت أمامهم هذه المدينة لمدة خمسة شهور. وكان السلطان محمد قد ترك بها خمسة آلاف♦ فارس كانوا بقيادة "غاير خان"، وعشرة آلاف فارس آخرين كان رئيسهم قراجا خاص حاجب. وفى إحدى الليالى عندما رأى قراجا أنه ليس لديهم قوة التتار أخذ أنصاره وخرج من بوابة دروازة الصوفى إلى المغول، وحرسوه حتى الصباح وحملوه حتى ابني الخان. وعندما عرفوا (المغول) منه المعلومات عن المدينة ومحاربتها قالوا له:" بالطريقة نفسها التي خدعت بها سيدك كان لا بد أن نخدعك بها؛ فلسنا فى حاجة إليك"، وأمروا بقتله. فقتل هو والذين كانوا معه .

وفى اليوم نفسه تولى التتار حكم المدينة، وطردوا كل السكان رجالا ونساء، ونهبوا الخزائن. وكان غايرخان مع عشرين ألفًا من رجاله، على أسطح المنازل العالية وفى دروب المدينة وعلى أبراج الحوائط _ قد ثاروا، وساروا على أقدامهم خمسين خمسين إلى التتار ويقتلون ثم يقتلون حتى بقى اثنان فقط مع غاير خان على سطح القصر. وتجمع ضدهم كثير من التتار وتعب الكثير حتى قتلوا الاثنين وبقى هو وحده . ولما كان قد استخدم جميع سهامه استعمل الأطفال وأمهاتهم الحجارة والطوب من الحوائط وحاربوا بها التتار. ولأن الخان أمر أن لا يقتل غاير خان فى الحرب بل يؤسر أسرا _ تعبوا وتصرفوا بحذر حتى أخذوه. وبعد أن رآه جنكيزخان أمر بقتله فى المكان المسمى: كوك سراى، أى: القصر الأخضر.

وفى سنة ٦١١هجرية (١٢١٤ ميلادية) حكم السلطان عز الدين كيكاوس سينوب[١٠٥]، الواقعة على شاطئ بحر بنطس، وقتل صاحبها كير ألكس[١٠٦]

♦ خمسة آلاف : ذكر ابن العبرى فى (تاريخ مختصر الدول ص)٢٣ خمسة آلاف بينما ذكر المترجم الانجليزى BUDGE خمسين ألف

وفى سنة ٦١٢هجرية (سنة ١٢١٥ميلادية) استرد أنطاليا♦ من الروم مرة ثانية .

وفى سنة ٦١٣ هجرية (سن١٢١٦ ميلادية) توفى الملك الظاهر غازى ابن صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب حلب، وأمر أن يقوم بدلا منه ابنه الأصغر الملك العزيز محمد الذى كان لا يتجاوز عمره سنتين وبضعة أشهر. وكان له _أيضا_ ابنٌ ثانٍ أكبر منه. ولكن لأن والدة الطفل الصغير كانت بنت الملك العادل لذلك عينه ملكا حتى لا يعامله أخوه بقسوة. أما الظاهر فقد عين شهاب الدين طغرل الطواشى الطيب ليكون نائبا وأتابكا لابنه الأصغر. وعاش أبناء حلب تحت حكم ابنه الأصغر فى سعادة تامة. وكل الأشياء التى أخذها أبوه الظاهرغصبا فى أثناء حياته أرجعها لأصحابها بعد مماته.

وفى سنة ١٥٢١يونانية (١٢١٧ميلادية ــ ٦١٤ هجرية) أرسل بابا(١٠٧) الروم إلى جميع ملوك الفرنجة وأمرهم بتنفيذ أمر الله، وهو أن يجمعوا قواتهم ويخرجوا ويحرروا أورشليم المدينة المقدسة من أيدى العرب♦. وتجمع كثير من الشعوب وخرجوا إلى عكا. وعندما سمع العادل بذلك اتجه مسرعا من مصر إلى أورشليم وخرج الفرنجة من عكا وعسكروا عند البحر فى المكان المسمى: مغارة اللصوص. وكان العادل يتمنى أن يسبقهم ويعسكر هناك. وعندما لم يتمكن من ذلك عسكر عند بيسان واقترب الفرنجة واشتبكوا معا. وحين رأى (العادل) أن قوات الفرنجة تفوقه عتادا وعددا ذهب وعسكر فى ضواحى دمشق حتى يكتمل تجمعهم.

♦ أنطاليا : ذكر ابن واصل فى كتابه (مفرج الكروب ج٢ ص٢٣٣) أن السلطان عز الدين كيكاوس استرد إنطاكية من الروم مرة ثانية، ولكن فى النسخة السريانية ذكرت "أنطاليا".

♦ أيدى العرب : لقد وضح ابن واصل فى (مفرج الكروب ص٢٥٤) أن الملوك الفرنج قرروا أن يحرروا القدس من أيدى المسلمين.

وجاء الفرنجة واستولوا على كل شيء وجدوه من بيسان حتى بانياس، وقتلوا وأسروا، ورجعوا إلى مرج عكا محملين بالأسلاب والغنائم. لقد قيل: إن العادل فى أثناء رجوعه من بيسان[١٠٨] رأى رجلا يسير حاملا أحمالا ثقيلة وجلس لحظة ليستريح فاقترب منه بمفرده وقال له:" لماذا تقتل نفسك أيها العجوز؟ لا تسرع". فأجاب العجوز:" اذهب إلى السلطان وقل له: تمهل. إذا لم يسرع هو نفسه لما كنت قد أسرعت ولم أكن قد خرجت من منزلي". وخرج العادل وتركه وذهب. وفى هذا الوقت توفى برنس بيموند وترك ابنا يدعى: روفين، أنجبته له بنت روفين ملك أرمينيا. ورغم أن المملكة كانت تحت حكمه وسيطرته سيطرة تامة فقد اغتصب عمه المُلْكَ لنفسه. عندئذ غضب لاون ملك أرمينيا شقيق روفين الأرمنى؛ لأن ابن بنت أخ روفين إفرنجى، وجاء إلى إنطاكية وجعل شعبها يقسم له يمين الولاء. عندئذ استقر له الأمر والحكم فامتلأ بالكبرياء وتمنى أن يأخذ لاون الذي جعله ملكا حتى يستطيع أن يملك قليقيا أيضا. وعندما علم الأخوان بالمؤامرة أخبرا لاون وهرب دون أن يلحقه الأذى .

وفى سنة ٦١٥ هجرية (سنة ١٢١٨ميلادية) أبحر الفرنجة وذهبوا إلى دمياط ونزلوا إلى المنطقة المسماة: جيزة♦ وكان النيل حائلا بين الفرنجة ودمياط. وبنى العرب برجا عاليا فى وسط النيل حتى يستطيع المحاربون الذين به أن يمنعوا الفرنجة من دخول دمياط. وبعد أن شن الفرنجة الحرب على البرج لمدة أربعة أشهر أخذوه وقتلوا مَنْ بداخله من الرجال وقطعوا السلاسل التى على النيل. وكان هناك الملك الكامل بن العادل الذى عسكر على الضفة الأخرى من دمياط . وعندما رأى أن الفرنجة كسروا السلاسل التى على النيل أقام جسرا كبيرا بدلا من السلاسل فخرب الفرنجة الجسر

♦ جيزة : والمقصود بالجيزة هنا هو "جيزة دمياط" أى برها الغربى لأن كلمة الجيزة فى اللغة هى الناحية .ولقد ورد فى (مفرج الكروب ص ٢٥٨) "ونزلوا على بر الجيزة وبينهم وبين ثغر دمياط بحر النيل" . أما الترجمة الإنجليزية فقد ورد فيها بدلا من "الجيزة" كلمة "البيزة "ووضعت بين قوسين كلمة "جيزة".

أيضا. وفى هذا المكان أحدث الكامل ثقوبا بالكثير من السفن فأغرقها؛ وبذلك لم تستطع السفن الكبيرة الإبحار فوق السفن الغارقة، حينئذ حفر الفرنجة قناة كبيرة وعميقة فى الضفة الأخرى فأحدثوا فيضانا على ضفة النهر، واندفع سيل كبير من النيل من خلاله، وعبرت سفنهم فوق السفن الغارقة واقتربوا من سور دمياط وبدأوا فى القتال من النهر. ولأن الكامل وقواته كانوا على مقربة منهم وكل شيء كانوا يطلبونه كان يدخل المدينة عن طريق البر _ فلم يهتم أهل دمياط بالفرنجة. ثم كانت إرادة الرب فى أن وصل خبر وفاة العادل فى دمشق إلى ابنه الكامل. ولأن الأمير ابن المشطوب وبقية أمراء الهكارية الأكراد أرادوا أن ينصبوا الملك الفائز(١٠٩) شقيق الكامل ملكا على مصر، لذلك جمع الكامل قواته واتجه إلى مصر قاصدا دمياط . وازدادت قوة الفرنجة، واتجهوا إلى البلد وحملوا الكنوز الباقية من خيام العرب وعسكروا عند دمياط وبدأوا فى مهاجمتها من البحر ومن البر. وقد كان أهل دمياط ينتظرون مساعدة العرب لهم فلذلك حاربوا بجدارة. واستمر الفرنجة فى مهاجمة المدينة لمدة تسعة شهور. وعندما نفذ صبر العرب الذين فى الداخل ويئسوا من المساعدة؛ ذلك لأن الكامل لم يستطع التقدم إلى أكثر من مصر خوفا من الخيانة حينئذٍ استسلموا للفرنجة وسلموا لهم المدينة دون مقاومة. وعندما أخذ الفرنجة دمياط أعلنوا أن من يريد من العرب الخروج بحاجاته فليخرج ومن يريد البقاء فليبق، فلم يخرج الكثيرون. وعندما رأى الكامل شجاعة الفرنجة خاف منهم جدا وأرسل قوات هدمت حائط أورشليم حتى لا يصبح هناك مكان يحتمي به الفرنجة عند أخذها. فى هذا الوقت كان روفين الفرنجى صاحب إنطاكية قد ظلم بشدة من عمه البرنس عويرا صاحب طرابلس، فلم يساعده الملك لاون لأنه كان قد حاول أن يعاقبه بالشر بدلا من الخير. فترك إنطاكية وجاء هنرى جوان ملك الفرنجة في دمياط وعاش معه حتى بعد أن توفى الملك لاون .

وفى هذه السنة أصاب العرب رعب شديد، ليس فقط من قبل الفرنجة الآتين من الغرب ولكن أيضًا من التتار الذين ظهروا من الشرق ووصلوا إلى همذان: وأذربيجان وأران[١١٠]، واقترفوا فى فارس أعمالاً وحشية.

وفى العام نفسه فى اليوم السابع والعشرين من الشهر الثالث◆ توفى الملك القاهر عز الدين مسعود بن نور الدين صاحب الموصل بعد أن حكم سبع سنوات وتسعة أشهر. ولقد عاش فى حالة خوف مستمر من الموت. وكان دائما يحاول أن يسعد نفسه كما لو كان يخطف الأشياء التي تسعده من يد الموت. وحكم بدلا منه ابنه الأكبر نور الدين أرسلان شاه، وكان صبيا عمره عشر سنوات ◆◆، وكان قد سمى على اسم جده . وعندما توفى الملك القاهر عين بدر الدين لؤلؤ نائبا لابنه مثلما كان نائبا له نفسه. وتصرف بدر الدين بنبل وأرسل إلى الخليفة الناصر وأصدر أمرا بتولي الشاب الملك. كما أرسل إلى ملوك البلاد الأخرى بذلك وساد السلام. وأخذ مملكة الموصل دون مشاكل رغم وجود من يسعون خلف الملك الشاب ويطمعون فى الحكم، مثل عماد الدين عمه صاحب العقر[١١١] وأعمام أبيه، إلا أن بدر الدين منعهم جميعا بإرادته، وأكثر من عطفه على النبلاء ورؤساء المدينة والمنطقة وأحبوه كلهم. وأرسل عم الشاب عماد الدين صاحب العقر إلى مظفر الدين كوكبرى ابن زين الدين صاحب إربل وقال له : " إن بدر الدين أراد أن يوقع بيننا ويأخذ المملكة لنفسه". حينئذ ساعد مظفر الدين صاحب العقر وذهب

◆ الشهر الثالث: هو شهر ربيع الأوّل فى الشهور العربية.

◆◆ عشر سنوات : لقد ورد فى النص السريانى أن "نور الدين أرسلان شاه" عندما تولى الحكم كان صبيا يبلغ من العمر "عشرين عاما" (ص ١٣٢عامود١ سطر١٢)فإنّ عادة الصبى لا يكون عمره عشرين عاما ولكن، الصحيح هو ما ورد فى الترجمة الإنجليزية أنه كان عمره "عشر سنين".(and his son NUR AD DIN ARSLAN SHAH his eldest son reigned in his stead he was a boy ten years old or a youth aged twenty years p. 371)ولكن من الواضح أيضا أن "BUDGE" المترجم لم يكن متأكدا تماما من كلامه حيث إنه وضع هو الآخر "عشرين عاما "بين قوسين.

وأخذ قلعة العمادية(١١٢). وجمع بدر الدين القوات وذهب إلى العمادية ليشن حربا عليها وليأسر عماد الدين.

ولأن موسم الشتاء كان قد بدأ وهبط الثلج الكثيف فوق الجبال فقد غادر بدر الدين ورجع إلى الموصل، وازدادت قوة عماد الدين وأرسل إلى بقية قلاع الهكارية(١١٣) والزوزان(١١٤) وحكمها . وفى السنة نفسها أراد السلطان عز الدين كيكاوس صاحب بلاد الروم أن يحكم حلب لأنه رأى أنه ينقصها صاحب، وأنَّ الذى يحكمها طفل رضيع. وقد أشار عليه نبلاؤه أن قتل هذا الطفل يمكن أن يتم بسهولة إذا أخذت معك الملك الأفضل بن صلاح الدين صاحب سميساط، وتدعى الغيرة عليه لأن إخوته ظلموه، وأنك ستعيد له ملك أبيه لأنه الابن الأكبر لصلاح الدين. وأرسل السلطان عز الدين إلى الملك الأفضل وأحضره من سميساط، وأعطى له ذهبا وملابس وجيادا كثيرة وسلاحا، وجعله مستعدا للذهاب معه إلى سوريا على شرط أن تكون حلب ملكا للملك الأفضل وكل بلد يأخذونه من حوزة الملك الأشرف، وما بين النهرين يكون للسلطان عز الدين. فجمع القوات وذهب أولا إلى عين تاب وأخذها وتسلمها الملك الأفضل، ومن هناك إلى تل باشر وأخذها كذلك، وحاصرها السلطان عز الدين ولم يعطها للملك الأفضل. وغضب الأفضل وندم الذين استسلموا. ومنذ ذلك الوقت أخفى الأفضل الخيانة فى قلبه وبدأ فى منع عز الدين من الذهاب إلى حلب، وقال: " لنذهب أولاً لأخذ منبج وأماكن أخرى وبعد ذلك نستطيع أخذ حلب التي ستبقى كالحمامة المنتوفة الريش". وعندما ذهبا إلى منبج أرسل شهاب الدين(١١٥) الطواشى إلى الملك الأشرف للمجيء لمساعدة الطفل الصغير◆ ابن أخته، وغضب الأشرف وجاء وقابل جنود بلاد الروم فى منبج، وهزم الرومان فى بداية اللقاء. ولم يكمل السلطان عز الدين الحرب ولكنه ترك منبج وعاد إلى بلده وذهب الأشرف إلى عين تاب وأخذها، وكذلك تل باشر وأعطاها مرة أخرى إلى صاحب حلب. أما

◆ الطفل الصغير : هو الملك العزيز.

هؤلاء الذين سلموا تل باشر للأشرف وذهبوا إلى بلادهم فقد أخذهم السلطان عز الدين وأحرقهم فى أحد المنازل دون رحمة.

وفى السنة نفسها عندما احتل الفرنجة ـ كما أشرنا ـ دمياط توفى الملك العادل فى اليوم السابع من الشهر السادس ♦ من عام ٦١٥ هجرية (١٢١٨ ميلادية) عن خمسة وسبعين عاما فى المكان المسمى: عالقين[١١٦]، وحمل إلى دمشق ودفن فى مقبرة كان قد بناها لنفسه . كان رجلا ذكيا جدا يخفى غضبه وبعد فترة ينتقم. وقد ترك الأبناء الآتين[١١٧] الملك الكامل ناصر الدين♦♦ أبو المعالي صاحب مصر، والملك المعظم مظفر الدين عيسى صاحب دمشق وأورشليم ، والملك الأشرف شرف الدين موسى[١١٨] صاحب الرها وحران وخلاط ، والملك المظفر شهاب الدين غازي صاحب ميافارقين ، والملك الحافظ[١١٩] صاحب قلعة جابر، والملك العزيز عثمان[١٢٠] صاحب بانياس، والملك الصالح إسماعيل[١٢١] صاحب بصرى، والملك الفائز يعقوب ، والملك الأمجد[١٢٢] عباس، والملك الأفضل♦♦♦ قطب الدين، والملك القاهر♦♦♦♦ تاج الدين إسحاق.

♦ الشهر السادس: هو شهر جمادى الآخرة .

♦♦ ناصر الدين : فى النسخة السريانية كتب اسم "ناصر الدين"(نار آلدين) (ص١٣٣ عامود ١ سطر ٢٦) .

♦♦♦ المفضل قطب الدين : لقد ورد فى النسخة السريانية أنه "الملك الأفضل" (ص١٣٣ عامود ١ سطر٣٧) وكذلك الترجمة الانجليزية (**MALIK** AFDAL).

♦♦♦♦ الملك القاهر : فى النسخة الإنجليزية ترجم "الملك الطاهر"(**the young man** NUR-AD-DIN the son of MALIK TAHIR p.374) وهو غير صحيح لأن الطفل "نور الدين" هو ابن الملك عز الدين مسعود، "الملقب بالقاهر. لما توفى نور الدين أرسلان شاه بن مسعود صاحب الموصل فى أواخر رجب سنة ٦٠٧ هجرية ـ استقر فى الملك بالموصل بعده ولده "الملك القاهر عز الدين مسعود بن أرسلان شاه بن مودود بن زنكى بن آقسنقر، وهو آخر ملوك البيت الأتابكى بالموصل .وقام بتدبير ملكه بدر الدين لؤلؤ مملوك والده وتوفى فى سنة ٦١٥ هجرية. وكانت مدة ملكه سبع سنوات وتسعة أشهر (مفرج الكروب ص٢٦١).

وفى السنة نفسها عندما رأى بدر الدين أن مظفر الدين صاحب إربل اتفق مع عماد الدين زنكي صاحب عقرعلى تخريب بلاد الموصل، وأن يصبح صاحب القلاع وأن أى تدخل لن يفيد معهما، وأنه لو حاول مقاومتهما بنفسه فلن يمكنه ذلك _ طلبَ النجدة من الملك الأشرف صاحب بين النهرين وخلاط. ووعد أن يكون فى خدمته كأحد نبلائه. وفرح الأشرف بذلك وأرسل قوة إلى نصيبين لتكون تحت تصرف بدر الدين.

وفى سنة ٦١٦هجرية (١٢١٩ميلادية) نزل عماد الدين زنكى من قلعة العمادية إلى قلعة العقر حتى يستطيع حكم بلاد الوادى، فقد كان صاحبا لتلك المناطق قبل ذلك. وعندما سمع بدر الدين أرسل قوة لتحمى البلدة. عندئذ اجتمع هؤلاء القواد معا وقرروا هزيمة عماد الدين زنكى فى العقر دون علم بدر الدين وساروا طوال الليل. وعندما بزغ صباح يوم السبت فى نهاية أول محرم من السنة الهجرية تقابلوا فى معركة تحت قلعة العقر. وهزم زنكي هزيمة نكراء، وهرب إلى إربل حيث مظفر الدين، وعاد رجال الموصل إلى أماكنهم. عندئذ جاء رسل من قبل الخليفة ناصر ومن الملك الأشرف وعاد الوفاق بينهما. وفى الأيام التي استمر فيها الصلح توفى الغلام الصغير نور الدين ابن الملك القاهر صاحب الموصل، ولم يره أحد راكبا جواده لمدة عشرة أيام وذلك بسبب مرضه. عندئذ أخذ بدر الدين أخاه_ وهو غلام لم يتجاوز السنة الثالثة من عمره، يدعى: ناصر الدين محمود(١٢٣)_ وأجلسه مكان أخيه وجعل النبلاء يقسمون للغلام وأجلسه على جواده وأظهره للناس. وفرحت قلوب الجماهير لأنهم رأوا أن لهم ملكا من الأتابكة لشدة حبهم لهذه المملكة . وعندما توفى نور الدين ظهر الغلام الصغير مكانه وتشاجر مظفر الدين وزنكى مرة أخرى مع رجال الموصل وبدأوا فى الإغارة على البلد . ولأن بدر الدين كان قد أرسل أغلب قوات الموصل إلى حلب إلى الملك الأشرف الذى تمنى أن يغزو ويخرب مدينة الفرنجة أرسل إلى أيبك أحد قواد الأشرف ليأتى إلى نصيبين. وعندما جاء رأى بدر الدين أن الذين جاءوا مع أيبك من عبيد الأشرف كانوا أكثر عددا من الذين أرسلهم الأشرف إليه . ولكن أيبك

بدأ يعظم نفسه وأجبر بدر الدين أن يعبروا دجلة ويذهبوا وينهبوا بلدة إربل. وعندما سمع مظفر الدين بذلك جمع قواته وعبر الزاب (١٢٤). وذهب بدر الدين وأيبك وعَسْكرا على الجانبين الواحد قبل الآخر. وعندما انتصف الليل قام أيبك وذهب ليسحق قوة إربل، ولكن بدر الدين نصحه بعدم الذهاب حتى مطلع النهار، ولكنه لم يقبل وامتطى جواده وركب جماعته جيادهم فاضطر بدر الدين إلى أن يذهب معهم. وذهبوا وقابلوا مظفر الدين وهرب عز الدين أيبك عند الأشرف إلى الجانب الأيسر لصاحب إربل . ولقد هزم الجانب الأيمن لصاحب إربل الجانب الأيسر لبدر الدين. وبقى بدر الدين مع رجال قليلين فى الوسط ولم يستطع أن يتحمل هجوم قلب جيش صاحب إربل. وهرب بدر الدين أمام مظفر الدين، وبخطوات سريعة جاء وعبر دجلة إلى الموصل وطارده مظفر الدين، وعسكر خلف قلعة نينوى وبقى هناك لمدة ثلاثة أيام. وعندما سمع أن بدر الدين يستعد لسحقهم ليلا هرب وذهب إلى إربل. وبمروره بنينوى لم يؤذ أحدا إلا بعض الرجال من شهرزور (١٢٥) كانوا معه قاموا بخطف عروس حديثة من قرية بيت سحرايا، فثار أهلها وأنقذوا العروس وقتلوا _أيضا_ بعض الأكراد منهم. وعرف مظفر الدين بذلك فغضب بشدة لأنه قد قيل له: "هؤلاء الفلاحون قد فضحوك ويصيحون: يعيش العصى الذهبية بدر الدين". وأرسل قوة إلى المدينة هاجمت هؤلاء القرويين الذين يحتمون فى الكنيسة، وقتلت منهم حوالي ثلاثمائة نفس وغادرت القوة المدينة، وبمرورها ببيراطلى قامت بقطع يد شاب بحد السيف. وبعد هذه الحوادث تراسل الاثنان وساد بينهما السلام. وفى السنة نفسها عندما رأى هؤلاء الذين كانوا فى قلعة الكواشى (١٢٦) أن بقية القلاع وقعت تحت سيطرة عماد الدين زنكى _أيضا_ أرسلوا إليه وسلموا له الكواشى، وأخرجوا من هناك هؤلاء الذين كانوا فى بيت بدر الدين. وعندما رأى بدر الدين أن مظفر الدين لم يحترم وعده ولم يكف عن حث زنكى على الشجار معه أرسل إلى الملك الأشرف وطلب منه أن يأتى بنفسه ليساعده ويجعل صاحب إربل يكف عنه؛ لأن أعداء الأشرف فى ذلك الوقت كانوا كثيرين: السلطان كيكاوس من

بيت الروم، مع صاحب آمد وقلعة كيفا، وصاحب ماردين، وثار ضده الأمير ابن المشطوب والأمير عز الدين حامدى ولم يستطع الأشرف أن يحضر لمشاهدة بدر الدين إلا بعد فترة.

وفى الشهر الحادى عشر◆ سنة ٦١٦ هجرية (١٢١٩ميلادية) سنة ١٥٣١ يونانية (١٢٢٠ ميلادية) كانون الثاني(يناير) توفى السلطان عز الدين كيكاوس بن كيخسرو بن قلج أرسلان(١٢٧) صاحب بيت الروم. فجمع بدر الدين قواته حتى يستطيع أن يذهب مرة أخرى ويشن حربا ضد الأشرف فيما بين النهرين. وعندما وصل إلى ملطية اشتد عليه مرض الصدر وبسببه رجع وتوفى، فأرسل النبلاء واستدعوا علاء الدين كيقباذ(١٢٨) الذى كان سجينا فى قلعة المنشار(١٢٩) التى توجد أعلى جبل البريق ونصبوه ملكا عليهم. قال البعض: إن السلطان عز الدين نفسه قبل أن يموت أرسل وأخرجه من السجن وجعل النبلاء يقسمون أمامه لأنه لم يكن له ولد يصلح للمملكة. ولقد رأى السلطان علاء الدين كيقباذ فى بداية ملكه أن أعداءه كثيرون؛ فقد كان اليونان والأرمن يحيطونه، وأيضا عمه صاحب أرزن الروم، فأنشأ صداقة مع الملك الأشرف وأراد أن يزوجه أخته، وبالفعل تم له ذلك بعد ثلاث سنوات.

وفى السنة نفسها، _أى: سنة ٦٦٨ بتقويم الأرمن _ توفى لاون ملك قيليقية، الذى كان رجلا محاربا وشجاعا فى الصيد. وكانت له بنت واحدة تدعى: زابيل. ولقد حصل سيرادان بالى صاحب القلاع الساحلية على موافقة بنت الملك وموافقة المملكة لمدة سنتين تقريبا إلى أن قتله الإسماعيلية(١٣٠).

وفى سنة ٦١٧هجرية (١٢٢٠ميلادية) فى الشهر الأول◆◆ ذهب جنكيزخان بنفسه، وعسكرعند مدينة بخارى التى كانت مركزا إسلاميا مهما فى كل بلاد ما وراء نهر الجيحون، وعسكرعند باب القلعة. كماجاءت أقوام

◆ الشهر الحادى عشر: هو شهر ذو القعدة فى الشهور العربية

◆◆ الشهر الاول: هو شهر محرم

كثيرة من المغول يفوقون الجراد والنمل فى العدد، وكذلك جاءت خلفه بعض قواته وعسكروا حول المدينة المنكوبة. وكان به حوالى عشرين ألف فارس. وعندما أبصر القائدان العظيمان سونج خان وكشلى خان هذا العدد الكبير من جنود التتار فقدا الأمل فى كسب الحرب، وعند غروب الشمس خرجا هاربين من المدينة ومعهما جنودهم . وعندما وصلوا إلى ضفتى الجيحون سقطت عليهم دورية الطرق المغولية، وفرقتهم كلهم بحد السيف. وحينما رأى الأهالى أنه ليس هناك من يقف فى وجه المغول فتحوا أبواب المدينة وذهبوا لخدمة جنكيزخان، فعطف عليهم ولم يقتل أحدا ولكن دخل المدينة ليراها. وعندما وصل إلى باب المسجد الكبير سأل عما إذا كان هذا هو مكان الصاحب فقال له الشيوخ العرب: "لا إنه بيت الله ". ونزل جنكيزخان من فوق جواده ودخل وجلس أمام المحراب، وصعد تولى[١٣١] ابنه الأصغر درجات المنبر وأمر جنكيزخان قائلا: "جيادى جائعة والسهل خال من الأعشاب". وذهب نبلاء المدينة وفتحوا الأجران ومخازن القمح والشعير، وحملوه على أكتافهم ووضعوه غذاءً للجياد وجلسوا أمامهم يراقبونهم. وأحضروا _أيضا_ أواني النبيذ وسقوا التتار، كما أحضروا مطربين ومطربات وأخريات يرقصن وكُنَّ فى الحقيقة يرقصن بكل قلوبهن . ونادى جنكيزخان على نبلاء المدينة وقال لهم:" إننا لا نريد أن نرى ثروتكم الظاهرة ولكننا نريد أن تحضروا تلك المخبأة فى قلب الأرض وتعطوها لنا وستعيشون". حينئذ قالوا:" طلبكم سيلبى". فذهبوا وأحضروا الثروة التى فاقت العدد.وحملوها إليهم.

ولأن الكثير من المحاربين كانوا مختبئين فى المدينة فقد أشعلوا بها النيران وأحرقوها بما فيها من خيرات، وهرب الذين فى الخارج إلى البلاد الأخرى. سُئل بعض الرجال من بخارى كيف كانوا يعاملونه عند مجيئه إلى خراسان؟ فأجاب: "لماذا ترهقوننى بمثل هذه الأسئلة ؟ لقد جاء التتار وقتلوا وحفروا وأحرقوا وهدموا وذهبوا. فمن كانت له أذنان للسمع فليسمع".

فى هذه السنة ــ كما قلنا ــ تمرد ابن المشطوب على الأشرف، وذهب إلى نصيبين حتى يعبر منها إلى إربل إلى مظفر الدين، وخرج وأشتبك معه صاحب نصيبين وهزم وتشتت الذين كانوا معه. وهرب ابن المشطوب مع قليل من الرجال وعبر إلى بلدة سنجار. وسمع بذلك فاروق شاه بن زنكى بن مودود بن زنكى فأرسل قوة أخذته واحتفظت به أسيرا. ولأن فاروق شاه صاحب سنجار كان مواليا للأشرف فقد خدعه ابن المشطوب وأقسم له بالإيمان أن يشتركوا معًا فى القتال حتى يخلصوا الموصل من أيدى بدر الدين وتصبح له. عندئذ أخلى صاحب سنجار سبيل ابن المشطوب وأعطى له قوة من الفرسان، وجاء وخرب بيت عربايا. وسمع بدر الدين بذلك فأرسل قوات، وهزم ابن المشطوب الذي هرب وذهب إلى قلعة تليعفر لأنها كانت لصاحب سنجار. وعندما سمع بدر الدين خرج بنفسه وذهب باحثا عن قلعة تليعفر حتى أخذها وأسر ابن المشطوب(١٣٢)، وأرسله إلى الملك الأشرف فحبسه فى حران◆ إلى أن توفى. عندئذ أعطى الملك الأشرف حانى وجبل جور لصاحب آمد ووعد أنه سيأخذ _أيضا_ مدينة دارا ويعطيها له. ولأنه انفصل عن صاحب ماردين فقد ازداد قوة، وجاء إلى دنيسر وحكم كل بلدة ماردين، وحبس صاحب ماردين فى القلعة ومنع عنه الطعام.عندئذ جاء صاحب آمد إلى الأشرف وتوسط بينهما وتم الصلح؛ فأعطى صاحب ماردين رأس العين وثلاثين ألف دينار للأشرف ومؤنا من بلدة شبختان لصاحب آمد. وانتقل الأشرف إلى نصيبين وخاف منه صاحب سنجار، وبينما هما فى الطريق أرسل إليه رسولا وسلم سنجار للأشرف، وأخذ بدلا منها الرقة، وخرج وذهب مع إخوانه وأبناء بيته وجميع ممتلكاته. وعندما أخذ الأشرف سنجار دفع أمامه قوات إلى الموصل حتى يستطيع أن يأتى ويمر إلى إربل.

◆ حبسه فى حران : قيل أن الملك الأشرف قد قيد ابن المشطوب ووضعه فى جب بمدينة حران حتى مات سنة ٦١٩ هجرية.(أبو الفداء:المختصر فى أخبر البشر ج٣ ص١٢٥).

واعتاد أن يحضر كل يوم عددا كبيرا من الفرسان، ثم يحضر بعدهم جميعا إلى الموصل .

وفى اليوم الثالث من الشهر الخامس♦ من هذه السنة وصل إليه رسل الخليفة وصاحب إربل، واعدين أن يسلموا بدر الدين جميع القلاع التى كان زنكى قد أخذها وأن يسود السلام. ولكن الأشرف لم يقبل وانتقل من الموصل وعبر دجلة، وذهب وعسكر عند السلامية(١٣٣)، قرية بجوار نهر الزاب. وحدث أن مظفر الدين كان قد عسكر على جانب شط الزاب؛ لأن ناصر الدين صاحب آمد كان _أيضا_ مع الأشرف، وكان يحمل حبا خفيا لمظفر الدين. وكان ينصح الملك الأشرف أن يعلن السلام ويرجع بشرف، وقال له أيضا:" إذا انتصرت فستُغضِبُ الخليفة وسيذمك كل العرب، وإذا هزمت فستحصل أنت ومن معك على سمعة قبيحة إلى الأبد". واقتنع الأشرف ووافق على السلام. وأخذ الأشرف صاحب عقار رهينة لعماد الدين زنكى حتى يسلمه القلاع التى كان قد أخذها ورجع وذهب إلى سنجار. وذهب البعض ليأخذوا منه القلاع ويعيدوه إلى أنصار بدر الدين، باستثناء قلعة واحدة كانت على حدود الهكارية لم يتمكنوا من أخذها لأن الباقين منهم ثاروا ورفضوا تسليمها. رمى مظفر الدين زنكى بنفسه على شهاب الدين غازى شقيق الأشرف. واقتنع الأشرف بالوقوف فى جانبه وتركه بدون تسليم القلاع، وتضايق بدر الدين ولكنه لم يستطع مقاومة رغبة الأشرف. وفى هذا الوقت علم بدر الدين سرا أن الأشرف ينوى أخذ تليعفر منه لأنها كانت منذ القدم لسنجار؛ لذلك أرسل وسلم له تليعفر. وكانت سنجار وتليعفر للأشرف. عندئذ حكم الأشرف جميع قلاع الهكارية والزوزانا وبدأ فى إساءة معاملة من بداخلهما. وأثقل عليهم بهدايا إجبارية. وحينئذ أسف الذين شاهدوا ذلك وأرادوا تسليمها لبدر الدين ولكنهم خشوا المعارضة التى أظهروها. فسمع

♦ اليوم الثالث من الشهر الخامس:أى يوم الثلاثاء من شهر جمادى الأولى

بدر الدين بذلك وأرسل غيره بالأقسام والعهود بعدم الإساءة إليهم، بل على العكس سيعاملهم معاملة حسنة وسيعتبر إساءتهم ذات فائدة لأنها حررته من الأشرف، ووافق أصحاب قلعة العمادية على أن يسلموها. ولأنه لم يستطع أن يأخذ شيئا دون أمره أو إذنه أرسل إلى الأشرف وطلب أمراء، ولكن الأشرف رفض طلبه حتى يعطيه بدر الدين قلعة الحدث[١٣٤] التى على جانب نصيبين وفى طريق مَا بين النهرين. وبعد ذلك أخذ بدر الدين العمادية وكافأ الذين سلموها له بمكافأة كبيرة أكثر مما وعدهم. ولمَّا سمع ذلك أبناء القلاع الأخرى سلموا قلاعهم أيضا. وكان أمرا مثيرا أن حشودا من القوات تجمعت من سوريا وما بين النهرين وأرمينيا وأماكن أخرى، ولكنه لم يتمكن من أخذ تلك القلاع. أما بدر الدين فبفضل ذكائه فقط تمكن من حكمهم؛ لأنه من الأجدر الإيمان بالله عن الإيمان بالحكم.

وفى هذه السنة مات الملك المنصور[١٣٥] ناصر الدين محمد بن الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب صاحب حماة عن خمسين عاما، وأمر ابنه الأكبر – الذى كان فى مصر عند عمه الملك الكامل ويُدْعى: الملك مظفر تقى الدين – أن يحكم بدلا منه. فاستدعى النبلاء ابنا آخر من دمشق يدعى: الملك الناصر قلج أرسلان[١٣٦]، وسلموا له حماة.

وفى سنة ٦١٨ هجرية ذهب الملك المعظم صاحب دمشق، والملك الأشرف صاحب ماردين، وقوة من حلب، والملك الناصر صاحب حماة، والملك مجاهد صاحب حمص لمساعدة الملك الكامل، فذهبوا جميعا وعسكروا عند دمياط، وأرهقوا سكان المدينة وقطعوا الطرق على الفرنجة. وخاف الفرنجة ووافقوا على أن يحاصروا دمياط مع كل الأسرى العرب فى عكا، وسمح لهم العرب بالخروج والذهاب إلى بلادهم بسلام. وأخذ الكامل بعض الفرنجة معه رهائن حتى يتم استرداد دمياط والأسرى، واتفق على السلام لمدة ثمانية أعوام بين العرب وبين لجاد حليف بابا روما؛ لأنه كان على رأس قوات الفرنجة، ومع جوان صاحب عكا، وأخذ العرب دمياط مرة

أخرى. وذهب جهد الفرنجة هباء لأنه قبل أن تأتى المساعدة للملك الكامل كان قد أرسل للفرنجة وأجرى معهم اتصالات بشأن السلام، وعرض أن يعطى لهم أورشليم وعسقلان(١٣٧) وطبرية وصيدا وجبلة واللاذقية فقط بعد ترك دمياط ورحيلهم عن مصر وكل أقاليمها. ولكن الفرنجة رفضوا وطلبوا قلعة الكرك♦ وثلاثمائة ألف دينار تعويضا عن هدم أسوار أورشليم التى خربها الكامل.

وبسبب هذا أثقل على الكامل فأرسل طالبا مساعدة إخوته وأبناء دينه وأخذوها منه دون مقابل. وخسر نصف محصول حمص الذى تعود على أخذه من العرب. وفقد الإسبتارية(١٣٨) الجزية التى كانوا يأخذونها من بارين(١٣٩). ولقد ظلت دمياط مع الفرنجة فى هذه المرة سنة وعشرة شهور وأربعة وعشرين يوما. وفى هذا الوقت ألقى الإسماعيليون بأنفسهم فوق سيراذان صاحب مملكة أرمينيا، فى الطريق الضيق الذى يؤدى إلى كنيسة القديس برصوم فى مدينة سيس وقتلوه، وحكم بدلا منه بالى بارون القسطنطينية ابن البارون باسيل♦♦ خال الملك لاون. وعندما سمع روفين أن الملك لاون قد توفى لفوره وأن الحاكم سيراذان قد قتل _أيضا_ أخذ ابنة الملك روفين الكبير، وأبحروا وخرجوا إلى ميناء قلعة كورسيكا حتى يستطيع أن يملك قيليقية، حينئذ لم يعط صاحب هذه القلعة _المسمى: البارون بهرام_

♦ الكرك: لقد ورد فى النص السريانى أن الفرنجة طلبوا الكرك فقط (ص ١٣٥ عامود ١ سطر ١٩) وكذلك الترجمة الإنجليزية "الكرك" فقط (they demanded also the fortress KARAK p. 379)ولكن ورد فى (المختصر فى أخبار البشر ج ٣ ص ١٢٩)" لقد طلب الفرنجة الكرك والشوبك".والكرك اسم لقلعة حصينة جدا فى طرف الشام من نواحى البلقاء فى جبالها (النجوم الزاهرة ج ٦ ص ١٤).

♦♦ باسيل : فى النسخة السريانية كُتب الاسم خطأ . فهو مكتوب (باسج) (ص 135 v عامود ١ سطر٢٥) بدلا من(باسل).أما فى الترجمة الانجليزية فقد ترجم **BUDGE** الاسم صحيحًا (**BARON BASIL p.380**). ويبدو من هذا أنه ربما قد كان على دراية كافية بهذه الشخصية، بحيث إنه لم يقع فى الخطأ.

طريقا للعبور لحكام شكاد، بل هدده إذا لم يزّوجه بأمّه فسيمسكه ويقتله. حينئذ اضطرب وحاول إقناع أمه بهذا الموضوع. فلما سمعت ذلك انزعجت وعلا صوتها بالشتائم والسباب لبهرام. وأوضح لها الرجال والنساء الأحرار أن من مصلحة ابنها أن تهب نفسها حتى ولو كان للنار. وتحت الضغط وافقت وهى تصرخ فى الوقت نفسه: هذه معاشرة إجبارية، وليس زواجا قانونيا. وعندما تزوجها بهرام زاد فى تكريمها وكرس نفسه لخدمتها وخدمة ابنها وعسكر عند طرسوس[١٤٠]وأخذها، ومن هناك ذهب إلى أذنة[١٤١] واستولى عليها، أيضا، وذهب إلى المصيصة[١٤٢]. وعندما عسكر بالى بارون القسطنطينية حشد قوة وذهب إليهم وضربهم. وعندما فروا من أمامه طاردهم وأسرهم فى بلدة طرسوس هناك، فأمسكهم وأهلكهم كلهم أمام بهرام وروفين وأمه بنت روفين الكبير. ومنذ ذلك الوقت انتظر بالى أن يتحدث إليه نبلاء أرمينيا، بخصوص أخذ بنت الملك لاون لأحد أبنائه ويصبح ملكا لأنه كان له خمسة أبناء. وعندما لم يحدث ذلك غضب فى نفسه ودبر لهم ترتيبا، وأرسلوا وأحضروا فيليب بن البرنس عويرا وأعطوا له زابيل بنت الملك لاون، ونصبه ملكا على قيليقية وحكمهم حوالى سنتين أو أكثر. ولكن حكمه كان فاسدا لأنه كان همه سحق كل نبلاء أرمينيا وتعيين الفرنجة فى أماكنهم. وبدأ فى إهمال الأرمينيين، وبدلا من تسميتهم: فالح أسماهم: فلاح، ولم يسمح لهم بالأكل على مائدته. وكانوا يأتون إلى بابه عشرات المرات فكان يسمح لهم بصعوبة أن يدخلوا مرة واحدة فى حضوره، ولذلك إزداد كره الأرمينيين له. وعندما لم يتحملوا طغيانه اجتمعوا لدى بالى بارون القسطنطينية وهمسوا له أن يدبر خطة ليهربوا منه؛ لأنهم ندموا بشدة على جعله ملكا عليهم. وبعد أن طمأنهم أعد بالى بعض الكشافة ورجال الصيد ودخلوا على فيليب ليلا وهو نائمٌ على سريره وجذبوه من فوق صدر الملكة. وبدأت فى البكاء وجرحت وجهها بأظافرها وصرخت قائلة : "سيدى..سيدى." لأنها كانت مشبعة بحبه. ولكنهم لم يستجيبوا لها ولم يستمعوا إلى صوتها وقيدوه بالأغلال، وأخذوه إلى تل حمدون حيث أمسكوه وأرسلوه إلى مدينة سيس وهناك سجن سنتين. وعندئذ لم يشأ البرنس والده أن يغضب الأرمينيين _على الرغم من أنه كان

رجلا قويا _ كى لا يؤذوا ابنه فى غضبهم، ولكنه اكتفى ببعث الرسل إليهم طالبا أن يخلوا سبيله ولم يطلب منهم المملكة. ولما تعب من إرسال الرسل جاء بنفسه إلى تل حمدون وأرسل إليهم ليسلموه ابنه؛ حينئذ استجابوا لطلبه وأخذوه وذهبوا إلى قلعة تسمى: عمودا، وأمروا البرنس أن يذهب ويأخذ ابنه. وعندما أراد أن يأخذه قيل له: "على الرغم من أنك ستأخذه فإنه لن يعيش؛ " لأنهم سقوه سما ولن يستطيع أن يعيش أكثر من عشرة أيام، وهو ما حدث فعلا، فعاد وهو يسب ويهدد. وبعد عدة أيام توفى فيليب، ولا أحد يعرف أين دفنوه. عندما سمعت الملكة بوفاته فقدت الأمل وتركت فيليقية وذهبت إلى قلعة سلوقيا على شاطئ البحر، وطلبت الحماية من الإخوان أصحاب القلعة فاستجابوا لها بعناية وحرص، وجاءت إليها أمها _أيضا_ من قبرص، إنها من الفرنجة فهى بنت ملك قبرص. عندما أعطوا ابنتها زوجة لفيليب أرادوا _أيضا_ أن يعطوها زوجة لجوفرى صاحب كيفا فى سراوند، الذى هو ابن بارون سنباط شقيق♦ البارون قسطنطين بالى. وعندما رفضت طردوها من بلدها وذهبت إلى قبرص. وفى هذا الوقت رجعت إلى ابنتها وبقيت الأميرتان معا فى سلوقية حتى أحضرهما بالى بارون القسطنطينية بالقوة.

♦ شقيق :فى الترجمة الانجليزية كان يساور BUDGE بعض الشك فكتب "شقيق" ثم وضع كلمة "ابن" بين قوسين ،who was the son of BARON SUNBAT the brother (son ?)BARON CONSTANTINE PALI (ابن (p.381) البارون قسطنطين).ولكن الصحيح "شقيق" كما ورد فى النص السريانى (ص١٣٦ عامود ٢ سطر ٢١).

استيلاء التتار على سمرقند[١٤٣]

وفى هذه السنة سنة ٦١٨ هجرية (١٢٢١ ميلادية) بعد أن أخذ التتار مدينة بخارى[١٤٤]، جاءوا وعسكروا عند سمرقند المدينة الكبيرة التى نشأت بها قرى كثيرة محاطة بحدائق رائعة. وترك السلطان محمد مائة وعشرة آلاف مقاتل لحراستها. وعندما سمع جنكيزخان عن مناعتها بفضل هؤلاء المحاربين ذهب بنفسه لمهاجمتها، وحاصرها المغول وهاجموا الأبراج وقذفوها فاشتعلت الحرائق. وفى اليوم الثانى خرجت القوات التى كانت فى الداخل سيرا على الأقدام أمام التتار. وحاربوا حربا شعواء وقتلوا عددا كبيرا من التتار، وخطفوا آخرين أحياء وأخذوهم إلى المدينة ونكلوا بهم وقتلوهم بطريقة وحشية. ولقد ذعر المواطنون جدا عندما رأوا ذلك وقالوا لبعضهم البعض: إذا لم نأخذ حذرنا من الانتقام سنؤخذ قطعا من التتار. واجتمعوا وبحثوا الأمر وأرسلوا رجالا إلى جنكيزخان ووعدوه أن يفتحوا الأبواب ليلا ويسلموا المدينة. وفرح جنكيزخان بذلك وأعطى عهد ضمان لحياتهم. وعندما حل المساء اجتمع قاضى المدينة وشخص آخرهوشيخ الإسلام وجماهير غفيرة وفتحوا أبواب المدينة ودخلها المغول وهرب محاربو المدينة واختبأوا فى القلعة. وبدأ التتار فى أخذ الأسرى وفى النهب. وأخذوا رجال المدينة ونساءها: مائة مائة إلى خارج المدينة وأجلسوهم فى جماعات ما عدا الخمسين ألف الذين كانوا قد هربوا مع القاضى ومع شيخ الإسلام[١٤٥] فإنهم لم يخرجوا. وعندما حل الظلام خرج التتار وقتلوا كل الذين كانوا قد هربوا إلى خارج المدينة ولم يتركوا حيا إلاّ الأبناء والبنات الذين كانوا دون العشرين. حينئذ قام أحد الحكام الموجودين بالقلعة بعمل فائق فى الشجاعة؛ فلقد أخذ حوالى ألف رجل وتخلل قوات التتار وعبر بينهم، وهربوا دون أن يؤذوا أحدا وذهب هذا الصاحب إلى خراسان عند السلطان محمد.

استيلاء التتار على خوارزم[١٤٦]

أخيرا بعد أن استراح جنكيزخان باستيلائه على سمرقند أرسل ابنيه: جغاتاى وأوكتاى إلى خوارزم. وخوارزم اسم إقليم واسم مدينة كبيرة فى إقليم جرجانية. [١٤٧]وقد كانت عادة التتار أن يتقدم الجيش بعض الرجال، فعندما وصلوا إلى بوابة المدينة ظن المواطنون أن هؤلاء الرجال قلة فخرج حشد كبير من الفرسان والمشاة من المدينة ليقابلوا هؤلاء التتار . وعندما وصلوا إلى كرمة أحد الرجال الذى يدعى: كورم، وكانت على بعد ميل من المدينة، انقضت عليهم قوات المغول وقتلوهم جميعا. ولقد هلك حوالى مائة ألف، وجاء التتار منتصرين وجعلوا أنفسهم بسهولة أسياد المدينة وخربوها وقضوا على مَنْ بقى من الأهالى. وكان السلطان محمد♦ قد غادر البلاد مرة أخرى وذهب إلى بلدة خراسان. وكان هناك دائما يستشير نبلاءه أين السبيل، وكيف نستطيع إنقاذ أنفسنا من أيدى العدو الطاغى؟ فقالوا: "لا أمل فى البلاد التى خلف نهر جيحون،أما فى خراسان التى فى ضواحى القلعة فمن الواجب أن تستعد القوات لمحاربتهم ونتوقع مجيئهم". وقال السلطان: "لم يبق لنا قلب لمحاربتهم وإذا قدموا علينا فلا يوجد أمامنا إلا الفرار من أمامهم إلى الهند". ولكن ابن جلال الدين خوارزم شاه لم يوافق على الفرار، وصمم على الحرب حتى يموتوا فى المعركة. ولكن والده عنفه على هذا الرأى، وبدأ يأكل ويشرب مثل شخص ينتظر الموت، ويسعد نفسه بمباهج الدنيا بطريقة من يرغب فى إشباع نفسه بملذاتها. وبينما هو فى انشغاله ذلك سمع أن التتارعبروا مياه الجيحون، فترك خراسان وهرب إلى همذان وأرسل زوجاته وأبناءه الصغار إلى قلعة بالان. وعندما وصل التتار إلى همذان هرب السلطان إلى الجبال المواجهة لماذندران، وعندما طاردوه هناك هرب وخرج إلى إحدى جزر هركند[١٤٨]، وبقى هناك حتى وصلت الأخبار أن التتار

♦ السلطان محمد : هو علاء الدين محمد بن تكش.(تاريخ مختصر الدول ص٢٣٣).

حكموا القلعة التى تقيم بها عائلته وأخذوا زوجاته وأبناءه وبناته أسرى، وأنهم قتلوا الذكور وأرسلوا الإناث إلى قراقورم. عندئذ أصيب بحزن شديد ومرض بمرض خطير، ورحل عن العالم فى الجزيرة وهناك دفنوه. وبعد فترة نقل إلى قلعة تسمى: أردهن(١٤٩). وعندما سمع جلال الدين بن سلطان محمد بوفاة والده سافر فى ليلة واحدة تسعون ألف فارس. وعندما سمع جنكيزخان أن جلال الدين خوارزم شاه أقوى من والده أرسل إليه قوة كبيرة العدد من المغول، وسمع جلال الدين وجاء لمقابلتهم. وعند مقابلته للتتار أمر أتباعه أن يستعدوا، فأخذ كل واحد جواده بيده محتقرين الموت، وقام كثير من المغول بقذف السهام حتى المساء. وهذه الليلة أمضى كل من الفريقين المحاربين طيلة الليل فى أماكنهم. وفى اليوم الثاني عندما رأى التتار شجاعة الخوارزميين♦ أداروا وجوههم للفرار، فطاردهم الخوارزميون وقتل حوالى خمسمائة من أبطال التتار.

عندما سمع جنكيزخان ذلك وصل كالبرق بقوة كبيرة لايمكن حصرها، وبمجرد أن رآهم جلال الدين عرف أنه لا يضارعهم فى القوة؛ ولذلك أدار وجهه ناحية الشرق ليعبر نهر الجيحون وأرسل لتجهيز السفن. وسمع جنكيزخان ذلك فأرسل قوة كبيرة أمامه احتلت طريقه، ولم يبق له أمل آخر إلا القتال حتى آخر نفس. وبدأ القتال بين الجانبين وكسر الجناح الأيمن للخوارزميين كما كسر _أيضا_ الجانب الأيسر للمغول، وبقى جلال الدين خوارزم شاه فى النصف مع سبعمائة فارس فقط، وكان يقفز كالذئب من جانب إلى آخر ويقذف بقتلى التتار. وازداد خطر المغول أكثر وأكثر وأحاطوه من كل جانب، فقبض على أحد أمراء خوارزم وكان ابن خال جلال الدين، ولما لم يبق له أمل آخر نزل من فوق جواده وقتل أهل بيته وأولاده وبكى بحزن وأسى ثم تركهم وركب حصانه وقال للفرسان من أتباعه:" الذى

♦ الخوارزميين : لقد ذكر BUDGE فى ترجمته الإنجليزية أنهم ليسوا الخوارزميين ولكن "خوارزم شاه"
.THE TATARS saw the hayery of KHAWARAZM SHAH p.384)

يحبنى يبقى معى فى حياتي وفى مماتى" . امتطى جواده هو وفرقة التتار وبينما هو يسير ألقى بنفسه فى الماء. وعندما رأى جنكيزخان ذلك أسرع إلى شاطئ النهر ونظر واندهش، وأراد بعض المغول أن يقذفوا بأنفسهم فى المياه ويطاردوه. ولكن ملك الملوك لم يسمح لهم ووضع يده على فمه وقال لأبنائه: "إنه من الضروري أن يعيش مثل هذا الرجل لينجب أبناء ". وقال لنبلائه:" إن من كان مثله لابد أن يدعى رجلا، لأن أعماله تدعو إلى الإعجاب، كما أنه رجل ذو فهم ولا يمكن أن يأتي من نسله رجل خامل". وتمكن جلال الدين من الخروج من المياه بسيفه ورمحه ودرعه وبقى مع ستة من الفرسان الذين استطاعوا أن يعبروا بحد السيف. وبقى هناك على ضفتي نهر جيحون لمدة يومين حتى جمعوا خمسين فارسا آخر واتجهوا إلى الهند، كما لحق به حوالي مائة فارس. وقد أرسلوا شخصا أمامهم للاستطلاع، فذهب وتجسس على البلد وأخبرهم أن هناك حوالي ألفين من قوات الهند فى مكان ما. وذهب الخوارزميون◆ وأسروهم وقتلوهم جميعا، وأخذوا جيادهم وزاد عددهم وأصبحوا نحو خمسمائة فارس. واجتمع من الهند حوالي خمسة آلاف جندى وجاءوا وقابلوهم وانهزم الهنود مرة أخرى. وعندما سمع باقى الخوارزميين والهاربين والمختبئين فى أماكن مختلفة جاءوا إليه، وكانوا ما يقرب من ثلاثة آلاف. وعندما رأى ملوك الهند أنه ليس لديهم قوة كالخوارزميين أقاموا صداقة مع خوارزم شاه وأرسلوا له هدايا كثيرة. لكنهم لم يتمكنوا من العيش فى تلك البلاد بسبب الحر كما بدأوا يمرضون وسمعوا _أيضا_ أن التتار تركوا خراسان ◆◆ وعبروا الجيحون إلى الشرق _ أخذ جلال الدين كل الذين

◆ الخوارزميون: فى النسخة السريانية ذكر أن الذين ذهبوا هم الخوارزميون، وهذا صحيح لأننا نلاحظ أن الأفعال جاءت فى صيغة الجمع (صV 137 عامود ١ سطر ١٩).أما النص الانجليزى: (ذهب خوارزم شاه)(KHAWARAZM SHAH went p. 384).

◆◆ خراسان : لقد ذكر BUDGE فى ترجمته أن التتار تركوا خوارزم، لكن هذا ليس صحيحا لأن التتار تركوا خراسان **they heard also that the TATARS had left KHAWARAZM and crossed the GIHON to the EAST)** . وذلك يطابق ما ورد فى المتن السريانى (صV 137 عامود ١ سطر ٣٢) (أبو الفداء :المختصر فى أخبار البشر ج٣ ص١٢٨).

كانوا معه وخرجوا من الهند وجاءوا إلى شيراز[١٥٠] وأرسل إليه أتابك سعد صاحب شيراز أموالا كثيرة وعبيدا وجوارى، ومن هناك ذهبوا إلى أصفهان.

فى سنة ٦٢٠ هجرية (١٢٢٣ميلادية) أخذ السلطان علاء الدين قلعة حصينة على شاطئ بحر أدريانوس وأطلق عليها اسم: "علايا"[١٥١].

مقتل أمين الدولة فى بغداد

فى هذه السنة (٦٢٠ هجرية) فى اليوم الثامن والعشرين من الشهر الخامس العربى* فى الليلة الخامسة قتل الطبيب المشهور المعروف بخصاله الحميدة": أمين الدولة أبو الكرم سعد بن توما البغدادى[١٥٢] أحد يعاقبتنا. كان ماهرا فى فن العلاج وصادقا فى أعماله وكان متفهما متحرر العقل، يعطى المحتاجين ويجيب على أسئلتهم ويلبى حاجتهم. وكان هذا الرجل محبوبا ومكرما من الخليفة الناصر، ووصل إلى مكانة عالية حتى إن كل إدارة المملكة وأبناءه وبناته وزوجاته كانوا تحت رعايته؛ لأن الخليفة الناصر كان قد ضعف بصره فى الأيام الأخيرة ولم يستطع أن يرى ويكتب أسرارا إلى الوزير . وحدث أن سيدة فى بغداد تدعى ست نسيم[١٥٣] كانت تكتب بخط لا يمكن تمييزه عن خط الخليفة فأحضرها الناصر وأوضح لها أسراره وكل شيء أراد كتابته أمرها أن تكتبه. وعندما وصلت الرسائل إلى الوزير ظن أنها مكتوبة بأصابع الناصر؛ لأنه كان يخفى ضعف بصره عن الوزير. وظل الأمر هكذا لبعض الوقت، فقام أحد الطواشى، ويدعى تاج الدين رشيق، وتصادق مع هذه السيدة فكانوا يكتبون وينقلون كل ما يريدون باسم الخليفة إلى الوزير. وفى أحد الأيام كتب الوزير مؤيد الدين بن قسيمى إلى الخليفة بشأن موضوع ما، فجاء إليه الرد مضطربا وغير منظم. وعندما شك فى ذلك

* الشهر الخامس العربى: هو شهر جمادى الاول

أخذه إلى أمين الدولة * المشهور، وسأله سرا عن هذا، وكشف لـــه ضـــعف بصر الخليفة وأن هناك امرأة تكتب هذه الرسائل وتقلد خـــط الخليفـــة، وأن الطواشي رشيقاً كان شريكا معها، وأنهما كانا يكتبان كل ما يريدان بدون علم الخليفة. ومنذ ذلك الوقت أصبح الوزير مهملا فى تنفيذ الأوامر التى تطلـــب منه. وظنت المرأة والطواشي أن أمين الدولة قد أذاع سرهما لأنه كان الوحيد الذي يعرفه دون باقى الذين كانوا يستطيعون مقابلة الوزير؛ لـــذلك أقنعـــوا أخوين كانا معروفين بأنهما ولدى قمر الدين بالقضاء على أمين الدولة. وبقيا فى انتظار الطبيب فى إحدى الليالى عند مغادرته لقصر الخليفة ذاهبا إلـــى منزله وانقضا عليه وطعناه بخنجرين، وعندما رآهما صرخ قائلا: "امسكوهما لأنهما كذا.. وكذا.. وكذا.." . وسمعه هذان الرجلان الشريران ورجعا مـــرة أخرى وقتلاه طعنا، أيضا، الرجل الذي كان يحمل له المصباح. وفى الحـــال وقعت المدينة وكذلك قصر الخليفة فى حالة رعب، وحمل الرجل القتيل ونقل إلى منزله ودفن هناك . وبعد ستة شهور حملوه إلى دير القـــديس تومـــا(١٥٤) ودفنوه مع آبائه. وقبض على القاتلين المتهمين فى الليلة نفسها التى قتل فيها الطبيب المشهور، وصلبوهما** فـــى الموقع نفسه الذى قد قتلاه فيه. ولقد ترك أبناءً مكرمين: شمس الدولة، وفخر الدولة، وتاج الدولـــة. ووصـــل الثلاثة إلى مكانة عظيمة، وكان أعظمهم شأنا شمس الدولة.

فى هذه السنة سنة ٦١٨ هجرية (١٢٢١ميلادية) توفى جـــلال الـــدين حسن رئيس الإسماعيلية وجاء بعده ابنه علاء الدين محمد***(٢٢١)، وكـــان ابن تسع سنوات. كان هذا الغلام قد نشأ مع صبية صغار من مثـــل عمـــره يقومون برعى الغنم والإبل والجمال. وقد أوكل إدارة شئون ملكـــه للنـــساء.

---

* أمين الدولة : فى النسخة السريانية هذا الاسم مكتوب بعدة طرق وكلها خطـــأ (ص٧ 137 عـــامود ٢ سطر ٦)/ و(ص٧ 134 عامود ٢ سطر ١١/ (ص١٣٨ عامود سطر ١٠).

** صلبوهما : قبل صلبهما شقوا بطونهما.

*** علاء الدين محمد :هو ابن جلال الدين حسن (النجوم الزاهرة ج٦ ص٦٢٢)

وبعد أن حكم لمدة خمس سنوات قام أحد الأطباء الذين كانوا معه ففتح وريدا وسحب منه كمية هائلة من الدم دون أى مرض يستلزم ذلك. ولذلك سيطر عليه السحر الأسود، وبدأ فى تصور تصورات مخيفة. وظن فى نفسه الألوهية. ولأن عقول الخاضعين له كانت مختلة فقد صدقوا كل ما قاله لهم ولم يؤنبه أحد. بل إن كل من سبه أو لعنه كان يموت موتة سيئة شريرة. وبسبب خوف الرجال الحكماء الذين كانوا فى خدمته فإنهم عظموه كما لو كان إلها. وكان علاء الدين يكره دائما التزين فى ملبسه، وكان يرتدى ملابس مصنوعة من الصوف وعمرقوبا زرقاء وكان يعيش دائما مع الغنم. ولقد قيل: إنه فى يوم ما بينما كان يجلس على حافة جبل عال مع رسل من قرى أخرى محيطة إذ بإشارة من حاجبيه قذف خمسون من الرجال الذين كانوا معه بأنفسهم من فوق قمة الجبل وماتوا. وهكذا سيطر الخوف منه على كل ملوك الأرض وانحنوا تحت نير الخراج الذى كانوا يعطونه له، وكانوا يرسلونه مع خيرات بلادهم.

وفى سنة ٦٢١ هجرية (١٢٢٤ ميلادية) توفى فى سميساط الملك الأفضل بن صلاح الدين بن أيوب[١٥٥] صاحبها. وكان محبا للآداب، شغوفا بالمنطق، ميالا للشعر. ولكن حركته كانت ضعيفة كما كان ينقصه التفكير الراجح الذى هو من ضروريات الملك؛ لذلك حرم من مملكة أبيه، وبدلا من أن يأخذ المملكة الكبيرة أخذ ضد رغبته جزءا صغيرا.

وفى سنة ٦٢٢ هجرية (١٢٢٥ ميلادية) توفى الخليفة الناصر أبو العباس أحمد[١٥٦] عن سبعين عاما فى ليلة غروب عيد الفطر. وكان يقظا جدا وحريصا، كما كان يغير مكانه ويخرج ويتجول فى أسواق بغداد. كان همه أن يعرف كل صغيرة وكبيرة من الخيط إلى الإبرة، وكان يظهر نفسه من وقت لآخر فى لباس الأتراك، وأحيانا فى لباس الفرس، وأحيانا فى لباس التجار وبسبب هذا هلك الكثيرون. وعندما كان يشعر بأن أى شخص قد عرفه فإنه كان يرسل ويقتله دون رحمة، فهو رغم هذا لم يكن يخفى نفسه

لأنه اعتاد أن يسير مع رجال مشهورين يشاركونه سره؛ ولهذا السبب كان الرجال يهربون من أمامه عند مروره. أكثر من هذا كان الرجل يخشى أن يتحدث إلى زوجته سرا فى منتصف الليل خشية أن يكون فى المنزل أو على السطح، أو لأنه سوف يظهر عندهم متسلقا السطح، وعلى حوائط مساكن الرجال. فكان شغوفا لسماع تفاصيل ودقائق الأحداث التى حدثت، ليس فقط فى بلاده ولكن، أيضا، فى ممالك الملوك الآخرين. لقد قيل: إن خاتون بنت السلطان قلج أرسلان، التى كانت تدعى خلاطية، جاءت إلى بغداد فى طريقها للصلاة فى مكة، وأنهم أخبروه عن جمالها فأرسل لها سيدات قصره ليخطبوها له، ولكنها اعتذرت بأن لها زوجًا ولا ترغب فى الخطوبة، وغادرت البلاد ذاهبة إلى مكة. ولكن لشدة خوفها منه قررت أن تعود إلى بلدها عن طريق سوريا. وعرف الخليفة الناصر أنها تستعد لذلك فأرسل خلفها جماعة من الفرسان كما لو كانوا ذاهبين للصلاة . وعندما أرادت الذهاب من طريق آخر أحضروها مرة أخرى إلى بغداد بالقوة. وبمجرد أن وصلت بلغها خبر وفاة زوجها . كيف إذن مات؟ الله وحده يعلم!! فأرسل وأحضرها إلى قصره واتخذها زوجة وأحبها كثيرا. وعندما رغبت فى أن يكون لها قصر كالذى كان لها فى خلاط وحديقة عرف منها التفاصيل، واستدعى الوزير ليلا وأعطاه رسما للقصر وللحديقة، وخرج بعدها وجهز مائتي مهندس وألفى عامل، ووفر الحجارة بمقادير كافية وظلوا طوال اليوم كل واحد فى جانب، وأخذوا الأبواب المطبقة التى بنيت من الأبواب الأخرى للقصر، ووضعوها فى البوابات الجديدة التى كانت على نفس مقاس الأبواب المغلقة المطبقة، وأيضا نزعوا من الأرض الأشجار التى كانت مزروعة هناك وزرعوها فى الحديقة التى حرثوها. وعندما حل الظلام كان كل العمل قد أنجز وبسطت السجاجيد والمفروشات وكل شىء قد جهز ومرت عليه سيدة خلاط. وبعد سنوات ماتت وحزن عليها حزنا شديدا، وأمر بهدم القصر والحديقة وتركهما خرابا . وفى المكان نفسه بنى لها مقبرة يؤمها الرجال المؤمنون فى أيامنا هذه، وكانت توزع فيها النذور والصدقات

وبعد الناصر حكم الظاهر[١٥٧] ابنه لمدة تسعة شهور. كانوا يدعونه فى حياة أبيه: وارث الملك. ولقد خاف الناصر أبوه فألغى تعيينه وحبسه وأعلن ابنه الصغير المسمى الأمير على[١٥٨] ملكا. ومات الأمير على فى أيام أبيه وترك أطفالا صغارا، وحزن عليه والده حزنا شديدا لا حد له؛ حتى إنه أرسل إلى جميع الملوك وأخبرهم بأن لا يرسل أحد منهم إليه رسولا أو خطاب عزاء. وجلس وحده فى بيت مظلم أياما كثيرة، وحزن كل شعب بغداد أيضا. وفى كل عائلة جلست جماعة من النساء وأخذن فى النحيب، وخرجن إلى أسواق بغداد مرتديات الخيش ووجوههن مطلية بالسواد مطلقين أصوات حزن ونحيب عالية، واستمر هذا لأيام كثيرة. ولقد صدر أمر أن كل من تريد البكاء فلتبك فى بيتها ولا تخرج النساء مرة أخرى. وعندما توفى الخليفة الناصر أحضر النبلاء ابنه الظاهر من سجنه لحبهم له ولطيبته، وأقسموا له وأجلسوه على عرش أبيه. وعند تنصيبه قال:" كيف يستطيع المرء أن يفتح خانا بعد الساعة التاسعة مساء؟ لقد ناهزتُ الخمسين عاما". وعندما تولى منصبه أظهر العدل والبذخ واليسر، وأعاد الأموال التى كانت قد أخذت إلى أصحابها لأن والده كان بخيلا، ونزع الخوف من الناس وقمع الظالمين، وبنى جسرا آخر فى بغداد على دجلة، فأصبح بها جسران وكانت قبل ذلك ولمدة مائتي سنة لا يوجد بها سوى جسر واحد.

وفى هذه السنة خرج الملك المعظم [١٥٩]صاحب دمشق ونهب بلدة حماة، وسمع أخوه الملك الأشرف وأرسل إليه ووبخه على هذا وتشاجر معه. وأرسل إليه شهاب الدين غازى الأخ الآخر، وكان صاحب خلاط وميافارقين وجعله يثور على الأشرف. وخرج الأشرف وذهب إلى خلاط وأخذها من أخيه فى معركة دارت بينهما. وعندما أسر أخاه لم يقتله ولكنه ترك له ميافارقين وأرسله إلى هناك. فى هذا الوقت أرسل البارون قسطنطين بالى إلى القديس أغناطيوس بطريركنا، إلى القديس قسطنطين كاثوليكى (الأرمن)، وإلى بنت الملك، لاون أن تخرج من سلوقية ليحل السلام ويتمكنوا من إقامة

اتفاق لصالح المجموعة المسيحية، لأنه بسبب الانقسام كان السلطان علاء الـدين سيد بيت الروم صاحبا لكثير من قلاع سلوقية. وذهـب هـذان المقدسـان وناشداها وطلبا منها الخروج من سلوقية، ولكنهـا رفـضت طلبهمـا بـل وأهانتهما وأسمتهما: أعوان القتلة وسافكى الدم البرىء. ولما لم تكن هنـاك وسيلة للاعتذار لها تركاها وعادا يجران أذيال فشلهما. حينئذ ذهب بالى إلى هناك وطلب من القديسين أن يعطوها له بالقوة. فأجابوا: إن منازلنا وقلاعنا ملجأ للمسيحيين ولا يستطيع تسليم ملكة لجأت لحمانا. حينئذ عمل بالى خطة واشترى منهم بالذهب القلعة بكل ما فيها وأخرجهم منها، وأصبح هو الـسيد والصاحب. فأمسك بذراع الملكة وأخرجها وأحضرها بالقوة إلى طرسـوس، وجمع البطاركة والقساوسة والرهبان وتوجوها مع ابنه حاتم. وأعلن هيثـوم ملكا على سلوقية فى اليوم الأول من أسبوع عيد الفصح ، فى اليوم الرابـع عشر من حزيران (يونيو) سنة ١٥٣٧ يونانية (١٢٢٦ ميلادية) وبقيت الملكة زابيل لمدة عشر سنوات دون أن تسمح للملك حاتم أن يقترب منها، وبعد ذلك تصالحت معه وأنجبت له بنين وبنات.

وفى سنة ٦٢٣ هجرية (١٢٢٦ ميلادية) توفى الخليفة الظاهر فى اليوم الرابع عشر من الشهر السابع♦ . وبعد الظاهر (حكم) ابنه المستنـصر[١٦٠] لمدة سبعة عشر عاما. وقد بدأ حكمه بطريقة متفتحة، فكان يركـب ويـدخل ويخرج ولا يختفى عن أحد. وأظهر عدالة أوسع من عدالة والده . وبدأ فـى توزيع الصدقات بسخاء، وجدد كثيرا من المبانى. وبنـى مدرسـة سـميت باسمه[١٦١] ولا يوجد لها نظير فى العالم، ورتب فيها أربعة من المدرسـين؛ فى كل مذهب مدرسا وثلثمائة فقيه. وكان يعطى معلم القانون ما يكفيه يوما بيوم وبنى لهم حماما خاصا لا يسمح بدخوله للغرباء، وعين لهـم _أيـضا_ طبيبا خاصا كان يعالجهم عند مرضهم.

♦ الشهر السابع : هو الموافق لشهر رجب.

وفاة جنكيزخان

في سنة ٦٢٤ هجرية (سنة ١٢٢٦ ميلادية) عندما عاد جنكيزخان من بلاد خراسان إلى الشرق أعد نفسه للذهاب لغزو بلاد تنكوت التى على حدود الهند. وفى أثناء رحلته أصابه مرض خطير بسبب عفونة الجو. وعندما فقد الأمل فى مساعدة الأطباء أرسل ونادى على أبنائه: جغاتاى وأوكتاى، وتولى وكلكان، وجورختاى، وأوردجار، وقال لهم:" إننى على وشك الرحيل، ومن كل الوجوه ومن الطبيعي أن أرى أن أحدا بمفرده لا يستطيع أن يحتفظ بملكي دون أن يهتز. هذا ما أتمناه كما قلت لكم مرات كثيرة: أوكتاى سيجلس على كرسى العرش مكانى لأننى أثق فى فهمه وتنظيمه والآن يا أبنائى ما رأيكم؟". عندئذ ركعوا كلهم على ركبهم وقالوا: "والدنا وسيدنا، كلنا عبيدك ونستمع لكل ما تأمر به وتوجهنا". بعد ذلك اشتد مرضه ورحل عن العالم فى اليوم الرابع من شهر رمضان فى هذا العام◆. حينئذ أرسل الحاضرون بعضهم إلى البعض واستدعوا كل الأبناء والأقارب من سهول القفجاق:(١٦٢)" الابن الأكبر توشى"، وأيضا هاردو◆◆ وباتو وسيبان وتنكوت(١٦٣) وبركة وبركجار وبوقاتيمور وأقناس شغاتاى. ومن الجنوب استدعوا أوكتاى الذى أوصى له بالملك. ومن الشرق استدعوا عمهم أوتكين بلكتاى نوين الجتاى نوين وتولى، وبقية الإخوان الصغار الذين كانوا فى معسكر جنكيزخان. وبقوا كذلك سنتين على الأقل حتى اكتملت المجموعة، وأجلسوا أوكتاى على كرسى الملك كما هو متبع .

◆ فى هذا العام : كانت مدة ملك جنكيزخان خمسًا وعشرين سنة .قال "دى كوين" فى تاريخه: إنه ملك اثنتين وعشرين سنة، وعاش ستا وستين عاما، وتوفى فى الرابع من رمضان سنة ٦٢٤ هجرية. (ابن العبرى: تاريخ مختصر الدول ص٢٤٤).

◆◆ هاردو : هو أحد أبناء جنكيزخان ولكنه جاء فى المتن السريانى تحت اسم "هررو"(ص٧ 139 عامود ٢ سطر ٢٤) وهذا خطأ.أما الترجمة الإنجليزية فقد ذكرت الاسم صحيحا وهو "هاردو"(HARDU p.391)، ولكن لعدم التأكد فقد كتب **BUDGE** اسم آخر بين قوسين وهو"هرو"(**HARRU**).

وفى هذه السنة توفى الملك المعظم ابن العادل صاحب دمشق وأورشليم. كان هذا الرجل مرعبا ومخيفا، وكان يتصور أنه قادر على حكم وإخضاع كل البلاد، وعين المعديين الذين نهبوا بلاد الآخرين، خاصة بلدة حمص وحماة. وقام بعده الملك الناصر صلاح الدين داوود(١٦٤)، وحمل أعمامه الاثنان: الملك العزيز والملك الصالح السروج أمامه .

وفى سنة ٦٢٥ هجرية (١٢٢٧ ميلادية) خرج الملك الكامل من مصر ليأخذ دمشق من ابن أخيه. وعندما جاء إلى السامرة (١٦٥)خرج الإمبراطور(١٦٦) ملك أرمينيا(١٦٧) الكبير إلى يافا ومنع الكامل من أخذ دمشق، وجاء إليه أخوه الأشرف والملك المجاهد صاحب حمص، وذهبوا وعسكروا♦ عند تل العجول وأرسلوا رسلا إلى الإمبراطور ليعرفوا سبب مجيئه، وأجاب الإمبراطور أنه قد خرج لحماية بيت الرب أورشليم. وسلم العرب مدينة أورشليم فقط للفرنجة دون البلدان المحيطة وحل السلام. وفى هذه السنة مات حسنون(١٦٨) الطبيب الرهاوى. وقد دخل هذا الرجل بيت الروم، وعالج سيف الدين أمير أخور واختيار الدين حسن، ومن هناك خرج إلى ديار بكر وعالج أبناء شاهرمن وهزار دينارى الذين جاءوا بعدهم، ثم أبناء العادل الذى حكم هناك، وأخيرا رجع إلى الرها. وعندما سمع أن طغرل الطواشى _الذى كان صديقه منذ أن عالج اختيار الدين_ قد أصبح راعيا ومستشارا لمملكة حلب ذهب إليه. ولكن الطواشى الذى كان ناقص التقدير لم يكرم وفادته بالدرجة التى يستحقها، وعندما انتبه إلى سوء تصرفه أجاب: "لقد أهملته لأنه مسيحى". وظل حسنون الطبيب فى حلب وتألم وحزن كثيرا. وعندما أراد أن يعود إلى الرها أصابته حمى شديدة صاحبها مغص ودوسنتاريا فى الأمعاء ومات فى حلب، ودفن فى دير القديسة بربارا(١٦٩) التى

♦ عسكروا: كان ذلك فى شهر رمضان

ما زالت قائمة هناك. كان رجلا وسيما مفتول العضلات، وكان عليما بفن الشفاء وتفاصيل الفلسفة. لقد قيل عنه: إنه كان يقرأ باستمرار كتاب اللوكرى(١٧٠)، وكان حديثه ممتعا، ويحفظ قصصا كثيرة عن الملوك القدامى والحكماء ولهؤلاء الذين اعتاد رؤيتهم فى أيامه.

وفى زمنه _أيضا_ عرف جبرائيل(١٧١) الطبيب المشهور فى الرها، الذى كتب كتبا كثيرة بالسريانية عن فن الشفاء وعن الفلسفة.

وفى سنة ٦٢٦ هجرية (١٢٢٧ ميلادية) عندما عسكر الملك الكامل وأخوه الأشرف معا فى تل العجول(١٧٢) _اتفقا على أن يأخذا دمشق والبلاد المحيطة من الملك الناصر داود بن المعظم أخيهم، وتصبح مدينة دمشق من مرتفعات بيك للأشرف، ومن بيك حتى غزة للكامل، ويعطى الأشرف إلى الملك الناصر بعض الأماكن فى الشرق بدلا من دمشق، ووافقهما الملك الناصر. وعندما ذهب إلى دمشق ليأخذ ثروته ومحتويات منزله ويخرج مرة أخرى ندم ورفض أن يسلم المدينة. وأخذ الأشرف قواته وبعض قوات الكامل _أيضا_ وذهب وعسكر عند دمشق وحاصرها، وعندما لم يتمكن من أخذها أرسل واستدعى الكامل أخاه. وجاء الكامل وشن حربا شعواء على دمشق، وأخذها فى أول الشهر الثامن♦ وسلمها للأشرف، وأعطى الأشرف أخاه الكامل: الرها وحران، والرقة، وسروج، ورأس العين، ومعوذر، وجوملين، بدلا من دمشق. وترك للناصر بن المعظم صاحب دمشق: قلعة الكرك، والبلقاء، وأورشليم، والسامرة. وأرسل الكامل قوات مع الملك المظفر تقى الدين إلى حمص ليأخذها من أخيه الملك الناصر قليج أرسلان.♦ حينئذ نزل

♦ الشهر الثامن : هو الموافق لشهر شعبان

♦ الناصر قلج أرسلان : كانت مدة ملكه لحماة تسع سنوات .

سرا من القلعة وذهب إلى الكامل ووعده بكميات من الذهب حتى لا يطردوه من حماة. ورفض الكامل وقال الناصر له: "إذا أجبرتنى على أخذ حماة منى أقسم لي أن لا تعطيها أخى تقى الدين". وأقسم الكامل وأرسل رجاله ليتسلموا المدينة. فعارض أبناء المدينة والقلعة وقالوا : "لا يحكمنا أحد غيــر ملكنـــا" وبدأوا فى القتال بشدة . حينئذ أرسل لهم الكامل قائلا: "ها هو ملككم تقى الــدين معكم سلموا له". وفرح المواطنون فرحا كبيرا وسلموا لتقى الــدين ودخــل وصعد القلعة. وبعد بضعة أيام سافر إلى حران عند الكامل الذى ذهب لرؤية البلاد التى أعطيت له، وكرمه جدا هو وأخوه. وأعطى له ابنتــه (زوجـــة) وألبسوه كل ما كان معهم من ملابس التشريفة، وأرسلوه من جديد إلى حماة . ولقد قال له بعض الوشاة: إن تقى الدين لن ينزل مرة أخرى من قلعة حمـــاة ولن تراه. وعندما ذهب كرمه الكامل كثيرا. وفى السنة نفسها أصبح السلطان علاء الدين صاحبا على مدينتي أرزنجان وكاماخ.

تنصيب الخان على مملكة المغول بعد جنكيزخان والده

في سنة ٦٢٦ هجرية ♦ (١٢٢٨ ميلادية) اجتمع كل أمراء ونبلاء المغول وأكلوا وشربوا لمدة ثلاثة أيام، وبعد ذلك قالوا لأوكتاى: "إن أمر جنكيزخان قد صدر بأن تحكم أنت بدلا منه". وأجابهم بلهجة الواثق المقتدر: "على الرغم من أن والدنا أمر بذلك فإن لى أخا أكبر منى، وأيضا أعمامى فهم أنسب منى لهذا المنصب. وبالإضافة إلى هذا فإن أخانا "تولى" هو _أيضا_ ابن للمعسكر الكبير وقد كان دائما مشغولا فى خدمة أبينا، وهو مثقف أكثر منى فى القانون، ومتمرس فى إدارة شئون المملكة. إذا كان يعجبكم فليجلس على العرش". فصرخوا جميعا: من غير الممكن مخالفة أمر والدنا المبارك، ولسوف يكون ما أمر به. وكشفوا رءوسهم وألقوا بأحزمتهم فوق أكتافهم، وأخذ جغاتاى يد أوكتاى(١٧٣) اليمنى وأوتكين يده اليسرى، وأجلساه على العرش ذى الوسائد الأربع، والذي يشير إلى أركان الدنيا الأربعة. وأطلقوا عليه اسم: خان. وقدم تولى الأخ الأصغر الكأس للخان ليشرب منه؛ لأن أوكتاى قد قال أمام الجميع: إن تولى يصلح ملكا. وركع على ركبتيه وأظهر له ولاءه الكبير، وفعل ذلك باقى الإخوة الذين كانوا فى الداخل. وضرب النبلاء الذين كانوا خارج الخيام الأرض بركبهم تسع مرات وسجدوا للخان. أما الذين فى داخل الخيام فخرجوا منها وانحنوا ثلاث مرات إلى أسفل فى اتجاه الشمس تبعا لتقاليدهم. وعندما استقر الخان على العرش فتح الخزائن وفحص ثروات والده، ووزع الهدايا على إخوته وأعمامه، وعلى باقى النبلاء؛ كلٌ على حسب درجته ومنصبه. واختار النبلاء _أيضا_ من بناتهم أربعين فتاة عذراء جميلات كالقمر، وزينوهن بجواهر غالية وسلاسل وحلى مرصعة بالأحجار الثمينة، وقدموهن للخان، وكان السرور يعم الجميع.

♦ سنة ٦٢٠ : جاء هذا التاريخ خطأ، والصحيح هو ٦٢٦ هجرية؛ وذلك وفقا لتسلسل الأحداث والتواريخ. كما أن هذا هو تاريخ تولية ابن جنكيزخان الملك.

بعد ذلك أصدر الخان قانونا ينص على أن جميع القوانين والأوامر التى وضعها جنكيزخان يجب أن تنفذ ومن لا ينفذها يقتل. ولأن جلال الدين خوارزم شاه كان فى ذلك الوقت يقفز كالوعل فوق كل بلاد خراسان فقد قام بإرسال الخان جورماغون نوين مع ثلاثين ألف فارس لهذا الجزء، وسنتاى مع قوات كبيرة إلى منطقة القفجاق والبلغار، وعددا آخر كبيرا إلى الهند، وذهب هو بنفسه مع إخوانه وأصدقائه إلى الصين .

وفى سنة ٦٢٧ هجرية (١٢٢٩ ميلادية) أخذ الملك الأشرف بعلبك من صاحبها الملك الأمجد، وذهب إلى دمشق وأقام فى قصر أبيه♦ بعد أن أخذ معه كل شيء وجده فى خزانة بعلبك.

وفى بداية السنة نزل خوارزم شاه جلال الدين منكبرتى[١٧٤] بن خوارزم شاه محمد إلى خلاط، وشن عليها حربا شعواء. وكان يقيم بها إخوان الملك الأشرف تقى الدين عباس ومجير الدين يعقوب. وقبل ذلك _منذ خمس سنوات_ أراد جلال الدين خوارزم شاه أن يحكم بلاد سنجار، وجاء إلى دقوقا حيث دمر وأحرق وقتل بحد السيف. ومن هناك ذهب إلى مرج فى شهرزور، وأرسل له مظفر الدين صاحب إربل هدايا عديدة وعقد معه صلحا.

وفى هذه السنة جاء إلى خلاط وأقام عليها عشرين منجنيقا فى جهة البحيرة، واشتعلت الحرب. وكانت المجاعة قاسية على أهل خلاط؛ حتى إنهم أكلوا لحم الكلاب والحمير، واشتروا ليترا اللحم بواحدة سورية أى ست ليترا بابلونى بدينار مصرى. حينئذ جمع السلطان علاء الدين كيقباذ عشرين ألف رجل وجاء إلى ملطية، وأرسل عشرة آلاف إلى أرزنجان واحتفظ بعشرة آلاف عنده، ثم أرسل قوة إلى الأشرف وأبلغه أن يذهب بنفسه ويقابل خوارزم شاه عند خلاط، وإذا أراد الله سيسقى جياده من مياه الجيحون فى

♦ قصر أبيه : أقام الأمجد بدمشق فى قصر أبيه الذى يسمى: "دار السعادة".

فارس. وأرسل _أيضا_ رسولا إلى خوارزم شاه وقال له: "بما أنك سلطان فإنه لا يحق لك أن تعمل عملا غير قانونى"؛ ولذلك حرك الرب جيوش التتار من الشرق ضد أبيك بسبب خيانته، ونزل بيت أيوب وهو منزل عظيم ومبارك . وبعد ذلك خرج مع ألف فارس راكبين مع الإخوة وأبناء الإخوة وأبناء الأعمام وأبنائهم. لا تظن أننى عدوهم ولكننى صديقهم وأنني شخص يحارب فى صفهم لأنه توجد بيننا صلات، وأيضا عمى كان قريبا لهم. وكان الأجدر بك أن تنشئ صداقة معهم حتى نصبح نحن وهم أعداءً لأعدائك.

ولكن خوارزم شاه كان عنيدا وأجاب: إنه من المستحيل ترك خلاط، وشن حربا عليها. بعد ذلك خدعه بعض الرجال من بيت وان، وسلموه المدينة وأصبح رجال خوارزم حكامها. وهرب شقيق الأشرف، ولكن حسام الدين القيمرى(١٧٥) زوج بنت الأشرف من ناحية أخت الأم وعزالدين أيبك صاحب خلاط اختبأوا فى قلعة خلاط، وبعد عدة أيام أخذوا عهدا لحياتهم وسلما القلعة. حينئذ أخذ خوارزم شاه خلاط ولم يحبس شقيقىْ الأشرف، وكانا فى خدمته سائرَين معه يشتركان معه كل يوم فى الرياضة فى الملعب. وعندما سمع الأشرف ذلك خاف وقام سريعا، ووصل إلى أبلستين واجتمع عنده بعض القوات. وخرج _أيضا_ السلطان علاء الدين بقواته، واجتمعوا كلهم فى آق شهر. وعندما سمع خوارزم شاه ذلك ذهب مع قواته لمقابلتهم وكانوا أربعينَ ألفا، ووجدوا ما يقرب من أربعة آلاف فارس من بيت الروم متفرقين عن أتباعهم فقتلوهم جميعهم. واقتربوا مرة أخرى وتقابل الجنود فى معركة فى يوم الجمعة، وكان النصر للملك الأشرف، وأمضوا طيلة الليل يقتتلون. ويقتتلون، وعندما حل نهار السبت توقفت الحرب وهُزِمَ الخوارزميون هزيمة نكراء، وقتل منهم خلق كثير، ولم يستطع أحد إحصاء عددهم إلا الله، وانهزم مثلهم وأسر _أيضا_ بعض القواد المشهورين. وقد هرب الكثير منهم إلى طرابيزون وإلى بلاد أيبريا، وسقط ما يقرب من ألف وخمسمائة من فوق صخرة مرتفعة ليلا وماتوا. وقعت هذه الأحداث فى شهر آب (أغسطس) فى ١٥٤١ يونانية (١٢٣٠ ميلادية)، (٦٢٨ هجرية) لأن صاحب أرزن الروم —

كان ابن عم السلطان علاء الدين وكان زوج ابنته ـــ قد قام بخيانة الـــسلطان وأنشأ صداقة مع الخوارزميين وذهب إلى الحرب قبلهم، وأسر هـــو أيـــضا. وذهب السلطان مع الأشرف إلى أرزن الروم وشنوا عليها حربـــا شـــعواء، وأقسم أهالي البلدة للسلطان أنهم لن يقتلوا صاحبهم الذى أسروه ثم سلموا له المدينة. وكانت بها شقيقة صاحب أرزن الروم الذى تمنى الـــسلطان لمـــدة طويلة أن يتخذها زوجة له، ولم يكن أخوها يسمح له بذلك. ولمـــا تزوجهـــا السلطان فرح بها أكثر من النصر الذى أحرزه. ولكن بعد قليل عندما طلبت من السلطان أن يخلص أخاها من الأسر ثار عليها وقتلها واســـتدعى أخاهـــا وأغرقه فى البحر.

وبعد انكسار الخوارزميين ذهب الأشرف إلى خلاط ليـــصلح الـــدمار الذى حل بها ويعيد بناءها. وأرسل معه السلطان ألف فارس وكثيـــرا مـــن الهدايا ثم عاد إلى بلده. حينئذ أخذ جلال خوارزم شاه أهل بيته وذهب وأقـــام فى مدينة خوى(١٧٦) فى بلدة أذربيجان، وقد أرسل تقى الدين شقيق الأشـــرف مكبلا بالأغلال هدية للخليفة فى بغداد فأطلق الخليفة سراحه وأرسله مكرمـــا إلى الأشرف. فأرسل الأشرف رسولا إلى خوارزم شاه قال له:" إنك جئـــت وخربت بلادنا وقتلت ونهبت ونحن لم نحدث بك أذى، وإذا كنـــت تريـــد أن تنتقم منا بسبب حاجب خرب جزءا من أرضك فانظر لقد قتل فـــى الحـــرب ولقى جزاء أعماله، ونحن نطلب منك أن تترك المدينة التى أخـــذتها بـــالقوة وتتسامح معنا." عندئذ عامله خوارزم شاه باحتقار ولم يبرم معـــه صـــلحا، وترك الأشرف وذهب إلى بين النهرين. وكان الكامل فى مصر وبقى مجير الدين يعقوب شقيق الأشرف فى السجن عند خوارزم شاه .

وفى هذه السنة أرسل الأخوة البؤساء والإسبتاريون وطلبوا من صاحب حماة آلاف الدنانير التى كان يرسلها جزية. وعندما سخر منهم ولـــم يـــدفع جمعوا خمسمائة من الفرسان وألفين وسبعمائة من المشاة وجاءوا ليأخذوا بلدة حماة . وخرج تقى الدين وقابلهم فى معركة وهزمهم .

وفى سنة ١٥٤٢ يونانية، سنة ٦٢٩ هجرية (١٢٣١ ميلادية) طارد التتار الخوارزميين وهرب خوارزم شاه إلى سوريا، ولحقوا به فى بلدة آمد[١٧٧] وهزموا القوات التى كانت معه، وهرب هو وحده من التتار ♦ وصعد إلى أحد جبال صوفيا[١٧٨] وهناك لم يعرفه الأكراد وقتلوه. وقد قال البعض: إن الذى قتل هو حارس ملابسه وسلاحه، أما هو فقد هرب مرتديا ملابس الحارس الذى قتل وكانت منسوجة من الصوف، وتجول فى البلاد سرا. حينئذ غزا جماعة من التتار قلعة زياد، وذهبوا حتى الفرات إلى أعلى حدود ملطية وعبروا سهل هنزيط[١٧٩]. أما الأهالى فبسبب خوفهم هربوا إلى الأماكن والمدن والقلاع التى لم تصب ولم يحدث بها خراب كبير . وعاد هؤلاء التتار وحكموا أذربيجان وشهر زور وأخضعوا الأيبريين . وسمع مظفر الدين ذلك فخاف وطلب مساعدة من الخليفة، فأرسل إليه جمال الدين قشتمر قوة كبيرة ممن بقى من الخوارزميين، وكانوا حوالى عشرة آلاف كانوا قد لجأوا إلى السلطان علاء الدين صاحب بيت الروم، وأعطيت لهم أماكن لإقامتهم، وظلوا تحت رعايته حتى توفى.

فى هذا الوقت بعد أن ورث تولى خان بن جنكيزخان مملكة المغول أخذ قوة كبيرة وذهب إلى بلاد الصين الخارجية الخطاى. وفى البداية عسكروا عند مدينة "حرجا بنو يقسين[١٨٠]" على شط نهر قراموران[١٨١] الكبير، وكان بها عشرة آلاف محارب وشنوا عليها حربا لمدة أربعين يوما. ولقد هرب الذين فى الداخل، وذهب بعض نبلاء المدينة وتسلموا عهدا لحياتهم من الخان، وركب هؤلاء المحاربون السفن وهربوا إلى النهر. وحكم الخان المدينة ولم يتعرض لأحد بالأذى، ومن هناك بدأ التغلغل فى البلاد، حينئذ جمع ملك الخطاى _الذى يدعى: التون خان الملك الذهبى_ قواته

♦ هرب هو وحده من التتار : لم يكن هو وحده الذى هرب؛ فقد ورد فى كتاب المغول "كان السلطان نفسه ضمن من لاذوا بالفرار فتعقبه خمسة عشر من فرسان المغول وأدركه اثنان منهم فقتلهما. أما الفرسان الباقون فقد عادوا من حيث أتوا بعد أن يئسوا من الإلحاق به. (العرينى :المغول ص ٧٢).

وكانت حوالى مائة ألف محارب وأرسلهم لمقابلة التتار. وعندما جاءوا حاصروا التتار محاصرة الخاتم للإصبع؛ لأنهم كانوا محاربين بارعين. وعندما رأى الخان قوتهم لجأ إلى خطة أخرى؛ فأمر السحرة وأهل التعاويذ الذين معه أن يأتوا بحجر المطر، وعندما ألقوا به ومارسوا سحرهم لمدة ثلاثة أيام وليالى بدأت تسقط على الخطاى سيول قوية من الأمطار ورياح شديدة البرودة، وذلك فى أيام تموز (يوليو). عندئذ هاجم التتار الخطاى مهاجمة الذئاب لقطيع الأغنام وهزموهم هزيمة ساحقة، وهرب التون خان إلى مملكته وجمع زوجاته وأطفاله وإخوانه وأهل بيته جميعهم فى قصره، وأمر خدمه فجمعوا كميات هائلة من الأخشاب وأشعلوا فيها النيران فاحترق هو وكل أهله. وجاءت قوات المغول ونهبوا مدينة نامكينك[١٨٢] ومدنا أخرى كثيرة وقتلوا فيها الكثيرين، وأسروا عددا لا يحصى من الأبناء والبنات. ولذلك عاد الخان من هناك مسرورا للغاية، وصعد إلى جبال قراقورم وبنى مدينة أسماها أردو باليق[١٨٣]، أى: مدينة الخيام، المعروفة فى أيامنا هذه بمدينة قراقورم. وأحضر صناعا وسكانا من بلاد الخطاى ومن بلاد العرب◆ وأسكنهم بها. وبينما كان الخان سعيدا بالنصر الذى أحرزه مات أخوه الصغير تولى[١٨٤] الذى أحبه كثيرا. فحزن عليه حزنا شديدا، وأمر زوجة أخيه الراحل _سرقوتنى بيكى[١٨٥] ابنة شقيق الملك يوحنا◆◆ [١٨٦]_ أن تدير أملاكه. كان لهذه الملكة أربعة، أبناء أكبرهم؛ مونككا الذى أصبح بالتدريج خانا، والثاني: قوبلاى، والثالث: هولاكو، والرابع: أريق بوكا. ولقد دربت أبناءها تدريبا جيدا، حتى إن جميع الأمراء حسدوها على قوة تنظيمها. وكانت مسيحية مخلصة وصادقة مثل هيلينا، وقد قال فيها بعض الشعراء " إذا كان لى أن أرى بين أجناس النساء امرأة أخرى كهذه لابد أن أقول: إن هذا الجنس من النساء أعلى من جنس الرجال". وفى هذا الوقت توفى توشى

◆ بلاد العرب : أى تركستان وبلاد الفرس

◆◆ يوحنا : هو أونك خان".

الابن الأكبر لجنكيزخان، وترك سبعة أبناء أكبرهم: تمسل، وهاردو، ♦ وباتو، وسيبقان، ♦♦ وتنكوت، وبركة، وبركجار. وقد اختارمن بينهم الخان باتو وسلم له البلدان الشمالية، وهى بلاد: الصقالبة واللان والروس والبلغار، وكان عرشه عند نهر كبير يسمى: أتل(١٨٧). وبينما كان باتو ذاهبا فى طريقه الشمالى من بلاد أيبريا إلى بلاد البلغار وسقوتاى _أهلك شعوبها بحد السيف وأباد ملكهم . وكان الخان قد أمر بوجوب قطع الأذن اليمنى لكل بلغارى وروسى يقتل. وعندما أحصوا الآذان وجد مع التتار مائتين وسبعين ألف أذن.

استمرت قوة الخان فى الازدياد واستعد لمهاجمة القسطنطينية من جهة البلغار. وسمع ملوك الفرنجة بذلك، واجتمعوا وقابلوا باتو وهزموه فولى الأدبار، ولم يذهب بعد ذلك أحد من التتار إلى بلاد الفرنجة. ولكن ابن باتو _المسمى سرتاق(١٨٨)_ أقام فى سهل القفجاق، وكان يحب الديانة المسيحية، وتعمد وتعلم القراءة والكتابة وعين راهبا. ولقد مات فى طريقه لخدمة مونككا خان، كما سنرى.

وفى سنة ١٥٤٣ يونانية (١٢٣٢ ميلادية) هجم التتار مرة أخرى وضربوا بعض البلاد وعادوا إلى فارس. وعندما رأى السلطان علاء الدين أنه لا يماثلهم فى القوة قرر دفع الجزية لهم، وأنشأ معهم صداقة. وبعد أن تخلص السلطان علاء الدين من القلعة من جهة التتار أخذ خلاط من الأشرف، وأخذ أيضا قلاعا كثيرة من أرمينيا مع بلدة سرمن رأى(١٨٩). وأخذ الكامل صاحب مصر آمد من صاحبها، وأعطى له قرى ليقيم فيها .

♦ هاردو : ورد هذا الاسم فى المخطوطة السريانية بطريقتين . فقد كتب"هررو" (ص ١٣٩ عامود ٢ سطر ٢٤)، وهنا كتب"هردو" (ص١٤٢ عامود ٢ سطر ٢٤) أما الترجمة الإنجليزية فقد كانت صحيحة وكتب الاسم "هاردو" (HARDU P.398)

♦♦ سيبقان : هو ابن من أبناء "توشى" السبع.ورد هذا الاسم فى الترجمة الإنجليزية " سيباان".(ابن العبرى: تاريخ مختصر الدول ص ٢٤٤).

وفى سنة ٦٣٠ هجرية توفى الطبيب موهوب المسمى دخوار الدمشقى، وكان هذا الرجل فى بدء حياته يجلس على سور السوق، وكان يشفى المرضى بالمال، ثم دخل بعد ذلك فى خدمة أحد أبناء العادل وآذى الكثير من زملائه الأطباء وأوقفهم عن العمل. وكان ذا لسان مخادع ومغتاب مختل منحل الخلق. وفى أواخر أيامه أصيب بمرض خطير فى لسانه الذى آذى به زملاءه، ولقد حرم من الكلام وأصيب بالصمم، واشتد عليه المرض حتى انتهى به إلى الموت. ولأنه ربما لم يكن له وريث لذلك كتب وصية تنص على أن يكون منزله مدرسة تدريب لهؤلاء الذين يريدون تعلم وتدارس فن الطب، ووضع، أيضا، جميع كتبه هناك. وبسبب نفسيته الشريرة فإنه حرم على غير المسلمين، سواء اليهود أو المسيحيين، أن يتعلموا فى هذه المدرسة. وقد احترمت هذه الوصية "حتى اليوم" فى دمشق. أما طالبو تعلم الطب من اليهود أو المسيحيين فانهم يتعلمونه خارج حدود تلك المدرسة .

وفى هذه السنة فى الشهر التاسع سنة ٦٣٠ هجرية (١٢٣٢ ميلادية) توفى مظفر الدين كوكبرى بن زين الدين على كجك[٢٥٥] صاحب إربل، ونقل إلى مدينة مكة ودفن هناك. وأرسل الخليفة قواته إلى إربل مع ظاهر الدين أبى على عارض الجأش وقائد القوات بهاء الدين بونجوش♦. وعندما رفض أهل إربل أن يستسلموا أرسل شرف الدين شرابى وشن عليها حربا وأحرق باب عمقاوا. ودخل البابليون إربل ونهبوها وحكموها هى وقلاعها، وكان بها: شمس الدين باتكين، وعارض الجأش، وشريف يدعى أبا المعالى محمد بن نصرى بن صلايا، ومشرف بن صدقة .

♦ بهاء الدين بونجوش : فى النسخة السريانية "بوزجوش"، بدلا من حرف " النون " كتب حرف "الزّاى" .

بداية مملكة بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل

فى سنة ١٥٤٤ يونانية (١٢٣٢ــ ١٢٣٣ميلادية) (٦٣١هجرية) كتبت وثيقة ملكية لبدر الدين صاحب الموصل من الخليفة، ونصب سلطانا لأن الصبى الصغير ناصر الدين محمود بن القاهر بن نور الدين◆ كان قد مات لتوه. أما أبناء العادل فقد زينوا كثيرا للسلطان علاء الدين أن يأخذ خلاط منهم، وحشد جمعا كبيرا من مصر حتى ألبيرة. واجتمع _أيضا_ مع المصريين؛ صاحب قلعة زياد، وصاحب ماردين، وصاحب الموصل، والملك الأفضل بن صلاح الدين صاحب سميساط، وعدد كبير من المعديين والتغالبة. وحشد السلطان _أيضا_ جمعا كبيرا من الفرنجة واليونان والأرمن والأيبريين والخوارزميين وأكثر من مائة ألف كلهم من الرجال المقاتلين.◆◆

وفى سنة ١٥٤٥ يونانية (١٢٣٤ ميلادية) ٦٣٢هجرية أخذهم وذهب إلى بلدة أبلستين◆◆◆(١٩٠)حيث كان المصريون والذين معهم مستعدين للذهاب. وقد بعث أبناء العادل بالجواسيس وعلموا أنهم لا يتحملون قوة السلطان، فذهبوا وأخذوا قلعة منصور ودمروا كل بلاده. حينئذ تشتت تجمعهم ورجعوا إلى بلادهم، وجاء السلطان إلى ملطية مع قوة كبيرة كانت معه، ومن هناك عبر الفرات وذهب وعسكر عند قلعة زياد، واستولى بسرعة على المدينة

◆ ناصر الدين محمود بن القاهر بن نورالدين : فى المخطوطة السريانية كلمة "قرة "غير واضحة (نصف الكلمة الأول غير واضح) (ص ١٤٣ عامود ١ سطر ٣٢).ولكن فى النسخة الإنجليزية (the young the son of ، NASIR AD-DIN MAHMUD the son of KAHIR(KRAH)،man .NUR-AD-DIN p.399)

◆◆ رجال مقاتلين " : كلمة "مقاتل " فى اللغة السريانية تحمل أيضا معنى "صياد" .فقام BUDGE بترجمتها على أنهم صيادون وهذا خطأ والأوقع أن تكون: "مقاتلين" .

◆◆◆ أبلستين : وردت هذه الكلمة فى الترجمة الإنجليزية على أنها "فلسطين"، ولكن الأصح أن تكون "أبلستين". وهى مدينة مشهورة، وتسمى أيضا "أبلستان". تقع شرقى قيسارية بين جبل طوروس والقسم العلوى من نهر جيحان. (الشرق الاسلامى ص٨١).

ونهبها. حينئذ جاء صاحبها مع ستة آلاف فارس من مصر لمساعدته، فخرجوا وذهبوا إلى قلعة المدينة وأقام عليهم السلطان آلات الحرب وطلبوا الأمان لما لاقوه من بؤس الحرب، والجوع والعطش. وأرسل السلطان هؤلاء المصريين _الذين كان رئيسهم شمس الدين صواب كبير طواشى الكامل وصاحب قلعة زياد_ مكرمين إلى مصر مع كل ثروته، وأرسل زوجاته إلى شاطئ البحر. وبعد أن عاش هناك ثلاث سنوات قتله سرا وبنى قلعة المدينة وعمرها، وأرسل مرة أخرى قوات إلى سميساط وخرب البلاد، ولكنه لم يستطع أخذ المدينة. وبسبب مجيء الشتاء ترك السلطان المدينة وذهب إلى أنطاليا _مدينة على شاطئ البحر_ ليمضى بها الشتاء كعادته. وعندما حل الصيف جمع السلطان قواته من عامة الشعب حوالى مائة ألف فارس♦، وعددا كبيرا من المشاة وجهزهم للذهاب إلى مدينة آمد، ثم جاءه خبر أن الكامل كان حزينا للخيانة التى لحقته من ابنه الذى كان يحكم فى الجنوب. حينئذ شك السلطان فى مقدرته على الاستيلاء على آمد لمناعتها وقوتها؛ ولذا أوقف مسيرته وأرسل قوات إلى مدينة الرها فى شهر حزيران (يونيو) فى سنة ١٥٤٦ يونانية (١٢٣٥ ميلادية)، (٦٣٣ هجرية) وشن عليها حربا شعواء. وقد حارب أهل الرها الذين فى الداخل من فوق الأسوار بجدارة. وفى هذه الأيام ذهبت جماعة من قوات بيت الروم إلى سيبابارك فأخذوها وذهبوا إلى قالونيقوس _وهى الرقة_ وأخذوا مفاتيحها، وسلموها للسلطان فى ملطية، فاستقبلهم وأعادهم مكرمين. ولكن أهل الرها كانوا فى منتهى الجرأة؛ فرفعوا أصواتهم يسبون السلطان ويسخرون منه، ولهذا اغتاظ السلطان وذهب بنفسه إليها. حينئذ حاربت قوات بيت الروم بكل قواها ومهارتها،

♦ مائة ألف فارس : ورد فى النص السريانى "مائة ألف فارس" (ص١٤٣ عامود ١ سطر ١).أما الترجمة الإنجليزية فذكرت "مائة فارس"(**the sultan collected his troops from among various peoples، about one hundred horsemen p.400)** ولا يعقل أن يكون الجيش مكونا من مائة فارس فقط.

واستولت على الرها عن طريق الفتحات والسلالم، وصعدت علـــى الــسلالم التى أقاموها على الأسوار أعداد لا تحصى كانوا ينزلون وينهبون قــصور النبلاء. وعبرالرجال والنساء وسرقوا زينة المعابد والأوانى الكنسية المقدسة العتيقة التى بها. وجردوا الرجال والنساء من ثيابهم، وطردوهم خارج المدينة على أكوام الروث الموجودة بين الخيام المصنوعة من الجلد، حيث احترقت جلودهم من شدة الحرارة فى أيام تموز(يوليــو)، وأرســلوا قائــد القــوات والمحاربين الذين وجدوا بالمدينة_ وعددهم حوالى ألفين أرسلوهم عرايا إلى المدن الداخلية فى بيت الروم.

وفى الرها وجدت كميات كبيرة مــن الــذهب والفــضة والــسروج والدروع، ومعدات حرب كان الكامل قد تركها هناك عند عودته من أبلستين. ولقد حصن السلطان الرها من جديد، وترك بها وبحران كــذلك محــاربين ومهندسين ونجارين ورجع إلى بيت الروم.

وعندما سمع الكامل بالكارثة التى حلت على الرها خرج من مصر مع قوة كبيرة وجاء إلى الرها بعد أربعة شهور من رحيل القــوات مــن بيــت الروم. وفى صدام عنيف هدم البرج العظيم لقلعة الرهــا، وأركــب النــبلاء والمحاربين والفنيين على جمال، وأرسلهم إلى مصر.

وفى هذا العام نفسه حدث نقص كبير فى الحبوب فى بيت الروم وبين النهرين، وجفت الكروم والأشجار من شدة البرد الذى حدث من شهر تشرين الثانى (نوفمبر) إلى اكتمال قمر شهر شباط (فبراير)، فتجمد نهــر الفــرات الكبير ولم يسقط المطر على الزرع الجديد.

وفى سنة ١٥٤٧ يونانية (١٢٣٦ ميلادية) أرسل السلطان علاء الدين قوات كبيرة إلى آمد، وشنوا عليها حربا لمدة أربعة شهور. ولكنهم لم يتمكنوا من أخذها، فنهبوا وخربوا ضواحيها وعادوا.

وفى سنة ٦٣٣ هجرية (١٢٣٥ ميلادية) ذهب الملك الناصر داود بن المعظم بن العادل صاحب الكرك إلى بغداد؛ ليشكو للخليفة♦ أعمامه: الكامل والأشرف لأخذهما دمشق منه .

وفى العام نفسه، أيضا، ذهب ركن الدين الملك الصالح إسماعيل بـن بدر الدين صاحب الموصل إلى بغداد لخدمة الخليفة. وفى أثناء ذلك وصـل التتار إلى إربل، ومن هناك جاءوا إلى نينوى وعسكروا عنـد نهـر قريـة كرمليس، وهرب أبناؤها وذهبوا إلى الكنيسة الموجودة بها واستولى التتـار عليها. وجلس اثنان من النبلاء على بابى الكنيسة: واحد منهما أطلق سـراح كل من يخرج من بابه، أما الثاني فقد أباد بحد السـيف الرجـال والنسـاء والأطفال الذين يخرجون من بابه. ومن هناك ذهبـوا إلـى بلـدة سـنجار، وهاجموا على حين غرة معسكر التجار الكبير الذين كانوا ذاهبين إلى سوريا وقتلوهم جميعا.

وفى سنة ١٥٤٨ يونانية (١٢٣٧ ميلاديـة)(٦٣٣ هجريـة) جمـع السلطان علاء الدين شعوبا مختلفة من: المعديين، والخوارزميين، والهـون، واليونان، والفرنجة، والأرمن، والأيبريين، وجهزهم للذهاب إلى آمد. واقترب عيد الفطر عند المسلمين وأقام السلطان احتفالا كبيرا لنبلائـه. وبينمـا هـم يأكلون ويشربون ويستمتعون بكل أنواع الغناء، وكان السلطان جالسا علـى عرشه العالى سعيدا للغاية ومستمتعا بما يرى _شعر بألم فى أمعائه فـذهب إلى الحمام وبدأ ينزف دما بكميات كبيرة. واستمر يتألم بشدة يوما وليلة ثـم فارق الحياة فى اليوم الثاني فى بداية شهر حزيران (يونيو) فى سنة ١٥٤٨ يونانية (١٢٣٧ ميلادية) ٦٣٤ هجرية (١٢٣٦ميلادية)، فى بدايـة شـهر شوال الشهر التاسع ♦♦ فى هذ العام أيضا توفى الملك العزيز[١٩١] صـاحب حلب وحكم بعده ابنه الملك الناصرع صلاح الدين ♦♦♦الذى قتله التتار فـى أيامنا هذه .

♦ يشكو للخليفة : كان الخليفة وقتئذ هو "الخليفة المستنصر" .

♦♦ شوال الشهر التاسع : ذكر أن "شهر شوال" هو الشهر التاسع وهذا خطأ. فشهر "شوال " هو الشهر العاشر .

♦♦♦ الملك الناصر صلاح الدين ابن الملك العزيز : لقد ورد فى الترجمة الإنجليزية أن الذى قتـل الملـك الناصر هم"العرب"، وهذا خطأ وفيه تجنى على العرب من قبل المترجم .

وفى السنة نفسها توفى الملك محسن بن صلاح الدين الكبير فى حلب.

وفى الشهر العاشر من السنة نفسها جاء التتار مرة أخرى إلى إربل، وعسكروا عند نهر الزاب المنخفض. وهرب أبناء إربل عرايا إلى القلعة، وسيطر التتار على منازل المدينة ونهبوها، ثم أحرقوا منازل كثيرة وهاجموا القلعة لمدة أربعين يوما وقد أخذوا الكثير من الذهب ورحلوا.

وكان السلطان علاء الدين كيقباذ فريدا بين ملوك عصره؛ كان متزنا عاقلا عفيفا ذا بأس شديد، كما كان مترفعا عن كل النقائص التى تعود ملوك العرب أن يلوثوا أنفسهم بها، كان قاسيا على المخطئين عادلا فى حكمه. وقد دانت له بلاد كبيرة ومدن تفوق العد والحصر؛ ولذلك بعد نفوذه وامتدت سيطرته.

وفى الساعة التى توفى فيها ظهيرة اليوم المذكور اجتمع النبلاء، وأخذوا ابنه الكبير المسمى، غياث الدين كيخسرو، وأحضروه إلى مدينة قيصرية وبايعوه وأجلسوه على كرسى كيقباذ والده ونصبوه سلطانا. وكانت فرحة لكل الشعب، وأمر بالإفراج عن كل المساجين الموجودين فى مملكته، كما تحرر الذين كانوا فى مصر بموت الذى كان قد أسرهم. ولقد قيل: إن عدد الذين تحرروا من ذلهم بلغ اثنى عشر ألفا. وتمنى السلطان الجديد أن يقبض على رؤساء الخوارزميين خشية أن يثوروا، وقبض على أحد رؤسائهم ويدعى: غايرخان، وهرب الباقون عندما سمعوا بذلك، وخرجوا من بيت الروم، وأحدثوا الخراب والتدمير فى كل مكان مروا به. وجاءوا إلى ملطية وأسروا سيف الدولة السوباشى وقتلوا ببرمير سوباشى خرتبرت، وخربوا بلدة سميساط وعبروا إلى السيداء ومكثوا بها ثلاث سنوات نهبوا خلالها المدن. ثم ذهبوا وخدموا عند شاب صغير يدعى: الملك الناصر صاحب حلب، وأعطاهم الرها وحران والمدن الأخرى فى بين النهرين والأرض الباقية منهم. حينئذ استقدم السلطان الجديد غياث الدين بنت ملك أيبريا وتزوجها وأحبها كثيرا. وترك نفسه لعقلية الطفولة، وبدأ فى شغل نفسه فى

الولائم والتسلى بالطيور والحيوانات، وترك إدارة المملكة فى أيدى عبيده. وكان كل واحد منهم يتصرف كما يبدو له، وكانت الملكة الأيبرية قد جاءت من بلدها فى هيئتها المسيحية، ومعها أحد الكاثوليك ورجال الدين وكهنة الكنائس. وكان معها _أيضا_ شقيقها داود الصغير الذى كان ملك أيبريا الداخلية. وبعد فترة تركت الديانة المسيحية وأصبحت مسلمة. أما أخوها داود والكاثوليكى فقد سجنا فى إحدى القلاع وظلا بها حتى وصل التتار، واستولوا على القلعة التى أُسرا فيها وأطلقوا سراحهما.

وفى بداية سنة ٦٣٥ هجرية توفى الملك الأشرف عيسى بن العادل[١٩٢] بن أيوب فى دمشق عند بلوغه الستين من عمره. ولم يكن هناك حد لسخائه، وكان يحب الملذات♦ والترف كثيرا .

وفى هذه السنة نفسها سنة ١٥٤٩ يونانية (١٢٣٨ ميلادية) عاد التتار مرة أخرى وجاءوا إلى بلدة إربل، ونهبوا وخربوا ووصلوا حتى حدود بغداد إلى الموقع المسمى، زنكاباذ، ونهبوها هى وكثير غيرها. ووصلوا إلى سرمن رأى وقتلوا أهاليها، وخرجت قوات بغداد وقام على رأسهم مجاهد الدين الدوايدار[١٩٣] ورئيس النبلاء شرف الدين إقبال الشرابى. وقابلوا التتار فى معركة وجعلوهم يولون الأدبار. ولخوفهم من رجوعهم مرة أخرى أقاموا مجانيق على أسوار بغداد. وفى السنة نفسها هرب الملك الفائز يعقوب من أخيه الملك الكامل إلى بغداد، وتمنى أن يدخل فى خدمة الخليفة . وبعد قليل توفى الملك الكامل بن العادل [١٩٤] صاحب مصر ودفن فى دمشق، وكان

♦ **كان يحب الملذات** : جاء فى النص السريانى "أنه كان يحب الملذات "، (ص 144 عامود ١ سطر ٢٨)
أما فى الترجمة الإنجليزية "أنه كان يحب اللحوم كثيرا والولائم الفاخرة".(**he was a great lover of dainty meats and luxurious repasts p. 404).**

رجلا حذرا ومخيفا وعاش سبعين عاما♦. وجاء بعده أبنه الملك العــادل(١٩٥) الذى سمى باسم جده فى مصر، وحكم سوريا الملك الصالح شقيق الكامــل، وزادت قوته بين الخوارزميين وأضاف لهم الخابورا. وأراد ابن أخيه الملك الناصر داود _الذى كان فى الوقت نفسه سيد الكرك_ أن يحكمهــا، ولكــن الزمن لم يساعده. كان مثقفا جدا ومتمكنا من دراسة الفلسفة، وقيل: إنه كــان يذهب إلى شمس الدين♦♦ الفيلسوف الدمشقى، وكان يسير قبله بمسافة كبيرة وهناك يترك العبيد الذين كانوا فى خدمته. وكان يحمل كتبه تحت ذراعه♦♦♦ ويذهب إلى الفيلسوف ويقرأ، ولم يكن يسمح له أن يقف له.

وفى السنة نفسها انقض الإسماعيليون على بدر الدين صاحب الموصل ولكنه لم يصب بأذى.

وفى الشهر الحادى عشر♦♦♦♦ من هذه السنة عاد التتار مرة أخــرى إلى حدود بغداد، ووصلوا إلى مكان يسمى: خانقين(١٩٦). وخرجــت قــوات بغداد وقابلوهم وانهزم البابليون، ولم يهرب منهم إلا ثلاثة فقط من النــبلاء والباقون قتلوا بحد السيف. وأخذ التتار غنائم كثيرة ورحلوا.

♦ سبعين عاما : لقد ذكر أن الملك الكامل عاش سبعين عاما وذلك كما ورد فى النص السريانى (ص v 144 عامود ٢ سطر٩)وكذلك الترجمة الانجليزية(**he lived seventy years p.404**)والصحيح انه عاش ستين عاما فقط.(النجوم الزاهرة ج٦ ص٢٢٧).

♦♦ شمس الدين : هو شمس الدين يوسف بن قزأوغلى: (النجوم الزاهرة ج ٦ ص٣٠٣).

♦♦♦ تحت ذراعه : ورد فى النص السريانى "أنه يحمل كتبه تحت ذراعه" (صv 144 عامود ٢ سطر ٢٥) ولكن ترجمها BUDGE إلى "كان يحمل كتبه تحت معطفه

(he would carry his book under his cloak p. 404). الأوقع أن يحمل كتبه تحت "ذراعه"

♦♦♦♦ الشهر الحادى عشر:هو شهر ذو القعدة فى الشهور العربية.

وفــى ســـنة ١٥٥٠ يونانيـــة١٢٣٩ ميلاديـــة)(٦٣٦ هجريـــة ١٢٣٨ميلادية) فاض نهر الفرات وخرب منازل كثيرة فى بغداد. وغرقــت سفينتان وحوالي خمسين شخصا.

وفى السنة التالية لم يحدث شيء يذكر فى البلاد المجاورة .

وفى سنة ١٥٥١ يونانية (١٢٤٠ ميلادية) فى شهر حزيران (يونيو) جاء التتار، ونهبوا المدن من بلاد أيبريا حتى حدود أرزن الروم. وتجمعــت قوات بيت الروم وذهبوا إلى أرمينيا حتى يمنعوا التتار من دخول بيت الروم. وعندما سمع التتار بالتجمع انسحبوا ورجعوا إلى بلاد سقيتيا، وظل أصحاب بيت الروم هناك حتى الشتاء وعادوا إلى بلادهم .

وفى هذه السنة نفسها ذهب تاج بولغارى مؤلف تابريقى رسولا مــن بيت الروم إلى بغداد، ومات بها بالغا من العمر تسعين عاما.

وفى سنة ١٥٥٢ يونانية (سنة ١٢٤١ ميلادية) سنة ٦٣٨ هجريـــة (١٢٤٠ ميلادية) فى شهر تشرين ظهرت هرطقة شيطانية وفتنة دينية عنــد العرب؛ فقد ظهر فى بلدة أماسيا[١٩٧] رجل تركمانى زاهد يدعى: بابا، ولقد أطلق على نفسه لقب رسول، أى: مرسل، وادعى أنه رسول حقيقى من عند الله حقيقة وأن محمدا كاذب وليس رسولا♦. ولقد تابعه كثير مــن التركمــان وآمنوا بسبب التخيلات التى أدخلها عليهم. وأرسل أحد تلاميــذه _ويــدعى: الشيخ إسحاق_ إلى بلدة حصن منصور التى كانت على حدود بلاد الـــروم؛ حتى يستطيع أن يعلم مَن هناك ويعود. وعندما جاء أمر كثيرين بحب ســيده وأعد له أدوات (حرب وتبعه جميع الفلاحين والتركمان)♦♦. وقد باع جميع التركمان حميرهم وثيرانهم وأغنامهم واشتروا جيادا وركبوها، وبــدأوا فـــى

♦ أن محمد كاذب وليس رسولا : وهو ما يقصد به " وناقل الكفر ليس بكافر

♦♦ "فقرة بين قوسين" : هذه الفقرة غير موجودة فى المتن السريانى ولكن المترجم الإنجليزي أضـــافها مـــن عنده ربما يكون من باب زيادة إيضاح المعنى.

نهب بلاد حصن منصور، وكركر،[١٩٨] وكاختين[١٩٩]. وقتلوا كـل مـن لا يعترف بلسانه أن البابا رسول من عند الله ونبى. عندئذ جمع رئـيس أهـل ملطية قواته _حوالى خمسمائة فارس_ وأخذ لمساعدته بعض الذين عملوا فى دير القديس برصوما واختارهم بعناية، وخمسة من المشاة يقذفون بالـسهام. وذهبوا وقابلوا التركمان، وهزم أبناء بيت الروم ولم يهرب من أبناء الدير إلا القليل . حينئذ اشتد ساعد التركمان وانضمت لهم أعداد كثيرة، وذهبوا إلـى بلدة أبلستين، وحاربوا القوات هناك. ووجدوا صعوبة فى الذهاب إلى أماسيا ليقابلوا الذى آمنوا به. عندئذ دبر نبلاء بيت الروم كمينا للشيخ البابا وأمسكوه وخنقوه. وعندما ذهب إسحاق تلميذه مع أبناء المؤمنين به ولم يجدوه _أذاعوا أنه ذاهب ليحضر الملائكة لمساعدتهم، وشنوا حربا شعواء علـى أماسـيا. واجتمع من بيت الروم حوالي ستين ألف فارس ولم يتمكنوا مـن مهاجمـة معسكر الستة آلآف عربى، فاغتاظ ألف فارس من الفرنجة كانوا فى خدمـة السلطان وصروا بأسنانهم ورسموا الصليب على وجوههم، وذهبوا إلى هؤلاء العرب وشتتوهم. حينئذ تابعهم العرب وحاصروا التركمان كالدائرة وقتلوهم كلهم بحد السيف، ولم يبق منهم رجل أو امرأة أو طفل أو حيوان يوجد فيـه نفس. وهكذا أخمدت تلك الهرطقة.

وفى هذه السنة تجمعت قوات بيت الروم وأقاموا على رأسـهم سـنان سوباشى قلعة زياد، الذى عين بدلا من ببرمير الذى قتل. وذهبوا وعسكروا عند آمد التى كان صاحبها ابن الكامل فى مصر. وأبرم الذين كانوا من بيت الروم معاهدة مع الحراس ووعدهم بالفضة وسـلموا لـه المدينـة. وذهـب _أيضا_ رجال حلب مع رجال بيت الروم لمساعدتهم. وعندما أخـذوا آمـد تمنوا أن يذهبوا _أيضا_ إلى ميافرقين ويأخذوها. ولكـن الملـك الغـازى صاحبها شقيق الكامل أرسل واستدعى الخـوارزميين مـن بـين النهـرين لمساعدته وتقوى ولم ينهزم من أعدائه، خاصة أن أهل الجبل قد توقفوا عن القتال لأنه كان شقيق ملكتهم والدة الملك الظاهر والد الملك الناصر صاحب حلب. كان سنان قد أخذ آمد وصدر إليه أمر من السلطان أن يـذهب إلـى

أرزن الروم ويحكم هناك، ويقف أمام ثورة التتار. وبمجرد أن ذهب جاء جورماغون نوين[٢٠٠] بقوة كبيرة من التتار، وفى أيام قليلة استولوا على تلك البلدة المحصنة، وخربوا وقتلوا بحد السيف كل الأهالى الرجال والنساء ما عدا الصبيان والبنات اللائقين للاستعباد، وقتلوا _أيضا_ سنان وغلامه وتركوا البلده خرابا ورحلوا.

وفى نهاية سنة ١٥٥٣ يونانية (١٢٤٢ ميلادية) خرج التتار مرة أخرى ووصلوا حتى بلدة قلعة زياد، ونهبوا كل ما وجدوه ورجعوا إلى فارس.

وفى سنة ١٥٥٤ يونانية ١٢٤٣ ميلادية (٦٤١ هجرية) جمع السلطان غياث الدين قوات كبيرة، واستأجر الفرسان من حلب، ومن اليونانيين، ومن الفرنجة، ومن معد، كما وعد صاحب حمص والملك الغازى صاحب ميافرقين بالحضور. ولكنهم خدعوا السلطان ولم يأتوا. ولقد جاء البارون قسطنطين والد ملك الأرمن هيثوم إلى السلطان عند قيصرية، حيث استقبل بترحاب كبير وجمع هدايا كثيرة. ووعد أن يذهب ويجمع قواته من الأرمن ويأتى لمساعدة السلطان. وسار السلطان فى جهة سبسطيا، وجاء _أيضا_ التتار وذهبوا إلى أرزنجان، وأسرع السلطان وذهب لمقابلتهم، وقابلته قوات التتار فى مكان يسمى كوساذاغ (كوسه طاغ)[٢٠١]، أى: طور مصنطا (الجبل الأقرع) . وفى بداية القتال أداروا وجوههم لغير المدربين ولم يتمكنوا من مواصلة القتال أمام التتار، ثم هربوا فى ساعة واحدة وتركوا السلطان وحده. وكان السلطان مبهوتا، فأخذ زوجته وأبناءه وذهب واحتمى فى مدينة أنقوره. عندئذ رأى التتار أنهم قد هربوا دون أن يضربوا وتركوا خيامهم باقية، فظنوا أن هناك خيانة فى وسطهم وأنهم كالذين يدبرون كمينا، فاختبأوا. وعندما انتظروا يوما أرسلوا جواسيس وتأكدوا أن هذا الهرب ليس خدعة، فزأروا كالنمور وذهبوا لخيامهم ونهبوا كل ما وجدوه، وانتشروا فى بلاد بيت الروم.

وجاءوا إلى سبسطيا♦ (٢٠٢) واستسلم شعبها، وأحضروا ذهبا كثيرا وسلموا بأرواحهم من القتل، وأبنائهم وبناتهم من العبودية. ودخل التتار المدينة ونهبوا الخزائن الملكية، وسلبوا كل شيء أعجبهم، وأحرقوا أدوات الحرب وخربوا سورها. ثم ذهب رئيس آخر إلى قيصرية، ورفض أبناؤها تسليمها؛ لذلك تجمعوا عندها واخترقوا حوائطها بالمنجنيق، ودخلوها ونهبوا الخزائن الملكية وأحرقوا المنازل والمباني، وعذبوا النبلاء والرجال الأحرار وطعنوهم كلهم بالسيف، وسلبوا منهم كل أموالهم. وبعد ذلك قتلوا عشرة آلاف وحملوا البنات والأولاد إلى الأسر. ولما سمعت والدة السلطان غياث الدين بالخراب أخذت ابنتها شقيقة السلطان وعبيدها وجواريها وثرواتها، وذهبت إلى بلدة قيليقية ولجأت إلى البارون قسطنطين والد الملك حاتم، الذى أقنع، أيضا، السلطان بالحضور لمساعدته. ولقد تلكأ حتى يرى نهاية الموضوع.

عندما سمع التتار أن والدة السلطان كانت هناك أرسلوا رسولا إلى بالى والد الملك يطالب بأخذ والدة السلطان. ولقد قال البعض إنَّ بالى لكى يعجب التتارأرسل قائلا لهم:" إن فلانًا معي. أرسلوا وسأسلمه لكم". وبمجرد عودة الرسول سلموها لأيدى التتار. ولقد ظهر هذا العمل البغيض والقبيح أمام جميع الملوك كشيء لا يستحب حدوثه. ولقد أخذت الملكة أسيرة وما زالت حتى يومنا هذا لم تحرر بعد.

وفى هذا الوقت ذهب التركمان من بلاد أبلستين إلى ديرنا العتيق المسمى: دير قرير، وقتلوا به خمسة عشر راهبا معظمهم مدرسون، ومعهم رهبان وخدم كنيسة. وعندما شرعوا فى الهروب أدركهم التتار وقتلوهم بحد السيف. حينئذ انتقم العدل منهم بعد ثلاثة أيام فقتلوا بالطريقة نفسها. وعندما انتشر فى ملطية خبر هزيمة السلطان ذهب سوباشى رشيد الدين مع بقية

♦ سبسطيا : الصحيح "سيواس وليس سبسطيا(تاريخ مختصر الدول ٢٥٢).

أبناء القصر* إلى الخزائن الملكية ليلا، واقتسموا الذهب والفضة التى وجدوها فيما بينهم . وفتحوا الأبواب وهربوا إلى حلب، وكذلك هرب من المدينة المشاهير من نبلائها، وخاصة المسيحيين الذين كانت لهم القدرة على الهرب. وعندما وصلوا إلى جبل يسمى: بيت الحوز(٢٠٣)على بعد يوم واحد من المدينة: أدركتهم مجموعه من التتار وأهلكوا معظمهم، وأخذوا الأبناء والبنات أسرى، وهرب القليل منهم. وذهبوا إلى المدينة عراة وحفاة.

وعندما رأى أهالى المدينة _اللصوص والنساجون وآخرون_ أن الحكام والرؤساء قد غادروا المدينة وهربوا تجمع العرب والمسيحيون معا عند مطرابوليط (٢٠٤) رئيس أساقفة ملطية القديس ديونسيوس(٢٠٥)، أى: عنجور الذى أصبح بعد ذلك بطريركا، وطلبوا منه أن يحمى المدينة لأنه كان رجلا حذرا ومجتهدا. وأقسم العرب والمسيحيون الواحد للآخر، وأخذوا يدورون حول السور يحرسونه . وفى الصباح جلسوا عند باب المدينة؛ لأنه لم يكن هناك سوى باب واحد يمكنهم فتحه، وهو إما البوابة الرئيسية أو بوابة القصر. وظلت المدينة فى حالة اضطراب ما يقرب من شهرين حتى ذهب التتار من بيت معد، وساعد الرب الرومان. ولم يحضر إلى ملطية إلا هؤلاء الذين تصادف أن كانوا فى طريق الهرب إلى بيت الحوز. عندئذ عسكر التتار فى طريق عودتهم عند أرزنجان وطلبوا من حكامها ذهبا، ولم يقتنعوا بما أخذوا بل غضبوا وأقاموا عليها المنجنيق، وأسقطوا حوائطها بسرعة، ودخلوا ونهبوها وقتلوا أهاليها وخربوها. لذلك أرسل السلطان غياث الدين إلى التتار طالبا السلام، راضيا بمنحهم ذهبا وجيادا وعبيدا.

وفى هذه السنة سنة ٦٤٠ هجرية (١٢٤٢ ميلادية) توفى الخليفة المستنصر، وحكم بعده ابنه المستعصم، _لمدة ستة عشر عاما_ الذى كان له تفكير طفولى، ولم يكن قادرا على التمييز بين الخير والشر، كما كان يقضى

♦ أبناء القصر: جاء فى النص السريانى "أفخم أبناء القصر" (ص ١٤٦ عامود ٢سطر ٨) . أما الترجمة الأنجليزية "أفخم ضباط القصر (the officers of the palace p408)

كل وقته في اللعب مع الحمام والتسلية مع الطيور. وعندما قيل له: إن التتار يستعدون للاستيلاء على بغداد، كما فعلوا في المدن الأخرى الشهيرة في فارس التي استولوا عليها وخربوها، كان جوابه: "هذا هو ملكنا وإذا لم نعطهم الإذن لن يدخلوا". وهكذا أنهى الله مملكة العباسيين في أيام هذا العاهل.

وفي سنة ١٥٥٥ يونانية سنة ٦٤١ هجرية (١٢٤٤ ميلادية) نزل أحد رؤساء التتار _ويدعى: نساور نوين_ إلى بلدة ميافرقاط وماردين والرها، وعبر الفرات ووصل إلى مكان يسمى حيلان(٢٠٦) على باب حلب، ولكنه لم يقرب من المدينة لأن جياد القوات التي كانت معه جرحت في أرجلها، لجفاف الأرض ولشدة الحرارة، فعادوا إلى بلادهم. ونزلوا في أحد أيام الصيف. وبعد أخذ هذه البلاد أرسل نساور إلى صاحب حلب وطلب منه ذهبا، فأعطاه كل شيء طلبه، ثم عاد من هناك وعسكر عند ملطية وأباد المحاصيل والكروم ومناحل العسل. وكان التتار يقتلون كل من يجدونه خارج المدينة، فأرسلوا وهددوا صاحب المدينة رشيد الدين لأنه عاد من حلب. وجمع صاحب المدينة ثروة عظيمة وزوازي ودنانير وجواهر وأوان ذهبية وفضية تقدر بأربعين ألف دينار ذهبي، وسلب _أيضا_ أواني المذبح المقدسة، وأخذ من الكنيسة الكبيرة كؤسا ومباخر وقناديل وصناديق مقدسة، وأعطاها إلى التتار الذين أخذوا كل هذا وذهبوا إلى فارس. وبعد ذهابهم كانت هناك مجاعة كبيرة وأمراض في ملطية وضواحيها، وملئت الأرض بالمساكين الذين كانوا يموتون كالحيوانات في الأسواق. كما حاول كثير من الأهالي أن يبيعوا أبناءهم وبناتهم كالعبيد ومع ذلك فلا يشتريهم أحد. وفي هذا الوقت اشتهر عيسى الطبيب الرهاوي في ملطية وكان تلميذ حسنون الطبيب. وقد جاء من ملطية إلى قيليقية وكان في خدمة الملك، وبنى أساس كنيسة رائعة باسم القديس برصوما.

وفى سنة ١٥٥٦ يونانية ٦٤٢ هجرية (١٢٤٥ ميلادية) ذهب التتار إلى بغداد، ولم يتمكنوا من أخذها (لأن عددا كبيرا من الناس قد وقفوا أمامهم)♦ وأرجعوهم خائبين.

وفى هذا العام نفسه اغتاظ السلطان غياث الدين وأرسل قوات كبيرة لتخريب قلعة قليقية، لأنهم سلموا أمه وأخته للتتار. وذهب أبناء بيت الروم وعسكروا عند بلدة طرسوس وشنوا عليها حربا شعواء . وكان هناك بالى والد الملك حاتم مع الكندسطبل[٢٠٧] ابنه الكبير، وأيضا قاوموا الذين كانوا فى الخارج بسبب عدد الفرنجة الكبير الذى كان معهم. ولقد أغرقت سيول المطر الذين كانوا فى الخارج، وأصبحوا فى حالة سيئة ولم يتمكنوا من الذهاب إلى بلد آخر أو إحضار طعام لهم أو لجيادهم بسبب الوحل الكثيف الموجود هناك والذى كان عميقا لدرجة أنه ابتلع حصانا وراكبه. وبينما هم فى هذه الحالة وصل إليهم خبر موت السلطان، وكانت لهم فترة راحة فخرجوا من المدينة قبل أن يسمع الزمن هذا الخبر.

وبعدها توفى السلطان غياث الدين فى موسم الخريف فى بداية سنة ١٥٥٧ يونانية (٦٤٤ هجرية) (١٢٤٦ ميلادية)، وكان له ثلاثة أبناء صغار♦♦ :عز الدين[٢٨٠]، وركن الدين، وعلاء الدين. ولقد أقسم النبلاء لعز الدين الابن الأكبر ونصبوه سلطان كيكاوس. حينئذ جاء رسل المغول وطلبوا من السلطان عز الدين أن يحضر ويسجد للخان، ولكنه اعتذر متعللا أن اليونان والأرمن سيخطفونه ويأخذون بلده إذا استدار لأنهم أعداؤه. لذلك أرسل ركن الدين أخاه وسيطا، واعدا أنه سيذهب بنفسه فى أى مرة أخرى.

♦ هذه الفقرة غير موجودة فى النسخة السريانية ولكن المترجم وضعها زيادة فى إيضاح المعنى.

♦♦ ثلاثة أبناء صغار : عز الدين أمه رومية ابنة قسيس، وركن الدين أمه أيضا رومية، وعلاء الدين أمه كرجية.

تتويج كيوك خان بدلا من الخان أبيه ♦

في ذلك الوقت كان الخان مريضا(٢٠٨)، فأرسل رسلا ليحضروا كيوك حتى يستطيع أن يجيء ويتسلم مملكته إذا وقع عليه الاختيار. واستعد للحضور ووصل إلى الضواحى ولكن الخان انتقل من عالمه قبل أن يصل إليه ابنه. كانت الملكة زوجة الخان التى هي والدة كيوك _وتدعى توراكينا_ حكيمة جدا وفطنة. ولذلك أمر جغاتاى وباقى أبناء الملك أن تحكم الملكة حتى يتم تشاورهم مع بعضهم. وتبادلوا الرسل واجتمعوا كلهم فى أيام الربيع؛ من الشرق: كوتان وأوتجكين(٢٠٩) شقيق جنكيزخان والقاآن، ومن الغرب: كراموری وبيدار وتوركان أبناء جغاتاى، ومن الشمال لم يستطع باتو الحضور بنفسه فأرسل أربعة من إخوته: من تركستان الأمير مسعود بيك، ومن خراسان الأمير أرغون، ومن بيت الروم السلطان ركن الدين، ومن قيليقية الملك حاتم، ومن أيبريا (كرجستان) داود الكبير وداود الصغير، ومن سوريا صاحب حلب، ومن بغداد فخر الدين قاضى القضاة ورسل من الفرنجة، وأيضا رسل من علاء الدين صاحب الموت، أى: صاحب الإسماعيليين الذين يحملون الخناجر. وكان للخان ثلاثة أبناء صالحين للمُلك: كيوك ، وكوتان ، وسيرامون الطفل الصغير. ولقد اختارت أمهم الملكة توراكينا كيوك ووافقها أبناء الملوك والنبلاء . ولكن كيوك تبعا للتقاليد قدم اعتذارا وقدم عنه فلانا....وفلانا، وقال: إنهم أصلح. فأخذوه بالقوة وأجلسوه على كرسى الملك وانحنوا على ركبهم تسع مرات وسجدوا، وأخذوا كأسا

♦ بدلا من الخان أبيه : هنا يوجد اختلاف؛ فالنص السريانى يقول إن (كيوك خان حكم بدلا من الخان أبيه الذى هو أوكتاى بن جنكيزخان)(ص ١٤٧ عامود١ سطر٢٤)، بينما الترجمة الإنجليزية تنص على أنه (جاء بدلا من الخان أخيه) **concerning the enthronement of GHOYUK KHAN in the palace of the KHAN his brother p.410)** . ولكننى أرجح النص السريانى، لأن كيوك خان لم يكن لديه أخ واحد ولكن أكثر من واحد ولم يشار إلى أيهم هو الذى تولى الحكم. ثانيا: لأن الأب هو الذى كان خانا وليس أحد الأبناء .فالعنوان ينص على إنه جاء بعد الخان أى الأب.

وسقوه. وعندما استقر على كرسيه بدأ يحكم باقتدار لأنه كان مستنيرا وعاقلا. ولقد حكم كثيرا من البلاد، مثل: بيت الروم وأيبريا وآشور وسوريا وقيليقية، وسلم حكمهم إلى أحد الرؤساء ويدعى إيلجيكتاى، وأرسل الأمير الكبير يلواج إلى بلاد الخطاى، وأعطى فارس للأمير مسعود، وخراسان وهمذان وأذربيجان وشروان(٢١٠) واللور(٢١١) وكرمان(٢١٢) حتى الهند فسلمهم للأمير أرغون، وأمر أن يكون السلطان ركن الدين سلطانا على بيت الروم، وأرسل الملك حاتم مكرما وكذلك الأيبريون والفرنجة. كما أرسل إلى الخليفة تهديدا بالثورة، وطرد الإسماعيليين الذين شيعتهم السخرية وعبارات السباب. ولأن قداق(٢١٣) المسيحى كان يعمل منذ البداية فى خدمته فقد أصبح مستشارا له وصديقا. وكان كيوك خان نفسه مسيحيا، وفى أيامه ارتفع شأن المسيحيين وامتلأ معسكره بقديسيين وكهنة وقساوسة.

فى هذا الوقت كانت هناك سيدة عربية تدعى: فاطمة خاتون(٢١٤)، وكانت صديقة عربية ومحبوبة من توراكينا خاتون والدة كيوك خان؛ فقد قالوا إنها ستعمل لك ولإخوتك سحرا. فأرسل وطلبها من أمه، ولما لم تعطها له أخذها منها بالقوة وقتلها. وبسبب ذلك كانت هناك قطيعة بينه وبين أمه. وبعد قليل ماتت أمه. أما فاطمة فتركوها لعدة أيام عارية دون أكل أو شرب، وعذبوها حتى إنها اعترفت بأنها ساحرة، ثم خاطوا فمها وموضع عفتها وأدخلوها فى كيس وألقوا بها فى الماء وغرقت. وقتلوا _أيضا_ كل إخوانها الذين اجتمعوا حولها؛ لأنه فى مدة قصيرة كانت قد سيطرت على المملكة الكبيرة من خلال نفوذها على الملكة توراكينا. وبعد ذلك بمدة قصيرة قام كيوك خان ليذهب إلى البلاد الغربية، ووصل إلى مكان(٢١٥)على بعد سبعة أيام سفر من مدينة بيش باليغ حيث مات. وأراد بعض نبلاء بيت الروم أن يملك ركن الدين الابن الأوسط لغياث الدين، وعندما شعر الوزير شمس الدين الأصفهانى بكل هذا أخذهم وقتلهم وعظم فى نظر نفسه. واتخذ والدة السلطان عز الدين زوجة له وأنجب منها ولدا. وكان هذا العمل المتكبر سيئا فى نظر كل الناس، وأعد الذهب والملابس الملكية والجياد مع الابن الأوسط ركن

الدين وأرسل رهينة إلى التتار ــ كما قلنا ــ لكى يسود السلام. وعندما وصل الطفل إلى كيوك خان شكا أحد نبلاء ركن الدين وهو بهاء الدين الترجمان◆ اغتاب الوزير إلى الخان قائلا:" لقد قتل النبلاء وأخذ زوجة السلطان الذى توفى وأقام سلطانا جديدا بدون أمركم". حينئذ أصدر الخان أمره:" ينزل عز الدين من على كرسيه، ويملك ركن الدين الذى رأى وجهنا، ويصبح بهاء الدين ترجمان وزيره وينتهى شمس الدين". وعندما أداروا ظهورهم للمجىء سمع الوزير وارتعد، وأرسل إلى رشيد الدين سوباش من ملطية الذى كان آنذاك أميرا ثريا صاحب ذهب وأحجار كريمة، وأمره أن يذهب إلى الخان ويؤكد له حكمه. وعندما وصل إلى أرزنجان سمع أن ركن الدين سلطان وبهاء الدين ترجمان كانا على وشك الوصول. وبسبب خوفه أخذ الثروة التى كانت معه إلى قلعة قماح، وهرب مع قليل من الأمراء إلى حلب. ثم وصل بهاء الدين ومعه ألفى مغولى، وأعلن ركن الدين سلطانا على: أرزنجان وسبسطيا وقيصرية وملطية وقلعة زياد وآمد، وأعلنت قوانين جديدة وأوامر فى كل مكان، وألغيت تلك التى سنها عز الدين. وأرسل _أيضا_ الترجمان رسولا إلى حلب، وقبض على رشيد الدين الذى كان قد هرب من هناك وحبسه فى قلعة تسمى هايج. ولم ينج من الموت من كل الذين سجنوا فى هذه القلعة أحد إلا هذا الرجل الذى عفي عنه فيما بعد؛ لأنه كان هناك باب فى حائط هذه القلعة على صخرة عالية جدا وخلف هذا الباب كان يوجد مكان صغير ما لم يجلس فيه المرء فإنه بصعوبة شديدة يمكنه أن يجد مكانا يقف فيه. وعندما كان يصدر حكم الإعدام على أحد النبلاء المكرمين، ولم يكونوا يريدون أن يمدوا يدهم عليه ويقتلوه، فإنهم يأخذونه ويجعلونه يقف على هذا اللوح ويغلقون الباب فى وجهه. وعندما يقف لمدة

◆ بهاء الدين ترجمان : أحد نبلاء ركن الدين بن غياث الدين . جاء فى النص السريانى"بهاء الدين ترجمان" (ص147v عامود٢ سطر١٣) .أما الترجمة الانجليزية": بهاء الدين ترجان"(BAHA-AD-DIN TARJAN p.412)الصحيح فهو "ترجمان".

يوم أو يومين فانه كان يغلبه النوم ويسقط ويموت. كل هذه التنقلات بين التتار تمت فى خلال ثلاث سنوات.

وفى سنة ١٥٦٠ يونانية (١٢٤٩ ميلادية) عندما وصل بهاء الدين ومعه التتار خاف شمس الدين الوزير الأصفهانى، وأراد أن يأخذ السلطان عز الدين ويذهب ويثور فى إحدى القلاع البحرية. وكان فى قونية أحد النبلاء كان عبدا للسلطان علاء الدين يدعى: جلال الدين قرطاى، وكان رجلا راهبا ممتنعا عن أكل اللحوم وشرب الخمر والنساء، وكان طيبا ورحيما. وعندما شعر أن الوزير مستعد أن يأخذ عز الدين ويهرب أرسل وأبقاه فى بيته وقيده، فأسرع وأخبر بهاء الدين الذى أرسل، واستدعى التتار الذين جاءوا وعذبوا شمس الدين الأصفهانى، حتى إنه أظهر لهم الثروات الطائلة ثم قتلوه . ولقد كان رجلا مثقفا وذكيا، وعندما شعر أنهم يعدون لقتله رثى نفسه باللغة الفارسية فى جمل باكية مليئة بالحزن والأسى والمهابة. وعندما قتل أصبح جلال الدين قائدا للسلطان عز الدين. وقد قسمت البلاد بين الأخوين، وآلت قونية وأقسرا وأنقرة وأنطاكية _أى المدن الغربية_ إلى عز الدين، والشرقية♦ لركن الدين. ولكن نبلاء ركن الدين لم يتوقفوا عن الشجار وأرادوا أن يسمى ركن الدين فقط بالسلطان ويخلعوا عز الدين. لذلك دبر قرطاى خطة وأرسل لهم قائلا: "رغبتكم ستنفذ وسيكون ركن الدين هو السلطان الكبير تبعا لأمر الخان الذى معكم. ولكن تعالوا إلى أقسرا فخذوه، وليحضر، أيضا، عز الدين وكل ما يعطيه له أخوه يجب أن يقبله" وخدع هؤلاء وأخذوا ركن الدين وجاءوا إلى أقسرا وخرج عز الدين من قونية ليذهب إلى أقسرا. واختبأت القوات المعدية وجاءوا من الجانب الآخر، وضربوا وهزموا رجال ركن الدين، وأخذوا _أيضا_ بهاء الدين أتابك، كما

♦ الشرقية : هى بلاد: قيسارية وسيواس وملطية وأرزنجان وأرزن الروم وغيرها من الولايات الشرقية (تاريخ مختصر الدول ص ٢٥٨).

أخذ عز الدين أخاه ركن الدين فلم يؤذه ولكنه أخذه إلى قونية وجلس الإخوة الثلاثة على كرسى الملك وصكت النقود بأسمائهم الثلاثة.

وفى سنة ١٥٦١ يونانية (٦٤٨ هجرية) (١٢٥٠ ميلادية) خرج ريدافرانس[٢١٦] _أحد ملوك الفرنجة الداخليين_ مع حشود كبيرة من الفرسان والمشاة والسفن، وأبحروا دون جهد فى سفن كبيرة مليئة بالفضة والذهب والأسلحة والمؤن . واهتزت الأرض عند سماعهم خبر ركوبهم البحر، وقد وصلت أخبار استعدادهم للخروج إلى مصر؛ إذ كان الملك الصالح بن الكامل قد خلف أخاه الأصغر العادل الذى توفى وخلفه الصالح. وكان الملك الصالح هذا يقاتل لأخذها من سيدها الملك الأشرف، وهو من نسل أسد الدين شيركوه عم صلاح الدين العظيم، والذي كان يحكم _أيضا_ تل باشر[٢١٧].عندما سمع الصالح خبر الفرنجة ترك حمص ووصل بخطوات سريعة إلى مصر وذهب وعسكر فى مكان يسمى: المنصورة ممتلئ بالأشجار الكثيفة. وأصدر نداء باللغة العربية، واجتمع لديه عرب من الإسكندرية ومن قوص[٢١٨]ومن أسوان. وعندما رأى شعب مدينة دمياط أن الفرنجة متجهون نحوهم أصابهم الفزع وأخلوا المدينة دون حرب من كل ما بها، وأخذوا عائلتهم وكل ممتلكاتهم وذهبوا إلى مصر. أما نبلاء دمياط فقد ذهبوا إلى السلطان فسألهم الملك الصالح عما إذا كان الفرنجة قد آذوهم بالحرب فأجابوا: "لا، ولكن نخشى من أن الذى حدث مرة فى عكا يحدث لنا؛ حيث قتلهم الفرنجة ولم يعجبهم أحد". وثار الصالح عليهم وعلق أربعة وستين♦ نبيلا على اثنين وثلاثين صليبا، علقوا كل اثنين معا كما هم بملابسهم وأحذيتهم . ثم مات الصالح[٢١٩] بعد عدة أيام من صلبهم على أثر قرحة خبيثة انفجرت فى فخده (فقطعوا ساقه وهو حى). وأرسل نبلاء مصر وأحضروا الملك المعظم بن صالح[٢٢٠] الذى كان آنذاك فى حصن كيفا[٢٢١] ونصبوه بدلا من أبيه. وكان

♦ أربعة وستون : ذكر ابن العبرى فى كتابه "تاريخ مختصر الدول " ص٢٥٩ (أمر بصلبهم وكانوا أربعة وخمسين أميرا).

قائده هو فكر الدين عثمان ابن شيخ الشيوخ الوزير العظيم. وعندما اقترب الفرنجة من سور دمياط لم يسمعوا أصوات الحراس ولم يشاهدوا أى شخص فى الأبراج، فتعجبوا وأرسلوا رجالا توغلوا فى داخل الميناء ولم يقابلوا شخصا واحدا فعرفوا أنهم هربوا. فاقتربوا من المدينة ودخلوها بسعادة وفرحة كبيرة. وكان هذا اليوم يوافق يوم الجمعة، كما أنهم لم يشاهدوا رجلا واحدا يتبول على الحائط، وكانت السفن تزودهم بالمؤن من البحر، ولكن عقليتهم الضعيفة لم تجعلهم يصبروا حتى يتعرفوا على طبيعة البلد وعلى ممرات الطرق والأنهار، بل أسرعوا وعبروا القناة من النيل وساروا بعيدا عن الماء إلى جهة مصر فى طريق ليس به ماء، وعبرت بعض قوات العرب خلفهم وآخرون أمامهم وأصبحوا مانعا بينهم وبين الماء. وظلوا بينهم، فأصبحوا يعانون من شدة الجوع والعطش مع جيادهم. وتشجع العرب وقضوا عليهم وقتلوا معظمهم وأسروا الملوك والنبلاء وحملوهم إلى المعظم. أما ريدافرانس فقد اعتقله الملك المعظم وحبسه عنده حيث عسكر. ونصح العبيد الصغار الملك المعظم، وكانوا فى مثل عمره، وقالوا له: "إذا قتلت هذا الملك الإفرنجي لن تنتهي طيلة حياتك من الحرب مع الفرنجة؛ لأن ملوكهم كثيرون وأقوياء فى شدتهم. ولكن دع هذا الملك يقسم لمائة وعشرين سنة من اليوم أنه لن يرفع هو وإخوته وأبناؤه وأبناء أبنائه سيفا مرة أخرى فى وجه العرب واتركه حرا ودعه يذهب مع زملائه فى الدين شاكرين صنعك. وهكذا ستستريح وتعيش فى سلام، ولن يكون ضروريا أن توزع الثروة التى جمعها أبوك على القوات". فاستجاب المعظم لنصيحتهم، وأحضر ريدافرانس إليه ليلا وجعله يقسم كما يريد، وأعطاه هدايا كثيرة ثم صرفه. ولقد قيل: إنه فى أثناء أسر ملك فرنسا جاء إليه خبر أن زوجة الملك قد أنجبت طفلا فى دمياط، وسمع المعظم فأرسل لها هدايا بعشرة آلاف أحمر وأهداها، كذلك مهدا من الذهب مع ملابس ملكية . وبمجرد أن رأى عبيد والد المعظم أنه قد أطلق ريدافرانس غضبوا وأرسلوا سفنا فى البحر لتلحق به. وعندما لم يتمكنوا سلوا سيوفهم وذهبوا إلى المعظم، ولكنه هرب من أمامهم وصعد إلى

برج من الخشب كان ملكا له، وأشعلوا النيران فى البرج. فلما رأى نفسه وسط النيران ألقى بنفسه فى البحر وغرق ولم يعثر أبدا على جثته. حينئذ أحضر ريدافرانس كل أسرته من دمياط وجاء إلى عكا ومكث بها فترة وبنى قيصرية فيليب ومدنا أخرى ثم تركها وذهب إلى بلده. وعندما قتل المعظم حكم مصر أحد عبيد أبيه، رجل يدعى، عز الدين التركمانى(٢٢٢) ، وتزوج من سيدة تركية تدعى شجرة الدر(٢٢٣). وبعد فترة حكم قصيرة عندما كان ذاهبا إلى الحمام ليستحم أرسلت شجرة الدر♦ بعض جواريها الصغار وأغرقوا (عز الدين)؛ وذلك لأنها شعرت أنه يريد هلاكها. وبعد التركمانى ظهر فى مصر عبده التركى الذى يدعى قطز(٢٢٤) ، وسمى بالملك المظفر. ولقد قتل شجرة الدر وألقى بجثتها إلى الكلاب♦♦ مدعيا أنه ينتقم لسيده. ولكن الحقيقة كانت لخوفه من أن تقتله، ولولا ذلك ما كان قد قتلها؛ لأنها كانت مشهورة بجمالها كامرأة وبتصرفاتها التى غلبت عليها الرجولة. وفى أثناء ذلك عندما رأى الملك الناصر صاحب حلب أن العبيد يحكمون فى مصر ويتسلون بقتل الواحد تلو الآخر جمع قواته وذهب إلى دمشق، وحكمها بهدوء وسلام دون قتال.

♦ شجرة الدر : فى النسخة السريانية كلمة "شجرة الدر "غير واضحة فكتبت "شجرةالدرر"(ص١٤٩ عامود١ سطر٣٥)ولكن**BUDGE** تمكن من كتابتها كتابة سليمة "شجرة الدر"(**SHAJARATH AD-DUR P.416**) .

♦♦ إلى الكلاب : هذه الكلمة غير واضحة فى النسخة السريانية (ص١٤٩ عامود ١ سطر ٣٦) وقد تمكن **BUDGE** من ترجمتها(**cast her body to the dogs pretending thas he was avenging his lord p.416**) . يقول ابن العبرى ص ٢٦٠ فى كتاب "مختصر تاريخ الدول" (قتلوها ورموها فى الخندق فأكلتها الكلاب).

تولية مونككا خان عرش المغول

في أثناء تنقل باتو بن توشى بن جنكيزخان من خيمته التى فى بلدة سقسين وبلغاريا للذهاب _لرؤية كيوك خان_ وصل إلى المكـان المسـمى: الأقماق بالقرب من مدينة قياليق فسمع خبر وفاة كيوك خان. وبالرغم مـن ذلك بقى فى مكانه وأرسل رسلا إلى كل أبناء الملوك وأقامهم جميعا بالقرب منه. أما الذين لم يتمكنوا من الحضور فقد أرسلوا مكاتيب وقالوا: "إن بـاتو أكبرنا جميعا سنؤيد كل ما يفعله ونقبله ". وفى البداية مكث أبناء كيوك خان مع أمهم الملكة أوغول غانميش خاتون(٢٢٥) يومين فقط بعد أن جـاءوا إلـى باتو، وتركوه وذهبوا إلى تيمور نوين قائلين له: "عندما يجتمع أبناء الملـوك الكبار والصغار ويتفقون توافق أنت أيضا باسمنا". وعندما اكتمـل عـددهم جميعا فوضوا الانتخاب إلى باتو قائلين: إذا أراد أن يكـون فـسيكون، وإن رفض فإننا سنكون أتباع من يختاره لنا. حينئذ قال باتو باستثناء مونككا": أنا لا أرى أحدا منا كفؤاً لإدارة مملكة كبيرة إدارة جيدة"، وقال جميعهم": إنـه كفؤٌ ومناسب"، ولكن مونككا الرجل الحكيم أظهر علامات الاعتذار، ولكـنهم أخذوه بالقوة وأجلسوه على العرش. وركع باتو وسجد مع كل أبناء الملـوك وسجدوا له على ركبهم، وأخذ باتو الكأس كالعادة وشربه عندما دانـت لـه المملكة .

في سنة ٦٤٩ هجرية (١٢٥١ ميلادية) فى اليوم التاسع مـن الـشهر الرابع♦ بدأت الملكة الصادقة الحكيمة سرقوتنى بيكى والدة منكو خـان، فـى عمل صداقات مع كل الرؤساء والنبلاء بواسطة الهـدايا، وكـسبت الثـوار بالوعود والمعاملة الطيبة. وفى أثناء انتظار مجيء أبناء كيوك خان ووالدته أوغول غانميش جاء أحد الرجال الذين يدربون الأسود لتسلية الأمراء، وقال: "كنت فى الخارج أصطاد بعض الأسود، وذهبت فى رحلة لمدة ثلاثـة أيـام

♦ الشهر الرابع: هوشهر ربيع الثان.

أبحث عنهم، ووصلت إلى بيت أبناء كيوك خان الذين كانوا حاضرين إلى هنا فرأيت العجلة مكسورة وشابا جالسا بجانبها يحاول إصلاحها فناداني لمساعدته. وعندما اقتربت رأيت أن عجلته مليئة بالعتاد وأدوات الحرب. فسألت الشاب قائلا: "ما هذا؟" فقال لى بدهشة : "بما أنك من جانبنا ألا تعرف ما هذا؟! كل العجلات التى معنا بالية. وعندما تركته جئت لأخبركم لكى تعلموا". حينئذ أرسل مونككاخان رئيسا يدعى منكسار مع ألفى فارس؛ لمقابلة أبناء كيوك خان، وقال لهم: "قبل أن تتعاملوا مع رجال صغار يجب أن تحضروا إلى مونككا خان وترونه ثم تأتى قواتكم." ولم يستطيعوا إجابته بمثل عنفه. وعندما جاءوا بعد ثلاثة أيام من الأكل والشرب والراحة _كشف مونككا خان الموضوع وخجلوا ولم يتمكنوا من الاعتذار. حينئذ أمر وقتلوا كل النبلاء الذين لهم يد فى الخديعة لتركهم لجغاتاى نوين، الذى كان كيوك خان قد جعله صاحبا على الغرب، وقذف بكل الذين كانوا معه على الأرض. فأرسل وأحضر كاداك نوين على عربة، وبعد أن اعترف بذنوبه قتل بطريقة مؤلمة. كذلك كان الحال بالنسبة لزوجة كيوك خان التى حكم عليها بالإعدام. أما أبناؤهما فاحتراما للنسب الملكى لم يقتلهم، ولكنه أمر أن يقيم كل واحد فى مكانه المعين مع بعض الرجال الموكلين بالإشراف عليهم، واستقر الملك لمونككا خان. وفتح أخوه قويلاى بلاد الخطاى، وأرسل أخاه الآخر هولاكو إلى بلاد الغرب، وأبقى الأخ الأصغر أريق بوكا بجانبه. وسن قانونا لبلاد الخطاى ينص على أن يدفع كل مقتدر جزية سنوية تقدر بخمسة عشرة دينارا ذهبيا، والفقير دينارا واحدا، ولبيت الفرس كل مقتدر عشرة دنانير، والفقير دينارا واحدا. وعن البهائم أمر بأخذ رأس من كل مائة رأس، ومن يملك أقل من مائة لا يؤخذ منه، ويحرر من الأذى كل الأسرى والمحبوسين. وأمر بإعفاء الكهنة والمسيحيين والمطارنة والرهبان وأهل العلم والكتاب من المسلمين من دفع الضرائب، وخلافا لهذا حرم اليهود فقط من تلك الإعفاءات. وقال بعض الشعراء فى هذا:" أيها اليهودى، فى هذه الفترة لا يوجد لك نصيب، وفضلا عن العار أيها الرجل البائس لا يوجد لك رفيق".

وفى هذه السنة سنة ١٥٦٢ يونانية (١٢٥١ ميلادية) وقع انقسام بين العبيد والأتراك فى مصر. فجمع الناصرصاحب دمشق قوة كبيرة وذهب إلى غزة حتى يتجه منها لحكم مصر، وعندما سمع الأتراك بذلك جمع الذين لا يحبونه قواتهم، وأحضروا _أيضا_ كثيرا من الفرنجة الذين كانوا أسرى عندهم وأركبوهم جيادا وذهبوا لمقابلة الملك الناصر على جانب غزة، ولكنهم بصعوبة شديدة تمكنوا من هزيمته، فهرب مع قلة من الرجال إلى دمشق .

وفى هذه السنة فى كانون الثانى (يناير) توفيت زابيل الملكة الصادقة بنت لاون الكبير. كانت زوجة الملك حاتم بن قسطنطين والدة الملك لاون الصغير لقيليقية_ لا أحد يستطيع أن يصف طيبة هذه السيدة وإحسانها وشفقتها. كانت تذهب حافية إلى الأديرة والكنائس، وكانت تقف للصلاة ولا تتوقف عن البكاء فليرحمها الله مع القديسات.

وبمرور سنة ١٥٦٣ يونانية (١٢٥٢ ميلادية) ذهب الملك حاتم ملك قيليقية لخدمة مونككا خان الكبير، واشترك فى طقوس اليوم الخامس وذهب فى يوم الجمعة الحزين. ولأنه خاف من نبلاء بيت الروم أن يغدروا به أرسل قرارا بأنه سيرسل قبله رسولا إلى الخان، وعندما يتسلم الأمر فإنه سيذهب. وكذلك أرسل كتبا إلى صاحب بيت الروم بخصوص هذا الموضوع، وخرج هو بنفسه مع الرسول، وتنكر فى هيئة خادم وقاد حصانا بملابسه الممزقة القذرة، وسار راكبا فوق هذا الحيوان الحقير ومر بجميع بلاد بيت الروم ولم يعرفه أحد. ولكن فى أرزنجان عرفه شخص فى السوق وقال له:" هذا الملك حاتم. وعندما سمع الرسول ذلك استدار إلى الملك الذى كان يركب الحصان وصفعه على وجهه وصرخ فيه قائلا: "كان يمكنك أن تصبح ملكا فهم يشبهونك بالملك". وبذلك أزال الشكوك واستمر الملك يرتدى ملابس الفلاحين، حتى إذا وصل إلى حدود أيبريا كشف هناك نفسه. وخلال هذه الفترة التى تقدر بحوالى ثلاث سنوات ونصف كان قد عاش خارج بلاده ثم عاد.

وفي هذه السنة سنة ٦٥٠ هجرية (١٢٥٢ ميلادية) بعد القوريلتاى الكبير نزع هولاكو شقيق مونككا خان خيمته؛ ليحضر إلى تلك المدن الغربية الخارجية في بلاد الجغاتاى التي أرسلها كيوك خان. حينئذ أمر مونككا خان أن يذهب اثنان فقط من كل عشرة من القوات الشرقية والغربية ومن أبناء الملوك أرسل معه واحدا من أخويه يدعى سنتاى أوغول، ومن جانب باتو بلغاى بن سبقان وقوتار أوغول وقولى مع قوات كبيرة، ومن قبل جغاتاى تكودار، ومن ناحية جيحكان بيكى أخت الخان وبوقا تيمور مع قوات الأويرات، ومن بلاد الخطاى أحضروا ألف رجل مهرة في عمل آلات الحرب وقاذفات النفط. في مقدمة القوات أرسل كيد بوقا رئيس الخبازين وترك هولاكو جومغار ابنه من الملكة الكبيرة مع أمه في مكانه في خدمة مونككاخان. وقام هذا الابن بعد فترة ليحضر إلى أبيه فمات في الطريق. وأخذ معه من بقية إخوته ابنه الأكبر أباقا، والابن الأصغر يشموط، ومن زوجات أبيه تولى خان أخذ دوقوزخاتون[٢٢٦] الملكة المؤمنة المسيحية التي أعطيت لهولاكو زوجة تبعا لتقاليد المغول وجاءت معه. ولقد رفعت من شأن المسيحية في كل الأرض وظلوا في الطريق حتى سنة ٦٥٠ هجرية(١٢٥٥ ميلادية) ووصلوا إلى فارس.

وفي هذا العام في شهر تموز (يوليو) هجمت قوات التتار فجأة على ملطية، وكانت بقيادة يساور الذى كان قد حضر إليها منذ ثماني سنوات ونهب القرى والحقول وأحرق المنازل والمخازن، وقتل كل من وجده في طريقه وعسكر في الجهة الشمالية. ولقد ذهب بعض التتارفي أثناء مرورهم ببلدة جوباس إلى دير مقرونا، وطلبوا ذهبا من الرهبان وكذلك طعاما وشرابا. ولكن بسذاجتهم البالغة لم يعطوهم أو يسلموهم شيئا، وظنوا أنهم سيمرون ويذهبون. وفعلا رحل التتار ولكنهم أخذوا معهم الكثيرين، ورجعوا وطلبوا مرة ثانية من الرهبان أن يعطوهم شيئا. وعندما رفض الرهبان شن عليهم التتار الحرب وأشعلوا النيران في برج الدير، وحملوا أحمالا كثيرة من عمرقوبا، وشمعا وكميات كبيرة من الزيت الذى استعمل فيما بعد مادة

للإنارة. وأحرقوا كل الرهبان الكبار منهم والصغار، وحوالى ثلاثمائة نفس من المواطنين: رجالا ونساء.

وفى هذه السنة كتب هذا عنجور أسقف جوباس، الذى كان موجودا فى دير القديس برصوما فى سنندوس لانتخابات مار ديونسيوس بطريركا. ولم يكن هناك أحد إلا تلميذين: فرج من دومينيايا، وقوما وثنى من لوزنايا. لقد ألقى فرج بنفسه من البرج أمام التتار ولم يؤذوه، ولكنه بعد قليل مات وأحرق قوما فى النار. وكان أهرون الطبيب العجوز والد أسقف مدينة المرج[٢٢٧] موجودا فى المخزن مع برصوم ابنه الأصغر. وعندما هجم التتار لم يهرب إلى الدير مع باقى أهل تلك القرية، ولكنه تسلق الجانب الآخر للجبل وذهب واختبأ فى مكان صخرى حصين على شاطئ الفرات. وظل هناك مع ابنه الأصغر لمدة أربعين يوما حتى رحل التتار، ولم يفقدوا إلا بغلا واحدا غرق فى النهر. وكان يوجد هاربون آخرون فى المكان المسمى برعما، وكانوا يخرجون ليلا ويجهزون الطعام لهم ولحيواناتهم.

وفى سنة ٦٤٩ هجرية♦ (سنة ١٢٤٩ ميلادية) حكم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل مدينة قاردو؛ وذلك للأسباب الآتية:

عندما رأى الملك المعظم صاحب الجزيرة _الذى من نسل أبناء أتابك زنكى_ أن بدر الدين قد قوى ويملك جيشا وأنه قادر على النفع والإيذاء، أراد أن يعمل معه صداقة فأخذ بنت بدر الدين زوجة لابنه الملك مسعود. ومن عمل الشيطان كره مسعود بنت بدر الدين من كل قلبه. وكانت مرارة شديدة له وللمعظم أبيه، ونصحه ألا يكشف كرهه ولكنه لم يتمكن. وعندما بدأت الفتاة تشكو لبدر الدين أرسل وأخذها. وبعد فترة مات المعظم وحكم بدلا منه

♦ سنة ٦٤٧ وسنة ٦٤٩ : ورد فى المتن السريانى أن السنة هى سنة♦٦٤٩ هجرية (ص١٥١V عامود٢ سطر١) ، ولكن فى الترجمة الإنجليزية ذكر BUDGE أنها سنة ٦٤٧ هجرية أى سنة ١٢٤٩ ميلادية the year six hundred and forty seven of the ARABS(A.D.1249) p.418).)

الملك مسعود ابنه. وبدأ بدر الدين بتكبيله بالطلبات حتى أرسل وقال له: "أريد حجز كذا كذا الموجود فى عقد الفتاة المسماة كذا كذا والشيء الفلانى المملوك لفلانة". فأعطى له كل شيء، وفى النهاية أرسل له بدر الدين قائلا: "أحقا بعت الجزيرة عندما كنا نعسكر فى نصيبين؟!! فأرسل له مسعود :" لا أستطيع لأنك أخذت كل شيء ملكى، حتى إنى أعطيت لك مملكتى". حينئذ جمع بدر الدين قواته وذهب وعسكر عند الجزيرة فى اليوم الثالث من الشهر السادس◆، فى السنة المذكورة، فى أيام نيسان(أبريل) وشن عليها حربا. فأرسل مسعود يطلب عهدا لحياته. ولقد وعده بدر الدين أن يعطيه القلعة المسماة فرح، وأن يأخذ نساءه وعائلته ويرحل .واستسلم مسعود وأخرج منها الحراس والمحاربين. وأرسل بدر الدين أحد حواشيه وكبله بالحديد، وأحضره ليلا من الجزيرة، وأجلسه فى مركب مدعيا أنه مرسله إلى الموصل. وأمر الملاحين والعبيد الذين كانوا معه أن يغرقوه فى نهر دجلة ويتركوه ويهربوا إلى سوريا، ويرسلوا خبرا "أن مسعود قد ألقى بنفسه فى النهر وغرق، وأننا خائفون من صاحبنا بدر الدين أن يقتلنا بسبب إهمالنا وأنه فعل بنفسه ذلك". حينئذ أخذوه وفعلوا كما أمروا، وهربوا إلى سوريا، وانتشر الخبر. وبعد سنة عادوا مرة أخرى إلى الموصل. حينئذ ذهب بدر الدين إلى الجزيرة وحكمها فى يوم الجمعة اليوم الحادى عشر للشهر السابع ◆◆للسنة المذكورة . هذه المدينة ليست من بناء اليونان ولكن من صنع شعب معد الذين أطلق عليهم اسم "أبناء عمر"؛ ولذلك أسموّها باسمهم.

فى هذا الوقت كان بعض التجار يعبرون نهر فارس الكبير المسمى جيحون كان معهم رجل مسكين يلبس ملابس الفقراء، فقال الرجل للمراكبى: "أنا السلطان جلال الدين خوارزمشاه". لقد قيل: إن الأكراد قد قتلونى فى جبال آمد ولكن لم يكن أنا مَن قُتِل، بل كان حارس ملابسى ، ومنذ عدة

◆ اليوم الثالث من الشهر السادس:أى يوم الثلاثاء من شهر جمادى الآخرة.

◆◆ الشهر السابع: هو الموافق لشهر رجب.

سنوات أتجول فى العالم وأنا سعيد". حينئذ خاف البحارة فأخذوه وسلموه إلى نبلاء المغول الذين كانوا على مقربة فعذبوه بقسوة، ولكنه لم يتراجع فى كلامه حتى مات وهو يقول: "إنه أنا" .

وفى سنة ١٥٦٥ يونانية (١٢٥٤ ميلادية) بدأ الرسل يجيئون ويذهبون، طالبين من السلطان عزالدين فى قونية أن يذهب بنفسه ليظهر الولاء للخان الكبير، وإذا لم يذهب فإن القوات ستخرب بلاده. وعندما ضغطوا عليه من الداخل ومن الخارج جاء بالقوة حتى سبسطيا، حيث انغمس فى حياة اللهو وإشباع الرغبات. فكان كلما سمع عن زوجة أو ابنة أو ابن أحد النبلاء أو عامة الشعب فإنه كان يأخذها بالقوة ويدنسها. ولذلك كرهه النبلاء وتمنوا أن يحكمهم أخوه الأوسط ركن الدين بدلا منه. فلما سمع ذلك خاف واتجه مرة أخرى إلى قونية، وجهز علاء الدين(٢٢٨) أخاه الأصغر وأرسله لتقديم الولاء إلى الخان، وأرسل معه رسالة قال فيها: "لقد أرسلت أخى الصغير علاء الدين وهو سلطان مثلى، أما أنا فلم أتمكن من الحضور بسبب وفاة جلال الدين قرطاى(٢٢٩) الأتابك، وبسبب عدو يتحرك ضدى ولكن فى مرة أخرى سأحضر". وعندما ذهب الأخ الأصغر والنبلاء الذين كانوا معه مات فى الطريق نتيجة لخيانة نبلائه، وبقى عز الدين وركن الدين(٢٣٠) فى قونية. وعندما سمع عز الدين بموت أخيه الصغير تمنى أن يقتل الأوسط حتى يبقى هو وحده.

ولما شعر النبلاء بهذا قاموا بتهريب ركن الدين. لقد قيل إنهم ألبسوه ملابس قذرة لأبناء الشغالين، وحمل على رأسه صينية من اللحم المسلوق، وأخرجوه ليلا من القصر وأركبوه على حصان. وفى إحدى الليالى أوصلوه إلى قيصرية وأجلسوه على العرش، واجتمعت عنده قوات كثيرة. وأخذهم ركن الدين وجاء ليشن الحرب ضد أخيه عز الدين. وتقابلا وخرج عز الدين وقابله فى معركة وهزمه مرة أخرى وحبسه فى قلعة دوالوا.

وفى سنة ١٥٦١ يونانية ٦٥٣ هجرية (١٢٥٥ ميلادية) قتل علاء الدين رئيس الفرقة الإسماعيلية فى قلعة شيركوه، أي: الجبل الأسود، وحكم بعده ابنه ركن الدين، فأرسل له هولاكو قائلا :"إذا كانت نواياك سليمة تجاهنا وتريد الصداقة والسلام خرِّب كل قلاعك واحضر إلينا بنفسك، وإلا فجهز نفسك للحرب". حينئذ أرسل ركن الدين مسرعا وخرب خمس قلاع خالية من المؤن ولا تستطيع الصمود أمام التتار وكتب، إلى هولاكو: "لقد أديت جزءا من طلبك، وشيئا فشيئا سأهدم باقي القلاع." ولكنَّ هولاكو بدهائه عرف أن ركن الدين يريد كسب الوقت؛ لذلك أرسل كتبغا إلى القلعة المسماة: شاهديز(٢٣١). وبعد يومين تمكن من أخذها ومعها ثلاثة حصون أخرى . فأخذ ركن الدين أحد أبناء المساكين◆ وألبسه ملابس الملوك وأرسله إلى الملك رهينة، ولكن هولاكو رغم أنه كان يعرف أنه ابن كاذب لركن الدين لم يظهر أنه يعرف ولكنه أرجعه مكرما وقال: "إنك أنت الذى أطلب وليس أنت" .فأرسل أخاه الحقيقى الذي يدعى شيروان شاه(٢٣٢) مع ثلاثمائة فارس. وأخذ هولاكو الفرسان وأرسلهم إلى قزوين(٢٣٣) وأرجع شقيق ركن الدين إليه وقال إن ركن الدين نفسه هو الذى يجب أن يأتى.

وفى ليلة ميلاد المسيح عندما تهيأ ركن الدين للحضور شهر عبيده خناجرهم عليه وقالوا : "إذا ذهبت فسنقتلك. اكتب إلى ملك الملوك واطلب منه أن يحمى نفسه منهم، ويضع خطة ليحضر إليهم ويحيا لأنهم جميعا على وشك أن يهلكوا بحد السيف." وقبل ركن الدين الأمر. وفى إحدى الليالى نزل مع أبنائه وأهل منزله فاستقبل بحفاوة من ملك الملوك وأرسل إلى مدينة قزوين مكرما. أما الفرسان الثلاثمائة فقد قتلهم المغول سرا وحكموا _أيضا_ قلعة ميمون در التى جاء منها ركن الدين وخربوها (وكان قد حدث ذلك أيضا للقلعة الحصينة التى تسمى الموت(٢٣٤)، ولقلعة كرذكوه(٢٣٥) التى تقع

◆ أحد أبناء المساكين : أخذ صبيا عمره سبع أو ثمان سنوات وادعى أنه ولده. (تاريخ مختصر الدول ص ٢٦٤).

فى قلب الماء). وأخذ التتار الخمسين قلعة الأخرى المحيطة بهـا وخربوهـا وهدموها، وقتلوا كل الذين كانوا بداخلها. وبذلك رحم الله كل ملوك العـرب والمسيحيين الذين عاشوا فى فزع ورعب من خطر الإسـماعيليين حـاملى الخناجر وسافكى الدم البرئ .

ولما رأى ركن الدين رحمة هولاكو نظر نحو مخلصه وقال له بجرأة: "إن الأيام التى أعيشها الآن قد أضفتها إلى بكرمك ولذلك فإنى أطلب منك أن تسمح لى أن أمضيها فى سعادة". وأمر هولاكو الخزنة أن يعطوه كمية مـن الذهب والفضة . ولما أخذها بدأ فى الأكل والشرب والترف، وأحب إحـدى بنات المغول، فأمر هولاكو فأعطيت له زوجة. وفى أحد الأيام عندما كـان يشرب الخمر قال لأحد عازفى القيثارة وغنِّ هذه الأبيات باللغة الفارسية:

ـ لقد جئت إليك مريضا كما أذهب إلى الطبيب

ـ لقد جئت إليك يا ملك الملوك حتى أحصل على الحياة بمقابلتك

ـ لقد جئت إليك لأجني فاكهة الصحة من محصولك

ـ إن لم يكن لذلك فبأي أسباب كنت أستطيع الحضور إلى أرضك

وعندما سمع هولاكو تلك الأبيات فرح فرحا كبيـرا، وكـان الحـب واضحا بعينيه. بعد ذلك طلب ركن الدين تصريحا أن يذهب ليرى مونككـا خان فعين له هولاكو رسولا وأرسله معه. وفى طريقه تشاجر مع الرسـول وحدثت بينهما عداوة، وعندما وصلوا إلى معسكر مونككا خانـه الرسـول وقتله، ووصل الأمر إلى أبعد من ذلك؛ فقد تقرر أن تقتل كل ذرية (نـسل) الإسماعيليين[٢٣٦]: ذكورا وإناثا حيثما كانوا.

فى هذه السنة نفسها خرج "بايجو نويان[٢٣٧]" رئيس جنود التتار إلـى جهة أرزن الروم وأرسل رسولا إلى السلطان عـز الـدين فـى شـهر آب (أغسطس) ، وطلب منه مكانا لتمضية الشتاء؛ لأن هولاكو ملك الملوك شقيق مونككا خان إذا رغب أن يشتى فسيتجه إلى موجان كعادته كل عام. وحضر

مع بايجو حاتم، من خدمة الخان الكبير، ودخل بلده يوم الجمعة الأول من أيلول، وكانت فرحة للمسيحيين . ولكن السلطان لم يعط لباشو المكان، واحتقره لأنه سمع أن رئيسا آخر أكبر منه _وربما سيده_ قد طرده من بلده، ولذلك استعد للحرب معه. وعندما جاء بايجو قابله السلطان عز الدين بجانب مخازن السلطان بين قونية وأقسرا، وهُزم وهَرب إلى بلاده الداخلية التي على حدود نيقية♦. لقد أخرج رئيس قوات بيت الروم يوتاش بلغاى أوغول الذى قتل هو أيضا فى هذه الحرب أخرج بايجو نويان ركن الدين من السجن وملكه على بيت الروم .

وفى سنة ١٥٦٧ يونانية (١٢٥٦ ميلادية) أرسل عز الدين رسولا من قصره إلى هولاكو وشكى بايجو، قائلا إنه يبعده عن المملكة وعن إرث آبائه. فأرسل هولاكو يارليغ(٢٣٨) ، وأمر أن تقسم البلاد بين الأخوين .

لذلك عندما بدأت سنة ١٥٦٨ يونانية (١٢٥٧ ميلادية) هرب عز الدين وجاء إلى قونية، وكان ركن الدين مع بايجو فى مكان شتوى فى البلاد الداخلية فى بيتونيا على شاطئ البحر. ولأن عز الدين كان يخشى بايجو بدأ فى تجهيز قوة له وأرسل أحد عبيده _ويدعى طوجرحاب_ إلى ملطية ليرسل جنودا من الأكراد والمعديين والتركمان. وعندما ذهب إلى قلعة زياد أحضر له من هناك اثنين من النبلاء الأكراد: أحدهما شرف الدين أحمد بن بلاس، الذى أعطى له ملطية والآخر شرف الدين محمد ابن الشيخ عدى، وقد أعطى له قلعة زياد . وعندما جاء ابن بلاس لم يستقبل من الملطيين، لأنهم كانوا قد أقسموا الولاء لركن الدين، وبدأوا فى شن الحرب على المواطنين، وعاشوا فى قسوة بسبب طول الشتاء. وكانت هناك مجاعة، فارتفع قفيز القمح إلى مائة وعشرين عمله سلطانية. وعندما لم يتحمل أبناء ملطية ثاروا على ابن

♦ نيقية : فى النسخة السريانية حدود "نيقية " (ص١٥٣ عامود٢ سطر٣٠) ، والنسخة الإنجليزية حدود" نينوى" (frontier of NINEVEH P.424).

بلاس وقتلوا من رجاله حوالى ثلاثمائة رجل، فهــرب وذهــب إلـــى بلـــدة قلوذيا(٢٣٩) وأحرق دير ماذيق(٢٤٠) ودير ماراسيا فى أول يوم من أسبوع أحد الشعانين، أول نيسان(أبريل). وأحدث خرابا عظيما فى البلدة، وكذلك فى بلدة جوباس. ومن هناك اتجه فى طريق آمد حيث لحقه صاحب ميافرقاط وقتله. أما الآخر ابن الشيخ عدى الذى كان فى قلعة زياد _فبعد أن تحمـــل ســكان القلعة كثيرا من التعذيب أخذ إخوته وزوجاته، واتجهوا فى طريق قماح حتى يصل لمساعدة السلطان عز الدين، وهناك أدركته قوات أنكورك نوين وقتلته. وعندما سمع السلطان عز الدين بهذه النهاية السيئة التى حلت على الأكـــراد الذين جاءوا لمساعدته _أرسل على بهادر رئيس القوات إلى ملطيـــة. كـــان قصير القامة وضعيف البنية، ولكنه كان محاربا قويا ذا مهارة فائقة فى شئون الحرب. وعندما جاء رحب به أهل ملطية وظهرت منه مساعدة لأبناء البلاد، وأعدت الطرق وفتحت الممرات، وحملوا القمح من كل مكـــان. فـــى هـــذا الوقت امتلأت الجبال والمرتفعات والسهول المحيطـــة بملطيـــة بالتركمـــان الأوجاجاريين الذين كانوا ينهبون فى كل مكان. لقد أخذوا من قرية واحـــدة فقط فى بلدة حصن منصور سبعة آلاف بقرة وحمار وأتان وخمسة وأربعين ألف غنم وماعز، وأخذوا _أيضا_ دير ماذيق وماراسيا ومازديميط، ونهبـــوا منهم خيرات كثيرة، ولقد طاردهم على بهادر نفسه وأخيرا طردهم من البلد. أما رئيسهم الذى يدعى جوتى بك فقد قبض عليه وحبسه فى قلعة المنـــشار. وعندما كان أبناء ملطية ينعمون بهذه الفترة من الهدوء خرج بايجو مع قواته من بلاد بيتينيا الداخلية، وخلال أيام شهر نيسان(أبريل) انتشروا فـــى بـــلاد خلاط وكبادوقيا، وبدأوا فى شن حرب على القلاع حتى سلموها لركن الدين ووصلوا إلى بلدة أبلستين وسفكوا دماء كل شعبها حوالى ســبعة آلاف. أمـــا الأولاد والبنات فقد أخذوهم أسرى. ووصلوا إلى ملطية فى يوم السبت فـــى بدر أيلول، وهرب بهادر إلى كاختين، وجعل بايجو أبناء ملطية يقسمون يمين الولاء فى جانب ركن الدين. وقد أخذ منها دنانير كثيرة وترك بها فخر الدين

أياز أحد عبيد ركن الدين، وانتقل هو بنفسه إلى قلعة زياد؛ لأنه كان قد صدر له أمر من ملك الملوك هولاكو أن يحضر مسرعا إلى بغداد .

وفى بداية سنة ١٥٦١ يونانية ١٢٥٨ ميلادية فى موسم الخريف وصل بايجو نويان إلى الموصل، ولم يؤذ هذا البلد كثيرا؛ لأن الملك الصالح بن بدرالدين صاحب الموصل فى هذه الأيام كان قد جاء من خدمة هولاكو.وأعطيت له تركان بنت جلال الدين خوارزمشاه زوجة وكانت معه فى ملابس المغول. حينئذ هرب المواطنون جميعا إلى المدينة واختبأوا حتى عبر بايجو. أما على بهادر فبمجرد أن عبر بايجو نوين الفرات رجع عائدا إلى ملطية، أما المواطنون فبسبب قسمهم لركن الدين و_أيضا_ بسبب خوفهم من بايجو فقد أغلقوا أبواب المدينة فى وجهه، فجمع قوات من الأجراجايا وبدأ فى شن الحرب عليها. وكانت المدينة فى ضيق شديد بسبب الحرب والجوع، فقد بلغ ثمن قفيز الملح أربعمائة عملة بيضاء سلطانية، والقمح سبعين عملة. وعندما لم يتحمل الشعب الجوع والحصار ثاروا فى إحدى الليالى، وفتحوا أبواب المدينة وأحضروا بهادر والأجراجاية الذين كانوا معه. وفى الليل جعلوا النداء يرتفع على مآذن المساجد ونادوا بالسلام للعرب والمسيحيين، وشجعهم ألا يخافوا أنَّ غضبه كان ضد النبلاء وليس المواطنين.

وفى صباح اليوم التالى أخذ عبد ركن الدين وحبسه وأركب شهاب عارض على حمار، وطاف به حول المدينة وسخر منه ثم قتله. وآخر يدعى الأيكد بشاسى ربط طرف حبل فى عنقه والطرف الآخر فى رقبة كلب، ودار به فى المدينة ثم قتله. أما القس قالويان وأخوه باسيل ومانويل وابنه كيريورى الذين كانوا محامين كبارا _ فقد قتلوا بالطريقة نفسها. ومع هؤلاء الثلاثة قتل _أيضا_ أبناء شهاب الدين أيسو الذين كانوا أمراء أكراد. حينئذ توقف القتال ونعمت المدينة بالسلام قليلا. ولكن المجاعة ازدادت كثيرا بعد أن فُتحت أبواب المدينة؛ لأنها كانت قد أصبحت صحراء جرداء ولا يأتى أي

شيء من مكان آخر بسبب قطاع الطرق التركمان. ولقد باع الكثيرون أبناءهم وبناتهم إلى الأجاجرايا، وآخرون أخذوا أحذيتهم القديمة وسلقوها وأكلوها. ووجدت سيدة تشوى ابنها، وعندما أدانوها أقسمت أنها لم تقتله بل إنها شوته بعد أن مات. ووجدت أيضا سيدات أمامهن جثة امرأة ميتة ويقطعن من لحمها شرائح ويشوينها ويأكلنها. وعندما أدرك بهادر أنه لن يستطيع الصمود أمام التتار ترك المدينة وهرب إلى السلطان عز الدين ومعه حسام جوبان وبرصوما ابن أندراوس الذى قتل وهم فى الطريق.

وفى أثناء تلك المجاعة ثار بعض شباب جوباس المسيحيين فى الجزيرة فى قرية عبرتا[٢٤٢]، وخرجوا ونهبوا وقتلوا إخوانهم المسيحيين ودخلوا وأكلوا. وفى هذا الوقت مرض ثاوذوروس بن قلاوين ملك نينوى فى بلدة نيقية. وعندما شعر بالموت نادى له أرسانيوس البطريرك وسلم له رعاية وتربية قلاوين ابنه لأنه صغير السن. وكان وقت ذاك تحت قيادة الصاحب ميخائيل الذى كان يدعى باليولوجوس. ولذلك خاف منه الملك ثاوذوروس أن يقوم بثورة ويستولى على المملكة بالقوة. وفعلا حدث ذلك؛ ولذلك أمر الصاحب _ويدعى جادنيوس_ أن يذهب إلى تسالونيقى حيث كان ميخائيل، ويكبلونه بالحديد ويحضرونه إليه. عندئذ ذهب جادنيوس وقال لميخائيل:" أنا أعلم أنك ستصبح ملكا، ولكن سلم نفسك بدهاء ودعنى أكبلك بالحديد وتعال معى إلى الملك، وعندما يرى عملك سيعفو عنك ويكرمك". وفعل ميخائيل ذلك وذهب إلى الملك مكبلا بالأغلال. وعندما رأى الملك أنه لا يشتكى عفا عنه، وجعله شريكا مع البطريرك فى تدبير شئون الغلام. وبعد عدة أيام ترك هذه الحياة وتولى موزالون وزيره الذى كان ختن كيرايلونيا أخت الملك، فأخذه إلى دير مغنيسيا ووضعه هناك أياما فى قبر أبيه ؛حتى يجهز الأمر مع حماته أخت الملك الذى هيأ له الفرصة ليصبح ملكا، ويقضى على النبلاء الذين لا يسلمون له. وعندما كُشفت هذه الحيلة لميخائيل ولباقي النبلاء أمروا الفرنجة الذين كانوا جنودا معهم أن يذهبوا إلى الدير ويقطعوا موزالون حيثما كان بالسيوف. وعندما صعدوا إلى الكنيسة وجدوه هناك يصلى فقطعوه إربا

إربا. وصعد النبلاء وصرخوا بصوت مرتفع:" يعيش ملك اليونان ميخائيل باليولوجس، يعيش أوطوقراطور رومانيا ميخائيل باليولوجس". ومن هناك ذهب جميعهم إلى نيقية وأخذوا الطفل قالويان، وأرسلوه وحبسوه فى إحدى القلاع، وأيضا أرسلوا أرسانيوس البطريرك إلى المنفى فى دير فى إحدى جزر بحر بنطس .

وبعد قليل من حكم ميخائيل قرر أن يذهب إلى القسطنطينية لأنه سمع أنه توجد بها قوة صغيرة مع بجدوين ملك الفرنجة صاحبها. وفى أثناء رحلته أرسل وأخذ نيقيفورس مطرابوليط أفسوس. وجعله بطريركا لبلدة قاليوفولى بدلا من أرسينيوس الذى كان قد نفى. وانتقل من هناك وذهب وعسكر عند القسطنطينية، ولم يتمكن من أخذها لأن أبناء المدينة والفلاحين والجنود قاوموا ببسالة على الأسوار وحاربوا بجدارة. وعندما رأى ميخائيل أنه لن ينجح تركها ورجع. وبعد فترة تشاجر البندقيون _وهم التجار الفرنجة فى مدينة عكا_ مع الجنابيز، وانضم الفيزنايا إلى البندقيين، وعندما سمع البندقيون. الذين كانوا فى باقي البلاد أسرعوا بدون تأخر لمساعدة زملائهم، وخلت القسطنطينية منهم. وفكر ميخائيل فى حيلة أخرى وأمر رئيس قلعة من أتباعه أن يظهر العصيان ويرسل إلى بجدوين فى طلب قوة وتسلم له تلك القلعة. واستعد ميخائيل بسرعة وعسكر ضدها، ولقد تملق ميخائيل بعض المواطنين، وفى إحدى الليالى فتحوا له الأبواب القديمة وكانت لم تفتح منذ عهد قسطنطين الغازى. ودخل اليونانيون وهاجموها بالسيف، وبصعوبة تمكن بجدوين أن ينقذ نفسه وأهل منزله، وأخذوا زورقا صغيرا وهربوا إلى الفرنجة. وهكذا عادت القسطنطينية إلى حوزة اليونان بعد أن ظلت مع الفرنجة لفترة ثلاثة وخمسين عاما .لم يعش البطريرك نيقيفورس غير الشرعى طويلا، ولكنه مات سريعا وعين ميخائيل مكانه رومانوس بطريركا لمدينة أوريانابولس، وبمجرد أن عين اشترك فى إحدى الفضائح وطرد. حينئذ أرسل الملك ميخائيل وأحضر أرسانيوس البطريرك من المنفى، ووعده أن يخرج قلاوين ابن الملك من سجنه ويسلمه ملك أبيه، وأنه سيحمل

القسطنطينية التى أخذها بالسيف وحده. وصلى البطريرك من أجله، ورعاه وجلس مرة أخرى على العرش. وبعد أن اطمأن ميخائيل البطريرك أضاف مساوئ إلى مساوئه؛ فبدلا من أن يخرج قلاوين من السجن وينصبه ملكا أرسل وفقأ عينه وجعله أعور. وعندما علم البطريرك بذلك تولى منصبه بنفسه، ورجع إلى سجنه وأتى الملك برئيس دير يدعى يوسف◆ وجعله بطريركا، وأصبح منذ ذلك اليوم رئيسا. ولقد ظهرت تلك السيئات فى ملطية فى أيام الشتاء.

◆ يوسف : جاءت هذه الكلمة فى المتن السريانى مكتوبة بزيادة حرف "الألف" فى بداية الكلمة "أيوسف" (ص١٥٥V عامود١ سطر١١). أما BUDGE فلم يكن متأكدا من ترجمته فذكر كلمة "يوسف؟" ووضع بجوارها علامة استفهام (whose name was (JOSEPH ?)p429.)

الاستيلاء على بغداد

نزل ملك الملوك هولاكو إلى بغداد، ووصل _أيضا_ بايجو من بيت الروم، وخرجت قوات بغداد لمقابلة التتار. وكان يرأس الفاتحين أمير كردى يدعى: بركورر والدويدار* الصغير بن الخليفة. وبقى الجانبان أمام بعضهما البعض بدون حرب لمدة ثلاثة وعشرين يوما. وفى اليوم الرابع عشر الثامن من الشهر الأول للعرب سنة ٦٥٦ هجرية (١٢٥٨ ميلادية) _أى: سنة ١٥٦٩ يونانية_ اقترب أولا بايجو نوين وقواته لمكان يسمى قبر أحمد من الناحية الغربية لبغداد، واقتربت قوات بغداد وتقابلوا وهُزم جانب بايجو نوين وظفر أهل بغداد بالنصر. كان الأمير سليمانشاه(٢٤٣) مع قواته على سور بغداد . وعندما حل المساء قال بركورر العجوز إلى الدويدار الصغير:" لقد أعطانا الرب النصر، وإنه من الواجب أن نذهب إلى منازلنا ونستريح ثم نخرج من جديد ونحارب." كان الشاب مغرورا فرفض أن يدخل، أمضوا طيلة الليل فى الخارج. ولأن أهل بغداد كانوا قد عسكروا على أرض منخفضة فذهب التتار وقطعوا جسرا فى مجرى الماء الكبير من دجلة. وفى منتصف الليل فاضت عليهم المياه وبدأوا فى الهرب من المياه، حاملين سهامهم ورماحهم وأغماد سيوفهم. وعندما بزغ النهار عاد التتار أتباع هولاكو واستمرت المعركة حتى الساعة التاسعة من اليوم الخامس. وهُزمت قوات بغداد وأصبحوا لا حول لهم ولا قوة. وقد قتل بركورر وهرب الدويدار ودخل المدينة. حينئذ جاء بايجو نويان وقواته وعسكروا فى غرب بغداد . أما هولاكو** فقد عسكر فى الجهة الشرقية. وفى اليوم الثانى _أى: اليوم الثالث عشر من الشهر الأول_ شنوا حربا شعواء على المدينة ضد تاج قصر الخليفة. فقام الخليفة المستعصم البائس واستدعى: العلقمى(٢٤٥) وزيره، ونجم

---

* الدويدار :هومجاهد الدين أيبك (الصياد:المغول فى التاريخ ص ٢١٤)

** هولاكو : إن هولاكو قد ترك معسكراته فى "خانقين" وواصل سيره إلى بغداد ونزل فى الجبهة الشرقية منها فى الحادى عشر من محرم سنة ٦٥٦ هجرية سنة ١٢٥٨ ميلادية (تاريخ مختصر الدول ص٢٧١).

الدين عبد الجنى، وابن درنوش، ومار مكيكا الكاثوليكى(٢٤٦) ، وأمـــرهم أن يأخذوا كميات من الذهب وأملاكا ملكية وجيادا عربية ويخرجوا رسل التتار من السجون ويلبسوهم ويعطوهم هدايا كثيرة، ويذهبوا معهم إلى ملك الملوك ويطلبوا عهدا لحياة الخليفة ولأبنائه وبناته، ويعتذروا عن الذى حدث بـسبب ناصحى السوء. فإذا أظهر عطفا وأعطاهم حياتهم سيـصبحون عبيــدا لــه ويدفعون له جزية. وعندما خرج هؤلاء إلى ملك الملــوك ونقلــوا رســالة الخليفة، قبض عليهم ملك الملوك ولم يسمح لهم أن يرجعــوا إلـــى الخليفــة واستمر فى الحرب. وثقب التتار ثقبا كبيرا فى برج العجمى ودخلوا المدينــة فى يوم الجمعة اليوم الخامس والعشرين من الشهر الأول♦ وثار عليهم أبناء المدينة وأخرجوهم من جديد إلى الخارج. وفى اليــوم الثــامن _أى: يــوم السبت_ هاجم التتار مرة أخرى واستولوا على كل الأسوار، وهــرب أهــل بغداد واختبأوا فى المنازل والسراديب التى تحت الأرض. وفى يوم الــسبت خرج أبناء الخليفة♦♦ إلى ملك الملوك، وبعد ساعة خرج الخليفة بنفسه إلـــى ملك الملوك. فأمر ملك الملوك بتكبيل الخليفة بالحديد، وفرض عليه حراســة من حراس إحدى خيامه لمدة سبعة أيام حتى دخل ملك الملوك بنفــسه إلـــى قصر الخليفة، وفحص الكنوز والأشياء الثمينة قديمها وحديثها التـــى كانــت مخبأة والمخزونة، فكشف عنها كلها وأخرجها. فسحب المغول سيوفهم وقتلوا من أهل بغداد ما يقرب من عشرة آلاف رجل، وخاصة أهل أيبريا فقد قتلوا الكثيرين. وجمع الكاثوليكى كل المسيحيين فى كنيسة سوق الثلاثاء حماية لهم ومحافظة عليهم، ولم يصب أحد من المسيحيين. ولقد أحضر العرب الأثرياء كميات كبيرة من ثرواتهم إلى الكاثوليكى أملا فى إنقاذ أنفــسهم والمحافظــة

♦ الشهرالأول : الشهر الأول هو شهر محرم.

♦♦ أبناء الخليفة : تذكر بعض الروايات أن الخليفة خرج بأبنائه الثلاثة،فقد رحل هولاكو من بغــداد .وفى أول مرحلة قبل الخليفة المستعصم (آخر الخلفاء العباسيين) وابنه الأوسط وابنه الكبير مع مجموعة أخرى. (تاريخ مختصر الدول ص٢٧٢) .

على أملاكهم ولكنهم قتلوا جميعهم. وبعد فترة وجيزة هدأت ثائرة ملك الملوك فأحضروا الخليفة وصاحبه أمامه وحكم عليه بالسجن حتى الموت. وعندئذ أوثقوه ووضعوه فى جوال وخيطوه عليه وقتلوه بضربات أقدامهم(٢٤٧). وقد حدث هذا لأن بعض العرب قد أفزع ملك الملوك وقالوا: "إذا أريق دم هذا الرجل على الأرض لن تسقط الأمطار مرة أخرى، وستنفجر منه شواظ من النار".

هنا وصلت مملكة العباسيين إلى نهايتها وبدأت تتزعزع باقى ممالك العرب. وانتصرت مملكة المغول فى البلاد الخارجية وكذلك فى البلاد الداخلية. وفى طريق عودة التتار من بغداد جاءوا وعسكروا عند قلعة إربل(٢٤٨) .وعندما أراد صاحب بن صلايا(٢٤٩) أن يسلمها تصدر له عدد كبير من الأكراد المقيمين داخلها، فاضطر إلى الهروب إلى التتار. ثم جاء بدر الدين لؤلؤ واشترى القلعة وكل من كان بها من التتار بسبعين ألف دينار، فرحل التتار وتسلم بدر الدين قلعة إربل ووضع عليها حراسة.

وبعد قليل حصل شرف الدين جلالى أمير كردى على أمر وأخذ القلعة من بدر الدين وطرد الحراس الذين كانوا هناك. أما جلالى فذهب مع قوات التتار إلى الثوار الأكراد الذين كانوا فى "جولمرج"، فأرسل بدر الدين بعض الأكراد وقتلوه فى أثناء نومه فى خيمته. وقام بالحكم معتز شقيق صافى سليمان طبيب مسيحى كبير فى إربل. وبعد وفاته قام بدلا منه ابن تاج الدين عيسى رجل طيب ومؤمن. وفى أثناء ذلك حدثت مجاعة شديدة وطاعون فى كل بلاد: سنجار وأشور وبين النهرين وسوريا وبيت الروم.ولقد بيعت فى دمشق حمامة صغيرة لرجل مريض باثنى عشر نصرانيا.

بداية الأسرة الحادية عشرة التى انتقلت
من ملوك العرب إلى ملوك الهون
هولاكو ملك الملوك وشقيق مونككا خان الكبير

عندما قتل الخليفة المستعصم وعين ملك الملوك على بغداد على بهادر فى أثناء تلك الحرب _أرسل مسيحيو تكريت إلى الكاثوليكس، طالبين منه صاحبا لحمايتها، فأرسل لهم رجلا ليرعاهم. ولكن عندما ذهب التتار قتلوا كل نبلاء العرب وسلبوا كل ممتلكاتهم. ولقد تمتع جميع مسيحى الكنيسة الخضراء التى عرفت باسم أجودامة(٢٥٠) ، التى كان العرب قد استولوا عليها بالحماية وظلوا دون ضرر منذ بداية الصوم حتى أحد الزعف، أى: اليوم السابع عشر من شهر آذار سنة ١٥٦٩ يونانية (١٢٥٨ ميلادية). فقام رجل عربي ماكر يدعى بردورى فشكا المسيحيين إلى صاحبهم قائلا:" إنهم قد أخفوا أكثر ثروات العرب التى قتل أصحابها ولم يعطوا لك شيئا". وعندما سأل الصاحب المسيحيين عن ذلك لم يتمكنوا من الإنكار، ولكنهم اعترفوا وأحضروا كل شيء أمامه. فأرسل وأخبر ملك الملوك وصدر حكم الموت على أهل تكريت البؤساء تبعا لقوانين المغول. فأرسل واحدا من كبار قادته ومعه قوة من التتار وبدأوا فى القبض على المسيحيين: عشرين عشرين، وساقوهم إلى القلعة مدعين أنهم سيهدمونها وقتلوهم. واستمروا فى ذلك إلى أن قضوا عليهم، ولم يهرب إلا رجل وامرأة مسنان وأولادهم وبناتهم الذين تم أسرهم من قرية كرمة(بالقرب من تكريت) ، مع بعض الرجال القلائل الذين ظلوا هناك فى باقى الكنائس ليصلوا. ولقد قام بهرام(٢٥١) المسيحي صاحب تكريت بقتل بردورى الواشى. وعندما سمع بدر الدين صاحب الموصل أن بغداد أخذت أرسل ابنه الملك الصالح مع ألف فارس تقريبا

لمساعدة ملك الملوك ولم يستقبله بترحاب وقال له: " إنك كنت تنتظـر لمـن يكون النصر ثم تنضم إليه، ولوكان الخليفة قد انتصر على لكنت قد ذهبت إليه ولم تأت إلى. "وعندما رجع الصالح إلى بدر الدين والده وأخبره ارتجف بدر الدين وقام وأخذ كميات من المال لا تحصى وذهب بنفسه إلـى ملـك الملوك ورجع بسلام. وبعد مرور هذا الحادث المرعب كانت له حرية الكلام فصعد على العرش بجانب ملك الملوك وأمسكه من أذنه، ووضع بيده قرطـا من اللؤلؤ النفيس . فى هذا الوقت تولى الأشرف بن الملك الغازى بن العادل الكبير حكم ميافارقين، وكان يفكر فى العصيان بقلبه. وقام بصلب رجل كهل سرياني من بلدة بدليس(٢٥٢) كان قد صدر إليه يارليغ من الخان، وطرد حكام المغول من عنده وقام وذهب إلى دمشق إلى الملك الناصر، طالبا منه العون ليقابل التتار فى معركة ويمنعهم من النزول فى سوريا، وإن أمكن طـردهم بعيدا عن بغداد. ولكن الملك الناصر وعده وعودا جوفاء وعـاد إلـى بلـده ميافارقين، وبمجرد وصوله أحاطته قـوات التتـار وكـان علـى رأسـهم يشموط(٢٥٣) ابن ملك الملوك. وبنوا حولها أسوارا، وأقاموا أبراجا يحـاربون من الخارج الذين فى الداخل حاربوا أمامهم بقوة أشد؛ ولذلك ظلـت بـدون هزيمة لمدة عامين. ولكن بعد سقوط بغداد احتلت القوات ميافارقين، وبـدأت تصل رسل من قبل ملك الملوك إلى الملك الناصر طـالبين منـه الـذهاب لخدمته. ولكن نبلاءه لم يوافقوا على ذهابه؛ فلذلك دبر خطة وأرسـل ابنـه الملك العزيز مع كنوز وهدايا كثيرة فى خريف سنة ١٥٧٠ يونانية (١٢٥٩ ميلادية)، وظل هناك طيلة الشتاء . وفى الربيع رجع إلى حلب بعد احتفـال القيامة وقال لأبيه إن ملك الملوك قال لى: "لم نطلبك ولكن طلبنا أبـاك. إذا كان هناك فدعه يأتي بسلام وإذا لم يحضر فسنذهب نحن إليه". وظل الملـك الناصر لا يستطيع الحركة لأمرين: لا يستطيع البقاء خوفا من التتـار، ولا يستطيع الذهاب خوفا من نبلائه وعبيده أن يثوروا عليه ويقتلوه فأصابه الذعر والخوف. وفى أثناء ذلك أرسل ملك الملوك إلى السلطان عز الدين وركن الـدين أبناء بيت الروم، أرسل إليهما أن يحضرا لمساعدته. فذهب كلاهما وقـوبلا

بالترحاب وأصدر ملك الملوك أمرا أن يتملك ركن الدين من قيصرية حتى حدود أرمينيا الكبرى. أما عز الدين فيتملك من أقسرا إلى شاطئ البحر عند حدود مملكة اليونان[٢٥٤] . وتصادق الأخوان مع ملك الملوك وذهبا معه حتى وصلا إلى ما بين النهرين، ومن هناك صعدا إلى بيت الروم. ومكث ركن الدين فى سبسطيا، أما عز الدين فذهب واستقر فى قونية. فى هذا الوقت صعد السلطان عز الدين إلى دير برصوما. ووعد البطريرك مار ديونسيوس بالخيرات.

وفى هذه السنة توفى بدر الدين[٢٥٥] صاحب الموصل فى العشرين من تموز وتولى ابنه الأكبر الملك الصالح إسماعيل حكم الموصل، كما حكم سنجار ابنه الأوسط علاء الدين◆ أماسيف الدين ابنه الأصغر فتولى حكم جزيرة قاردو.

وفى سنة ٦٥٨ هجرية(١٢٥٩ ميلادية) سنة ١٥٧١ يونانية (١٢٦٠ ميلادية) فى موسم الخريف _تحرك ملك الملوك مع قوة كبيرة مكونة من أربعمائة ألف فارس إلى بلاد ما بين النهرين، فعسكروا أولا عند حران فاستسلم مواطنوها دون مقاومة وعاشوا فى سلام، وكذلك فعل أهالى الرها. أما أهالى سروج الذين لم يرسلوا طالبين ضمانا لحياتهم فقد قتلوا جميعا .أما ملك الملوك فقد أمر بمد جسور على الفرات فى ملطية وفى قلعة الروم وفى

◆ علاء الدين : هو الابن الأوسط لبدرالدين، وقد حكم سنجار بعد وفاة والده ولكن جاء فى المتن السريانى أن ابن بدر الدين الأوسط هو جلال الدين (١٥٧ عامود ١ سطر ١٣)، ولكن الصحيح هو "علاء الدين "هو الابن الأوسط، كما ورد فى الترجمة الإنجليزية(**his intermediate son whose name was ALA AD-DIN reigned in SINJAR p.435)**.كان لبدر الدين ثلاثة أبناء، فبعد وفاته تولى ولده الملك الصالح اسماعيل "الموصل"، وولده علاء الدين "سنجار"، وولده سيف الدين "الجزيرة"(تاريخ مختصر البشر ج٣ ص١٩٨).

البيرة وقرقيسون♦، وعبرت القوات إلى سوريا مع ملك الملوك ومعه توقوز خاتون الملكة المؤمنة والمحبة للمسيحية. وكان فى منبج كثير مــن القتلــى ولقد أرسل مقاتلين ضد قلعة ألبيرة وقلعة نجم وقلعة جعبر والرقة وبلش وقتل كل الذين كانوا بها.

وفى البداية عسكرت قوات قليلة العدد بالقرب من حلب وخرج الملــك المعظم الكهل ابن صلاح الدين وتقابل معهم وهزمهم ودخل حلب .حينئذ قام التتار بالعبور وذهبوا وخربوا مدينة المعرة واتجهوا إلى حماة التى استسلمت بسهولة وكذلك حمص، فأخذ الملك الناصر زوجاته وأبناءه وعبيده وخرج من دمشق وهرب إلى صحراء الكرك وشوبك. أما التتار فقد توجهوا إلى دمشق حيث استسلم حكامها بسهولة ولميؤذهم التتار، وعسكر ملك الملــوك بنفــسه ضد حلب وأمر ببناء حوائط خارج الأسوار الدائرية لحلب وشنوا عليها حربا شعواء. وبعد أيام ليست بكثيرة استولوا على الأسوار من ناحية باب العراق، ودخلوا حلب فى أول يوم من أسبوع صوم نينــوى♦♦ فــى شــهر كــانون الثانى(يناير) فى السنة المذكورة، وكان القتلى فى حلب كما فى بغداد وأكثر. ولقد خربوا الجزء الخارجى من سور كنيستنا حيث كــان مواطنــو بعلبــك فذهبت- أنا المطرابوليط♦♦♦- ذهبت لخدمة ملك الملوك وحبست فى قلعــة نجم. وظل أبناؤنا المؤمنون من شعب حلب دون رئيس، وقد اجتمع أغلــبهم فى كنيسة اليونان وهاجمهم التتار وقتلوهم وأسروا عــائلتهم . ولقــد ذهــب توروس الأرمني ابن الأخ الأكبر القديس الكاثوليكي قسطنطين مع الراهــب

♦ قرقيسون :ورد اسم هذا البلد فى النص السريانى "قرقيسون" (ص١٥٧ عامود١ سطر٢٧)، هذا صحيح. أما الترجمة الانجليزية فقد ورد اسم البلد "قرقــسيوم"ووضــع بــين قوســين "أســروان"(and at P.435(CIRCESIUM(OSRHOENE)

♦♦ صوم نينوى: هذا اليوم يوافق يوم الأحد، الثالث والعشرين من كانون الثانى سنة ٦٥٨.

♦♦♦ أنا المطرابوبيط : المقصود هنا هو المؤرخ "ابن العبرى " كاتب النص؛ فقد كان فى ذلك الوقت رئيس أساقفة حلب. (المغول ص ٢٩٤).

كوراك؛ ليحررا كل من يجدونه حيا وجمعوهم فى كنيستنا. وعندما أخذا المدينة شن التتار حربا على القلعة واستولوا عليها دون قتال. ومن هناك توجه ملك الملوك إلى قلعة الحارم[٢٥٦] ، وطلب من مواطنيها الاستسلام وأقسم لهم أنه لن يؤذيهم فأجاب المواطنون:" على الرغم من أنك ملك فإنه ليس لك دين فبماذا نجعلك تقسم؟ إذا أقسم لنا فخر الدين[٢٥٧] صاحب قلعة حلب أنه لن يؤذينا فسنترك المدينة" .عندئذ أمر ملك الملوك فخر الدين بالرحيل ففعل وأقسم لهم وفتحوا أبواب القلعة ونزلوا، وأمر ملك الملوك بقتلهم فقتلوهم جميعا رجالا ونساء وأولادا وبنات وحتى الأطفال الرضع، ولم ينج إلا حداد أرمني. كما قتلوا أيضا فخر الدين الذى كان قد أعلن خضوعه. ولقد قام أحد نبلاء حلب بالوشاية بولى الدين بن صفى الدين قائلا: "إنه هو الذى قتل أبى وإخوتى، وقال لهم سلموا المدينة حتى لا نموت بالسيف". وعندما اقترب من النهاية ترك ملك الملوك فى فلسطين صاحبا قبله _يدعى كتبغا_ مع عشرة آلاف فارس أى تومان[٢٥٨] و(التى هى ربوثا)، ورجع من حيث أتى. وعندما وصل إلى تل باشر علم أن التتار قد استولوا على ميافارقين، وأسروا الملك الأشرف صاحبها، وأحضروه إلى الخان الأعظم (ملك الملوك) الذى قتله. حينئذ حكم ميافارقين رجل يدعى عبد الله، وكان يعمل من قبل رئيسا لحظائر والد الأشرف. وقد حدثت بها مجاعة لم يسمع بمثلها من قبل، حتى أهلكت كل شعبها ولم يبق سوى مائة نفس. وعلى الرغم من هذا كله لم يتمكنوا من الاستيلاء عليها إلا بعد مشقة بالغة. أما باردو♦ _أحد مواطني ميافارقين الذي نجا منها كما تنجو العصى المحترقة من اللهب المشتعل_ فقد قص على ما يلى:" فى أحد الأيام تاقت نفسى إلى أن آكل مع أفراد أسرتي قمحا مسلوقا مع لحم ثور. وبخمسمائة زوزا نصرانية استطعت بصعوبة أن أهيئ قدرا تكفينا". وعندما عبر ملك الملوك الفرات أمر صاحب

♦ باردو : هو اسم أحد مواطنى " ميافرقين"وقد ورد فى النص السريانى "باردو"(ص١٥٨ عامود٢ سطر٨) ولكن **BUDGE** ذكر انه "اردو"(**ARDU p.437**).

ماردين بالتوجه إليه، ولكن الصاحب رفض طلبه، كما أرسل إلى الملك المظفر ابنه لأنه هو وابن بدر الدين صاحب الموصل كانا فى خدمته فى حلب، وقال له:" اذهب وأقنع والدك أن يحضر ولا تسمح له أن يثور ويهلك". وعندما ذهب الشاب إلى أبيه لم يصغ إلى طلبه، بل أوثقه بوثاقه. فأرسل ملك الملوك قوات وعسكروا عند ماردين وبدأ فى شن حرب عليها، ولولا إرسال الرب ــ جل اسمه ــ وباء هناك لما استطاعوا الاستيلاء عليها ولو بعد عدة سنوات. ووفقا لمشيئة الله هلك عدد كبير من الشعب الذى كان موجودا، كما مات أيضا السلطان .فجاء الملك المظفر ابنه وتسلق القلعة واستولى عليها، فكرمه ملك الملوك وقدره تقديرا كبيرا ودفع له أعظم الأجر ونصبه صاحبا. أما كتبغا فبحث عن المكان الذى اختبأ فيه الملك الناصر فوجده فى الصحراء، فأرسل إليه قوة قبضت عليه وأسرته وأحضرته إليه حيا، وأرسله كتبغا إلى ملك الملوك. وعندما ذهب إليه الملك الناصر استقبله بسرور وأكرمه، ووعده أن يرجعه مرة أخرى إلى مملكته.

وفى هذه الأيام انتقل إلى خدمة ملك الملوك هولاكو: الربان سمعان الكبير، وطبيب ابن الربان يشوع الكبير من مواطني قلعة الروم[٢٥٩]، وازداد ثراؤه كثيرا وأحبه كل أبناء الملوك والملكات. وكانت له قصور ملكية وحدائق وبساتين وأبراج فى المروج. وبلغ دخله كل عام حوالى خمسة آلاف دينار، وذلك من بابل وأشور وقابادوقيا ومراغة. ولقد حصل باقي شعبنا على المساعدة منه، ورفعوا رؤوسهم وحظيت الكنيسة بالطمأنينة والحماية فى كل مكان.

وعندما سمع قطز التركى الذى يحكم مصر أن ملك الملوك قد ذهب والملك الناصر قد أسر وأرسل إليه وأن كتبغا بقى وحده مع عشرة آلاف فارس فى فلسطين_ جمع القوات المصرية وخرج وقابل التتار فى معركة فى سهل بيشان أمام جبل الطاق، وهزم التتار وقتل كتبغا فى الحرب، وحُمل

أبناؤه أسرى فى اليوم السابع والعشرين من الشهر التاسع العربى♦ سنة ٦٥٨ هجرية (١٢٥٩ ميلادية). وعندما وصل هذا الخبر إلى ملك الملوك غضب وفكر أن ينتزع مملكة العرب من جذورها، فأمر بقتل الملك الناصر وأخيه الملك الظاهر وكل من كان معهم، وذلك فى اليوم الرابع من الأسبوع اليوم العشرين من الشهر العاشرالعربى♦♦ سنة ١٥٧١ يونانية (١٢٦٠ ميلادية) ، فى الساعة التاسعة فى أحد مضايق نوشهر،عندما كان القمر فى تتراجونون هرمس. ولم يهرب منهم إلا موحد المعمارى♦♦♦، والفلكى الذى قال لى:" إن هذا الرجل عندما كان جالسا مع الملك الناصر فى خيمته نادانى بجواره وسألنى عن مكان مولده". وفى وقت الظهيرة جاء قائد مغولى ومعه ما يقرب من خمسين مغولى فخرج الملك الناصر لمقابلتهم . عندئذ قال له المغول: "يوجد اليوم جلسة شراب عند ملك الملوك ويأمرك أن تأخذ أخاك وأبناءك وتذهب إلى هناك مع نبلائك". فقام الملك الناصر واصطحب معه أقاربه ومن النبلاء ما يقرب من عشرين شخصا وركبوا وذهبوا. وبعد قليل جاء إلينا فى خيامنا عشرون فارسا وقالوا:" يجب أن يحضر الفرسان والمحامون ولا يبقى إلا الخدم الذين ينصبون الخيام والطهاة والرعاة". وعندما ركبنا حملونا بين وديان عميقة وأجلسونا حيث عسكر نبلاء المغول والآخرون الواقفون أمامهم. وعندما اقتربنا وبدأوا يتحدثون معنا فجأة انتشر المغول خلفنا وأمسك كل واحد منهم واحدا منا، فأشرت على النبلاء بأننى فلكي وأعرف تحركات النجوم، فنادوا على وأجلسونى خلفهم. أما الباقون فقد أبعدوهم قليلا وذبحوهم، كما قتلوا الملك الناصر وأخاه والنبلاء، ولم يتعرضوا لأبنائه

♦ الشهر التاسع العربي : هو شهر رمضان.

♦♦ الشهر العاشرالعربي: هو الذى يوافق شهر شوال فى الشهور العربية.

♦♦♦ موحد المعمارى : لم يخلص منهم غير "محيى الدين المغربى بسبب أنه كان يقول إننى رجل أعرف بعلم السماء والكواكب والتنجيم، ولى كلام أقوله لملك الأرض". (ابن العبرى: تاريخ مختصر الدول ص٢٨٠).

بالإيذاء. وما زالوا أسرى حتى يومنا هذا عندهم . ثم ذهبوا وأحضروا القلة الباقية التى كانت فى الخيام وقتلوهم.

تولى قوبيلاى قا آن مملكة المغول

فى هذه الأيام ثار على المغول أحد عظماء ملوك الصين "الخطـاى"، والذى يدعى أيضا: مانزى. وحسب ما كان يقال فإن هذا الملك كـان قويـا واسع النفوذ يحكم حوالي أربعمائة مدينة♦؛ لذلك اضطر مونككاخـان(٢٦٠) أن يجمع قوة تضاهي قوة هذا الملك الصيني. فذهب بنفسه لمحاربته وأخذ معـه أخاه الأصغر قوبلاى، واتجه نحو بلاد الصين الداخلية، وترك مكانه أخـاه أريق بوقا، وكان أصغرهم جميعا. وحدث لسوء حظ مونككاخان فـى أثنـاء اشتباكه مع الملك أن أصابه سهم فى مقتل ففاضت روحه. فأخذ أخوه قوبلاى كل قوات المغول وخرج من البلاد الداخلية للصين، واسـتقر فـى الـبلاد الخارجية فى مدينة خان باليغ (٢٦١) الكبيرة. لقد وافق النـبلاء♦♦ أن يـصبح قوبلاى خانا ولكن أخاه الأصغر أريق بوقا قال: "إنه من اللائـق أن يكـون الملك لى، لأن مونككا خان كان قد سلم المملكة لى قبل ذهابه إلى الحـرب، وفى حياته أجلسني مكانه. وعلى أثر ذلك اندلعت معارك كبيرة بين الأخوين دامت سبعة عشر عاما. وفى النهاية هُزم أريق بوقا الأخ الأصـغر وأسـر

♦ أربعمائة مدينة : لقد ذكر هذا العدد فى الترجمة الإنجليزية((four hundred towns p.439 . أمـا فى المتن السريانى فقد ذكر "أربع مدن" (ص١٥٩ عامود١ سطر٢٥).وهذا الرقم لا يتفق مع المعـنى فقـد قالوا أن هذا الملك كان قويا وواسع النفوذ . وقد ورد "أربعمائة "فى ابن العبرى ص٢٨١.

♦♦ النبلاء : ذكر "ابن العبرى " فى النسخة السريانية" أن نبلاءه هم الـذين وافقـوا" (ص١٥٩ عـامود٢ سطر٢).وفى الترجمة الانجليزية(and his brothers agreed that he should be KHAN p.439) : (ويقصد به إخوان "قوبلاى خان " فقد وافقوا على تنصيبه خان) ولكن علـى مـا يبـدو إن رأى "إخوانه" أهم من رأى نبلائه.

وأُبطل ترديد اسمه، وبقى الملك خالصا لقوبلاى خان الملك العادل الحكيم حبيب، المسيحيين الذى أكرم الكتاب والعلماء والأطباء من الشعب. وبعد مقتل قطز حكم كتبغا دمشق وحلب وكل سوريا، وعين فى كل بلدة صاحبا يعاونه مستشارون فى القانون، ونقل معسكره حتى يستطيع غزو مصر، وأعد القوات وخرج من جديد ليقابل قوات المصريين. وفى الطريق عندما وصل إلى ضواحي غزة هجم عليه بيبرس البندقدار الصغير _أحد مماليك البندقدار الكبير_ فقتله وذهب إلى مصر وحكمها، ولقب بالملك الظاهر ركن الدين. وفى هذا الوقت لجأ إليه علاء الدين بن بدر الدين صاحب الموصل فمنحه حلب. وقد لقى مسيحيو السواحل معاناة شديدة من بندقدار واستمر حتى يومنا هذا؛ لأنه كان صاحب جميع قلاعهم ما عدا عكا وطرابلس وصور، فقد تركها لهم .

وفى سنة ١٥٧٢ يونانية (١٢٦١ ميلادية) وصل التتار إلى سوريا بقيادة الأمير قوبلاى نوين، الذى وصل إلى حمص واستولى عليها وقتل أهلها. ولما كان سكان سوريا قد هربوا إلى حلب فقد أمر نوين أن يطردوهم جميعا إلى خارج المدينة. وجلس أبناء المدينة جميعهم فى جانب واحد ورجعوا إلى مواطنهم. وعندما فعلوا ذلك قتلهم كلهم ولم يبق على قيد الحياة إلا أبناء حلب فقط، الذين قال لهم: "لِمَ هربتم من أمامنا مع أنكم أصدقاؤنا؟". وبعد هذه الحادثة عاد الأمير قوبلاى نوين من سوريا وعبر الفرات، وجاء المصريون من جديد وحكموا كل سوريا.

وفى صيف هذا العام بعث علاء الدين بن بدر الدين صاحب سنجار الذى كان قد هرب إلى المصريين، وبعث برسالة إلى الملك الصالح شقيق صاحب الموصل، موضحا له قوة المصريين وأنه من الأجدر له أن يترك الموصل فورا، ويذهب إلى البندقدار ينتظر هزيمة التتار، فيصبح ملكا ليس فقط على أشور ولكن على الشرق كله.

وفى أحد الأيام عندما جلس ابن يونس[٢٦٢] - أحد نبلاء بدر الدين- بجوار الملك الصالح ومَدَّ يده تحت السجادة وسحب من تحتها الرسالة التى وصلت إليه من أخيه، فقام وخرج وذهب إلى قريته بعشيقا[٢٦٣] فى نينوى. وبعد ذلك طلب الصالح الرسالة فلم يجدها، وعلم أن ابن يونس قد أخذها، فأرسل على الفور عبدين ليبحثا عنه. وعندما وصلا إليه علم أن الشر ينتظره، وأنه إذا سقط فى قبضة الصالح فسيهلك، لذلك أعطى هدايا للعبدين وأحضر لهما بعض الخمر وقال: "كلوا واشربوا واستمتعوا هذه الليلة، وفى الصباح سنذهب معا إلى الموصل". وعندما شربا وسكرا قام ابن يونس ليلا وامتطى جواده وأخذ رجاله وجاء إلى برطلى[٢٦٤] ، وقال للصاحب عبد الله بن كوشو: "نبه شعبك واهربوا جميعا؛ لأن الصالح يستعد لقتل المسحيين كلهم ثم يهرب إلى مصر". فقام كل من تمكن وهرب إلى إربل فى أيام عيد الخمسين. وفى الصباح قام العبيد فلم يجدوا ابن يونس، فظنوا أنه قد سبقهم إلى الموصل، فذهبوا إلى هناك وأخبروا الصالح. حينئذ خشى الصالح أن يلحق التتار بابن يونس ويستعينوا بالقوات ويأخذوه، فقام واصطحب ابنه علاء الملك وعبيده وهرب إلى سوريا فى شهر آيار ((مايو) من العام نفسه. وفى طريقه انشق بعض عبيده عليه وتركوه ورجعوا إلى الموصل، كما قام أبناء الموصل مع ياسان الصاحب المغولى وتركان خاتون♦ الخوارزمية، التى رفضت الذهاب معه. وأغلقوا جميعا الأبواب فى وجه الذين جاءوا. وظلوا لعدة أيام يشنون الحرب عليها. حينئذ خرج محيى الدين بن زبلاق مع شعب شهرسوى أى السوق الرابع فى الموصل، وفتحوا له باب المدينة. ودخل علم الدين سنجر والذين معه. أما ياسان فقد هرب مع زملائه وقامت تركان بالاحتماء فى القلعة. وعندما دخل الغزاة الموصل قاموا باضطهاد

♦ **تركان خاتون** : هى بنت السلطان جلال الدين خوارزمشاه .وقد كتب هذا الاسم خطأ فى النسخة السريانية فقد كتب (كوركان)(ص١٦٠ عامود١ سطر٢). أما الترجمة الانجليزية فقد ورد فيها هذا الاسم صحيحا (تركان)((TURKAN p.440).

المسيحيين اضطهادا شديدا ونهبوا منازلهم، وقتلوا كل من يتحول عن الإسلام. وقد تنكر للعقيدة كثير من العظماء والقسس والعامة، ما عدا قليلين من بيت سويداء _أى وادى كوكى_ وكذلك نفيس الصائغ.

وعلى الفور هرب الملك الصالح إلى مدينة نينوى الخارجية ونزل الأكراد وقتلوا عددا كبيرا من المسيحيين، وأخذوا دير الراهبات فى بيت كوديدا، وقتلوا به أعدادا كبيرة كانوا قد جاءوا إليه من كل البلاد ليحتموا به. وصعد هؤلاء الملاعين إلى دير مار متى[٢٦٥] ، حيث اجتمع آلاف من الفرسان والمشاة وشنوا حربا على الرهبان لمدة أربعة أشهر. واستعانوا بسلالم وأرادوا أن يتسلقوها ليقفزوا داخل الدير، ولكن الرهبان منعوهم وأحرقوا سلالمهم. حينئذ قطع الأكراد كتلة ضخمة من الجبل الذى فوق الدير وقذفوه بها، ولكن هذه الكتلة انشقت إلى جزأين: قسم أحدث كسرًا بالحائط واستقر داخله كالحجر الثمين فى الخاتم الذى لايمكن انتزاعه، والقسم الثاني اخترق الحائط. ومن خلال هذا الثقب هجم الأكراد ليدخلوا منه. ولقد قاوم الرهبان والمواطنون المختبئون فيه بشدة وحاربوا بالحجارة والسهام، ومنعوهم من الدخول. وعلى الفور سدوا الثقب بالحجارة والجير.

وفى أثناء تلك المعارك فقد أبو نصر الأرشمندريت عينه وأصيب بعض الرجال بالسهام ولكنهم تماثلوا للشفاء. ولأن الرهبان قد تعبوا من الحرب فإنهم طلبوا السلام من الأكراد، وقبلوا أن يسلموهم كل اللوحات والستائر ومحتويات الكنيسة. وجمعوا، أيضا، من المواطنين ذهبا وفضة ومجوهرات. ولقد سمع الأكراد بخبر مجيء التتار فمالوا للصلح سريعا، وأخذوا كمية كبيرة من ممتلكات الدير مقدارها ألف دينار ذهبى ورحلوا. وفى هذا الوقت خرج بعض أهالي بيت سحرايا وآخرون من أهل نينوى الذين حبسوا فى دير حبشوشيتا، انتقلوا من هناك، واتجهوا إلى نهر الزاب وعبروه ليذهبوا إلى إربل. وقابلهم قوتلغ الأمير وقتلهم جميعا رجالا ونساء على السواء؛ بحجة أنهم قادمون من قبل العدو. وبمجرد أن ذهب علم الدين

سنجر إلى الموصل سمع أن التتار جاءوا من ناحية الجزيرة، فخرج وقابلهم وقتل فى المعركة. وجاء جاسوس من قبل التتار وأخبرهم أن الملك الصالح سيحضر من جديد إلى الموصل. ولذلك تلكأ التتار ولم يحضروا إلى أن يصل إليها الصالح، ودخل المدينة. وعندما علم سيف الدين صاحب الجزيرة أن الصالح أخاه قد هرب إلى سوريا _استعد هو أيضا للهرب، ولكن نورين(٢٦٦) صاحب الموصل عرف ذلك وجاء وقبض عليه، وثار ضده كل شعب الجزيرة وأرادوا الفتك به، ولكنه نجا منهم وهرب بصعوبة. أما سيف الدين فقد جمع المسيحيين ووضعهم فى السجن وطلب منهم فدية ألفى دينار ذهبى. ثم حل يوم الصعود، وكان المسيحيون لا يزلون فى أسرهم فيئسوا من حياتهم. ولقد وزع سيف الدين كميات كبيرة من الذهب على قواته فاجتمع لديه ما يقرب من سبعين ألف كردى فأخذوه وحملوه إلى سوريا، وظلت الجزيرة دون صاحب. ولكن حدث أن هجم عليها اثنان من الكشافة: أحدهما يدعى عيزاز باس، والثانى محمد رئيس الحرس، ونصبا نفسيهما حكاما. فأطلقا سراح المساجين بعد أن أخذا سبعمائة دينارا، وقتلا اثنين فقط منهم كانوا يذهبون ويجيئون من عند التتار.

وفى هذا الوقت حشد عز الدين أيبك ،صاحب العمادية، وعبد بدر الدين، حوالى ثلاثة آلاف رجل، وجاءا ليحكما الجزيرة. وقابل عز الدين أيبك نورين صاحب آمد ثلاثمائة فارس على شاطئ نهر دبشا الذى ينحدر من جبل قاردو، واضطره للهرب من أمامه. وحدث أن جاء ذات يوم عبد الله صاحب ميافارقين ليأخذها ولكنه لم يتمكن .

وفى أواخر صيف هذا العام استعد السلطان عز الدين صاحب قونية للمثول أمام ملك الملوك؛ لأن الرسل حثوه على فعل ذلك. وعندما نصب خيامه خارج قونية _استعدادا للرحيل_ جاءه جاسوس وقال له: "أليجاق نويان وصل إلى قيصرية ومعه ركن الدين أخوك وبروانة(٢٦٧)، وإنهم على استعداد بمجرد رؤيتك لأسرك وحملك إلى ملك الملوك مكبلا بالأغلال". فخاف

عز الدين وأخذ أبناءه وأهل بيته وهجر خيمته المنصوبة، وهرب إلى ميخائيل ملك اليونان فى القسطنطينية. أخذ أليجاق نويان ركن الدين ونصبه فى قونية وأجلسه على عرش الملك وأصبح بروانه مساعده.

وفى هذه السنة جهز صاحب مصر رجلا أسمر كان قد وجده من عائلة الخليفة، وأرسله مع قوة صغيرة للاستيلاء على بغداد؛ ليجلس على عرش آبائه. وأرسل – أيضا – إلى الملك الصالح صاحب الموصل أن يحضر إلى الموصل ويجلسه على عرشه لأنه كان قد انتشر خبر أن التتار قد وصلوا إلى النهاية، وقد محوا من على وجه الأرض بفضل الرب، وأن الطيور قد أعمتهم. قصة لا يصدقها حتى الأطفال. لقد خرج على بهادر مع قوته وهزم الخليفة الأسمر وقتله فى ضواحى بغداد . وبمجرد أن ذهب الملك الصالح إلى الموصل فى فجر اليوم الثالث من الأسبوع فى اليوم السابع من شهر كانون الأول وصل المغول سريعا، وقام على رأسهم سمدغو(٢٦٨) شاب مغولي مسيحي رائع . ولقد حاصروا المدينة فى صباح اليوم الثالث عندما كان القمر فى برج الأسد وبنوا خارجها سورا وبدأوا فى شن حرب شعواء عليها استمرت حتى الصيف. وكانت هناك مجاعة شديدة فى المدينة واشتد تعب الرجال من الحرب وكانوا منهكين من القتال، وبدأ سمدغو فى طمأنتهم كما وعد الملك الصالح خيرا. فخرج إلى سمدغو بالطبل وعازفى القيثارة يعزفون على آلاتهم وبهلوانات يلعبون أمامهم. وبمجرد أن وصل أحاطه سمدغو بقوات المغول وذهبوا إلى المدينة، ونهبوا وقتلوا أهلها، وسقوا علاء المولى بن الصالح خمرا وأسكروه، وقيدوه بوتر القوس بشدة حتى اندفع داخله إلى أعلى وقطعه بالطول إلى جزأين، وعلقوه على جانبي مدخل باب المدينة. وقطعوا – أيضا – رأس محى الدين بن زبلاق وأخذوا الملك الصالح إلى المخيم وهناك قتلوه، وحكم ابن يونس من بلدة أمير الموصل . وبعد أن انتهى أمر الموصل ذهب سمدغو إلى الجزيرة وبنى أمامها سورا، وبدأ فى شن الحرب عليها. وظل كذلك طيلة الشتاء حتى الصيف. حينئذ تقدم حنا نيشوع النسطورى أسقف الجزيرة الذى كان موجودا بالخارج، واعترف لملك الملوك أن لديه معلومات فى علم الكيمياء، وأنه يستطيع أن يصنع له

أي كمية من الذهب. وتسلم من ملك الملوك أمرا ينص على حماية أبناء الجزيرة فوصل ودخل المدينة وثار عليه أبناء عيزاز باس ليقتلوه، ولكن الرؤساء منعوهم. فوعدهم أن يذهب ويحضر أمرا أقوى من ملك الملوك . فذهب وحصل على يارليغ ينص على تنصيب جمال الدين جولباخ – عبد سيف الدين صاحب الجزيرة – ملكا. أما عيزاز باس و محمد قائد الحرس فيصبحان قائدين للجيش. وكذلك يصبح القديس حنا نيشوع مستشارا ومندوبا لوالده. وذهب إلى الجزيرة وأسعد قلوب أهاليها، وفتحوا الأبواب. ودخل سمدغو وفى ساعة واحدة أمر فهدم التتار أسوار المدينة، وتركوها وذهبوا وعسكروا فى وادي شام[٢٦٩] فى مدينة إربل.

وفى بداية سنة ١٥٧٤ يونانية (١٢٦٣ ميلادية) أرسل سيف الدين صاحب الجزيرة أحد عبيده من مصر إلى جمال الدين جولباخ العبد الذى حكم الجزيرة، يطلب منه أن يرسل له الذهب الذى كان قد أخفاه. فأظهر جمال الدين الذهب وأعطاه لهذا العبد، فأخذه وذهب إلى عز الدين بن أيبك[٢٧٠] فى عمادية ليبلغه كلمة سيده فأخذه وأعطاه إلى سمدغو، فأرسل ونادى جمال الدين جولباخ الذى عنفه قائلا:" نحن جعلناك ملكنا، وجاء إليك جواسيس من مصر، فأخفيت عنا هذا الخبر". وعندما أنكر التهمة أظهر الجاسوس الذى جاء من مصر وأدان جولباخ وقتله. وبعد قليل ذهب إلى الجزيرة وقتل الصاحبين، وتولى القديس حنا نيشوع .

وفى سنة ١٥٧٥ يونانية (١٢٦٤ ميلادية) قام زكى الأربلى أحد معاونى بدر الدين صاحب الموصل، واتهم ابن يونس الذى كان يحكم الموصل بالخيانة، وشكاه إلى ملك الملوك قائلا" لقد سرق ذهبا كثيرا من خزائن بدر الدين وأخفاه وأنه يريد أن يأخذه ويهرب إلى مصر. ولأني أعرف سره فقد سقاني سما وأراد أن يقتلنى، ولولا الطبيب المسيحى الذى عالجنى ويدعى الموفق وهومن أبناء نصيبين لكنت الآن فى تعداد الأموات". فغضب ملك الملوك وأمرهم أن يضربوا ابن يونس، وفى أثناء خروجه سقطت ورقة من صدره ففتحوها وقرأوها وكان مكتوبا بها كلمات من القرآن: "سيكون لسانهم مقيدا بأفواههم والأغلال بأرجلهم والسلاسل فى

أعناقهم وسنفرح ونبتهج"-♦. وعندما سأل ملك الملوك ماذا تعنى هذه الكلمات أجاب أعداء ابن يونس: "أنها كلمات السحرة الذين يعملون معه ضدك ". فأمر بقتل ابن يونس، وحكم بدلا منه زكى الأربلى ودعى باسم المغتاب لأنه أكل لحم ابن يونس أى : اغتابه وقتله.

وفى سنة ١٥٧٦ يونانية (١٢٦٥ ميلادية) فى بدآية أيام الصوم اختفى من العالم ملك الملوك هولاكو(٢٧١). كان حكيما عليما ذا فهم ومعرفة، يحب الحكماء والعلماء، كما أن أعماله العظيمة لم يكن لها نظير . وفى أحد أيام الصيف توفيت توقوز خاتون الملكة المؤمنة، فحل على المسيحيين حزن عميق بسبب رحيل هذين العظيمين اللذين نصرا الدين المسيحي.

تولى أباقا ♦♦ الحكم بعد هولاكو

فى الأيام التى فارق فيها هولاكو إيلخان هذه الحياة الفانية – اتفق أبناء الملوك معا وعظماؤهم على أن يتولى أباقا الابن الأكبر عرش أبيه؛ لأنهم رأوا أن الله قد أنعم عليه بالعقل والحكمة والرحمة. وعندما استتب له الحكم أحرز انتصارات متتالية على أعدائه، وظفر فى جميع حروبه وكان محبوبا من كل الشعوب التى كانت تحت حكمه.

♦ هذه ترجمة حرفية للنص السريانى وبالبحث فى المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم للأستاذ "محمد فؤاد عبد الباقى " وجدت أن أقرب الآيات لها هى التى وردت فى سورة "غافر "آية رقم ٧٠ إلى رقم ٧٥. {الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون / إذ الأغلال فى أعنقهم والسلسل يسحبون/ فى الحميم ذم فى الناريسجرون/ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون/ من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا كذلك يقبل الله الكفرين}.

♦♦ أباقا :وورد فى النص السريانى أن أباقا هو الابن الأكبر والأرشد "لهولاكو"، وقد كتب اسم "هولاكو" سليما (ص161v عامود٢ سطر١٤). أما BUDGE فقد كتبه خطأ فكتب بدلا من "هولاكو"بالكاف "كتبه بالياء (ABAKA was KING of KING p.445)،after HULABU. ولد من "يسونجين خاتون" من قوم "سولدوس" . ولقد تولى الحكم بعد وفاة هولاكو الذى توفى فى التاسع عشر من ربيع الآخر سنة ٦٦٣ هجرية _١٢٦٥ ميلادية (ابن العبرى : المختصر فى أخبار البشر ص ٢٨٥).

وفى سنة ١٥٧٦ يونانية جاء أفتيميوس اليوناني بطريـرك إنطاكيـة، وأحضر ابنة ميخائيل باليولوجس إلى أباقا ملك الملوك، وذلك لأن هولاكو ـ أباه ـ كان قد بعث رسولا منذ فترة وطلبها. وفى العام الذى أرسلت فيه وقبل وصولهم إلى قيصرية جاءهم خبر وفاة ملك الملوك هولاكو، فلم يتمكنوا من العودة.

وفى هذا العام هرب عز الدين سلطان * من مدينة القسطنطينية فأرسل وأخبر بيت بركات بوجودهم فى البلدة المجاورة فأخذوه ورحلوا "ولا يزال حتى يومنا هذا".

وفى هذه السنة فى أيام الصيف صدر أمر إلى علاء الدين صاحب الديوان بحكم بغداد. وبعد قليل وصله خبر مذهل، وهو أن أخاه شمس الدين صاحب الديوان مسجون فى المعسكر. وعلى الفور قبض قرابوغا(٢٧٢) صاحب بغداد على علاء الدين وحبسه فى قصره، وكان ذلك فى العشرين من آب (أغسطس) . ثم أرسل وأخبر أخاه فصدر أمر بإرسال علاء الدين مكرما وكذلك اسحاق(٢٧٣) الشاب الأرمني كاتب قرابوغا، ومعه رجل من معد وقال :" لقد جئت لأجعل علاء الدين يهرب". وعندما وصلوا إلى المخيم ضرب الرجل المعدي واعترف قائلا:" لقد علمني إسحاق الكذب". فقاموا بقتل إسحاق والمعدى. ومنذ ذلك الوقت اضطربت أحوال المسيحيين .

وفى سنة ١٥٧٧ يونانية (سنة ١٢٦٦ ميلادية) أرسل البندقدار صاحب مصر إلى الملك حاتم فى قيليقية، طالبا منه الخضوع ودفع الجزية حتى يفتح طريق سوريا. وسمح بنقل الطعام بين البلاد. ولشدة خوف الملك من التتار لم يتمكن من الرد عليه بالموافقة؛ ولذلك استعد البندقدار لغزو قيليقية.

<u>عز الدين سلطان</u> :ورد هذا الإسم فى النص السريانى مكتوب"عيزز الدين" (ص١٦٢ عامود ١سطر٢) وهو خطأ والصحيح هو (عز الدين)

وعلى الفور أسرع الملك حاتم إلى نفجى رئيس التتار فى بيت الـــروم ليحضر لمساعدته، فأجابه:" أنا لا أستطيع الحضور بدون أمر ملك الملوك "، فأرسل رسولا إليه. وفى أثناء انتظاره للرد تدفقت قوات المـــصريين علـــى قيليقية وذلك فى أثناء غياب الملك. حينئذ أسرع شـــقيق الملـــك الكندســـطبل واثنان من أبنائه وبعض النبلاء وقابلوا المصريين فى معركة علـــى جانـــب حجر سروند. فهزم الأرمن ووقع فى الأسر صاحب المقاطعـــة لاون الابـــن الأكبر للملك(حاتم) وذلك فى اليوم الأول من الأسبوع فـــى اليـــوم الرابـــع والعشرين من شهر آب (أغسطس) من العام نفسه، كما قتل بارون تـــوروس الابن الأصغر للملك وهرب باقي النبلاء. وذهب المصريون وانتشروا فى كل بلدة قيليقية وقاموا بتخريبها، وقتلوا وأسروا الكثيرين وأشعلوا النيـــران فـــى سيس[٢٧٤] وهدموا الكنيسة الكبيرة، بل جميع الكنائس ماعدا كنيـــستين فقـــط، هما: كنيسة أم الرب وكنيسة القديس برصوما[٢٧٥] لعدم وجود خـــشب فـــى مبانيهما. كما خربوا أيضا المصيصة وأياس وأذنة، وأسروا رجـــالا ونـــساء بدون حصر. ولكنهم لم يصلوا إلى طرسوس. كما أشعلوا النيران فى ديـــر فقسيماط [٢٧٦] ولكنهم لم يدمروا كويخات لأنهم وجدوا بها قسيسا متواضـــعا يتحدث العربية ولذلك لم يؤذوه، لاهو ولا ديره . وظلوا فى المدينة عـــشرين يوما بين نهب وحرق ثم غادروها. وبعد رحيلهم جاء الملك حاتم ومعه قـــوة من التتار من بيت الروم، وبدلا من تقديم المساعدة قاموا بالتخريب ونهبـــوا كل ما تبقى من المصريين. وبدأ الملك حاتم يقلق من أجل تخلـــيص ابنـــه ، فوعد المصريين بمنحهم ذهبا وحصونا فى سبيل منحه خلاص ابنه . فأجاب بندقدار [٢٧٧] المصريين: "لا أطلب منك شيئا إلا صديقا أسيرا عنـــد التتـــار يدعى، سنقر الأشقر[٢٧٨] ، ذا الشعر الأحمر. أطلبه منك لكى أنقذه فأرســـله إلى وخذ ابنك".

وفي هذه السنة أراد ركن الدين صاحب بيت الروم أن يحطم بروانة ◆ لذي أجلسه على كرسي الملك، وكانت أعماله مع حكامه معروفة. وعندما عرف بروانة بذلك أخبر نبلاء المغول في أثناء وجود ركن الدين معهم، وخدع رجلا كان على باب خيمته ودخلها وكان نائما فخنقه من عنقه بحبل، وحملوه ودفنوه وأقاموا مكانه ابنه غياث الدين الذي يبلغ من العمر أربع سنوات . وفي هذا العام حضر ناصر الدين بابا بأمر من المخيم، وقتل زكي الأربلي وحكم الموصل.

وفي سنة ١٥٧٨ يونانية ٦٦٨ هجرية(١٢٦٧ ميلادية) جاء الملك حاتم إلى الموصل، ومن هناك ذهب لخدمة أباقا ملك الملوك، وبكى أمامه لأن ابنه أسير في مصر، وطلب منه أن يسلمه سنقر ذا الشعر الأحمر ليفتدي به ابنه، فأشفق عليه أباقا وقال له: "هو الآن ليس في متناول يدي . اذهب إلى بلدك وأنا سأحضره وأرسله لك". فترك الملك ورجع. في هذا الوقت أراد بروانة – وهو أحد منظمي مملكة بيت الروم – أن يتزوج بنت الملك حاتم؛ فعقد اتفاقا مع برسيج وهو قس أرمني ورسول الملك إلى التتار، فنصحه برسيج بغباء وقال له:" عندما يكون الملك عابرا في بلادك تعالى إلى جواره وكرمه واطلب منه، فلن يرفض طلبك". وعندما رجع الملك من المخيم وصل إلى خان قرخطا وظل هناك. فجاء إليه بروانة ومعه نبلاء بيت الروم فقدم إلى الملك هدايا قيمة وثمينة وطلب يد ابنته. ولما كان الملك خائفا أن يتكتلوا له على الطريق ويؤذوه فإنه لم يرفضه ، ولكنه وعده وأعطاه يده اليمنى، ودخل بلده. وعندما بدأ بروانه في طلبها أجاب الملك: "إنه لا يليق بنا أن نقيم لها حفلا وأخوها في الأسر" . فانتظر بروانة حتى وصل أخوها ولم تعد هناك موانع . ولكن حدث أن ماتت الابنة ومات القس برسيج من شدة الحزن.

◆ البروانة: هو معين الدين. (تاريخ مختصر الدول ص٢٨٨).

وفى صيف هذا العام ١٥٧٨ يونانية (١٢٦٧ ميلادية) قبض على علم الرياسة المحامى المصرى فى الموصل، وتوفى فى سجنه فى اليوم الثانى من الأسبوع فى اليوم التاسع والعشرين من شهر أيلول (سبتمبر) .

فى سنة ١٥٧٩ يونانية (١٢٦٨ ميلادية) استدعى سنقر الأشقر من بلدة سمرقند، وأرسل إلى الملك حاتم الذى أوفده إلى مصر.

فى هذا العام فى أيام الصوم الأربعينى♦ أخذ القديس دنحا الكاثوليكى(٢٧٩) النسطورى أحد أبناء تكريت، الذى كان قد أسلم منذ عدة سنوات – وأراد أن يعمده فى نهر دجلة. سمع شعب بغداد بذلك فثاروا ضد علاء الدين صاحب الديوان، فأرسل النبلاء عدة مرات إلى الكاثوليكى يطلبون ذلك الرجل . ولكن عندما رفض تسليمه ثار الشعب وأشعلوا النيران فى مدخل باب القلية(٢٨٠) ، وتسلقوا الحوائط ليقتلوا الكاثوليكس. وسمع صاحب الديوان ذلك فأرسل وأخذه إلى قصره وأنقذه من جهة البحر سرا. فأرسل الكاثوليكس واشتكى إلى المعسكر، فجاءه الرسل وأخذوه وذهبوا به إلى المعسكر. وعندما صرح بشكواه هناك لم يصغ أحد إليه، فترك المعسكر وذهب إلى أربل وبدأ فى بناء كنيسة بالقلعة وعاش بها.

الاستيلاء على أنطاكية

فى شهر حزيران(يونيو) من عام ١٥٧٩ يونانية (١٢٦٨ ميلادية) أرسل البندقدار– صاحب مصر – قوات إلى أنطاكية العظيمة فى سوريا، وتم له الاستيلاء عليها بحد السيف، وذلك لعدم وجود قوة كافية لحمايتها، علاوة على أن الذين كانوا بها لم يدركوا أنه من الأفضل لهم الاستسلام .

♦ الصوم الأربعينى : يبدأ هذا الصوم عادة أول مارس ويصام فيه حوالى سنة وخمسين يوما ويكون يوم الإفطار هو يوم شم النسيم.

فلذلك دخلها المصريون وقتلوا كل رجالها ، وخربوا أشهر كنائسها ، وأسروا النساء والأولاد والبنات ، وتركوها خرابا مهجورا حتى يومنا هذا

وفى صيف هذا العام قبض على القديس حنا نيشوع أسقف الجزيرة وصدر أمر بقتله . وفعلا تم قتله ولكن ليس بالسيف؛ ففى أثناء نومه رفعوا حجرا كبيرا وضربوه على رأسه من خلف ظهره ، وقتلوه وفصلوا رأسه وعلقوها على باب مدينة الجزيرة. فكانت له تلك النهاية البشعة لأنه زج بنفسه فى أعمال دنيوية وتمنى أن يكون ملكا. ولقد اتهم بمخازى كثيرة .

فى هذا الوقت أرسل البندقدار المصرى لاون سيد الخراج ابن الملك حاتم مكرما إلى والده. فدخل الابن قيليقية فى شهر تموز (يوليو) من العام نفسه، وأصبح الولد قرة عين أبيه وكذلك المسيحيين. ولقد ذهب الملك حاتم ليقدم فروض الطاعة والولاء إلى ملك الملوك فى بغداد، فشكره لخلاص ابنه. ولقد صدر له أمر أن يقوم ابنه بتنظيم المملكة فى الوقت الذى يعيش هو فى سلام؛ وذلك نظرا لكبر سنه وضعفه. وأمر ملك الملوك أن يحكم المملكة بمجرد وصوله.

وفى سنة ١٥٨٠ يونانية ٦٧٠ هجرية(سنة ١٢٦٩ ميلادية) فى اليوم السابع عشر من شهر نيسان (أبريل)، فى الساعة الأولى من ليلة اليوم الرابع♦ من الأسبوع الثالث – حدث زلزال عنيف فى قيليقية (بلاد الأرمن)، وهدم الحصن الحجرى فى سراوند، وكذلك عماوس صخرة حروعتا، ودير الأرمن الكبير، أى دير الملك بلوط . ولقد هلك فى هذه الكارثة ما يقرب من ثمانية آلاف نفس♦♦

وفى تموز ذهب لاون سيد الخراج ابن الملك؛ لتقديم فروض الطاعة لملك الملوك الذى استقبله بحفاوة . وتقرر له أن يتولى ملك أبيه.

♦ اليوم الرابع : هو يوم الأربعاء ؛ فإن أول الأسبوع يبدأ عندهم يوم الأحد.

♦♦ ما يقرب من ثمانية آلاف نفس : ذكر ابن العبرى فى كتابه " تاريخ مختصر الدول الدول" أنه "مات فيها مائة ألف نفر".

وفى سنة ١٥٨١ يونانية (١٢٧٠ ميلادية) خرج صاحب مصر بنفسه إلى فلسطين، وعسكر عند قلعة عقرد وأخذها بحد السيف، ومع ذلك لم يقتل أحد من الذين بها. وقد ترك الحرية لمن أراد البقاء، ومن أراد مغادرتها أرسله بسلام إلى طرابلس.

وفى سنة ١٥٨٢ يونانية (١٢٧١ ميلادية) فى الخريف توفى الملك حاتم المؤمن على إثر خراج خطير أصابه فى صدره. وفى هذا العام اجتمع فى طرسوس رؤساء الكهنة والنبلاء، وتوجوا ابنه لاون ونصبوه ملكا فى يوم عيد الغطاس◆

وفى أيام الصوم هاجمت فرقة الإسماعيلية علاء الدين صاحب الديوان فى أثناء ركوبه جواده فى بغداد، وطعنوه بالسكاكين، ولكنهم لم يقتلوه، فقبض عليهم وقطعت أطرافهم. ولقد أذاع العرب أن هؤلاء (الإسماعيلية) مسيحيون وأنهم مرسلون من قبل الكاثوليكس. فقبض على الرهبان والقسس والرؤساء فى بغداد، وحبسوا – أيضا – الكاثوليكس، وكذلك رجاله بواسطة قوتلوباج أمير إربل. وطوال فترة الصوم ساد البلاد اضطراب عظيم، حتى شاء الرب فصدر أمر من المعسكر بالإفراج عنهم . ومنذ ذلك الوقت ذهب الكاثوليكس وعاش فى مدينة أشنة(٢٨١) فى أذربيجان.

وفى سنة ١٥٨٣ يونانية (١٢٧٢ ميلادية) قام نبلاء اليونان فى قيليقية بخيانة الملك الجديد لاون . وعندما شعر الأهالى بهذه الخيانة قبضوا على البارون رئيسهم. فلما سمع أعوان البارون بذلك هربوا إلى إحدى القلاع، وأرسلوا إلى الروم ليحضروا لمساعدتهم ويتسلموا القلعة. ولكن الملك أسرع وذهب وعسكر عند القلعة. وقام الأرمن الموجودين هناك وقبضوا على النبلاء اليونان، وسلموهم إلى الملك فقتلهم جميعا.

◆ عيد الغطاس : هو عيد يحتفل به المسيحيون فى الكنيسة يوم ٦ يناير.

وكذلك قُتل بهرام فى قلعة مدينة أنازربة [٢٨٢]؛ فعندما هرب هؤلاء الرجال إلى القلعة قام الملك بإرسال بطريرك إنطاكية اليوناني، وأقسم لهم أنهم إذا استسلموا فإنه لن يؤذيهم. ولكن البطريرك عندما ذهب إليهم حذرهم من النزول والاستسلام وإلا فسيقتلهم الملك. وعند عودته قال للملك : "لم يستمعوا إلى ولم يستسلموا"، وشعر الملك بما حدث من البطريرك .وبعد قتله هؤلاء الرجال قبض على البطريرك، وأرسله إلى ملك القسطنطينية ليتولى الفصل بينه وبين البطريرك. وعندما سلم الملك البطريرك إلى الجنود لينقلوه إلى القسطنطينية أخذوه إلى مدينة أياس، ونصبوا له خيمة على شاطئ البحر. وعندما دخلوا إلى المدينة تركوه وذهبوا ليشتروا طعاما، وانشغلوا بشرب الخمر حتى المساء. فأرسل البطريرك إلى بعض الملاحين اليونان الذين كانوا يعيشون فى الضواحي وجذبهم إلى جانبه، وبكى أمامهم وأظهر لهم كيف أنهم تركوه بجانب بحر الأرمن ولم يحملوه إلى القسطنطينية ليقتلوه. فتأثروا من أجله وحملوه إلى مراكبهم الصغيرة واتجهوا إلى بيت الروم إلى الأتراك.

فى هذا الوقت تم زواج ابنة لاون ملك الأرمن من أحد جواريه إلى ابن بروانه، وذلك بدلا من أخته التى كان أبوه قد رفض أن يزوجها له. ومنذ ذلك الوقت سادت الصداقة بينهما.

وفى سنة ١٥٨٤ يونانية (١٢٧٣ ميلادية) فى اليوم الثامن عشر من شهر كانون الثاني (يناير) ليلة اليوم الرابع♦من الأسبوع الرابع – حدث زلزال عنيف فى مدينة أذربيجان – وخاصة فى مدينة تبريز[٢٨٣] – فتهدمت القصور والمساجد وسقطت رؤوس الأعمدة. أما كنيستنا فقد حماها الرب لم تهتز ولم تتوقف فيها الشعائر. واجتمع بها اليونان والأرمن والنسطوريون وكل شعبنا. ونصب باقى العرب ـــ وعددهم ما يقرب من عشرة آلاف ـــ

♦ ليلة اليوم الرابع : ليلة يوم الأربعاء.

خيامهم فى الحدائق فى الخارج، وعاشوا فيها ما يقرب من شهرين وبعد ذلك رحلوا . ومات فى ذلك الزلزال مائتان وخمسون عربيًا.

فى هذا الصيف هاجمت جماعة من اللصوص من سوريا من عين تاب[٢٨٤] ومن البيرة – بلدة قلوديا من جهة الجبل. لقد عبروا البلد كالبرق ووصلوا حتى الحدود، فرجعوا وأسروا كل أهاليها من النساء والكثير من الشباب – وذهبوا فى اليوم نفسه ولم ينتظروا خوفا من أن تأسرهم قوات المغول . وفى هذه الأيام كنا نستعد للذهاب إلى دير القديس برصوما؛ لأننا لم نكن نقدر الكارثة التى حلت . وما إن وصلنا إلى ضواحى البلدة حتى اكتشفنا أنها أصبحت كحديقة كروم أمامها الجليد. وبينما كنا جالسين فى ديرسرجيس[٢٨٥] جاء من الدير ما يقرب من خمسين راهبا مسلحا، وأخذونا وصعدنا إلى الدير .

وفى سنة ١٥٨٥ يونانية (١٢٧٤ ميلادية) نزل ملك الملوك مع حشد كبير من القوات إلى بغداد؛ حيث كانت هناك مجاعة ونقص فى الغذاء كما ظهر – أيضا – الجراد.

وفى أيام الصوم الأربعينى من هذا العام ضبط راهب نسطورى من دير ميخائيل[٢٨٦] بجانب الموصل فى حالة زنا مع امرأة عربية، فاضطر إلى ترك دينه وأسلم . ولقد تألم المسيحيون كثيرا وحزنوا ولم يتحمل رهبان الدير، وكذلك عم هذا الراهب النسطورى الذى أسلم والذى كان هو نفسه قسا – لم يتحملوا هذا العار؛ فأرسلوا وأخبروا طرباش رئيس قوات المغول فجاء إلى الموصل وأمسك بالرجل الذى أسلم وتهيأ لقتله، فغضب شعب الموصل العربي، واجتمعت على باب القصر جموع غفيرة يحملون الشعلات والمصابيح وصبوا اللعنات على رأس المغول، وهددوا الطرباش بأنه إذا لم يطلق سراح الرجل الذى أسلم فسيقومون بقتله هو والذين معه. فخاف المغول وتركوه، فأخذه العرب وأركبوه حصانا وساروا به فى كل مدينة الموصل. وكان الحزن الأخير أشد من الحزن الأول.

وفى هذه الأيام عندما أراد مسيحيو مدينة إربل أن يحتفلوا بمهرجان الزعف أحد الشعانين◆ ، وعرفوا أن العرب يستعدون لمنعهم - أرسلوا وطلبوا مساعدة التتار المسيحيين القريبين منهم. وبمجرد أن وصلوا وضعوا صلبانا على أعمدة سيوفهم وسار مطرابوليط النسطوريين مع شعبه وأمامهم التتار. ولما اقتربوا من القلعة تجمعت حشود العرب وحملوا أحجارا وقذفوا بها التتار والمسيحيين، فتفرقوا وهرب المسيحيون إلى أحد الجوانب. وظلوا لعدة أيام لا يجرأون على الخروج. ولقد أدى ذلك إلى حزن جميع مسيحى العالم.

وفى هذا العام مات الخواجة نصير الفيلسوف الفارسى(٢٨٧) . لقد كان رجلا مشهورا وبارزا فى كل فروع العلم، ومثقفا خاصة فى النواحى الحسابية. لقد صنع أجهزة لمراقبة النجوم وكرات نحاسية كانت أبدع من تلك التى صنعها بطليموس فى الإسكندرية، كما حدد سير الكواكب. ولقد تجمع عنده كثير من حكماء البلاد المختلفة فى مراغة ـ مدينة بأذربيجان ـ كان يعطى راتبا للمدرسين والتلاميذ الذين كانوا معه؛ وذلك لأن جميع المساجد ومنازل العلم فى بغداد وأشور كانت تحت سيطرته. وفى ذلك الوقت ذهب إلى بغداد لزيارة أماكن مختلفة وتوفى هناك . لقد قال بعض الرجال: إنه كان كفيفا، ولقد كتب كثيرا من الكتب، مثل شرح المنطق والعلوم الطبيعية والإلهية، ونظم أيضا أوقليدس والمجسطى(٢٨٨) بدقة، وكان له - أيضا- معجم بالفارسية أوضح فيه معانى لكلمات أفلاطون وأرسطو على الفلسفة العملية، وكان متمسكا بآراء الفلاسفة الأوائل، وحارب بشدة الذين يعارضونها فى كتاباتهم.

فى سنة ١٥٨٦ يونانية (١٢٧٥ ميلادية) فى شهر كانون الثانى (يناير) دق بعض أشرار الموصل على باب صائغ يهودي فأجابهم:" ماذا تطلبون؟" قالوا له: "نحن جماعة فقيرة أتينا إليك لتعطينا مالا نشترى به طعاما" .فقال

◆ أحد الشعانين : هو يوم الأحد الذى يسبق يوم شم النسيم، ويسمى- أيضا - بمهرجان الزعف.

لهم: "كم تطلبون؟" قالوا : "عشرين زوزا". فخاف وأعطى لهم كل ما يطلبون، واقترح عليهم أن يأخذوا الزوازى من فتحة فى الباب ولكنهم رفضوا وطلبوا منه فتحه. وبينما هم يتشاورون لمدة ساعة تقريبا كان زملاؤهم يتسلقون الأسوار إلى السطح، ونزلوا فى وسط المنزل وفتحوا الباب فدخل الباقون. وهناك قاموا بتعذيبه حتى كشف لهم كل ثروته. وعندما مدوا أيديهم لقتله ألقت امرأته بنفسها عليه وبدأت تستعطف اللصوص قائلة: "ارحموا شيبة هذا الرجل واقتلوني بدلا منه". فأجابها قساة القلوب: "سنقتلكما أنتما الاثنين" .وفعلا قتلوا زوجها، أما هى فطعنوها بالسكاكين وتركوها بين الحياة والموت ونهبوا ثروات ضخمة وذهبوا. وعندما حل الصباح جاء الأهالي ووجدوا اليهودي قد فارق الحياة، أما زوجته فكانت فى النزع الأخير ثم فارقت هى الأخرى الحياة ولكن بعد أن قصت عليهم ما حدث.

وفى هذا الوقت جاء بعض العرب المساكين من جهة سوريا إلى بلدة قيليقية وكان عددهم يبلغ الثلاثين ليتبركوا بزيارة قبر الخليفة المأمون الذى دفن فى طرسوس . وكان صاحب قيليقية يظن أن البندقدار صاحب مصر جاء متخفيا بينهم ليتجسس على باقى الممالك، فقبض عليهم وأخذهم وحبسهم فى قلعة كبيرة . وعندما وصل الخبر إلى مصر بدأ الرسل فى الحضور لطلب هؤلاء الأسرى؛ وبذلك تأكد الشك. فرفض الملك لاون أن يحررهم، ولذلك اجتمعت قوة من المصريين وغزت قيليقية فى أيام الصوم العظيم.

وفى سنة ١٥٨٧ يونانية (١٢٧٥ ميلادية) انقض عليهم ما يقرب من خمسمائة فارس من الأرمن وجعلوهم يولون الأدبار . فتجمعت قوة كبيرة يقرب عددها من ثمانية آلاف رجل، وانقضوا على المدينة البائسة، ووصلوا أياس فى الصباح الباكر لليوم الثانى لسبت الأعاصيب ♦، اليوم الخامس والعشرين لشهر آذار(مارس). ولقد قتلوا الذين وجدوهم بها، وكان قد هرب إليها كثير من شعوب الجزيرة الصغيرة القريبة منهم ولكن بهروبهم من

♦ سبت الأعاصيب : هو سبت النور.

العرب المصريين لم يسلموا من قطاع الطرق الفرنجة، فقد جاءوا إليهم وسلبوا كل ممتلكاتهم، حتى إنهم حملوا عباءاتهم ولكنهم لم يقتلوهم . حينئذ جاء المصريون سريعا من أياس إلى المصيصة فى اليوم الثالث وقتلوا الكثيرين وأحرقوهم، وعبروا الجسر وانتشروا فى البلد، ولكن بعضهم اتجه إلى طرسوس . وفى عيد المسلمين الذى يوافق يوم السبت نادوا للصلاة فى البرج، وانتشروا حتى سرقوسة(٢٨٩) يقتلون ويخربون ويحرقون البعض الآخر. فاتجهوا إلى سيس ولكنهم لم يجدوا بها أحدا لأنهم كانوا قد اجتمعوا جميعا فى القلعة فاحرقوها جزءا جزءا وقتل حوالي خمسة وعشرين راهبا فى دير بقسيماط مع الربان سليمان وهومحارب عظيم وعجوز مندوب للبطريرك مار أجناثيوس. وأحرقوا الدير كما أحرقوا دير كويخات والأديرة الأخرى للأرمن واليونان كما أنهم لم يتركوا الدير الصغير لبطريركنا فى ضواحي سيس. حينئذ هرب البطريرك إلى قلعة بهجا ومكث هناك حتى مرت الأزمة. ولقد ظل المصريون فى البلدة حتى مر السبت الأبيض◆ فخرجوا بغنائم كبيرة. ولقد زاد عدد القتلى حتى وصل ستين ألفا، وأخذوا عددا كبيرا من السيدات والأطفال عبيدا، وكان فى المدينة ما يقرب من عشرة آلاف من التركمان، ولقد أحدثوا خسائر بالمسيحيين. وعندما خرج المصريون قتلهم الملك جميعا وسبى عائلاتهم ونهب كل ممتلكاتهم.

وفى نفس العام مات بيمند فرينس أمير طرابلس وحكم ابنه بدلا منه، فقام النبلاء باستدعاء سير هنرى والد صاحب – قبرص وهو رجل مسن ذو فهم عظيم – فسلموه توجيه الشاب الصغير وإدارة المملكة.

وفى ذلك الوقت قام نزاع بين ابني الشيخ عدى، الذى اعتبره أكراد الموصل نبيا. لقد كانت زوجة أحدهما من المغول، فخاف الآخر وأخذ كل عائلته حوالى أربعمائة نفس مع كل الغنم والأبقار والجياد التى يملكونها وهرب إلى سوريا. ولكن المسيحيين كانوا يخشون أن يقوم بقتلهم ونهب

◆ السبت الأبيض : هو سبت النور.

ثروتهم، ولكن بعد مرور فترة من الزمن اطمأنوا. وحدث بعد رحيله أن جماعة من قطاع الطرق جاءت واستولت على بيت طكشور وهى قرية فى بلدة نينوى. واستبسل أهل القرية فى دفاعهم وقتلوا ما يقرب من عشرة لصوص، وقُتل من أبناء القرية حوالي خمسة رجال وسبع بنات، وقاموا بأسر ثلاثة من الشباب.

وفى بداية سنة ١٥٨٧ يونانية (١٢٧٦ ميلادية) فى اليوم الخامس ♦ من الأسبوع، فى اليوم الثالث من شهر تشرين الأول (أكتوبر) - حدث زلزال عنيف فى أركسيطيا أى أرجيش فتهدمت الأسوار المنيعة وجميع مبانيها، وهلك عدد كبير من سكانها . وحدث الشىء نفسه فى مدينة خلاط. ففى الساعة التاسعة وقع زلزال فى هذه البلدة، وحدث بها تدمير عظيم ولكنه لم يكن بالاتساع نفسه الذى حدث فى أرجيش. وفى هذه الأيام انقض حوالى ثلاثمائة فارس من التركمان على قافلة تجار مسيحيين، كانت قد خرجت من قيليقية إلى الروم، وقتلوا ما يقرب من ثمانين من مشاهير التجار المسيحيين فى ضواحى مدينة هرقلة [٢٩٠]، وحملوا معهم الغنائم الكثيرة. وكان أحد التجار وهو من عائلة عيسى بن خضيرى، يحمل معه مائة وعشرين ألف دينار من عملة مدينة صور. ولم يهرب من القافلة إلا أربعة جمال عربية.

وفى شتاء هذا العام اجتمع سبعون ألفا من قوات المغول، وقصدوا قلعة البيرة[٢٩١] للاستيلاء عليها، ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك بسبب كثافة الثلج الذى سقط والبرد الشديد الذى حل على البلد. لقد خسر الكثيرون جيادهم ورجعوا سائرين على الأقدام بدون إحراز أى نصر، وكان على رأسهم أباتاى نوين الكبير . وفى طريق عودته عندما وصل إلى أشور سقط طريح الفراش وذلك على إثر مرض شديد . وبعد عودتهم ازداد بأس التركمان وأصبحت لهم قوات عظيمة، وتابعهم حوالي ألف فارس من القوات المصرية وجاءوا من ناحية مرعش [٢٩٢] متجهين إلى قيليقية المدينة الجبلية. وعندما شعر الملك

♦ اليوم الخامس : هو يوم الخميس.

لاون مرة أخرى بالخطر جمع قوات من الأرمن، وأقام على رأسهم عمه قائد الجيش (الكندسطبل) بارون سنباط. وذهب بعض النبلاء لمقابلة الأتراك* على جانب مرعش يوم الجمعة، في اليوم الثالث من الصوم الأربعيني المقدس.

وفي هذا اليوم قُتل بارون سنباط وعم الملك وبعض النبلاء، وكذلك صاحب كيربيزة وثلاث عشرة آخرون من المشاهير وثلاثمائة فارس كما سقط كثير من الأتراك، وعاد الباقون بعد أن فشلوا في دخول المدينة.

وقبل هذه الحوادث – أي: في السبت الأول من هذا الصيام في اليوم الرابع** ، من الأسبوع من اليوم التاسع عشر من شهر شباط (فبراير) في سنة ١٥٨٧ يونانية (١٢٧٦ ميلادية) – هبت ريح عاصفة على الموصل وإربل والمناطق المحيطة بهما. وكان الهواء محملا بكميات كبيرة من الرمال الحمراء حتى أصبح الجو مشبعا بها، ولم يستطع أحد أن يرى صديقه بين الساعة الثالثة والساعة التاسعة.

وحل الرعب على الشعب وظنوا أنهم سيقضى عليهم بعواصف أو بزلازل كمدينة أرجيش، فخرجوا وقضوا الليل خارج منازلهم في السهل. وعندما خفت حدة الرياح عادوا إلى منازلهم. ومن اليوم الأول من أسبوع الموتى الذي يسبق الصيام، حدث أن حمل الهواء رمالا كثيرة ولكنه لم يكن كالمرة السابقة. وفي هذا الوقت قرر بيشار قائد قلعة زياد – وهو رجل سيئ محب لسفك الدماء يبلغ من العمر مائة عام – الهروب إلى المصريين لأنه

* الأتراك: ورد في النص السرياني كلمة "أتراك"(ص١٦٦ عامود ١ سطر٦). أما في الترجمة الانجليزية: فقد استخدم BUDGE كلمة "تركمان"(TORKOMAN p.454). والتركمان هم جيل من الأتراك سموا به لأنه آمن منهم مائتا ألف في شهر واحد فقالوا "ترك إيمان" ، ثم خففت فقيل: "تركمان"(النجوم الزاهرة ج٢ ص١٤٩).

** اليوم الرابع : هو يوم الأربعاء.

كان يكره سركيس أسقف الأرمن بمدينة أرزنجان، فقد كان رجلا مسنا، ولقد كرم من ملوك الهون. وقد فكر فى أن يقتله ويهرب فأخذ بعض رجاله الأحرار وذهب إلى بلدة أرزنجان(٢٩٣) . فقد سمع أن القديس يوجد فى أحد الأديرة ويستعد للاحتفال بأحد الزعف(أحد الشعانين) فانتظره فى الطريق، وعندما قام القديس فى اليوم الثانى للسبت الحزين ليذهب إلى المدينة كان معه أيضا ابنه العظيم المشهور .فقال لوالده القديس: "لماذا لا تدخل المدينة وأنا أريد أن أذهب وأشغل نفسي فى بلدة كذا لأنهم يريدون أن أبارك لهم الكنيسة التى شيدوها". فسمح له أبوه بالذهاب وعدم التأخر. وعندما ذهب جاء ثلاثة فرسان أتراك لمقابلة القديس وذهبوا لتقبيل يديه وقالوا له: "لقد جاء رسول وطلبك وطلب ابنك وذلك لقراءة اليارليغ (الأمر) الذى كان معه." فقال الرجل المقدس: "لقد ذهب ابنى إلى القرية الفلانية أما أنا فلن أحضر". وبعد أن ابتعدوا قليلا انقض عليهم حوالى مائتى فارس تركى وقتلوا القديس ، كما قتلوا ثلاثين قديسا وراهبا وعبدا كانوا فى رفقته، فقطعوا رأسه وأخذوها وذهبوا. وبعد ذلك استولوا على القرية وحاصروا الكنيسة التى كان بها ابن القديس . وعند دخول الكنيسة لم يجدوه بداخلها لأنه كان قد اختبأ فى كوم من القش،فقرروا الرحيل، ولكن أحد الكفار الملاعين قال :" دعونا أولا نحرق هذا الكوم ثم نرحل". وعندما أشعلوا النيران خرج منها الرجل وهو يكاد يلفظ أنفاسه، فقال له الأتراك: "أين والدك" ؟ فأجابهم بأنه ذهب إلى المدينة. فقاموا بإلقاء رأسه أمامه فبمجرد أن رآها صرخ وألقى بنفسه على رأس أبيه، فقاموا بتقطيع جسمه عضوا عضوا. وبعد تلك الأحداث أخذ بيشار ـ ذلك الرجل الشرير ـ أبناءه وجميع جنوده وذهبوا جميعا إلى صاحب مصر. ولقد خشى بروانه، قائد مملكة الروم، أن يظن المغول أنه متعاطف مع المصريين فقام وأخذ بنت السلطان ركن الدين وحملها لخدمة ملك الملوك وقال: "لقد سمعت أن المصريين يستعدون للمجيء لخطفها، ولذلك أسرعت وأحضرتها". فشكره التتار على جميل صنعه ثم قال: إن ابن خطير(٢٩٤) وهو أحد أمرائنا يريد أن يأخذ الشاب غياث الدين صاحب الروم ويهرب إلى مصر، لذلك أعطوني قوة

لكي أستطيع الذهاب وإحضاره سريعا .فـذهب معـه قونقرتـاى(٢٩٥) الأخ الأصغر لملك الملوك حيث وجدوا ابن خطير والسلطان الشاب مقيمين فـى سهول أبلستين، ويحاولان الهرب إلى سوريا. وعندما قتل ابن خطيـر سـلم السلطان لبروانه وأجلسه من جديد على العرش، وبذلك ازداد بروانه تقربـا من التتار. وقد أحبوه كثيرا بسبب إخلاصه وإظهاره حبه لهم.

فى هذا الوقت جاء علم الدين يعقوب وهو تاجر مسيحى كبير من بلدة برقوطة – وهى بلدة فى مدينة إربل – جاء من خدمة قوبلاى خان الكبيـر. ولقد توفى فى طريقه إلى بلدة خراسان، وكان يرافقه رسول يدعى يـشموط كان رجلا عظيما ومكرما من الأويغور، وكان يسلك حياة النساك. لقد أخـذ أبناءه وأحضرهم لخدمة أباقا ملك الملوك، فاستقبلهم ملك الملوك بترحـاب. وولى مسعود الابن الأكبر على الموصل وإربل، وأصبح يـشموط منظمـا لشئون الأمير.

وفى سنة ١٥٨٧ يونانية (١٢٧٦ ميلادية) توفى الملك مسعود، وهرب الابن الآخر للشيخ عدى من بلدة الموصل إلى مصر، وحمل معـه المـرأة المغولية التى أخذها من التتار .

وفى سنة ١٥٨٨ يونانية (١٢٧٦ ميلادية) قرر البندقدار صاحب مصر أن يذهب بنفسه إلى الرومان، وذلك لأن بيشار ـ الرجل المسن ـ كان قـد هرب إليه مع بعض أمراء الروم، بعد أن شجعوه على ذلك. وعندما شـعر لاون ملك قيليقية بذلك، أرسل إلى رؤساء قوات التتار ليأخذوا حذرهم مـن المصريين الذين يستعدون لأسرهم. أما بروانه فبسبب كرهه لملك الأرمن ، ولأن قلبه لم يكن خالصا من ناحية التتار، فقد كذب عليهم. عندئذ لم يتحمـل الملك لاون فجاء إلى ضواحى التتار فى قلعة دبابا، وكان كل يـوم يرسـل رسولا إلى التتار قائلا لهم: "انظروا واستيقظوا من غفوتكم، إن المصريين قد اقتربوا مع قوة كبيرة." ولقد كذب بروانه أيضا وقال للتتار:" لا فائـدة مـن العمل الطيب لكم". وأرسل تقارير بخصوص المأكل والمشرب، ومن أجـل

ذلك لم يصدق التتار كلام الملك لاون. وكان بروانه يقيم لهم كل يوم وليمة ويسكرهم.

ولكن حدث في يوم الجمعة السادس عشر من شهر نيسان (أبريل) سنة ١٥٨٨ يونانية (١٢٧٧ ميلادية) أن انقض المصريون على المغول، وكانوا مخدرين وسكارى من شدة الخمر. وبصعوبة بالغة تمكن كل واحد منهم أن يمتطي جواده. ولما لم يكن في قانونهم أن يهربوا قبل أن يقاتلوا العدو، فلذلك التقوا بالمصريين فهُزموا أمامهم .وفي أثناء تلك المعركة قتل اثنان من رؤساء نبلاء التتار أحدهما طوغو والثاني توذان[٣٧٤]بهادر. وكان مع التتار ثلاثة آلاف من الأيبريين، قتل منهم ألفان بعد أن أظهروا مقاومة عنيفة، وقتلوا كثيرا من المصريين، وهرب ألف أيبري، وسقط خمسة آلاف من المغول في الحرب. وعندما رأى بروانه أن التتار قد هُزموا ، أخذ السلطان وهرب إلى قلعة دوقيا .وذهب البندقدار صاحب مصر ونصب خيمته بجانب قيصرية [٣٧٥] في المكان المسمى كيقوباد، وظل هناك خمسة عشر يوما. ودخل قيصرية وجلس على كرسي السلطان، ولم يؤذ أحدا من الشعب ولم ينهب. ولكن أخذ جنوده كل شيء بثمنه حتى إنهم اشتروا التبن لجيادهم، وقد كان يقول: "إنني لم أحضر لأخرب البلد، ولكن لأحرر صاحبها من عبودية التتار". وعندما سمع أباقا ملك الملوك بالخبر جمع القوات المستعدة واتجه نحو بلد الروم . فلما سمع البندقدار أن الملك أباقا يستعد أسرع وغادر بلد الروم وأخذ معه السيدة العجوز والدة بروانه وكذلك ابنه الأكبر زوج بنت ملك الأرمن. قتل مسيحي مدينة الروم بحد السيف فقد قيل له إنه بهؤلاء يشتد ساعد التتار عند مرورهم إلى سوريا. وبمجرد أن وصل ملك الملوك إلى بلد الروم لم يجد أحدا من المصريين، ولكن بعض التركمان الهاربين إلى سوريا، فتابعهم، وقتلهم وأسر أهلهم. ولقد قتل التتار الكثير من المسيحيين وأسروهم ونهبوهم.حدث ذلك على الرغم من أن ملك الملوك كان قد أصدر أمرا بعدم إيذاء المسيحيين، لأنهم كانوا بمثابة الملجأ لكثير من التتار الفارين من المصريين وقد قاموا بإطعامهم. ولقد صدر أمر لبعض العظماء والرهبان

ينص على أن يذهبوا إلى المعسكرات لينقذوا الأسرى المسيحيين من بلد الروم، فعلوا ذلك. وعندما ذهب ملك الملوك إلى جبال كبادوقيا ووصل إلى أكشادربند رجع مرة أخرى. وعندما عاد بروانه إلى ملك الملوك لم ينقص من التكريم الذى كان له ولكنه أكثر منه، وأخذه معه لكي يستطيعا أن يدبرا خطة بخصوص الرومان. ولكن حجم الجيش وقائده لم يكن بإمكانهما أن يواجها المصريين عند عودتهم. وعندما وصلوا إلى أرمينيا من الجبل المسمى الأتاغ(٢٩٦) أقام بروانه احتفالا كبيرا وسقوه كثيرا من لبن الخيل لأنه لا يشرب الخمر. وعندما خرج بروانه ليتبول أعطى ملك الملوك إشارة إلى حاملي السلاح، فقطعوه قطعا قطعا وذلك فى اليوم الثاني♦من الأسبوع فى اليوم الثانى من شهر آب(أغسطس) سنة ٦٧٥ هجرية (١٢٧١ ميلادية) . ولقد قتل بالطريقة نفسها التى قتل بها السلطان♦♦ ركن الدين. "إن القاتل يجب أن يقتل ودماؤه تستباح" لقد تحققت تلك الكلمات .ولقد قيل إنهم بمجرد أن سحبوا عليه سيوفهم لم يرتجف ولم يفزع، بل أنزل على التتار سيلا من اللعنات وقال:" أهذه مكافأتي منكم ؟ أهذه مكافأة كل من أحبكم"؟ وقبل أن يصل البندقدار إلى دمشق وصله حكم الرب فى ضواحي حماة، وحلت نهايته فمات، وانتهت مؤامراته الشريرة .هذا الرجل كان يظن أنه عظيم جدا جدا وذلك فى خلال فترة قصيرة. وقد قال كما قال فرعون♦♦♦ من قديم الزمان : "أنا الذى صنعت نهر النيل وهو ملكي".لقد قيل إنه أصيب بسهم فى وركه وأن النصل بقى فيه لعدة أيام، وذلك فى أثناء حرب التتار. ولقد أمر الجراح

♦ **اليوم الثانى** : هو يوم الاثنين.

♦♦ **السلطان** : فى النسخة السريانية "السلطان ركن الدين" (ص167v عامود٢ سطر٢).أما فى الترجمة الإنجليزية فلم يذكر أى ألقاب.(RUKN AD-DIN p.458).

♦♦♦ **قال فرعون** : "أنا الذى صنعت نهر النيل وهو ملكي" .وقد جاء هذا المعنى فى آية كريمة وهى :" ونادى فرعون فى قومه قال يقوم أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون"(سورة الزخرف آية ٥١)

بنزعه، ولكن فاضت روحه بخروجه، وقام من بعده ابنه فى مصر، وسلم إدارة سوريا كلها إلى صاحب حماة. وبعد ذلك ثبت أن موته لم يحدث هكذا، ولكن الذى حدث أن أمين الخزانة قام بخلط دواء سام مع لبن الخيل وسقاه له. فعندما شعر بالتعب أمر أمين الخزانة أن يشرب من اللبن أيضا، ومات كلاهما فورا.

ولقد حدث خلال هذه الحرب شيء يستحق الذكر. لقد قيل إنه عند هزيمة التتار سقطت جثثهم على الأرض، فأمر البندقدار أخاه الصغير ابن خطير – الذى كان قد هرب إليه – أن يمر على القتلى من التتار ويرى مَن من عظمائهم قد قتل حتى يستطيع أن يتفاخر أمام المصريين. وعندما وصل الرجل إلى مكان القتلى أدار وجوههم ليتعرف عليهم فوجد بين جثث التتار رجلا جريحا ساقطا على الأرض، ولكنه لم يكن ميتا وكان به بعض القوة ولكنه كان ينتظر حلول الظلام ليقوم ويهرب . وبمجرد أن رأى ابن خطير يفحص القتلى بعناية ظن أنه سيقتل الذين لم ينته أجلهم تماما. ولما كان قد سقط وسلاحه مربوط إليه، أخذ قوسه وسحب سهما من جرابه، وصوبه بعناية تجاه ابن خطير، وأصابه فى عينه واستقر رأس السهم فى مخه .ولقد ظن الذين كانوا معه أن السهم قد طار إليه من السماء، فأخذوه وحملوه إلى البندقدار، ومات فى هذه الساعة نفسها.

وفى اليوم الخامس♦من الأسبوع، أى فى اليوم السابع عشر من شهر حزيران(يونيو)، من العام نفسه نصب الأكراد الملاعين كمينا فى جبل العفف، وأخذوا عشرة رهبان من دير مارمتى، وعذبوهم وقتلوا أحدهم وكان يدعى مصوتا وباعوا التسعة الآخرين بأربعة آلاف زوزا.

وفى سنة ١٥٨٩ يونانية (١٢٧٨ ميلادية) بعث الملك ليون رسولا وأخذ ابنته التى كانت زوجة ابن بروانه لأن زوجها ــ كما قلنا ــ قد نقل إلى

♦ اليوم الخامس : هو يوم الخميس .

مصر. وفى هذا العام كان الشتاء شديدا والبرد قارسا فى أذربيجان، وفى كل أرمينيا الكبرى حتى حدود سقينيا، وهلكت جياد كل سكان الخيام وأبقارهم وأغنامهم، كما كان هناك نقص فى الطعام .وكانت كل مناية من القمح – أى حمل حمار – تباع بأربعين دينارا فى موغان(٢٩٧).

وفى هذا الشتاء اتُهم البابا الفارسي الذى قتل مسعود بن قوطى – من مملكة الموصل – والذى اغتابه قائلا إنه يهدم مدينة الموصل ولا يعرف كيف يحكم. حينئذ أمر ملك الملوك بعض النبلاء بإحضار البابا إلى الموصل .وأقام البابا شهود زور ضد يشموط ومسعود، ورشوا القضاة وصدر الحكم زورا. فأدان التتار المسيحيين وعين البابا صاحبا .

وفى هذا العام اجتمع حشد من التركمان والبدو ♦ والأكراد فى سوريا أولا ، ثم ذهبوا إلى قيليقية ووصلوا إلى تل حمدون(٣٨٥) ♦♦ حيث أحدثوا خرابا عظيما ونهبوا أسلابا كثيرة ، ثم رحلوا .

وفى سنة ١٥٩٠ يونانية (١٢٧٩ ميلادية) رأت الملكة الكبيرة قوتاى خاتون(٢٩٨) أنه خلال تلك السنوات قد توقف حضور المسيحيين فى عيد الغطاس ليباركوا مياه النهر، وذلك بسبب نزاعهم مع العرب . وكان البرد قارسا فى ذلك الوقت فجاءت بنفسها إلى بلدة مراغة وأمرت أن يخرج المسيحيون معلقين الصلبان على رءوس رماحهم وفقا لتقاليدهم. وعندما خرجوا حلت بهم البركة الإلهية، وانخفضت شدة البرد وازدهرت الأعشاب وفرح المغول لتحسن حال جيادهم، وكذلك المسيحيون لنصرة دينهم.

♦ البدو : جاء فى النص السريانى "البدو" (ص١٦٨ عامود٢ صطر٢٧).أما فى الترجمة الإنجليزية "بدو الصحراء"((dwellers in the desert p.460 .

♦♦ تل حمدون: ورد فى النص السريانى "تل حمدون" (ص١٦٨ عامود٢ سطر ٣٠)وهو الأصح.أما فى الترجمة الإنجليزية "حمدون"(they dame as far as **HAMDON p.460**). وتل حمدون هو حصن من أجل حصون "سيس".

وفى هذا الشتاء ثارت بعض الجحافل، حوالي خمسة آلاف كانوا قد هربوا واختفوا عند حدود الهند، وجاءوا إلى بلدة شيراز وأحدثوا خرابا عظيما وقتلوا الكثيرين، ومع ذلك لم يتمكنوا من دخول المدينة، واصطدموا مع قوات الجيش التى تقدمت وهزمتهم. ولقد هرب منهم عدد قليل، ولكن بصعوبة شديدة، سرق لصوص شيراز ممتلكات الأغنياء، وعندما سمع ابن ملك الملوك بأعمال هؤلاء الثوار طاردهم، ولحق بهم، وقتل عددا كبيرا منهم بحد السيف.

وفى أيام الصيف كان فى خدمة الصاحب فى بغداد رجل داهية وجرىء قام بالكثير من الأعمال الشريرة، فدنس زوجات الرجال وسخر من مجلس المملكة العظيم، وضحك منه باستهزاء كما لو كان أضحوكة. وفى أحد الأيام فى أثناء انشغال الصاحب فى الصيد، قبض المجلس على هذا الرجل الطاغية وثبتوا صليبا على عربة وقيدوه عليها من يديه ورجليه وداروا به فى أسواق بغداد .وغرسوا إبرتين لخياطة الخيش فى لسانه، ووقف خلفه فى العربة شاب صغير ليهش الذباب من فوق وجه الرجل المعذب، وكانوا يضربونه بأيديهم قائلين:"هكذا يجازى الذين يسخرون من النبلاء". وعندما أحضروه عند شاطئ نهر دجلة قطعوا رأسه وعلقوها على الجسر ثم أحرقوا جثته. ففزع كثير من الأشرار لهلاك هذا الرجل. ثم ساروا به فى الشارع ليلا وكان يسير أمامه عدد كبيرمن المهرجين يدقون الطبول ويرقصون ساخرين منه.

وفى هذه السنة من يوم الجمعة اليوم التاسع عشر من شهر أيار (مايو) انقضت القوات المصرية على قلعة الروم حوالى تسعة آلاف فارس وأربعة آلاف من المشاة، وقام على رأس القوات المصرية أمير يدعى بيسرى[٢٩٩] وعلى رأس القوات السورية حسام الدين العنتابى الذى عسكر عند نهر برزمان.وبعث إلى الكاثوليكس رسولين أحدهما عربي والثانى أرمني وقالا له: "إن السلطان أمر أن تسلم هذه القلعة دون مقاومة ونأخذ رهبانك وتذهب إلى أورشليم، وسوف يمنحك قرى كافية لمعيشتكم، وإذا لم ترضوا بذلك

وأردتم الذهاب إلى قيليقية ففي هذه الحالة سننقلكم على بغالنا وجيادنا مكرمين. أما إذا قاومتم ولم تستسلموا فإن الرب سيحاسبكم على دماء هؤلاء المسيحيين". فأجاب الكاثوليكي:" سأحارب حتى الموت فأنا لا أستطيع أن أكون مخلصا للرب وللملك معا". لقد احتشد المصريون طوال الليل في الحدائق وقطعوا الأشجار وأقاموا السلالم .وفي صباح يوم السبت شنوا حربا شعواء على المدينة وهرب المحاربون الأرمن من عند السور الحديث الذي كانوا قد بنوه. ولقد نصبوا السلالم ودخلوا المدينة البائسة ونهبوها وأشعلوا النيران في كل منازلها ولم يجدوا أحدا بالمدينة لأن كل أهلها كانوا قد هربوا إلى القلعة. وظل المصريون والسوريون بها لمدة خمسة أيام يخربون ويحرقون وينهبون، وبعد الخراب العظيم الذي أحدثوه غادروها بعد أن أكلوا حبوبها◆ وقطعوا كرومها وأشجارها وكسروا أحجار الطواحين وأخرجوا الحمامات من منازل الاستحمام وحملوها إلى بروانة وفي أثناء الفترة التي عسكرت فيها القوات التركية عند قلعة الروم أرسل ابن قرمان آجاي(٣٠٠)التركماني من بلاد الروم إلى صاحب مصر ليرسل له قوة لتمهد له الطريق أمامه وتقوده إلى سوريا، وذلك لخوفه من قوات التتار ومن ملك الأرمن. فأرسل صاحب مصر إلى الملك لاون أن يمهد الطريق أمام بيسرى حتى يذهب ويحضر ابن قرمان .ولقد وافق الملك على أن يمروا في حدود بلاده، وفعلوا ذلك وعبروا الجبال ووصلوا بالقرب من قيصرية وأخذوا ابن قرمان ورجعوا. وفي طريق عودتهم اتخذها الأمير بيسرى حجة ليثور ضد◆◆ سيده وجعل القوات المرافقة له تقسم له يمين الولاء .وذهبوا إلى بلدة قيليقية ومكثوا بها خمسة عشر يوما مخربين وناهبين .وعسكروا عشرة أيام عند أنازربه وجعلوا المواطنين الذين كانوا قد هربوا إلى هناك يقاسون أشد

◆ أكلوا حبوبها : في النص السرياني وردت "أكلوا حبوبها" (ص١٦٩ عامود١ سطر ٢٦) أما النسخة الإنجليزية "أكلوا مخزون حبوبها"(they ate it stores of grain p.461).

◆◆ ضد : هذه الكلمة مكتوبة في النص السرياني مرتين (ص١٦٩ عامود ٢ صطر ١١و١٢).في تصوري انه حدث ذلك لوجود الكلمة الاولى في آخر السطر والكلمة الثانية في أول السطر الثاني فحدث هذا الخطأ من باب السهو من الناسخ.

أنواع العسف. ولو كانوا قد مكثوا هناك فترة أطول لكانوا قد استهلكوا كل المياه ولكن الرب أهلكهم .ولقد أحرقوا دير فقسيماط بأكمله وكذلك دير الربان قوما[٣٠١] ولكنهم لم يصلوا إلى كويخات.وبمجرد أن وصلوا إلى سوريا انكشفت هذه الخطة لابن البندقدارصاحب مصر قد فخرج مسرعا من دمشق واتجه إلى مصر. وعندما بدأ فى جمع القوات تفرق الذين كانوا مع بيسرى لخوفهم من السلطان فبقى وحده وذهب إلى أورشليم واحتمى فى رواق سليمان وحلق شعر رأسه وأظهر ندمه على حماقته . عندما رأى الابن الأكبر للبندقدار هذا الانقسام الذى حل بقواته صعد إلى قلعة الكرك واعتزل الملك. فاجتمع النبلاء معا وأقسموا يمين الولاء للأخ الأصغر وأجلسوه على كرسى الملك فى مصر. ولكنه لم يستمر بعد أن ثار ضده رجل يدعى ألبى♦[٣٠٢] فأبعده وحكم هو مصر.

وفى هذا الصيف هرب ابن السلطان عز الدين صاحب بيت الروم من بلدة بركة[٣٠٣] وجاء إلى أباقا الذى استقبله بترحاب. وعندما أراد منحه جزءا من بلاد الروم لم يسمح له النبلاء وقالوا:" إذا حدث ذلك فإن النزاع القائم بينه وبين عمه سيزداد" واتفقوا على أن يعطوه جزءا من دخل كل البلاد ولكن دون أن يسيطر عليها، فوافق على ذلك بالرغم من أنه ضد رغبته.

وفى سنة ١٥٩١ يونانية (١٢٨٠ ميلادية) قام يشموط الأمير الأويغورى ومسعود بن قوطى بالاقتراب من أباقا ملك الملوك، وأظهروا له أن القضاة الذين أُرسلوا مع البابا الفارسي قد ظلموهما، وأن الحكم الذى صدر ضدهما كان عن طريق الرشوة. حينئذ أمر أباقا أن يصبح أخاه وزوج ابنته قضاة وأن يفصلا فى النزاع القائم بين الطرفين. وبعد شهر من البحث

♦ ألبى : هو نجم الدين بن ألبى بن حسام الدين بن تمرتاش بن إيلغازى صاحب ماردين وميافارقين.وكانت ولايته نيفا وثلاثين سنة وولى بعده ابنه نجم الدين ألبى (تاريخ مختصر الدول ص٢٠٨) .وقد ذكر النص السريانى أنه "رجل" (ص169v عامود ١ صطر ٩).أما الترجمة الإنجليزية "أمير"(AMIR whose name was ALPI p.462)وهو الأصح.

ظهر أن البابا مذنب، وكُشف أمر القضاة السابقين فاعترفوا بالرشوة التي أخذوها من البابا. وصدر أمر بقطع رأس البابا بالسيف وإحضاره إلى الموصل، وذلك في اليوم الخامس من الأسبوع في اليوم الثامن من شهر آب (أغسطس)، وسيطر الحكام المسيحيون مرة أخرى على الموصل وإربل وانتصروا بجدارة .

ولقد قُتل هناك أيضا رجل فارسى عظيم يدعى جلال الدين توران من بلدة خوتان؛ ذلك لأنه اتخذ جانب البابا كما أنه لم يكبح جرأته الوقحة.وحدث أن هرب أيضا خلال تلك الأيام بردو الأمير الكردى من بلده الموصل إلى سوريا مع كل أهله. وعلى الرغم من أن حراس الطرق من قوات المغول طاردوه فإنهم لم يدركوه .ولقد رفض سنقر الأشقر الذى كان موجودا في دمشق حكم ألبى لمصر، فجمع جيشا واشتبك معه في معركه ، وعندما انتصر عليه ألبى هرب من أمامه وجاء إلى الرحبة [٣٠٤] وقابل الأمير عيسى بدوى فتحالف الاثنان؛ فأرسل رسولا إلى أباقا ملك الملوك ليرسل قوات ضد ألبى. وعندما استجاب لهما، وذهبت القوات إلى سوريا خاف سنقر على نفسه منهما لعدم ثقته فيهما ؛ فهرب واحتمى فى قلعة صهيون[٣٠٥] . ووصل التتار إلى حلب وخربوا كل ما وقع تحت أيديهم بحد السيف، وأحرقوا المباني ثم عادوا .وكان نزولهم إلى سوريا فى أيام الشتاء سنة ١٥٩٢ يونانية (١٢٨١ ميلادية) وكان على رأس القوات قونغرتاى الأخ الأصغر لأباقا ملك الملوك. وبعد عودة التتار من حلب، اجتمع سبعة آلاف فارس مصرى، وذهبوا إلى قلعة مرقب[٣٠٦] على شاطئ البحر وعسكروا بها. وعندما شعر الإخوة البؤساء حكام القلعة بمجيئهم خرج ليلا مائتا فارس وخمسمائة من المشاة واختبئوا فى ضواحى القلعة، ونزلوا من فوق جيادهم وبدأوا فى نصب خيامهم، فانقضت عليهم قوة من الفرنجة وقضت على معظمهم بحد السيف، وهرب القليل منهم.

وفى صيف هذا العام شن فرسان بيت جلال الدين توران وبيت البابــا حربا، وانقضوا على مسعود بن قوطى مدعين أنه قد سرق من خزينة جلال الدين مقدارا كبيرا من الذهب والأحجار الثمينة. وقبض على مسعود، أعطى عهدا مكتوبا بخمسين ربون(خمسمائة ألف) وذلك تحــت ضــغط التعــذيب الشديد . وحكم على ابن عمه سوعيدات بالقتل بالسيف. ومن الموصل أُخــذ ابن سمينا العربى الذى كان تحت رعاية مسعود، ومات من شدة التعــذيب. وقُتل أيضا أبو بكر وهو أمير كردى من هكاريه، وكان ثائرا منذ سنوات فى جبال أشور . وكان مسعود قد اتفق معه على السلام فحملوه إلى المخيم ومعه ثمانية من الأصدقاء فقتلوهم. أما الابن الأكبر للشيخ عدى الذى كان قد هرب إلى سوريا فقد ذهب إلى المخيم واعتذر عن هروبه ولكنــه اتهــم بالقتــل . وأُحضر مسعود إلى الموصل مع حرس مغولى ليعطيهم الذهب. وبعد أن بقى معهم لبضعة أيام هرب منهم ليلا.

وفى سنة ١٥٩٣ يونانية(١٢٨٢ ميلادية) فى موسم الخريــف نــزل حوالى خمسة ربون (خمسين ألف) من قوات المغول مرة أخرى إلى سوريا وقام على رأسهم مونككا تيمورالأخ الحبيب لملك الملوك .وقــد حــشد لاون ملك قيليقية قواته وذهب معه لمساعدته، واجتمعت أيضا القــوات المــصرية والسورية وقام على رأسهم السلطان ألبى وأيضا سنقرالأشقر لأن الاثنين كانا قد تصالحا مع بعضهما البعض. وتقابل التتار مع المــصريين بــين حمــاه وحمص فى اليوم الخامس من الأسبوع أى اليوم الثلاثين من تــشرين الأول (أكتوبر) من هذه السنة نفسها وانتصر التتار على المصريين.

وعندما أوشك التتار على النصر الكامل انقض عليهم مــن الجانــب الأيسر جماعة من البدو والتغالبة فظن التتار أن العدو يحاصرهم من الأمــام ومن الخلف. وقد هرب أصحاب الميسرة مع أهل القلب. ولكــن أصــحاب الميمنة وهم من جنس التتار ويدعون أويرات مــع خمــسة آلاف (كــرج) وكذلك ملك الأرمن مع جنوده فلم يشعروا بكمين العرب . فهزموا المصريين

الذين كانوا يقاومون بشدة، وطردوهم حتى أبواب حمص وتركوا كثيرا من القتلى . ولما سمعوا بهروب أصدقائهم انسحبوا على الفور. وفى أثناء انسحابهم قابلوا القوات المصرية العائدة من مطاردة التتار الهاربين، فعاد بينهم القتال مرة أخرى، وكان كل فريق يخشى الفريق الآخر، فقاتل كل فريق بحماس، وتكتلوا فى جماعات وعبر كل جانب لمنطقته. .وقد جاء الجانب الأيمن للتتار محملا بغنائم كثيرة وعملات مصرية وبغال وآنية♦. أما الجانب الأيسر فقد ألقوا حتى بملابسهم وكثيرون عادوا على أرجلهم ووصلوا منهكين من شدة الجوع والعطش. وقد رجع الجانب الأيمن للجيش المصرى ووسطه إلى دمشق وهم يحملون أسلابا كثيرة من التتار. ولقد نجى من الجانب الأيسر قليل من المصريين وكانوا مصابين بجروح شديدة، كما فقدوا كل شيء .ولولا عدم مجيء أباقا حتى شاطئ الفرات ورجوعه إلى بغداد لكانوا قد تركوا المصريين مقطعين إربا .

وفى شتاء هذا العام أصاب أهالى أشور وكل بلدة سنجار♦♦ قلق شديد وذلك بسبب عودة تلك القوات .وحدث أن اشتد البرد وسقطت ثلوج كثيفة أكثر من المعتاد فى بلدة الموصل .وبعد أن تفرق المغول والمصريون تحالفت بعض القبائل الصحراوية والتركمان والأكراد، وقاموا بغزو بلدة قيليقية، ووصلوا حتى أياس وأحرقوها ونهبوها، ولم يجدوا بها أحدا من مواطنيها لأنهم جميعا كانوا قد هربوا عن طريق البحر واحتموا بالقلعة

♦ آنية : فى النص السريانى وردت كلمة "آنية" (ص170v عامود ١ سطر٢٢) أم الترجمة الإنجليزية جاء بعد كلمة آنية كلمة "ملبوسات" (and ، and vessels، and mules،EGYPTIAN darics .apparel p.464)

♦♦ سنجار : فى النسخة السريانية مكتوبة (سنبر)(ص170v عامود ١ سطر ٣٦) .وهذا خطأ والصحيح هو(سنجر) . وهذا الخطأ فى تصورى ربما يكون خطأ فى الكتابة فقط وذلك لتقارب حرف (الباء والجيم : ب ج) فى اللغة السريانية وقد وردت كلمة "سنجار قبل (أوبعد)ذلك مكتوبة بشكل صحيح..

الجديدة التى كانت قد بنيت فى وسط البحر. وبعد أن خربوا كل ما وقع تحت أيديهم انصرفوا. وعاد آخرون ثلاث مرات واجتمع غيرهم للمـــرة الرابعـــة وقاموا بغزو البلدة فى يوم سبت نينوى سنة ١٥٩٣ يونانية (١٢٨٢ ميلادية) ووصلوا حتى تل حمدون وأخذوا غنائم كثيرة، وعند خروجهم أغلق الأرمن التحصينات والبوابات عليهم وأهلكوهم كلهم بحد السيف، وأخـــذوا أســـلحتهم وسلخوا جلد رءوسهم، كما حملوا الحيوانات الدروع والرمـــاح والـــسيوف، وكذلك أرسلوا الجماجم والشعر فيها إلى ملك الملوك . وبعد عدة أيام جمـــع حيدر صاحب قلعة ألبيرة قوة تقارب ألفى فارس واســـتولى علـــى حـــصن زياد(٣٠٧) .وقد هرب كثير من المسيحيين واحتموا فى مسجد العرب الكبيـــر ونجوا من الموت وآخرون ثاروا فى المكان المسمى الأسطونا(٣٠٨)، ولكـــن اللصوص لم يتمكنوا من اختراقه لأنه كان منيعا كالسد . ولقد قـــام هـــؤلاء الملاعين بأسر أربعة آلاف امرأة وصبى وعبروا الفرات فى مواجهة ملطية ونهبوا البلدة، ووجدوا فى قرية عرقة كثيرا من أهاليها المسيحيين فأخـــذوهم أسرى وذهبوا إلى سوريا. وعندما جاء مونككاتيمور من سوريا ذهب إلـــى أباقا فى بغداد وكان آسفا وحزينا على الهزيمة التى حلت به، ووعد وتعهد أن يعود إلى سوريا مرة أخرى .وعندما رجع ووصل إلى الجزيرة فى قردو قام الصفى القرقوبى، ووشى بأصحاب الجزيرة، فجعلهم مونككا تيمور يقاســـون كثيرا من الشدائد فكتموا غضبهم ضده، وفى أحد الأيام عنـــدما خـــرج مـــن الحمام دبروا خطة وعملوا اتفاقا سريا مع أحد حاملي الأقداح فـــسقاه ســـما. وبعد أن انتشر السم فى جسمه انتقل من الجزيرة إلى نصيبين. وعندما علـــم أصحاب الجزيرة أن خيط حياة مونككا تيمور قـــد انقطـــع أخـــذوا الـــصفى القرقوبى وابنه وساقوهم عراة فى أسواق الجزيرة، وقتلوهم بطريقة وحشية. وانتقل أباقا ملك الملوك من بغداد وجاء إلى مدينة همذان.

وفى يوم أحد القيامة سنة ١٥٩٣ يونانية (١٢٨٢ ميلادية) ذهب إلى كنيستها واحتفل بالعيد مع المسيحيين .وفى اليوم الثاني قام بهنام ♦- وهو أحد نبلاء الفرس - بعمل احتفال فى قصره تكريما له. وفى ليلة اليوم الثالث شعر بالقلق ولاحت له أشباح فى الجو. وفى صباح اليوم الرابع من السبت الأبيض فى اليوم الأول من نيسان (أبريل) اليوم العشرين من الشهر الحادى عشر ♦♦العربى فارق الحياة .وفى اليوم السادس والعشرين من نيسان(أبريل) الأحد اليوم السادس عشر من شهر محرم فارق الحياة أخوه مونككا تيمور فى مدينة الجزيرة .وبعد موت أباقا أرسل إليه النبلاء رسولا وقالوا له: "ليس هناك ما يدعو إلى ذهابك إلى سوريا" ، ولم يخبروه بموت أخيه. ومات هذان الأخوان ملوك الدنيا دون أن يدرى أحدهما بموت أخيه.

وبعد عدة أيام جاء ما يقرب من ستة آلاف فارس من سوريا وعبروا الفرات ووصلوا حتى الجزيرة عند قاردو، وخرج مؤمن صاحب المدينة وقابلهم فانهزم، وأُسر وأُخذ سجينا إلى مصر. وحل الفزع فى مدينة نينوى وهرب كل المواطنين إلى دير مارمتى، وكانوا فى اضطراب عظيم وحل عليهم الطاعون ، فمات ما يقرب من ثلاثين راهبا.

فى هذا الوقت هاجم مجد الملك ــ وهو كاتب فارسى ــ علاء الدين صاحب الديوان فى بغداد، وكشف سرقته واتهمه بأخذ مبلغ كبير من خزائن الحكومة؛ فقبض على علاء الدين وجرده من كل ما يملك حتى إن أبناءه الصغار قد بيعوا للتجار، وبينما هو فى هذا العذاب، مات أباقا وحكم أحمد وقتل مجد الملك الكاتب الواشى ضد علاء الدين .

وفى العام نفسه وبعد فترة مات أيضا علاء الدين.

♦ بهنام : ورد فى النص السريانى اسم "بهنام " (ص١٧١ عامود٢ سطر٥)وهو اسم صحيح.أما فى الترجمة الإنجليزية "برهام"((nobleman whose name was BIRHAM p.466 وهذا خطأ.

♦♦ الشهر الحادى عشر: هو شهر ذى القعدة

تولية تكودار الحكم بعد أباقا(٣٠٩)

بعد أباقا حكم أخوه أحمد تكودار♦ (٣١٠).عندما فارق ملك الملــوك الحياة اجتمع أبناء الملك مع النبلاء وأجمعــوا علــى أن يقــوم أحمــد بــن هولاكو♦♦ ـــ الذى أنجبته له قوتاى خاتون الملكة العظيمــة ـــ علــى رأس المغول الذين كانوا فى الغرب، لأن الطريق كان له، ولأنه كان أكبر إخوته . وعندما جلس على عرش المملكة فى اليوم الأول♦♦♦ من الأسبوع فى اليوم الحادي والعشرين من حزيران (يونيو) سنة ١٥٩٣ يونانية (١٢٨٢ ميلادية) ٦٨١ هجرية أظهر رحمة قلبه وسخاء يده؛ ففتح خزينة والده وأخيه وأخرج كنوزا عظيمة من الفضة والذهب، ووزعها على إخوتــه، وعلــى الأمــراء القوات المغولية. ونظر إلى شعبه بعين الرحمة وخاصــة رؤســاء العقيــدة المسيحية، وكتب لهم وثائق تحرر كل الكنائس والمنازل الدينية والقــساوسة والرهبان من الضرائب فى كل المدن والمناطق. وأرسل رسولا إلى صاحب مصر وإلى الأتابك الكهل صاحب بيت الروم، وإلى قطب الدين قاضى مدينة سبسطية، وإلى شمس الدين بن تيتى وزير صاحب ماردين وقال للمصريين: "إنه وفقا لأمر الرب، ووفقا للقوانين التى سنها لنا أبونــا جنكيزخــان، فــإن مملكة المغول قد دانت لى. ولأن الرب قادنى إلى السلام فأنا أريد أن يحيــا كل فرد حياة هادئة فى بلده، وتختفى الحروب والقتل والأسر من على وجــه الأرض، لذلك إذا كان لك الرأى نفسه فامدد يدك لتحقق السلام والخــضوع،

♦ تكودار : فى الترجمة الإنجليزية لا يوجد تكودار

♦♦ هولاكو: فى الترجمة الإنجليزية فقد ورد الاسم مكتوبا خطأ (HULABU p.467).فهناك تقــارب بين شكل حرف (الباء والكاف) فى اللغة السريانية ومن هنا من الممكن أن يكون المترجم قد وقــع فى الخطأ .ومن الواضح أن المترجم يجهل هذا الاسم وذلك لأن هذا الاسم تكرر أكثر من مرة فى النص وفى كل مرة كان يكتب بنفس الطريقة الخطأ.

♦♦♦ اليوم الأول : اليوم الأول هو يوم الأحد

أما إذا بقيتم فى حالة التمرد هذه سيحاسبكم الرب على الدماء التى ستسفك". فوافق صاحب مصر على أن يكون هناك سلام، وأن ينزع السيف من بينهم، ولكن على شرط أن تكون مدينة الموصل تابعة لابن بدر الدين، وأن يعطى المغول مثلما سيعطيه الآخرين. وقبلت بغداد وسنجار العرض، وعندما عاد الرسل وأعلنوا ما قيل لهم مرة أخرى أرسل ملك الملوك الشيخ عبد الرحمن لتأكيد السلام. وفعلا ساد السلام فى البلاد.

وفى ذلك الوقت فتحت الطرق، وتنقل التجار بين بابل وأشور وفارس إلى سوريا، وأتى التجار المصريون إلى بلاد التتار ولم يؤذهم أحد . حينئذ استعد عبد الرحمن للذهاب إلى سوريا، فأخذ مبلغا كبيرا من خزينة المغول الملكية، وأحجارا ثمينة، ولآلئ باهرة، وذهبا وفضة، وأواني، وأثواب قماش منسوجة بالذهب. وترك الأثاث وجاء إلى تبريز ومكث بها حوالى شهر وجمع لديه صناعا من كل فئة من الصياغ والنساجين وغيرهم فعملوا كل شئ بطريقة ملكية .ومن هناك جاء إلى الموصل فأحضر من بغداد عشرة آلاف قطعة ذهبية وذهب إلى ماردين وهناك جاء إليه رسول من السلطان ألبى صاحب مصر وقال له :"إن السلطان يرسل تحياته ويقول كل هذا الوقت وأنا جالس فى دمشق فى انتظار قدومك حتى أراك وأحقق طلبك وأذهب إلى مصر، لأن هذه الأرض لا تحتمل القوات الغفيرة التى معى لذا أرجوك ألا تتأخر".حينئذ أرسل عبد الرحمن وقال له:" أنا مستعد للحضور، ولكن أطلب منك عند حضورى إلى بلدك أن يدخلنى أتباعك لمقابلتك مكرما، ولا يقدموننى ليلا كما فعلوا مع الرسل الذين سبقونى فى الحضور إليك." فأرسل السلطان وقال له: "أنت رجل عظيم عندنا، وشرفك مختلف عن الرسل السابقين، لذلك فليطمئن قلبك، فاحضر وستنال كل الرضا الذى تتمناه". عندئذ اطمأن قلب الشيخ عبد الرحمن فأحضر قوات التتار الذين يحرسون طرق آمد وساروا معه. حينئذ أرسل معه الملك المظفر صاحب ماردين رسولا من طرفه إلى شمس الدين ويدعى ابن تيتى، وهو رجل عظيم، ومشهور وأرسل قوات أخرى لتذهب فى خدمة الشيخ حتى الفرات ثم تعود. وانتقل الشيخ من

ماردين فى شوال الشهر العاشر للعرب سنة ٦٨٢ هجرية (١٢٨٣ميلادية) .
وعندما وصل إلى مدينة حران، جاء لمقابلته أحد الأمراء، وقد كان أحد عبيد صاحب مصر. وكان على هذا الأمير أن ينتظر الشيخ، وأن ينزل من فوق جواده فيأتى على قدميه ليسلم عليه ويقبل يده وفقا للتقاليد .ولكن لم ينزل من فوق جواده وصاح أمامه بالتحية وأرسل قائلا للشيخ : "الآن ليس هناك حاجة لمجيء التتار"، وأصدر إليهم أمرا بالرجوع، فأمر الشيخ قوات التتار بالعودة. وعندما رحلوا أمسك الأمير الشيخ والذين معه، وخرجوا عن الطريق المؤدى إلى ألبيرة. وقال:" لقد أعددنا لكم معسكرا فى مكان آخر". وعندما ذهبوا ووصلوا إلى شواطئ الفرات قال الأمير: "لقد نصبنا لكم خياما فى الجانب الآخر". فأجاب الشيخ: "أينما تعسكرون نعسكر". أما رجال ماردين الذين جاءوا لخدمة الشيخ، فقد عقدوا العزم على العودة من الفرات وفقا لأمر صاحبهم .ولكن الأمير التابع لصاحب مصر لم يتركهم وقال لهم: "إن سلطاننا أمر أن تأتوا حتى حلب ".وعلى الرغم من إعراضهم عن ذلك، فإنهم عبروا الفرات وعسكر جميعهم هناك. وفى المساء أحضر الأمير كثيرا من الطعام للشيخ ولكل الذين كانوا معه .وعندما أكلوا، واستراحوا وناموا لمدة ساعة أو أكثر ركب الأمير والذين كانوا معه جيادهم، فأرسل إلى الشيخ قائلا: "قم واركب لنذهب." ولكن الشيخ غضب ورفض الطلب قائلا:" لن أركب إلا فى الصباح عند شروق الشمس" فأجاب الأمير :" لقد أمرت ألا أحملك إلا ليلا سواء رغبت أم لم ترغب". فغضب الشيخ وقال:" لن أسافر ليلا حتى ولو قتلتني". فقال الأمير: "بالنسبة للقتل فلن أقتلك ولكن سأحملك بالقوة، وأكبلك بالأغلال". وعندما رأى الشيخ أنهم يريدون أن يهدروا كرامته استجاب لطلبهم، فقام وركب جواده وسافروا طيلة الليل . وفى الصباح الباكر انحرفوا عن الطريق وابتعدوا عن العمران، وعندما وصلوا ليلا إلى حلب عسكروا فى إحدى المدارس، وصدر قرار من ألبى صاحب مصر ينص على أن كل مارديني جاء لخدمة الشيخ يقبض مائتى زوزا ثم يعود إلى بلده، ويحضرون الشيخ ورفاقه والأمير المغولى الذى كان معه،

وشمس الدين رسول صاحب ماردين بعناية شديدة إلى دمشق ليلا. وبمجرد أن أصدر السلطان هذه الأوامر ذهب إلى مصر، ولم ينتظر مقابلة الشيخ. وعندما أحضروا الشيخ إلى دمشق ذهبوا إلى القلعة حيث سجنوه مع الأمير المغولى فى أحد المنازل ورسول صاحب ماردين فى منزل آخر، وكل زوج من خدمهم فى منزل. وعينوا الشاب ابن الأمير المغولى، وشابا آخر (ابن مجد الملك) فى خدمة الأمراء؛ فسارا معه حاملين سلاحه، وسنوا قانونا ينص على أن لا يسأل أحد صديقه بخصوص الشيخ عبد الرحمن، سواء أين هو أو كيف هو. وأخفيت أخباره حتى "يومنا هذا" أى لمدة سنة كاملة. وبعد رحيل الشيخ عبد الرحمن إلى سوريا، قيل لملك الملوك أحمد إن أخاه قونقرتاى قد تبادل الحديث مع أرغون بن أباقا، وقال له أن يستعد لأسرك ليلا فى أثناء نومك فى خيمتك ويقتلك . حينئذ ارتعد أحمد، وأسرع وكبل أخاه قونقرتاى بالأغلال وقتله. وعندما سمع أرغون بقتل عمه حزن عليه حزنا شديدا، وتحول قلبه عن أحمد. وعندما شعر أن قلب أرغون ليس صافيا معه أرسل إليه قائدا يدعى أليناق[٣١١] مع قوة كبيرة. وعندما تقدم أليناق ووصل إلى خراسان بأرغون أسرع الفرار من أمامه. كان أليناق يؤمن براحة الجسد وكان لا يبالى بالأمور الحربية، فبدأ يأكل ويشرب ويسكر. وفى إحدى الليالي هاجم أرغون معسكر أليناق وقتل الكثيرين، وبصعوبة شديدة تمكن ألناخ من النجاة من حد السيف ومعه بعض الأتباع. ولما سمع أحمد بالحظ السيئ الذى حل على أليناق أرسل إلى كل البلاد وجمع قوات المغول ، والأكراد، واللور ، والفرس ، والأيبريين ، وذهب إلى أرغون[٣١٢] فى خراسان. وعندما رأى أرغون أنه عاجز أمام قوة أحمد صعد إلى إحدى القلاع الموجودة هناك مع ثلاثمائة من رجاله الممتازين، وبدأ عقله يضطرب لأنه محبوس فى قلعة مما أضر به لأنه قد قال إن كل من أغلق عليه فهو أسير ولم تطاوعه نفسه بالرجوع إلى طاعة السلطان أحمد، وبينما هو على هذا الحال قال أحد الأمراء ويدعى بوقا رجل الخزينة– والذى كان محبوبا جدا من أباقا والد أرغون – لأحمد : "إذا أعطيتنى عهدا ألا تؤذى أرغون

أذهب وأحضره بين يديك". ووعد أحمد، وأقسم بما يستعظم المغول القسم به أنه إذا جاء إليه أرغون بمحض إرادته، فإنه لن يؤذيه إطلاقا. حينئذ صعد الأمير بوقا مسرعا إلى أرغون وأنزله من القلعة، وأحضره إلى أحمد الذى فرح به كثيرا ، وأقام له احتفالا لمدة ثلاثة أيام. وبعد الأيام الثلاثة جالت الأفكار السيئة فى رأس أحمد فوضع حراسا على أرغون، فدعى أليناق ورفاقه وقال لهم: "إنى ذاهب إلى والدتى قوتاى خاتون فى أذربيجان، فراقبوا أرغون حتى لا يهرب، وأحضروه إلى حيثما أكون". فى الليلة التى أراد أن ينتقل فيها كشف سره إلى بعض النبلاء وقال لهم:" إذا لم أقتل أرغون والأمراء الآخرين فلن يستقر لى الملك ".

وفى صباح اليوم التالى انتقل وأمر أن يتلطفوا فى إحضار أرغون إليه. عندما فهم الأمير بوقا هذا تلكأ فى الذهاب مع أحمد، وبقى حتى المساء حيث ذهب إلى جميع الأمراء وأخبرهم بسر أحمد، وأنه يستعد لإيذائهم جميعا. فغضب الأمراء بشدة وجاءوا ليلا إلى حيث كان أرغون تحت الحراسة فأخرجوه، وألبسوه الدروع وأعطوه سلاحا وأركبوه على حصان وذهبوا جميعا إلى حيث كان أليناق نائما، وقتلوه داخل خيمته، وقتلوا أيضا النبلاء رفاقه؛ فصاح الدعاة داخل خيام المغول : "الأمراء قتلوا أليناق والنبلاء رفاقه. فكل من هو فى موضع يلزم مكانه، ولا يتحرك ولا يخف". وعندما حل الصباح، أرسل المغول، وأحضروا بعض الرجال الذين يدعون القراونة والذين كانوا لا يريدون أحمد، وطاردوه ولحقوا به عند أمه فقبضوا عليه، وكبلوه بالأغلال ووضعوه تحت حراسة مشددة، ونهبوا خيام أمه وزوجاته. ولما وصل أرغون وباقى الأمراء اتفقوا أن يصبح أرغون على رأس المغول ويملك المملكة مكان أبيه أباقا ويعزل أحمد لأنه غير صالح للحكم. وفى أثناء اشتباك قوات التتار فيما بينهم، أرسل ألبى صاحب مصر حيدر القائد مع ثلاثة آلاف فارس إلى بلدة شبختان ليحضروا ابن شيكان القائد الأرمنى الرياضى حيا إلى مصر فى قفص؛ لأن العرب الذاهبين إلى سوريا كانوا يلاقون منه معاملة سيئة . وعندما عبروا الفرات، جاءوا

وعسكروا عند تينا القلعة الأرمينية .وفى أول أيام الحرب أصيب حيدر بسهم ومات، ففزعت قواته، وتركوا القلعة وهربوا إلى سوريا. وكان انتقاما عادلا من حيدر؛ ذلك الذى نهب المسيحيين وأفسد وخرب مدينة ملطيـــة وزيـــاد. حدث ذلك فى صيف سنة ١٥٩٥ يونانية (١٢٨٤ ميلادية).

أرغون بن أباقا

بعد تكودار الملقب بأحمد، حكم أرغون بن أباقا ــ كما قلنا ــ وانتهى ملك أحمد فى اليوم الرابع من الأسبوع، وفى اليوم الأول من الشهر الخامس* العربي سنة ٦٨٣ هجرية (١٢٨٤ ميلادية) جلس أرغون ملك الملوك على عرش المملكة وهو الموافق لليوم السادس والعشرين من شهر تموز (يوليو) سنة ١٥٩٥ يونانية (١٢٨٤ ميلادية) .ولقد استنكر كثير من النبلاء أن يبقى أحمد على قيد الحياة فقال أرغون: "أنا لن أشترك فى قتله .إن والده قونقرتاى وأبناءه يعلمون جيدا أنهم إذا أرادوا قتله فعليهم أن يقوموا هم بهذه المهمة، وإذا لم يرغبوا فليتركوه وشأنه". وظل لعدة أيام تحت الحراسة ثم قتله أبناء قونقرتاى وأخذوا بثأر والدهم فى اليوم الرابع من الأسبوع الثاني من الشهر السادس** العربى السادس عشر من شهر آب (أغسطس).

فى هذا العام استقر الملك لأرغون، وعين أميرا لكل بلد تابع له على رأس قوات بابل، ومازندران، وأشور، وخراسان وبيت الروم .ولقد أرهب أرغون الكثيرين وخاصة فى سوريا، حتى قيل إنه عندما وصل الخبر إلى سوريا ارتفع أجر الجمل الواحد للسفر من حلب إلى حماة إلى أربعمائة زوزا، وذلك لأن جميع الرجال كانوا يهربون إلى مصر.

وفى بداية حكم ملك الملوك أرغون نصب مسعود بن قوطى ملكا على الموصل، وبعد ذلك حكم جميع المقاطعات، وعمت السعادة كل المسيحيين؛ ولكن هذه السعادة سرعان ما انقلبت إلى حزن؛ لأنه فى اليوم الذى جاء فيه أرغون إلى أحمد قام أبناء جلال الدين توران بقتل الأمير يشموط الراهب الأويغورى وذلك انتقاما لوالدهم.

♦ الشهر الخامس العربي : هو الموافق شهر جمادى الأولى.

♦♦ الشهر السادس العربي : هو الموافق شهر جمادى الآخرة.

قتل شمس الدين صاحب الديوان

كانت هناك اتصالات بين أرغون وأحمد بخصوص شمس الدين صاحب الديوان. لقد قيل لأرغون إن صاحب الديوان قد قتل والدك بالسم. فأرسل أرغون رسولا وطلبه من أحمد، ولكنه لم يسلمه له. فظن أرغون أنه قد لفق له تهمة، وأن أحمد سعيد بموت أباقا ملك الملوك، وذلك لكى يجلس مكانه وهذا ما حدث فعلا. فلما زال مجد أحمد وانتصر أرغون هرب شمس الدين إلى جبل ماداى [٣١٣] ولجأ إلى طائفة من الأكراد تدعى اللور .فلما علم يوسف شاه[٣١٤] رئيس اللور أن الحكم قد دان لأرغون، جاء لتقديم فروض الطاعة له. ولقد استقبل بترحاب لأنه كان قد وعد أن يقبض على صاحب الديوان ويحضره.ولذلك ذهب وقبض عليه وأحضره إلى أرغون رغم ما عرض عليه من هدايا. لقد طلب منه فدية قدرها مائة ربون من ذهب وذلك حتى لا يهرق دمه. فقال :"إذا أعدتم لى ممتلكاتي فسوف أستطيع أن أعطى أكثر من ذلك، وإلا فلن أستطيع." ولقد نصحه النبلاء قائلين: "اقترض هذا المبلغ وقدمه، وحينئذ سوف نسلم لك ممتلكاتك". فبدأ يقترض من إخوانه وأهل منزله وعبيده وأحبابه فجمع أربعين ربونًا ثم قال : "إنني لا أستطيع أن أجهز شيئا أكثر من ذلك وافعلوا ما تريدون أن تفعلوه." حينئذ صدر أمر بقتله وعلقه المغول من يديه وقدميه إلى أعلى، وسحبوه على الأرض ثلاث مرات وضربوه بأحذيتهم حتى فصلت رأسه. وذلك فى اليوم الثالث من الأسبوع فى اليوم الخامس من شعبان سنة ٦٨٣ هجرية (١٢٨٤ ميلادية) السابع عشر من تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٥٩٦ يونانية (١٢٨٥ ميلادية) .وكانت هذه هى النهاية السيئة لهذا الرجل المخيف المعذب. كانت كل مملكة مجوج رهن إشارته، وذلك لأنه كان عاقلا ومتفهما بطبيعته، وكان متبصرا فى كثير من نواحى العلم والمعرفة. كان شقيقه علاء الدين صاحب بغداد الذى مات منذ عامين ميتة طبيعية فى موغان وأحضرت جثته إلى مدينة تبريز حيث دفن هناك. كان ذا مهارة فائقة وله دراية فى فن الشعر، وألف كتابا رائعا

بالفارسية عن تاريخ المملكة السلجوقية، والخوارزميين، والإسماعيلية، والمغول .وعن كتابه هذا أخذنا ما يوجد فى كتابنا بخصوص هذا الموضوع.

وفى سنة ٦٨٣ هجرية (١٢٨٤ ميلادية) توفى السلطان غياث الدين بن ركن الدين صاحب الروم. كان قد خرج للذهاب إلى المخيم لمقابلة السلطان مسعود[٣١٥] ابن عمه♦، وعندما وصل إلى بلدة أرزنجان سقاه النبلاء سما قاتلا وذلك لشدة تبذيره ولفساد حكمه. وفى فصل الشتاء اجتمعت الكواكب السبعة السيارة فى مدار الجدى فى الأنابيبازون . وقد اندهش العالم واستغرب لأنها كانت سنة الاتصال بين كرونوس وزيوس، وذلك فى المدار الفلكى لأكواريوس لأن اتصالهما كان صيفا. وعندما سمع صاحب مصر أن المملكة قد انتقلت إلى أرغون وأن أحمد قد رحل ورحل السلام معه، أحضر الشيخ عبد الرحمن من سجنه فى القلعة، وأسكنه فى أحد مساجد دمشق، ومنحه دخلا يكفيه. فقد كان الشيخ عبد الرحمن – وهو من أصل يونانى – ابن أحد عبيد الخليفة المستعصم. وعندما احتلت بغداد نجا هو من القتل وجاء إلى الموصل ومكث فى السوق، وعمل بالنجارة ولقد تعلم هذه المهنة لشدة حبه لها. بعد ذلك ذهب إلى قلعة العمادية وهناك أخبر عز الدين صاحب القلعة أنه يستطيع أن يصنع أشياء رائعة، وأنه قد تعلم ذلك بواسطة الأرواح؛ فقدمه عز الدين إلى ملك الملوك أباقا. وفى أثناء تبادله الحديث مع الملك قال له: "خذنى إلى قلعة تلا حيث كنوزك، فهناك أستطيع أن أظهر لك مهارتى". وعندما انتقل إلى هناك بدأ يقيس الأرض هنا وهناك ووقف فى مكان ما وأمر أن يحفر فيه أما هو (الشيخ عبد الرحمن) فقد وقف بعيدا. وأثناء حفرهم وجدوا خاتما به علامة ثمينة ورائعة؛ فأخذوه إلى الملك لأنه قد ظهر صدق كلامه . ولما حدث هذا قال إنه يستطيع أن يطرد الجن ويفهم أسرار الشياطين. وكانت له شعبية بين أبناء الملوك، حتى إن كل حكام المملكة قد دانوا له خاصة فى المدة القصيرة التى حكم فيها أحمد. ولقد قيل إنه عندما قام

♦ ابن عمه : فى النسخة السريانية "ابن عمه" (ص174v عامود ١ سطر١٣) .أما فى الترجمة الإنجليزية "ابن أخيه" SULTAN MAS'UD his nephew

التتار بنهب خزائن الخليفة أخذوه أسيرا وأحضروه معهم إلى قلعة تلا، فدخل إلى القلعة حاملا ممتلكاته .أما الخاتم الذى وجدوه فقد كان هو الذى قام بدفنه فى هذا المكان.

وفى كانون الثاني من هذا العام (١٢٨٤ ميلادية) أرسل أرغون ملك الملوك أمرا إلى كل البلاد قائلا:" إن أحمد قد خالف قوانين آبائنا، وسلك طريق الإسلام الذى لم يعرفه أهالينا". فاتفق جميع الأمراء معا، وقاموا بطرده من المملكة وأرسلوه إلى الخان أبينا الكبير الذى سيصاحبه، وأجلسوه على كرسى الملك من جيحون حتى بلاد الفرنجة♦ فلتسعد قلوبكم وليهتم كل شخص بعمله. أما الأمراء والحكام فلن يضطهدوا أحدا، وإذا فعلوا ذلك فليحترسوا حتى لا يفتك بهم. لقد سمعت أنه فى خلال تلك الفترة قد استدعى صاحب مصر الشيخ عبد الرحمن والذين كانوا معه، وأرسلهم من دمشق إلى قلعة صفد (٣١٦) حيث حبسهم هناك، وانقطع الأمل فى خروجهم.

وفى سنة ١٥٩٦ يونانية (١٢٨٥ ميلادية) فى بلدة برطلى وضعت دجاجة بيضة كبيرة الحجم تشبه بيضة النعامة. وفى يوم السبت الحزين وفى برطلى وضعت دجاجة أخرى بيضة صغيرة كانت لها رقبة صغيرة منحنية وطويلة كثمرة الخيار، وأحضروها أمامنا حيث شاهدناها. وفى اليوم الأول♦♦ من الأسبوع فى اليوم التاسع والعشرين من شهر تموز (يوليو) فى الفجر♦♦♦ قامت عصابة سورية من الأكراد والأتراك وعرب الصحراء يقدر عددهم بحوالي ستمائة فارس وانقضت على بلدة إربل، حيث سلبوا وقتلوا كثيرا من مسيحى قرية عمقاباد، ومن سورهجان وقرى أخرى، وخرج بهاء الدين الأمير♦♦♦♦ الكردى من إربل وقابلهم، ولكنه هُزم أمامهم، فهرب

♦ الفرنجة : فى النسخة السريانية "فرنجة" (ص ١٧٥ عامود ١ سطر ٥) أما فى الترجمة الإنجليزية "فرنكستان"(**from the river GIHON to FRANKISTAN p.474**)

♦♦ اليوم الأول: هو يوم الأحد

♦♦♦ فى الفجر : فى الترجمة الإنجليزية لا توجد كلمة "فجر".

♦♦♦♦ الأمير: فى الترجمة الإنجليزية لا توجد كلمة "الأمير".

ودخل المدينة. ولقد أخذ هؤلاء اللصوص أسلابا كثيرة من النساء والأولاد والبنات والغنائم ثم رحلوا. وفى هذه الأيام وصلت عصابة من البدو الرحل إلى بلدة طورعبدين [٣١٧] واقترفوا كثيرا من جرائم القتل فى بلدة كلشات♦ وفى بيت منعيم، وفى قراها، وسبيرينا، وحملوا غنائم كثيرة من بلاد ريشا ورحلوا.

وفى سنة ١٥٩٧ يونانية (١٢٨٦ ميلادية)♦♦ فى اليوم السابع عشر من شهر حزيران(يونيو)اجتمع جماعة لصوص أكراد وتركمان وعرب بلغ عددهم حوالى أربعة آلاف فارس.وقال البعض إنه قد انضم إليهم حوالى ثلاثمائة فارس من عبيد مصر واتجهت أنظارهم إلى الموصل. وبعد أن خربوا الطرق التى فى طريقهم، انقضوا على المدينة فى صباح اليوم الثاني من الأسبوع فى اليوم الثاني والعشرين من الشهر الثالث.♦♦♦

وفى سنة ٦٨٥ هجرية (١٢٨٥ ميلادية) قام الملك وباقى الفرسان الذين كانوا فى البلدة وركبوا وخرجوا لمقابلتهم، ولكن عندما رأوا أن عددهم كبير، وأنهم لا يملكون قوة تضاهى قوتهم، رجعوا ودخلوا إلى المدينة وعبروا دجلة، وصعدوا إلى دير القديس متى، ومكثوا هناك لعدة أيام .وعندما دخل قطاع الطرق المدينة قابلهم المواطنون العرب بطعام إضافى ومياه باردة وفرحوا بهم فرحا كبيرا، وهللوا مدعين أنهم يستعدون لإيذاء وسلب وقتل المسيحيين فقط. لذلك قام المسيحيون المجاورون لكنيسة تكريت [٣١٨] بالرحيل مع نسائهم وأبنائهم وبناتهم، وكذلك ماشيتهم، وذهبوا واجتمعوا فى

♦ كلشات : فى النسخة السريانية "كلشات"(وعبدو قطلا ربا بكلشة قريةآ) ص ١٧٥ عامود ١ سطر٣٧) .أما فى الترجمة الإنجليزية "كشلات.(they made a great great slaughter in the village

♦♦ سنة ١٢٨٦ : يعلق BUDGE هنا على هذا التاريخ ويقول إنه فى هذا العام فارق ابن العبرى الحياة وربما يكون شقيقه "برصوما" هو الذى أكمل ما بقى لنا من أحداث.

♦♦♦ الشهر الثالث: هو شهر ربيع الأول .

بيت ابن عم "النبى" الذى يدعى: نقيب العلويين؛ فربما احترم اللصوص هـذا المبنى وبذلك ينجون من الذبح ونهب المدينة. أما باقي المسيحيين الذين لـم يكن لهم مكان للهرب وفرصة للاحتماء فى منزل النقيب، فقـد ظلـوا فـى منازلهم يبكون ويرتعدون وينعون أنفسهم ومصيرهم السيئ . ولقد تسلل الحظ السيئ والنحس من خلال الذين ذهبوا إلى (منزل النقيب) . فبمجرد أن رحل اللصوص وبدأوا يسألون عن المسيحيين صرخ العرب أبناء المدينة بـصوت واحد: "إن كل المسيحيين فى منزل النقيب". فازدادوا قوة، وذهب جميعهم إلى هناك ونصبوا السلالم وصعدوا إلى أعلى القصر، ونهبوا كل الأهالى الـذين كانوا هناك كما أصيب أحد المسيحيين بسهم ومات . لقـد قـاموا بأعمـال التعذيب ليس فقط ضد المسيحيين، ولكن أيضا بالنسبة للعرب، كما إنهم نكلوا بنسائهم وأبنائهم وبناتهم داخل المساجد، وذلك أمام أعينهم . وفـى النهايـة ذهبوا إلى حى اليهود حيث سرقوا منازلهم ونهبـوا كـل الأهـالى. أمـا المسيحيون الذين ظلوا فى منازلهم ولم يذهبوا إلى مكان آخر فلم يـؤذوهم. ووصل الحال بهم أنهم شاهدوا اللصوص بأعينهم، ولكـن بعـض التجـار المسيحيين، وكثيرا من العرب الذين جاءوا إلى المدينة، استقروا فى خانـات خارج المدينة، حيث لم يصل أحد من اللصوص هنـاك، وبـسبب خـوفهم خسروا كميات كبيرة من خيراتهم. فأحضروا كميات ضخمة من بـضائعهم إلى داخل المدينة ووضعوها فى سوق "البـزار". وبمـا أن طعـام ومـؤن المواطنين كانت هناك، فلقد ظنوا أن الحراسة على هذا المكان سوف تكـون صارمة. فلذلك تشاجروا وتعاركوا مع بعـضهم الـبعض حتـى يحـضروا بضائعهم. والأكثر من هذا، فإن أبناء المدينة أنفسهم كانوا ينقلون من منازلهم إلى هذا المكان كل ممتلكاتهم من: ذهب ، وفضة ، وأثواب قماش ، وأشـياء أخرى مختلفة. وبعد أن جمع كل ذلك جاء اللصوص واخترقوا أبواب السوق بسهولة، ودخلوا وأخذوا كل ما وجدوه هناك. وكان يقف على باب الـسوق كثير من شباب المدينة. وعند خروج اللصوص محملين بالأسـلاب، كـان هؤلاء الشباب يقومون بخطفها ، والبعض الآخر كان يأخذ الجياد المربوطـة

عند الباب ويهرب. وكان هؤلاء اللصوص طوال الليل من الصباح حتى المساء يتجولون فى أسواق المدينة ويسوقون أعدادا لا حصر لها من البغال والحمير والثيران، كما أسروا ما يقرب من خمسمائة عبد وأمة معظمهم من العرب واليهود، كما وُجد عدد قليل من المسيحيين فى منزل النقيب. ولكن حدث أن قُتل صائغ ماهر؛ وذلك لأنه أراد أن يخلص ابنه الصغير من أيديهم، فمزقوه بالسيف وبعد ثلاثة أيام مات. كما أنه كان هناك عشرة من اللصوص يتجولون بالمدينة سيرا على الأقدام، فدخلوا أحد الشوارع وكان مسدودا فقام المواطنون برجمهم بالحجارة حتى قتلوهم. ولو كان المواطنون العرب يعلمون أن هؤلاء اللصوص هم إخوانهم فى العقيدة وأنهم قد نكلوا بهم ونهبوا أموالهم دون رحمة، لكانوا قد قاموا بقتل عدد كبير منهم فى شوارع المدينة الضيقة، وما كانوا مكنوهم منذ البداية من دخولها بسهولة. وبسبب هذه الخديعة فقد عضوا أصابعهم ندما.

وكان هؤلاء اللصوص ينقلون منهوباتهم إلى خارج المدينة، وظلوا هكذا حتى حل الظلام وظن المواطنون أن اللصوص سيستأنفون النهب فى اليوم التالى ولكنهَّم قاموا بتحميل جيادهم بخيرات لا تحصى وانتقلوا بها ليلا. وعندما بزغ النهار لم يبق منهم شيء إلا آثار معسكرهم.

وفى سنة ١٥٩٩ يونانية (سنة ١٢٨٩ ميلادية) فى اليوم الثامن والعشرين من شهر نيسان (إبريل) قام نزاع بين الأمراء والمغول المجاورين لهم، ولكن المغول كتموا غيظهم. وفى أثناء انتقالهم تأخر عن الركب ستة من الرجال، فذهبوا واختبأوا فى طريق الموصل فقاموا بقتل اثنى عشر شابا من مواطنى كوديدات؛ فخرج عليهم هؤلاء وقتلوهم كالبهائم فى وضح النهار والشمس فى منتصف السماء. وبعد ساعة وصل عدد آخر من الموصل فوجدوا هؤلاء المساكين غارقين فى دمائهم، وكان واحد منهم ما زال حيا، فحملوه وأحضروه إلى البلدة، وقص عليهم كيف تمت الجريمة وأسماء القتلى "الكفار"، ولكن شاءت الأقدار أن يموت هو الآخر بعد ثلاثة أيام. وعندما

استقر الملك لأرغون بن أباقا ارتفع شأن بوقا أمين الخزانة الذى كان السبب فى إنقاذ أرغون من أيدى أحمد كما أشرنا من قبل. ولقد ازدهرت أحواله وارتفع شأنه، وقوى فى المملكة تدريجيا، حتى إن الأمراء والأميرات وأزواج البنات وزوجات الأبناء ورؤساء قوات المغول كانوا يقدمون له فروض الطاعة، ويقفون على بابه ويطلبون منه رواتبهم. وكانت كل الدواوين الملكية تؤول إليه، ولم يعترف بالملوك والحكام الذين حكموا البلاد التى كانت تحت لواء بيت مجوج، وذلك بدون أمر بوقا أو شارته الحمراء .

ولقد عين بوقا أخاه أروقا رئيسا على كل بلاد بابل، وأشور♦،وأذربيجان ،وبين النهرين. ولقد كان هذا الرجل المخيف المرعب سيدا على قوات المغول والملوك والحكام والكتاب الذين كانوا فى تلك البلاد. وقد حكم هذان الشقيقان المملكة المجوجية بقوة وعظمة، ولكنهما أهملا شئون المملكة وشغلا أنفسهما بجمع الثروة وكذلك الجياد والذهب والفضة والكنوز. ولكن أرغون عين أمراء آخرين لخدمته كانوا يركبون الجياد معه ويدخلون ويخرجون عليه ويأكلون ويشربون معه، وكانوا يخبرون ملك الملوك بكل ما كان يحدث فى المخيم، وفى البلاد البعيدة والقريبة . ولقد تفاخر بوقا بقوته على النبلاء وأنه يستطيع أن ينفذ ما يريد وذلك بإرادته. لذلك قام الأمراء المناهضون له بتشويه صورته عند ملك الملوك، وكذلك كل ما كان يفعله بوقا . وفى النهاية ذهب ثلاثة♦♦ من أهل بغداد الكرام إلى المخيم الملكى، واتهموا أروقا وأوضحوا ما يقوم به من تخريب ومن معاملة سيئة، وأنه يقوم بجمع الأموال عن طريق التهديد. لذلك أمر ملك الملوك بحراسة هؤلاء الثلاثة بحذر، وذلك حتى يصل أروقا إلى المخيم، فأرسل بوقا قائلا: "اقبض على هؤلاء الأشخاص واقطع رءوس الثلاثة بدون سؤال أو تحريات أو

♦ أشور : فى النص السريانى وردت كلة "آشور (ص١٧٦ عامود٢ سطر٣) أما فى الترجمة الإنجليزية لا يوجد "آشور(all the countries of BABIL، p.478 and ADHORBIJAN)

♦♦ الثلاثة : الثلاثة هم: أوردوقيا ، وملك شرف الدين ، وسعد الدولة

معلومات من القضاة." حينئذ ظهر التكبر واضحا فى المملكة، وكان هذا التصرف لمناوأة الأخوين بوقا وأروقا . ومنذ ذلك الوقت كان كل ما يقال عنهم يقبل دون تردد ودون أدنى شك. ولقد كان الأمراء فى أشد حالات الحزن على القتلى، ولكن بوقا قام بإسكات ضمائر النبلاء عن طريق الرشوة وتركهم وذهب. وبعد فترة قصيرة حضر سعد الدول اليهودى[٣١٩]، وهو صهر صاحب بغداد الذى كان قد توفى حديثا فى تلك الأيام، وذهب إلى المخيم وقال أمام الأمراء: "إذا توقف ذهاب أروقا إلى بغداد سأحصل على ضعف الدخل الذى يأتى كل عام إلى المخيم". وعلى الفور صدر أمر أن لا يذهب أروقا إلى بغداد مرة ثانية، وأنه ليست له أى سلطة عليها. وسلمت الأمور إلى اليهودى.

وفى أيامنا هذه يوجد صاحب يهودى ومشرف على عرش بيت عباس فانظر كيف انحدر الإسلام، ومع ذلك لم يتوقف المسلمون عن شرورهم وطغيانهم. ومنذ ذلك الوقت كثرت الشكاوى ضد "أروقا"، ومن بينهم فارس يدعى "عبد المؤمن". ولقد ذهب – أيضا – إلى المخيم وأظهر أن أروقا، وأمراءه وضباطه، وكتابه قد خربوا المدينة وكل البلدان التى كانت تحت سلطان أروقا، وقال أيضا:" إننا لو علقناهم من أيديهم لسقط منهم مئات من الدنانير الذهبية". حينئذ سعد الأمراء بهذه القصص، واستجابوا لرغبة هذا الواشى وقالوا: "تمهل قليلا". عندما رأى بوقا أن الشكاوى ضده وضد أخيه قد استقبلت بسرور غضب وانسحب وتمارض ونام فى بيته. وعندما ذهب النبلاء لزيارته فى أثناء مرضه تأوه أمامهم وأبدى الندم على الأعمال الطيبة التى قدمها لأرغون فى أثناء حكم أحمد. وقال:" إن أرغون لم يكافئه بما فيه الكفاية". وبدأ فى التآمر سرا ضد أرغون، وكشف سره لبعض النبلاء، فاستقبلوا ذلك ببساطة لأنهم كانوا يعلمون أنه رجل واسع الدهاء، وأن أحمد قد قضى عليه. ولذلك انتصر أرغون لأنه كانت لديه خبرة واسعة فى هذا النوع من العمل، فشدد الحراسة على نفسه . ولقد فهم الأمراء الذين كانوا فى خدمة أرغون نية بوقا السيئة. ولما علم بوقا أن خديعته قد كشفت أصابه

الفزع والخوف، وارتعد وانتابه الذهول، ولم يعرف ماذا يفعل. فقام وركب جواده وهرب إلى معسكر خاتون الجاى الكبير حيث احتمى بها. وعندما سمع أرغون وباقي الأمراء أن بوقا قد رحل ركبوا هم أيضا جيادهم، وطاردوه فأدركوه وقبضوا عليه وأحضروه. وباستجوابه اعترف بالخديعة وقال:" لا أريد أن أتهم ملك الملوك ولكن أتهم فقط هؤلاء الأمراء الذين يغتابونني ويحقرون من شأني فى عين ملك الملوك" . ولكن كلماته لم تقبل، فقتلوه وقطعوه إربا إربا.

وفى يوم الجمعة الرابع عشر من شهر كانون الثاني (يناير) سنة ١٦٠٠ يونانية ٦٨٨ هجرية (١٢٨٩ ميلادية) نهبوا بيته وممتلكاته وأثاثه وقتلوا أبناءه وكل الذين كانوا موضع سره. وفى هذا اليوم قتل – أيضا – شمعون الراهب والطبيب والمحامى المسيحى الإربلى الذى يدعى: أبو الكرم، وقتل أيضا كثير من المغول الذين لا نعرفهم. كان أروقا آنذاك يمضى الشتاء فى بلده بالموصل، فأرسل على الفورمن المخيم الملكي أميرا شجاعا يدعى بايتمش، وهو رجل قوى وصبور، كان منذ عدة أيام قد وصل من موغان أرسله إلى ضواحى آمد. وركبت القوات المغولية جيادها ، وحاصرت أروقا الذى كان لا يعلم شيئا عن أخبار أخيه إلا أنه يعيش ويأكل ويشرب؛ لأنها كانت الاحتفالات البيضاء للمغول . وعندما رأى أن قوات المغول وثيران بيشان [٣٢٠] أحاطت به اندهش ولم يعرف ماذا يصنع، ولكنه ركب جواده وأخذ زوجته وأبناءه ولجأ إلى قلعة كشاف [٣٢١] الصغيرة حتى بزغ النهار. وعلى الفور أرسل إلى بايتمش قائلا:" يبدو لى أنك لا تستطيع أن تقاوم". حينئذ أرسل أروقا قائلا:" أنا لم أحضر إلى هنا ثائرا أو متمردا، ولكنى لا أعرف ماذا حدث، ولماذا كل هذا التجمع العسكري ضدى، أخبرونى لعلني أفهم؟!". حينئذ اقترب بايتمش من باب القلعة وقال:" بوقا أخوك تآمر على الملك وصدر أمر بقتله، ولقد حضرنا لنقبض عليك، ونأخذك لخدمة ملك الملوك وسواء أبقيناك حيا أم قتلناك فإنه سيعرف". وعلى الفور فتح أروقا باب القلعة وخرج مع أهل منزله وقال:" إن أمر الملك على رأسي وعلى

عينى". عندئذ كبلوه بالأغلال وفرضوا عليه حراسة، وأرسلوه إلى المخيم حيث قتل. وقد قبض على أروقا فى اليوم الثانى لصوم نينوى، أى فى آخر يوم من أيام شهر كانون الثاني (يناير) من العام نفسه، وبعد سبعة أيام قتل. إن كلمة المحامى الفارسى الذى كان قد وشى بأروقا، مدعيا أن العملات المائة التى كان قد أخذها من الملوك والحكام والكتاب الذين كان قد تم تعيينهم عن طريق أروقا فى مختلف البلدان، والذين كانوا يتصرفون بفساد ويحكمون بظلم ويخربون المدن، قُبلوا بسبب كره أروقا وصدر ضدهم حكم ظالم وتولى التصرف معهم الأمير بايتمش. ولقد عرف عبد المؤمن تهمهم، وكل ما وجه إليهم من مؤاخذات. وقد استخلص بايتمش منهم كل من كان متدينا، ومن لم يكن فى قلبه أى رحمة، ولم يعرف مسعود بن قوطى وإخوانه وأبناء بيته أحدا بخلاف بوقا فى المعسكر الملكى، واعتبروا خدمة الأمراء الآخرين دون فائدة، فلم يرغبوا فى التعامل مع الآخرين. ولأن سلطة بوقا على كل الأمراء كانت عالية ونهائية، فإنهم أهملوهم جميعا وقبلوا بوقا فقط. وعلى الرغم من أنهم كانوا موضع اللوم من الجميع فلقد أعطيت لهم هذه النصيحة، قائلين: إنه من الغباء أن نهمل الخدمة والخضوع والطاعة لهؤلاء الأمراء الذين هم دائما فى الخدمة الملكية. وبالنسبة لنا فإن إرضاء واحد وإغضاب كثيرين عمل يتسم بالغباء؛ لأنه من الجائز أن يصبح الأمير الذى نضع فيه ثقتنا مغضوبا عليه، ولن يساعدكم الأمراء الآخرون. حينئذ قال مسعود _ الذى كان ضيق التفكير وغير عاقل فى تصرفاته _ :" لا أريد الحياة بدون بوقا وإذا مات بوقا سيكون الموت لى أفضل من الحياة". ولقد تحققت كلمته وفاضت روحه فى اليوم الذى قبض فيه على أروقا، ففرضوا حراسة مشددة على مسعود إلى أن وصل عبد المؤمن المحامى الفارسى. ولقد أثير الاضطهاد والغضب ضد المسيحيين والمكروهين، ولو أنه لا يحق لى قولها حدث ذلك بسبب ابتعاد الله عنهم . وبدأوا فى تعذيبهم بدون رحمة، وازدادوا فى تعذيب تاج الدين بن مختص صاحب إربل. لقد علقوا هذا الرجل من قدميه على ارتفاع ذراع من الأرض وضربوه على قدميه حتى فقد الوعى، ثم أنزلوه وضربوه على

صدره وظهره، ثم أشعلوا النيران فى محرقة وعلقوها على صدره . وظل متحملا هذا التعذيب حتى اضطروه إلى دفع ما يقرب من خمسين ألف دينار، وعندما لم يعد يتحمل غمسوه عدة مرات فى نهر دجلة وربما كان قد غرق أو هرب من الضرب والعذاب، ولكنهم لم يضربوا مسعود بن قوطى لشدة مرضه؛ خشية أن يموت وتضيع أمواله معه. كانوا يعطونه وعودا كاذبة قائلين إنه إذا أعطاهم عشرة ربون ذهبية سيبقى مكرما ولن يؤذيه أحد. حينئذ ظن مسعود أنه سيكون له بعض التكريم فقد كان بخيلا جدا. ولقد خاطبهم بكلمات قاسية، ورغم دهائه فقد أخذوا منه هذا المبلغ من المال سواء بالضرب أو بالتهديد واللعنات، وبعد ذلك حملوه معهم إلى إربل.

وفى اليوم الثاني من أسبوع الآلام اليوم الرابع من نيسان (إبريل) من العام نفسه قتلوه، ووضعوا قيودا خشبية على ابنه وحبسوه، وهرب أخوه شهاب الدين فبحثوا عنه بدقة ولكنهم لم يجدوه . وبسببه قام دبيس أحد مواطني بيت سحرايا بقتل شهاب الدين، وقد اختبأ عدة أيام فى البلدة ثم غادرها ورحل. وعندما سألوا "دبيس" عنه أنكر وأقسم أنه لم يره. ولما تأكدوا أن شهاب كان بينهم حملوا دبيس الشرير إلى الموصل، وقتلوه وقام الأهالي برجم جثته. وبعد قتله اتهم أهل الموصل شابا آخر وأعلنوا أنه قواد يعاشر النساء العرب، فقتلوه هو أيضا وسحبوا جثته فى شوارع المدينة، ووضعوا فوقها خشبا وأحرقوه بالنار، وأخذوا رأسه وسحبوه على أبواب الكنائس، وسخروا وحقروا من شأن المسيحيين. إن اللسان لا يستطيع أن يصف، ولا يستطيع القلم أن يكتب ويبين أنواع الاضطهاد والهوان الذى قاساه أهل الموصل خلال هذين الشهرين . "وإذن، فاستيقظ ولا تنم يا إلهي وانظر إلى دماء عبيدك التى سفكت بدون رحمة، واحزن على وعلى كنيستك وهى تتمزق من شدة الاضطهاد". وفى الأيام التى قتل فيها بوقا أرسل "بايتمش" إلى البلاد العربية، واتجهت قوات المغول كلها ليقبضوا على أروقا. وقد انزعج الذين كانوا فى سوريا وحل عليهم الفزع والخوف والرجفة، وظنوا أن المغول سيهاجمونهم؛ فزادوا من قوتهم وجمعوا أعدادا كبيرة واستعدوا

لمقابلتهم . وعندما اطمأنوا إلى أن المغول منهمكون فى أعمالهم ولا يبالون بالآخرين لم يفرحوا؛ وذلك لأن تجمعهم ذهب هباء، فذهبوا وعسكروا عند مدينة طرابلس على شاطئ البحر الأحمر، وشنوا عليها حربا شعواء، وأرسل الذين كانوا فى الداخل وطلبوا مساعدة إخوانهم الفرنجة الموجودين فى جزيرة قبرص، فأرسلت إليهم بعض القوات بواسطة سفن عن طريق البحر. وعندما وصلوا ازدادت قوة المواطنين، وقاموا على الأسوار وشنوا حربا عنيفة على الذين كانوا فى الخارج، وذلك لمدة ثلاثة شهور. وعندما انتصر الذين فى الخارج وثقبوا الجدار بالمجانيق ورأى المسيحيون أنهم مغلوبون على أمرهم من الذين فى الخارج – أبحر أغلبهم فى سفن وغادروا البلاد قاصدين قبرص. أما الباقون الذين ظلوا فى المدينة فقد هاجمهم العرب وسحبوا سيوفهم واختلطوا مع بعضهم وقتلوهم. وبسبب المذابح الكثيرة التى حدثت للعرب فيها قام العرب بحرق وتخريب المدينة البائسة بأكملها، ولم يتركوا بها برجا أو كنيسة لم يخربوه وأخذوا منها كميات لا تحصى من الغنائم، وأسروا أبناء وبنات بدون عدد، وقتلوا كهنة شمامسة ورهبانا وراهبات ليس لهم حصر وتركوها خرابا وذهبوا . حدث ذلك عندما كان القمر مكتملا فى شهر نيسان (إبريل) سنة ١٦٠٠ يونانية (١٢٨٩ ميلادية)

وفى هذا العام اجتمع – أيضا – لصوص من سوريا يقرب عددهم من ألفى فارس، جاءوا وعبروا حدود سنجار وبيت عربايا[٤٢٢] ولكنهم لم يقوموا بأي تخريب أو نهب، حتى وصلوا إلى ضواحي بيشابور، مدينة على شاطئ نهر دجلة، ومكثوا هنالك تلك الليلة ، وقاموا ليلا وعبروا النهر وصوبوا نظرهم تجاه إسنا [٤٢٣] ، مدينة كبيرة للنسطوريين، وانقضوا عليها فى الصباح الباكر من أول أيام الأسبوع اليوم الرابع عشر من شهر آب (أغسطس). لقد ظن أهل البلدة أن اللصوص قليلو العدد فلذلك خرجوا لمقابلتهم . ولكنهم بمجرد أن رأوا هذا العدد الهائل فروا إلى القرى فأختبأ بعضهم فى الكنيسة، والبعض الآخر فى الحدائق والكروم لينجوا بحياتهم.

ولكن هؤلاء اللصوص الملاعين انتشروا فى القرى السبع المحيطة بالمدينة. وقد أحدثوا خرابا كبيرا؛ فقتلوا ما يقرب من خمسمائة شخص وأسروا ما يقرب من الألف من النساء والبنين والبنات، كما نهبوا ثروات وأغناما ومواشي لا تحصى، وفى اليوم نفسه رجعوا من الطريق نفسه الذى جاءوا منه، وذهبوا بهدوء دون خوف حتى وصلوا إلى نهر خابور[٣٢٤] الذى كان يمتد فوق جسر ضيق، بحيث أصبح مرورهم شبه مستحيل وذلك بسبب ثقل أحمالهم وعدد الأسرى الكبير الذى كانوا يجرونه بصعوبة. ووصل خبرهم إلى الأمير المغولى بالموصل، فقام المغول مسرعين واستعدوا وركبوا جيادهم وطاردوهم وذهبوا، ولكنهم وجدوا أن أغلبيتهم قد عبر الجسر محملين بالغنائم .أما الذين لم يتمكنوا من العبور فقام المغول بقتلهم، وحرروا من الأسر حوالى ثلاثمائة من النساء والبنين والبنات، وأحضروهم وسلموهم جميعهم إلى ذويهم.

وفى هذا الصيف – أيضا – هاجم ما يقرب من ألفى فارس من لصوص سوريا بلاد ملطية وحصنها. سمع بهذا خربنده [٣٢٥] الرئيس الموجود هناك فاستعد وجمع قواته وذهبوا لمقابلة اللصوص، ولكنهم هُزموا وقُتل عدد كبير من الذين كانوا معه وأُسر بعض أصدقائه، وهربوا إلى الدير الجديد الذى كان قد بناه فى بلدة الحصن فى المكان المسمى (حسنونا) بالآرامية. وبينما هم جالسون يبكون ويفكرون فى طريقة لإنقاذ أسراهم فى الحرب، تنبه جميعهم إلى أن كل ما حدث لهم فى البلدة كان بسبب المسيحيين. فقرروا أن يأخذوا منهم المال اللازم لفك أسر الذين قبض عليهم بسببهم. فبدأوا فى تقدير كل ما يجب أن تدفعه كل بلدة ومدينة، وذلك وفقا لقدرة المكان. ولكن عملهم لم يتم، فقد تهدم المبنى الجديد عليهم، وبذلك انتهت حياتهم جميعا، إلا رجلا واحدا، هو حارس البوابة الذى سقط على ظهره عامود خشبي، فألقى به خارج المبنى، ولم ينج سواه أحد .

وفى بداية سنة ١٦٠١ يونانية (٦٨٩ هجرية) (١٢٩٠ ميلادية) أرسل علاء الميش المسيحى صاحب ميافارقين، والذى كـان شـديد الاضـطهاد للمسيحيين، فقتل سرا صاحب موش الذى كان أرمني الجنسية. كمـا جعـل رهبان مار قوما يتحملون مساوئ أخرى. ولكن أحد الرهبان الـذين كـانوا هناك ثأر لنفسه وذهب إلى المخيم، ولما كان له مطلق الحرية فى الحديث مع ملك الملوك اتهم علاء الميش الذى ركب جواده. وفى أثناء مروره فوق نهر كورار أمسك الراهب بلجام الجواد وأقسم يمينا قائلا:" لن أتركك حتى تـأمر بقتل علاء الميشى". وعلى الفور أمر ملك الملوك بذلك وتم قتله. وفى تلـك الأيام – أيضا – قام محام مصرى شجاع يدعى فرج الله، كان كاتبـا فـى الموصل، بنشر خيانة المحامي الفارسى عبد المؤمن الذى قتل مـسعود بـن قوطى بدون وجه حق. وعلى إثر ذلك لقى المسيحيون أشد أنواع العـذاب، كما استولى منهم على مبالغ كبيرة، فأمر ملك الملوك أن يحقق فى موضوعه وأعلنت مصاحبة المحامي الفارسى وقتل، وبذلك انتقمت عدالة الرب سريعا. ومنذ ذلك الوقت عرف ملك الملوك، وظهر له بوضوح خطأ ووقاحة العرب وكل شيء قاموا به كان عن طريق الغش، وعلى الفور أمر أن يعين سـعد الدولة اليهودى صاحب بغداد رئيسا للكتاب – أى صاحب الديوان – فى كل أنحاء المملكة، كما أمر أن لا يعين أي صاحب أو كاتب عربى ولكن يعـين فقط المسيحيين واليهود. وبذلك ازدادت كراهية العرب، واتضحت نوايـاهم السيئة.

ومنذ أن أصبح اليهودى صاحبا دانت له كل شـئون تنظـيم الـدخل والضرائب. وقد عين ملك الملوك أخاه صاحبا بدلا منه على بغـداد، كمـا أرسل أخاه الآخر مع تاج الدين بن المختص القائد العسكرى إلى الموصـل وإلى ماردين وإلى ديار بكر. وعند وصولهم إلى تلك البلاد فإن مبـذرباج، وهو أمير كردى كان صاحبا لإربل لفترة طويلة، خاف منـه وظـن أنهـم سيعذبونه بشدة . ولكنه على الفور بحث عن المخيم، وقال إنه إذا نظر إليـه ملك الملوك بعين الرحمة سينزع منه كل نوع من أنواع الخـوف. وعنـدما

ذهب هؤلاء الأمراء أرسلوا خلفه كثيرا من الوشاة. ولقد فكر ملك الملوك في قتله، ولكنه تركه في حاله . مجرد أمل مؤقت ولكنه كان قد أرسل من قبل سرا بعض الرسل ليقبضوا على أبنائه وأفراد أسرته وأصدقائه وأبناء مدينته حتى يبيدهم؛ إذ كان عليهم أن يقتلوا بأيديهم الأمير الذى هو عندهم. كانت هناك امرأة لديها معلومات عن هذا السر، فجاءت ليلا إلى الأمير الكردي وأخبرته بالأمر كله، حينئذ أخذ الكردى أحد عبيده دون تردد وامتطيا جواديهما وهربا من المخيم، ونجيا كما ينجو العصفور من الفخ. وصل هذا الرجل سريعا على جواده حتى إنه سبق الرسول، فوصل إلى منزله، وهربت أسرته واحتمى معها في الجبال والمرتفعات وأماكن موحشة كان من الصعب الوصول إليها. بعد ذلك وصل الرسول فدهش وتعجب . وكان ملك الملوك مشتعلا من الغيظ؛ ليس فقط لأن هذا الرجل قد أفلت من بين يديه، ولكنه كان منزعجا لحصوله على معلومات من داخل المخيم . لقد تساءل عمن يكون قد أفشى بالسر داخل المخيم؟!! فأرسل قوات لاستكشاف الجبال ومراقبة الطرق المؤدية للأكراد . ولأنه كان فصل الشتاء فقد كان الثلج يكسو الجبال التي يقيم بها الأكراد، ولهذا السبب لم تستطع قوات المغول أن تقطع الطرق، وأن تسيطر عليهم. لذلك رجعوا إلى السهل حيث كان الأكراد يقومون بالزراعة والفلاحة ويدفعون الجزية .فقام المغول بتخريب بلادهم وقتلوهم ونهبوا وأحرقوا منازلهم وأجرانهم. كان هذا الشعب المسكين يعامل معاملة قاسية خاصة من رجال الجبال الذين كانوا مع المغول، وكانوا يدعون قياجا. كان هؤلاء المسيحيون يكرهون العرب بالطبيعة. ولقد آذوا الأكراد وارتكبوا فظائع لا توصف، وقتلوا الرجال دون رحمة، وسجنوا النساء بدون عدد وكذلك البنين والبنات. وأما الطعام فقد حملوا منه بقدر ما استطاعوا وأحرقوا ما تبقى .وقد اشتد كيد العرب ضد المسيحيين بسبب هؤلاء الجبليين، فقالوا : "لولا رجال الجبل لما عامل المغول الأكراد بطريقة سيئة؛ لأنه فى أيامنا هذه

أصبح عدد كبير من المغول على دين هجرايا◆، وأنه لم يكن فى نيتهم إيذاء المسلمين، لولا أن النبلاء أرغموهم على ذلك".

حل الصيف، فترك المغول بلاد الموصل وإربل ورحلوا. فنزل الأكراد قمم الجبال إلى السهل وتجمع عشرات الآلاف؛ فهرب المواطنون من أمامهم واحتموا فى المدن والقلاع. ولقد ذهب كل أهالي بلدة إربل إلى القلعة، وعلى الفور حاصر الأكراد القلعة، ولكن العناية الإلهية أوقفت هجومهم الشديد، ولم ينتصروا انتصارا كاملا فى مهاجمتهم القلعة. وفى كل مرة كانوا يجتمعون لشن حرب عليها، وكان يُقتل حوالى سبعة أو ثمانية منهم. وفى أثناء انشغالهم معهم لفترة سبعة عشر يوما جاء ما يقرب من مائتي رجل من الفرنجة بحرا من دجلة، ووصلوا إلى الموصل بأمر ملك الملوك كما لو كانوا ذاهبين إلى بابل لبناء سفن هناك ونزلوا بالبصرة، ومن هناك هاجموا المصريين عن طريق بنطس، وذهب بعض الفرنجة، ما يقرب من سبعمائة عن طريق البحر، وظلوا فى بغداد طيلة الشتاء حتى تمت خطتهم. وهناك بعض القصص تستحق الذكر تدور حول فرنجة بغداد، ولكن حتى لا نقطع تسلسل قصتنا فسنؤجلها على أن نقصها فيما بعد .

وعندما سمع الأكراد أن بعض الفرنجة قد وصلوا إلى الموصل ظنوا أنهم قد جاءوا من أجلهم، فتركوا القلعة وانتشروا فى البلاد. وقد تخلص الذين كانوا فى القلعة من الأكراد وأرادوا أن يذهبوا ويحضروا سكان بلدة صيدا إلى القلعة حتى لا يعانوا من أي عذاب من ناحية الأكراد، ووفقا لما حدث فلو كانوا قد تركوهم فى المكان الذى كانوا به لما أصابهم أي أذى، فنزل من القلعة ما يقرب من مائتي فارس من جبال قياجا، وذهبوا إلى صيدا .لم يكن قلقهم على أهل القرية ولكن من أجل مصلحتهم، وعندما وصلوا إلى هناك لم يتمكنوا من الاقتراب من الفلاحين وساروا أمامهم على أرجلهم، وبذلك تفرقوا

◆ الهجرايا : أى ديانة محمد وهى الديانة الإسلامية.وهم المراد بهم هم "أولاد هاجر" .

عن بعضهم وأصبحوا قوة بدون رئيس حتى اقتربوا من البلدة. حينئذ انقض عليهم الأكراد الذين كانوا ينتظرونهم ويراقبونهم، ورغم ذلك فقد قتل القليل منهم، ولكن أسر الكثير، ونهب الأكراد كل ما وجدوه معهم. ولما سمع لصوص سوريا أن الأكراد حاصروا قلعة إربل ظنوا أنهم سيحاصرون سوريا ويسرقون ويقتلون ويأسرون وينهبون؛ حينئذ جمعوا ما يقرب من ألفي رجل وجاءوا لمساعدة الأكراد، وعندما وصلوا لم يجدوا أحدا كما كانوا يعتقدون، ولكنهم لم يتمكنوا من الاقتراب من القلعة بسبب تمتع أهلها بالقوة واللياقة العسكرية. وأراد اللصوص السوريون أن يضعوهم موضع اختبار، فاقترب من باب القلعة ما يقرب من مائتين، فجاء الذين فى الداخل وحاربوهم وأخذوا منهم عددا من الجياد ورجعوا وصعدوا إلى القلعة . وعندما رأى اللصوص أنهم لم يحصلوا على أى خير بمجيئهم، وأنهم لم يلتحموا مع الأكراد – رجعوا من الطريق الذى جاءوا منه ولم يغنموا شيئًا . وتوقفت الحوادث فى اليوم الثالث من الأسبوع أى اليوم السابع والعشرين من شهرحزيران(يونيو) .

وفى شهر تموز(يوليو) من هذا العام وصل إلى قلعة زياد راهب أرمني عادل من هؤلاء الذين يتجولون فى البلاد واعظين وداعين إلى التوبة والخشوع والاعتراف بالندم، حيث مكث بها ما يقرب من الشهر. لقد لاقى كلامه كثيرا من الاستحسان لدى المسيحيين الموجودين هناك، كما انجذب إليه بعض الشباب فبدأوا فى الاجتماع عنده لئلا يأكلون ويشربون ويتبادلون سير القديسين وتتويج الشهداء. وعندما وصلت أخبار قوة أحاديثه إلى العرب نبتت فيهم روح الحسد، فذهبوا ليلة الجمعة وأخذوا كلبا ميتا وعلقوه على باب المسجد الكبير. وعندما انشق النهار واجتمع العرب للذهاب إلى الصلاة رأوا الكلب الميت، فاشتعلوا غيظا وقالوا فى فم واحد: "هذا من صنع الراهب الأرمني والذين اجتمعوا عنده". فسحبوا سيوفهم وخناجرهم وذهبوا ليقبضوا على الراهب المسكين، وكانت معه قلة من المواطنين. وعندما شعر الأهالي بذلك هربوا واختبأوا جميعا خوفا من ثورة العرب، فأمسك هؤلاء الأشرار

بالراهب وذهبوا إلى أبرشية[٣٢٦] باعوث[٣٢٧] ودخلوا حجرات الرهبان وأخذوا كل ممتلكاتهم. وهناك قتلوا المسكين مع اثنين، أو ثلاثة من المواطنين ورجعوا إلى المدينة، ودخلوا منازل المسيحيين المؤمنين وسرقوا كل ما وجدوه بمنازلهم، وعرضوهم لعديد من ألوان الإيذاء والإهانة. وظلت المدينة ما يقرب من الشهرين بدون شراء أو بيع. في تلك الأيام زاد ثراء فرج الله المحامى المصرى الذى كان من قبل قد كشف سر الكاتب الفارسى وقتله؛ وذلك لأن كلامه بدأ يؤخذ مأخذ الجد، وبدأ يشعر بالفخر، فذهب إلى المخيم واغتاب تاج الدين بن المختص، وقال إنه جمع أربعين ربوناً ذهبية لنفسه. وعندما استمع صاحب الديوان اليهودى لكلامه تكبر وقال فى نفسه: "إذا صدق الكلام عن هذا الرجل فلا بد أنه أكثر صدقا بخصوص أخيه، الذى هو زميل تاج الدين صاحب النفوذ الأقوى فى البلاد، كما أنه أكثر سخاء فى العطاء والأخذ". لذلك بدأ فى مداهنة فرج الله، وأظهر له أن أعماله لن تؤذى تاج الدين فقط، ولكن ستؤذى أخاه أكثر. فلما شعر فرج الله أنه لن يستطيع أن يعصى أوامر هذا الرجل أو الوقوف ضده، وأنه إذا سحب كلامه فإن أمراء المخيم سيصاحبونه ويقتلونه؛ لذا قال له بعض الرجال: "اكتب وثيقة أنك قلت ما قلت بسبب السكر، وأن هذين الشخصين - أى: تاج الدين وصديقه - لم يظلما وأنهما لم يأخذا من أحد شيئا دون وجه حق، ثم يسلمها لصاحب الديوان فسيقوم بالمهمة وينقذك، وسيجعلك - أيضا - رفيقا وشريكا لهما". وقبل فرج الله هذا وكتب وثيقة تشتمل على ذلك، وأعطاها لصاحب الديوان. فبمجرد أن وقعت فى يد هذا اليهودى الغشاش أخذها وذهب إلى ملك الملوك وقال له:" ماذا تأمر بخصوص هذا الرجل الذى قال هذا الكلام بالأمس، واليوم يكتب هذه الوثيقة بيده؟". فأجاب: "إن رجلا مثل هذا من الأفضل له الموت". وعلى الفور قتلوا (فرج الله) هناك. كما أخبره - أيضا - أن له صديقين أسوأ منه فى الموصل؛ فأرسل فورا مؤيد بن مؤيد الكاتب وأمين الدين بن محتسب الأربلى إلى الموصل ليقوما بقتلهما. وبعد عدة أيام أرسله من المخيم إلى مدينة سعرد[٣٢٨] ليجمع منهم الهدايا المعتادة للمغول.

وكان المواطنون يكرهون المسيحيين، كما كانوا يكرهون شبيه المسيح الذى يحكمهم، فسحبوا سيوفهم وخناجرهم، ودخلوا القصر حيث كان يقيم، وقاموا بقتله فى اليوم الثانى♦ من الأسبوع أى فى اليوم الواحد والثلاثين من شهر تموز(يوليو) من هذا العام. وعندما ذهب أبناء هذا الرجل الذى انتزعت حياته بخسة إلى المخيم سريعا أظهروا وقاحة العرب الذين كانوا هناك . وعلى الفور صدر هناك أمر ينص على أن القتلة يقتلون ويدفع المواطنون عشرة ربون ذهبية، وكذلك وصلوا إلى المدينة وقُتل هناك سبعة أو ثمانية.

وفى بداية سنة ١٦٠٢ يونانية (١٢٩١ ميلادية) وصل اتهام ضد أمير كردى عرف باسم: سجال الدين لزاكى، من مدينة الجزيرة فى قاردو وحقق فى حالته بايتمش القوى، وقد قتل فى مدينة الموصل هو وأحد أبنائه. وفى هذه الأيام أرسل بعض الإسماعيليين متنكرين فى هيئة تجار إلى الموصل حتى ينقضوا على الأمراء والحكام ويقتلوهم سرا وبمهارة :. وعندما وصلوا إلى الموصل دخلوا أحد المتاجر كعادة التجار، فقاموا بمشاجرة مع بعضهم البعض، وبدأوا يتعاركون الواحد مع الآخر. كان بالقرب منهم رجل يستمع إلى عراكهم، فشك فى معنى حديثهم فذهب مسرعا وأخبر الأمراء الذين قاموا على الفور بالقبض عليهم. وعندما بدأوا فى تعذيبهم قال أحدهم وهو كهل:" لا داعي لتعذيبنا؛ نحن الثلاثة اختبأنا لنقتلكم وثلاثة آخرون ذهبوا إلى بابل ليقتلوا اليهودى الموجود هناك، وذهب ثلاثة آخرون ليقتلوا صاحب الديوان". عندئذ قام الأمراء بصلبهم، كما أرسلوا إلى بابل وقبضوا على الآخرين وقتلوهم. أما الذين ذهبوا إلى المخيم فقد أجيب طلبهم وتحقق غرضهم دون جهد أو تعب. انظر إلى الطريقة التى تدبر بها الطبيعة أعمالها حتى ولو أخطأت فى بعض الأحيان، فرفعت أحد الحمقى بل رفعته عاليا وجعلته ثريا، وإنما ذلك يكون لمدة قصيرة، ثم يصحح الوضع بسهولة. ويبدو كما لو كانت الطبيعة قد ندمت على خطئها فعادت لتخفض الذى رفعته. إن سلوك العرب

♦ اليوم الثاني: هو يوم الاثنين .

كان واضحا فى العالم "وحتى يومنا هذا" ولم يصل عندهم يهودي واحد إلــى منصب محترم، ولا يعمل اليهودى إلا دباغا، أو صباغا، أو خياطا، ولكــن المحترمين والأثرياء كانوا ينبغون فى فن العلاج وفن الكتابة .أمــا بقيــتهم فكانوا يعملون فى الأعمال الوضيعة التى لا يقبل الآخرون العمل بها. وفــى أثناء حكم المغول فى البلاد الغربية لم يكرموا كل من كان يستحق التكــريم، ولا هؤلاء الذين نزلوا من صلب الملوك ليحكموا البلاد والمــدن الخاضــعة لهم. لم يكن عندهم فرق بين عبيد، ولا أحرار، ولا مؤمنين، ولا وثنيين، ولا مسيحيين، ولا يهود، ولكن كلهم أبناء رجل واحد . وكل من كان يتقرب منهم ويقدم لهم شيئا من مال الدنيا يقبلونه منه ويعطونه ما يطلب مــن منــصب◆ سواء أكان كبيرا أم صغيرا، سواء أكان يعرف فى الإدارة أم لا يعرف. كل ما كانوا يطلبونه فقط هو التفانى فى الخدمة، والخضوع الزائد عــن الحــد. لذلك كان هذا اليهودى يتفاخر فى كل مناسبة بأنه قد وصل إلى أعظم المجد والتقدير الممكن فى عهد أرغون ملك الملوك . ولقد قام هو بنفسه بحل جميع الأعمال الأساسية وغيرها أيضا. وبالنسبة إلى نبلاء المخيم أهملهم وقلل من حرية أيديهم، وعامل الأمراء ومديرى الشئون العامة باحتقار. ولم يعد يُرى على باب المملكة رجل يستطيع أن ينفع أو يضر إلا إذا كان يهوديا. وبسبب ذلك تجمع عنده كثير من اليهود الذين كانوا على هامش الحياة وقالوا جميعا بفم واحد:" لقد وضع الرب أمام هذا الرجل أمل الخلاص، وأكمــل النــصر لأبناء العبريين فى أيامهم الأخيرة". وفجأة وفى أثناء انشغالهم بالتفاخر بقوتهم مرض أرغون ملك الملوك بالشلل واشتد مرضه خلال شهر. ولقــد تحيــر اليهودى البائس فى مرضه، وبذل كل المساعي من أجل شفائه. عندئذ فقــد الأمراء ونبلاء المخيم الأمل فى حياة أرغون. وكانوا يحتقرون اليهودى بشدة

◆ يعطونه ما يطلب :فى النص السريانى "يعطونه ما يطلب" (ص١٨١ عامود ٢ سطر٢٤) .أما فى الترجمــة الإنجليزية "يعطونه ما يطلــب مــن منــصب" they entrust to him whatsoever office he (seeketh p.490)

كما لو كان هو السبب فى مرض أرغون، وذلك عن طريق وسائله الشريرة. وبدأوا فى الزئير كالأسود على المسكين حتى أسلم الروح فى اليوم الرابع* من الأسبوع فى شهر كانون الأخير (يناير) سنة ١٢٩١ ميلادية، ووجه الرب غضبه ضد اليهود المنتشرين فى كل مكان. لقد قُتل سعد الدولة صاحب الديوان، ولقد أرسل الأمراء والنبلاء الرسل إلى كل البلاد التى كانت تحت نفوذ المغول، وقبضوا على إخوانه وأهل منزله وكبلوهم بالحديد ونهبوا خزائنهم، كما أخذوا أبناءهم وبناتهم وعبيدهم وجواريهم (إماءهم) وقطعانهم وكل ممتلكاتهم ، قتل منهم مَن قتل والذين بقوا رجعوا إلى أماكنهم الأصلية، والذى كان بالأمس ضابطا مقيدا ومطلق السراح ويلبس الملابس الملكية أصبح اليوم يلبس ملابس مصنوعة من الخيش ويداه متسخة كما لو كان صباغا وليس كاتبا، أو متسولا** وليس ضابطا. لا يستطيع اللسان أن يقص أو القلم أن يسطر مدى العذاب والغضب الإلهى اللذين حلّ على اليهود فى هذا الوقت. (عند سماع خبر مقتل اليهودى تسلح عرب بابل، وذهبوا إلى حى اليهود لأن جميعهم كانوا يعيشون فى منطقة)*** واحدة فى بابل. وعندما أرادوا الذهاب هناك لنهبهم وقف فى وجههم اليهود، وحاربوا ضد العرب وقتلوا ولم يتركوا أحدا يحكمهم وقالوا: "عندما ارتفع هذا اليهودى وعظم شأنه أمر أن يُبنى له قصر فى تبريز ودفن أوانى مليئة بالذهب والفضة فى الحدائق". ولم يُعرف هذا إلا فى وقتنا هذا؛ لأنه عندما عُذبوا كشفوا لهم عن أماكن الأواني فحفروا وأخرجوها . وتقدر فترة حكم اليهودى وتوليه الإدارة بحوالى السنتين تقريبا، ولقد قُتل ومُحى اسمه وبسببه اضطهد اليهود وأسيئت معاملتهم فى كل العالم.

---

* اليوم الرابع : أى يوم الأربعاء .

** متسولا : فى النسخة السريانية "متسولا" (ص181v عامود١ سطر٣) أما فى الترجمة الإنجليزية "متسولا يتنقل من باب إلى باب" (a beggar going round from door to door and not an officer p.491)

*** هذه الفقرة غير واضحة أى الكلمات مطموسة فى النص السريانى ولكن BUDGE قام بترجمتها

كيخاتو شقيق أرغون

بعد أرغون بن أباقا حكم أخوه كيخاتو المدعو إيرنجين دورجـي[٣٢٩]. وكان أخوه أرغون فى بداية حكمه قد أوكل إليه مهمة قيـادة عـشرة آلاف جندى من جنود المغول للحراسة على بلاد الروم. ولقد مكث هناك طيلة حياة أرغون، فأعجبته البلاد ولم يرغب فى تركها. وفى النهاية عندما توفى شقيقه أرغون اجتمع كل أبناء الملوك وأعلنوا أن من حقه جلوسه علـى العـرش. وبصعوبة، بل بالقوة، وافق أن يجلس على العرش مكان أخيه؛ وذلك لأنـه كان يعيش فى بلاد الروم فى راحة وفى سلام تام، وكـان يأكـل ويـشرب ويتمتع بالحياة بكل ما فيها من محاسن . ولكن عندما رأى أن الملكين اللذين طالبا بشنقه قد انقطع خيط حياتهما وهما فى ريعان الشباب دون أن يتمتعـا بهذا الجاه الزائل، حينئذ انسحب ورفض الجلوس على عرش المملكة، وجعل هدفه ورغبته العودة إلى بيت الروم مرة أخرى، وجعل الأمـراء والنـبلاء يعيشون على أمل أنه فى العام القادم وفى الموعد نفسه سيأتي ويحكم، فتركهم وانتقل إلى بلاد الروم. وعندما وصل إلى هناك وجد أوجايا التركمـان مـن بيت قرمان يمدون أيديهم ضد المغول يخربون وينهبون ويغزون ويأسرون. فجمع كيخاتو قواته وذهب وعسكر عند قلعة طنجرلـو الـشهيرة وأخـذها بالسيف، وقتلوا عددا كبيرا من الرجال، وألقى بالسيف علـى بـاقى قـوات أوجايا الذين فروا إلى القرى وأبادهم جميعا. وفى أثناء حياة شقيق أرغـون كانت تفد إليه رسل الفرنجة من قبل بابا روما، ومن قبل ملوك آخرين وكانوا ينصحونه بضرورة تعاون المغول مع الفرنجة، وأن يكونوا يدا واحدة، ويقفوا ضد المصريين والفراعنة الذين ازدادوا قـوة وبأسـا ويـؤذون المـسيحين ويتعرضون لمدنهم. ولقد أرسل أرغون إلى البابا رسولا، وهو الربـان بـر صوما[٣٣٠] الراهب الأويغورى، الذى جاء مع الكاثوليكس يهب الله[٣٣١] مـن بلاد الخان الكبير، فأرسل معه البابا عهودا وتأكيدات بـأن يخرجـوا معـا

ويهدموا ديانة العرب. ولكن حدث عكس توقعاتهم، فعندما رجع كيخاتو من بلاد الروم إلى جبال أرمينيا الكبرى اجتمع مرة أخرى أمراء ونبلاء المغول وأخذوه وأجلسوه على كرسى الملك فى اليوم الثالث والعشرين من شهر حزيران (يونيو) من سنة ١٦٠٣ يونانية (١٢٩٢ ميلادية). وعندما سمع المصريون أن أرغون[٣٣٢] قد فارق الحياة جمعوا حشدا كبيرا من المواطنين، وكونوا جيشا بالإضافة إلى عدد كبير من الجنود الأجانب، وذهبوا وعسكروا عند مدينة عكا الكبيرة الإفرنجية الشهيرة الواقعة على شاطئ البحر الكبير، وشنوا ضدها حربا قاسية لمدة شهرين. ولكن الفرنجة المقيمين داخل المدينة رفضوا إغلاق أبوابها فى وجوههم فى أى وقت سواء ليلا أو نهارا؛ وذلك بسبب كبريائهم وتفاخرهم. وكان الفرسان الفرنجة يخرجون بشجاعة من داخل المدينة حاملين المناجل كما لو كانوا يحصدون العرب الذين فى الخارج. لقد قيل: إن أكثر من عشرين ألف عربى قد قتل عند عكا. وقد ازدادوا فى استحكاماتهم حول المدينة، إلى أن أصيب صاحبهم الكونت الكبير بجرح على إثر سهم ومات. ولقد أدى هذا إلى إصابة الذين فى داخل المدينة بالخمول. أما الذين فى الخارج فقد ازدادوا قوة وسيطرة ووضعوا ما يقرب من ثلاثمائة منجنيق على السور القصير الذى على البر، ووضعوا تحت كل برج ما يقرب من ألف جهاز ليحفروا الأرض تحته، وقذفوا من السور برجا أو اثنين. حينئذ بدأ الإخوة المساكين وباقى النبلاء فى الذهاب إلى الأديرة القوية واستمروا فى الهرب. وعندما أخذ الغزاة المدينة المسكينة بدأوا فى إغراء المقيمين داخل الأديرة بالخروج، معلنين عدم التعرض لهم بالإيذاء، وأن بإمكانهم الذهاب إلى البحر، وحيثما يريدون مع زوجاتهم وأبنائهم وبناتهم دون أن يأخذوا شيئًا من ممتلكاتهم معا. وعلى الفور فتحوا الأبواب ودخل العرب الأديرة ليحرسوا الخيرات حتى لا يسرق منها شئ . كان الأبناء والبنات هناك ووجوههم كالقمر، فوضع العرب يدهم عليهم ولكن الفرنجة لم يتحملوا، فسحبوا سيوفهم وخناجرهم وانقضوا على بعضهم، وقتل من الجانبين عدد لا يحصى. لقد خربوا المدينة الغنية ولم يتركوا للفرنجة على

شاطئ البحر الكبير مكانا يضعون فيه رأسهم. وقعت هذه الأحداث فى شهر نيسان (إبريل) سنة ١٦٠٣ يونانية (١٢٩٢ ميلادية).

ومرة أخرى اجتمع عدد كبير من الشعب المصرى الفرعونى، وجاءوا وعسكروا عند قلعة الروم عند نهر الفرات، التى استولوا عليها – أيضا – خلال عشرين يوما، فقتلوا وخربوا وسلبوا وأسروا أبناء وبنات بدون عدد، وأخذوا الكاثوليكى الأرمني، وكل الرهبان الذين كانوا معه، وحملوهم مكرمين إلى أورشليم فى يوم السبت الثامن والعشرين من شهر حزيران (يونيو) من العام نفسه. وقال بعضهم: إنه ما زال هناك، ولكن البعض الآخر نفى هذا وقال إنهم صلبوه هو والذين كانوا معه وعلقوهم على حديد وحملوهم إلى مصر، ولم تظهر الحقيقة حتى الآن. ولكن من المؤكد أنه أنهى أيامه مسجونا فى دمشق فى بؤس .

وقد اعتبر الأرمنيون هذا أمرا واقعا واختاروا رجلا مناسبا ونصبوه كاثوليكس فى مكانه، وأقاموا له عرشا فى سيس فى قيليقية. أصبح كيخاتو صاحبا، ودانت له مملكة بيت مجوج ولم يشغل نفسه إلا بحياة صاخبة كلها متع وخلاعة، ولم يفكر فى شىء إلا فيما اعتقد أنه من الأمور المهمة للملوك، والتى كان يتمنى امتلاكها، وكيف يستحوذ على أبناء وبنات النبلاء ويقيم معهم علاقات شائنة، وكان يعبث معهم دون خجل أو حياء. ولقد هرب منه كثير من زوجات النبلاء العفيفات، والبعض أخفوا أبناءهم وبناتهم وأرسلوهم إلى أماكن بعيدة، ولكنهم لم يتمكنوا من إنقاذ أنفسهم منه، أو الهروب من الأعمال المخزية التى ارتكبها معهم. وبعد أن سلك هذه الحياة المخزية لمدة أربع سنوات تقريبا، ولوث نفسه بالرغبات الحقيرة من هذا النوع، وتسلى بإشباع رغبات الجسد التى لا تفيد أصبح مكروها كراهية عظيمة من كل الممسكين بزمام ملكه.

وفى سنة ١٦٠٥ يونانية♦ فى شهر تموز(يوليو) كان موجودا معه أحد أبناء عمه ويدعى بايدو[٣٣٣]، وكان له ابن حسن المظهر . وبينما هم جالسون فى حفل نبيذ يأكلون ويشربون ويمرحون أهان كيخاتو بايدو علنا، فأهانه بايدو قائلا له بأنه ابن عاهرة. على الفور امتلأ كيخاتو بالغضب وصرخ على الذين كانوا حوله أن يسحبوه إلى خارج المخيم، ويقوموا بطعنه حتى الموت. لم يخطر على بال بايدو أن يحدث مثل هذا، فلم يكن ينتظر من كيخاتو أن يفعل شيئا من هذا القبيل رغم أنه أهانه إهانة شديدة.

لقد أمسكوا (بايدو) وقبضوا عليه وعاملوه باحتقار وبطريقة وحشية وسحبوه وحملوه ووضعوه فى خيمة صغيرة وظن أنهم سيقتلونه. وبعد أن نام لمدة ساعة أرسل كيخاتو رسولا إلى النبلاء المحيطين به وأمرهم بالذهاب إلى بايدو، وتأنيبه على هذا السلوك الذى بدر منه والعمل المخجل الذى أهان به ملك الملوك. ولكنه قال بدهاء كما لو كان يمزح بأنه لا يفهم، ولا يعرف عم يتكلمون وأين كيخاتو وأين الخمر التى كان يشربها؟! وماذا حدث وكيف جاء إلى هذه الخيمة الصغيرة؟! وكلام مشابه؛ لهذا بلبل السامعين كما جعل الكثيرين يعتقدون أن شيئا مما يظنونه لم يحدث. وأقنع كيخاتو بسهولة فخدع وندم على الضربات التى أصابت بايدو، وسلك كل طريق ممكن ليهدئ من روعه، وقال:" لقد أسيئت معاملة بايدو". وبعد أن نام بايدو فترة أخرى أرسل كيخاتو نبلاءه ليسألوه إذا كان يعرف ماذا قال فى أثناء سكره؟ فأنكر بايدو بشدة وقال: "حتى ولو ضرب بالسيور فلن يعرف أو يتذكر". وبدهاء جعل النبلاء يقسمون إذا كان ما يقولونه صدقا أم يمزحون معه. وعندما قصوا عليه ما حدث بينه وبين كيخاتو أصابته دهشة شديدة وقال:" لا يوجد نظير للدين الذى أدين به كيخاتو، وإلا كيف لم يقطع بدنى عضوا عضوا ؟" وعندما سمع كيخاتو هذا الكلام هدأ تماما، وذهب بنفسه إلى بايدو وضمه وقبله، وأخذه واتجه إلى المخيم، وأحضر له ملابس ملكية وألبسه إياها. واعترف

♦ **سنة ١٦٠٥ يونانية** : ورد هذا التاريخ خطأ .فقد ذكر BUDGE أنه سنة ١٥٠٥يونانية.

كيخاتو أنه مذنب وأنه يفعل أعمالا سيئة، وأنه يستحق الموت وأنه فى نوبات سكره كان يئن ويقول والدموع تسيل على وجهه:" لم أكن أعلم أنى مذنب؛ لذلك إذا كنت قد أذنبت دون حق وأغضبتك دون قصد أتوسل إليك أن تأكل كلابك لحمى دون رحمة ".

وازداد حب كيخاتو له واستضافه، وأعطاه كثيرا من الهدايا التى لا نظير لها .

وبالاختصار فى هذين اليومين أو الثلاثة أعطى بايدوأربعين دينارا ذهبيا وفضة وأقمشة مذهبة، وعباءة قيمة، وأحزمة مرصعة بالباسنت وأحجارا ثمينة وجياد ركوب، وبغالا، وخيل حمل. وقد لام كيخاتو أهل منزله على فعله هذا، فقالوا له:" لم يكن من الصواب أن تحقر من كرامة هذا الرجل، كما أنَّه ليس من اللائق أيضا أن يعامل باحتقار، ويسلم لأشخاص يسحبونه من شعره ويضربونه ويهينونه، ولقد حدث ما حدث له، ولن تنفع القصص المسلية فلن تطيب نفسه ولكن من الواجب مراقبته عن بعد بكل طريقة ممكنة". وآخرون قالوا: "إنه من الواجب إبعاده عن الطريق، وإلا ستحدث اضطرابات من خلاله". وآخرون قالوا:" لا بل يجب أن توضع حياته تحت الحراسة، حتى لا تمتد يد وتقتله أو ترتكب جريمة". أما كيخاتو فقد تغلبت عليه شهوته وتشتت تفكيره واختلط فهمه، ووجد نفسه مساقا أن يقول لبايدو :"أريد أن يعيش ابنك معى ويكون فى خدمتى وأن يكون صديقا ورفيقا". وقبل بايدو بسرور وسعادة كشخص مطيع، وأمر أن يرسل فورا ويحضر ابنه. ولكن كيخاتو قال:" لا، قم واذهب بسرعة إلى أهل منزلك قبل أن يصل إليهم وإلى خدمك خبر الانشقاق الذى حدث بينى وبينك، وإلا فسيحدث لهم قلق وبمجرد أن تصل أرسل ابنك ليأتى إلى". حينئذ قال بايدو: "سيكون أمر الملك". وخرج من المخيم كالطير من عشه. ونظر خلفه، وسافر لمدة أربعة أيام حتى وصل إلى منزله، وهناك لم يتمهل، بل جهز ابنه وأرسله إلى"كيخاتو". أما هو فقد انتقل إلى جبال همذان(٣٣٤) كما لو كان ذاهبا

إلى الصيد، ومن هناك أرسل رسولا إلى غازان بن أرغون باكيا وشاكيا، وأوضح له ما حدث له. لم يكن كيخاتو يعلم شيئا مما حدث، ولكنه كان مشغولا بأعماله وبإسرافه الشديد. ولسوء الحظ كان رئيس المحاسمين، أي: صاحب الديوان، وهو رجل فارسي يدعى صدر الدين(٣٣٥) وكان هذا الرجل مبذرا حتى إنه فى فترة قصيرة أفرغ خزانة مملكة كيخاتو، وبدأ فى الاستدانة وفى الإنفاق حتى لم يبق هناك شيء، ولم يجد شاة تذبح لمأكل كيخاتو .ولقد عين يهوديا يدعى رشيد الدولة(٣٣٦) ليحضر الطعام اللائق لكيخاتو من كل صنف يطلبه ومن حيثما يطلب. لقد برز اليهودى فى هذا العمل، وأنفق مبلغا كبيرا من ماله الخاص واشترى ربونا من الغنم والبقر، وأقام جزارين وطهاة واستعد فى مظهر رائع على شرط أن يجمع كل شهر مالا لصاحب الديوان؛ لأن الخزانة كانت خالية من المال ولا يوجد بها حتى القليل . وبعث رسائل إلى البلاد ولكن اليهودي لم يستطع أن يجمع شيئا، وانتهت ممتلكاته ولم يستطع أن يصمد ويتحمل كما كان يفعل فتركه وهرب، وكانت الضرائب كثيرة.

كان صاحب الديوان قلقا، وكان منهكا فى أداء واستكمال الهدايا العديدة لملك الملوك، ولأن الضرائب التى جمعت من ملك المغول كانت غير كافية لتبذير صاحب الديوان فكيف كانت تكفى لمواجهة تبذير كيخاتو؟ حينئذ بدأ يتصور تصورات عقيمة، فتوهم أنه سوف يصنع نقودا جديدة، ولكن لأن يده لم تحصل على ذهب أو فضة فإنه رفضها. وقد صرف النظر عن هذه الأفكار، وأصدر أمرا ملكيا أن لا يتعامل أحد بالذهب والفضة أبدا، وعمل قصاصات من ورق البردى وختمها وطبعها بعلامة حمراء وكتب عليها دينارا ودينارين وثلاثة وأربعة وخمسة ... وهكذا إلى عشرة دينارات وأسماها: "جاو(٣٣٧)"، وأعلن الدعاة فى كل مدينة أن كل من يشترى ويبيع ويأخذ ويعطى بدون "جاو" سيقتل، وكل من يوجد فى يده نقود فضة ولا يحملها إلى مكاتب الحكومة ليبادلها هناك بالجاو فإنه سيقتل. وظل هؤلاء الرجال فى اضطراب كبير وصعوبة لا توصف لفترة شهرين. وبقيت تبريز

المدينة المغولية خرابة مهجورة، وهرب منها الرجال وتفرقوا، وكان يشاهد في الشارع عدد قليل من أهلها. وبعد الشراء لا تستطيع الكلمات أن تصف المجاعة، ولا الندرة، ولا الصعوبات التي حلت عليها؛ وذلك لأن المواطنين لم يقبلوا قصاصات الورق وتمسكوا باستخدام النقود. وثار الأهالي ضد صاحب الديوان حتى خرجوا أخيرا بالسب والإهانات عندما كانوا أمامه وجها لوجه، وجعلوه يسمع إهانتهم وسخريتهم، ولم يقبلوا أن يقتنعوا أو أن يسمعوا كلمته، وأصابته الدهشة والذهول. لو رجع في كلامه سيجلب العار على نفسه، ولم يكن يستطيع تحقيق رغبته. لم يكن هناك شاعر لم يسخر منه ولا منشد واحد لم يضع أشعارا وأبياتا رائعة. ولخوفهم من الذين في الداخل والخارج أصدر أمرا ملكيا آخر، وهو أن يكون استعمال "الجاو " اختياريا، فإذا أراد استعمال "الجاو" فليستعملها وإذا أراد استعمال الفضة فله مطلق الحرية، وليس هناك إجبار على أحد. وقال أيضا ملك الملوك: إننا نريد لكم إقامة مريحة وحياة هادئة في خير، وعلاوة على ذلك لا نريد أن يكون كل ما يعطيه الفرد يجب أن يؤخذ منه، ولكن ليستخدم كل شخص ما يريد من خيرات ومعدات . وفي لمح البصر ترك قصاصات ورق بالآلاف وعشرات الآلاف تغرق في البحر وتختفي. ولا تستمعوا إلى المغرضين الذين يقولون إننا نقيد حرية أي رجل . وكانت هناك فرحة كبرى في كل قرية ومدينة، وفتحت الطرق لأنه خلال هذين الشهرين لم يتمكن التجار من ممارسة نشاطهم وقطعت الطرق، وأغلقت المتاجر وتوقف البيع والشراء.

وفي بداية سنة ١٦٠٦ يونانية (١٢٩٥ ميلادية) رجع بايدو كعادته لتمضية الشتاء في مدينة دقوقا[٣٣٨] وهو يفكر في قوة كيخاتو، وقد عقد اتفاقا سريا مع قادة آلاف من المغول والمقربين منه وأحاط نفسه بالجنود. وجاء إلى مدينة الموصل وقبض على رئيس الجند هناك وقتله، كما أرسل وقتل أيضا الرجل الذي شغل الوظيفة نفسها في بغداد . وعندما رأى أمراء المغول الآخرون أن بايدو لديه الجرأة الكافية لارتكاب مثل ذلك العمل اجتمعوا عنده بسعادة، وأرسلوا رسلا إلى غازان[٣٣٩] يخبرونه بموافقتهم. وقالوا: إن كيخاتو

خرج من أرض المغول، وثار على قانون أبينا جنكيزخان، ولقد خربت خزائن المملكة نتيجة لأعماله البغيضة، ولحياته الماضية وتبذيره الكبير، وكان اهتمامه ينحصر فقط فى شهواته الدنيوية وليس فى حكم المملكة التى يعيش فيها. لذلك اتفق النبلاء والأبناء والبنات والنساء والعرائس على أن يطردوه من الطريق؛ لأن أمثاله لا يفيدون المملكة ويريدون جلوسك أنت على كرسى مملكة بيت مجوج. حينئذ أرسل غازان وقال إلى بايدو :"أنت رجل عظيم فى إسرائيل، والجميع متفقون معك، وسنضع أنفسنا تحت حكمك وافعل كل ما تراه لائقا وصوابا ومثمرا، ولكن منازل مملكتنا يجب ألا تؤذى. إن الرجل الذى سينتخب لن يكرس نفسه للرفاهية وللأكل والشرب وللحفلات والبذخ واللحوم الطيبة، ولإعطاء هدايا ثمينة دون حق، ولكن يجب أن يحمى مملكته بعناية ويجب أن يفكر دائما كيف يقابل أعداءه فى معركة؛ لأنه من الأفضل أن تحرس المملكة بالحكمة أكثر من عشرات الآلاف من الرجال المحاربين ". ولما اطمأن النبلاء وأبناء الملوك ورؤساء العشرة آلاف مغولى أن غازان وبايدو أصدقاء، ولهم نية واحدة ورغبة واحدة وكانا يتعاملان بحب، وكانا يتراسلان بواسطة الرسل، وأصبح جليا أن القانون يعطى عرش المملكة لغازان بعد كيخاتو، وأن بايدو كان يبذل جهده من أجل جلوس غازان على عرش المملكة، فقد وضعوا أنفسم فى خدمة بايدو وأداروا وجوههم عن كيخاتو وهو لا يشعر لأنه لم يكن عنده علم بما هو حادث فى العالم. ولكنه عاش حياة ترف ودلال بالتمتع بطيبات العالم ، حتى إنه ظهر فى النهاية أمام الجميع فى الداخل والخارج بصورة مخادع. وبعد أن استيقظ من غفوته أرسل رسولا إلى الشمال ليأمر القوات هناك بالركوب والقبض على بايدو، وعندما وصل الرسول إلى الجزء الشمالى إلى بلدة ديار بكر فى الصالحية وجد أن كل القوات هناك قد انضمت إلى بايدو، وأنهم يستعدون للذهاب لمقابلة كيخاتو فى معركة. واستدار الرسول وهرب كما لو كان يهرب من وباء، وذهب وأخبر كيخاتو عن نية تلك القوات. وبمجرد أن سمع كيخاتو هذا ظن أن بايدو يستعد للهرب والذهاب إلى غازان، فأرسل جنودا وأغلق الطرق

وممرات خراسان، وأركب – أيضا – طغاجار الرئيس الكبير مع عشرة آلاف، وأرسله ليمنع بايدو من عبور جبال شهرزور. وبعد عدة أيام أركب أقابوقا صهره مع عشرة آلاف آخرين حتى يستطيع هو بنفسه أن يأخذ عشرة آلاف ويذهب ويقابل بايدو. وفى أثناء وجوده فى ضواحى تبريز فى أوجان وصل طغاجار(٣٤٠) و أقابوقا مع العشرين ألف الذين كانوا معهما إلى أطراف جبال شهرزور فى الجانب الشرقى، وكان بايدو نفسه مع رجاله فى حافة الجبل فى الجانب الغربى، وأرسل رسلا سرا إلى طغاجار قائلا: "إنى أحترق بنار الحماس من أجل مملكة بيت مجوج، وإنى أسعى لخلع كيخاتو بسبب صفاته الشخصية التى لا يمكن الدفاع عنها، وخاصة عندما سمعت أنه لم يترك لكم زوجات وأبناء وبنات لم يلوثهم؛ لذلك فإنه من الحق أن نتحد كلنا ونخلعه من بيننا ونجلس غازان على عرش المملكة، ونجتمع كلنا ونخضع كيخاتو". ووافق طغاجار بسعادة، وبسهولة انضم إليه. وعلى الفور أرسل قائلا إلى أقابوقا :" أنا مع بايدو أتفق معه، وأنا مستعد للذهاب معه، فما هى إذن نيتك؟" . ولأن أقابوقا كان متضامنا مع كيخاتو لم يرق له ذلك وكان حزينا ومضطربا، وظل يفكر طيلة الليل أن يأخذ العشرة آلاف الذين كانوا معه ويرجع إلى كيخاتو، وعندما انشق النهار ركب طغاجار كما لو كان ذاهبا إلى بايدو، فظن أقابوقا أنه يستعد للهجوم عليه، فترك طغاجار وهرب، وتبعه عدد قليل من العشرة آلاف الذين كانوا معه. وأسرع الخطى حتى وصل إلى كيخاتو وأخبره بما حدث. حينئذ حل الذعر على كيخاتو ولم يعرف ماذا يفعل، فأرسل واستدعى رئيس الآلاف الذين كانوا معه – ويدعى بريم – وقال له:" أنا أرى أن قواتى قد انشقت على، أما أنت فلأنك قوى وشجاع ابق ولا تكن مترددا". وارتدى ملابسه الحربية وركب حصانه متجها إلى مخيمه حيث زوجاته وعائلته وأهل منزله، وترك مساكنه وخيامه قائمة، وقبل أن يذهب لمسافة رمية قوس هاجم بريم♦ خيام كيخاتو وطارده. وقبل

♦ بريم : فى النص السريانى ورد اسم "بريم" (س١٨٥ عامود ٢ سطر ٢٠).أما BUDGE فى ترجمته

أن تحدث تلك الحوادث أرسل كيخاتو بطلب رئيس عشرة آلاف آخرين كانوا فى بلدة أيبريا ويدعى دوكال . هذا الرجل وصل من الإقليم الذى كـــان فـــى ضواحى مخيم كيخاتو، ووجد هناك اضطرابات ومـــشاجرات، وانـــشقاقات، وجنودا يتشاجرون مع بعضهم البعض، وسلبا ونهبا لا حد له. وصل كيخـــاتو مع أربعة أو خمسة أشخاص وطارده بريم، وحدث أن كان دوكـــال أمامـــه فأسروه وقتلوه فى اليوم الخامس من شهر آذار(مارس) سنة ١٦٠٦ يونانية (١٢٩٥ ميلادية) بدون علم بايدو . لم يكن بايدو يريد هلاك كيخاتو ولكـــن القبض عليه فقط وسحبه إلى إحدى القلاع، عندئذ ضم النبلاء إلى قواته وسلم له الجنود وأرسل بايدو رسولا للقبض على كيخاتو وإحضاره إليه، وعنـــدما وصل الرسول وجد أن كيخاتو قد مات، فتركه ورجع خاليا. ولكـــن النـــبلاء والأبناء والبنات وأزواج البنات والعرائس حثوا الواحد الآخر على الخضوع والطاعة لبايدو، واتفق معهم معظم النبلاء، فأرسل رسولا إلـــى غـــازان أن يحضر وألا يتأخر. ولأن غازان كان معسكرا على مسافة بعيدة، ولأنه كان فصل الشتاء والطرق كانت خالية من العشب والغذاء -انتقل غازان والقوات المرافقة له فى إقليم بايدو. حينئذ عندما رأى الذين اجتمعوا مـــع بايـــدو أن غازان قد تأخر، ولم يصل بعد بدأوا فى تزيين الأمـــر لبايـــدو قـــائلين: "إن المملكة لائقة لك، أما غازان فهو شاب صغير وسنوات عمره قليلـــة ولـــيس أهلا لحكم مملكة بيت مجوج. إذا انسحبت وسلمت كل الإدارة إلى غازان فإن الجنس المغولى سينقرض". وانساق بايدو فى الخطاى مع المداهنين واغتـــر بنفسه، ولم ينتظر بعد ذلك وصول غازان. ولكنه أرسل وأحـــضر العـــرش الكبير الذى كان فى تبريز، وهو العرش نفسه الذى جلس عليه أباقا وأرغون والملوك الآخرون الذين قاموا من بعده، ووضعه بقرب أوجان فصعد وجلس عليه، وظن آنذاك أن مملكته آمنة. وبعد أن ظلوا هناك لعدة أيام منهمكين فى

الإنجليزية ذكر أنه ربما يكون الاسم هو "إبـــراهيم".(he send and called the captain of the thousands who where with him and whose name **was BRIM** **(IBRAHIM)** p.499)

الأكل والشرب انتقلوا إلى سياه كوه[٣٤١]، وهنـاك اجتمـع الأبنـاء الأولاد، والبنات، والإخوان، وأبناء العلم، ورؤساء القوات نبلاء المغول اجتماعا وديا. حينئذ بدأ بايدو يتوسع ويتعامل معهم بكل تواضع، وسلم لكل أخ ولكل ابن أخ مقاطعة معينة، على شرط أن يأكلوا كل إنتاج هذا الحى، وإذا بقى منهم شىءٌ يرسلوه إلى بايدو، وإذا نقصهم شىء فليرسلوا إليه وليأخذوا ما يكفى لحياتهم .لذلك رحل الأمراء والنبلاء من عنده بفرحة وسعادة شاكرين الله على السلام والصداقة السائدة بين الجنود، وبين كل نبلاء المغول. وعندما وصل غازان بالقرب من سياه كوه علم أن بايدو قد أخذ الملك لنفسه، وأنـه جلـس علـى كرسى الملك بطريقة غير قانونية. واشتعل من الحقد وتحسر بحرارة، وكان حزينا جدا لأن التعب والجهد والإرهاق من أثر الرحلة الطويلة التى قام بهـا هو وجنوده ظهرت كلها بدون فائدة وغير مثمرة، وقال: "لماذا طلبنـى؟ وإذا كان قد فعل ذلك فلماذا لم ينتظر حتى أصل إليه؟ وهـل هـو جلـس علـى الكرسى بموافقتي؟ ". وكان بايدو مقتنعا بأنه سوف يهدئ مشاعر غازان عن طريق التواضع والهدايا الكثيرة، وبإعطائه كل خراسان وشيراز والبحـرين وكيرمان، ويعطيه – أيضا – كل خيام أرغون والده دون أن يحتفظ لنفسـه ولو بواحدة، وبإعطائه – أيضا – جيادا وأبقارا وقطعانا من الخيل وبـضائع وقطعان أغنام يأخذهم غازان ويرجع إلى خراسان. ولما وصل غازان إلـى ضواحى قنغرآلانك[٣٤٢] وبقى بينه وبين المكان الذى كان به بايدو رحلة يوم واحد استشار صاحب ورئيس القوات التى كانت معه، وهو رجل محـارب انتصر فى معارك كثيرة ويدعى نوروز بن أرغون، استـشار أباقـا كيـف يذهبون ليلا ويقبضون على بايدو فجأة دون أن يشعر. هكذا فعلـوا ولكـن النتيجة لم تكن كما قدروا. وعندما ركبوا للقيام برحلتهم بكـل مـشقة لـيلا متجهين للأمام انفتحت أعين السماء، وانهمرت سيول من المطر، وكان هناك برق ورعد ورياح وعواصف لم يشاهد مثلها من قبل فـى العـالم، وبـدأوا ينحرفون عن الطريق وتفرقوا وتشتتوا، ولم يعرفوا إلى أين يذهبون أو كيف، فسلكوا الطريق الخطأ. كل شخص يسير إلى الأمام مباشـرة وسـاروا فـى

الصحراء حتى بزغ النهار. حينئذ رأوا أنفسهم بالقرب من هؤلاء الذين فى صحبة بايدو، ولم يتمكنوا من محاربتهم بسبب البلل والإرهاق والتعب الشديد الذى أصاب الجنود بالإضافة إلى حالة الاضطراب، وظلوا مندهشين ومذهولين وحل الذعر والخوف والرعشة على بايدو وكذلك على الذين كانوا معه، وركبوا خيولهم وخرجوا لمقابلة غازان. حينئذ رأى غازان أنه ليس هناك مجال للمعركة، فنزل من فوق ركبه، وعندما رآه بايدو يفعل ذلك نزل هو – أيضا – من على جواده واقترب الواحد من الآخر وتعانقا، وشعر كلاهما بالخجل أمام صديقه بسبب ما بدر منه: بايدو بسبب تسرعه وعدم انتظاره لغازان، وغازان بسبب حضوره بطريقة خفية وسرية للقبض على بايدو. من المؤكد أنه لولا المطر والبرق والرعد الذى عاق قوات غازان لكانت كل جماعة بايدو قد تعرضت للفناء التام، ولم يكن أحد استطاع الهرب، وذلك لشدة الظلام وكانوا كلهم سيهلكون بحد السيف. وبعد أن أصبحوا أصدقاء بدأوا فى مناقشة الموضوع وإلقاء اللوم الواحد على الآخر. ولقد أظهر غازان خضوعا مع حكمة ودهاء مشكورين، وأظهر أنه متفق مع بايدو ويوافق على كل ما قيل له. وأقسم كل واحد منهما للآخر أن لا يتشاجر أحدهما مع الآخر، أو يخون الآخر، وأن يكون كلاهما متفقين فى الرأى والإرادة، وأن يعيشا فى حب وسلام وهدوء، وعندما أراد بايدو أن يحضر غازان إلى مخيمه ليأكل ويشرب ويسعدا معا ويتمتعا بالسلام الذى ساد بينهما قال غازان : "لقد أرهقنا أنفسنا كثيرا هذه الليلة، فلنتراجع قليلا وننزل ونستريح، وفى الصيف سنجتمع معا فى مكان واحد". وببساطة قبل بايدو عرض غازان وخضع لرغبته، وعندما رحل عنه بايدو ورجع لم ينزل من فوق جواده، ولكنه ركب فى مساء ذلك اليوم وسار طيلة الليل ناظرا خلفه متسائلا: كيف ينقذ نفسه من أيدى بايدو ؟ وعندما وصل بايدو إلى مخيمه وبدأ فى إعداد الأطعمة والهدايا القيمة من كل نوع لم يسترح كما أنه لم يستلق أو ينم، ولكنه أمضى الليل يفكر بأى طريقة يهدئ بها من مشاعر غازان حتى يقضى على كل أسباب الغضب ؟ وبمجرد أن أشرق الصباح

أرسل النبلاء يستأذنون فى الذهاب لتحية غازان وسؤاله عن حالة الإجهاد والتعب التى حلت به، وبعد أن قطعوا عدة فراسخ لم يجدوا على رأس الطريق إلا جوادا نافقا، وبعضهم كان مستلقيا كالميت، فرجع النبلاء وأخبروا بايدو . حينئذ تأكد بايدو أن غازان قد شعر بالإهانة، وأنه لا ينوى الرجوع وأنه سيزداد قوة ويرجع مرة أخرى ويهاجم بايدو. وحل به رعب عظيم وفزع، فأرسل النبلاء وقواتهم فى سرية تامة ليقفوا فى مواجهة هجوم غازان بالعنف، وذلك عند عودته لمهاجمته. حينئذ تشاور غازان مع نوروز الكبير ودبرا خطة أن يرسلا ويهدئا من مشاعر بايدو، ويمنعانه من استمالة قوات وشعب غازان؛ لأنه لو كان بايدو يهتم بجمع القوات فإنه يمكنه جمع عشرات الألوف، ولن يتمكن غازان من أن يقف أمامه ويجب أن يجعلوه سيدا، وذلك لأن الرجال الذين كانوا معه كانوا متعبين ومنهكين وجيادهم هزيلة وضعيفة من قلة الغذاء؛ لأن السهول فى هذه الأماكن كانت خالية من الأعشاب والبلاد كانت خرابا ولا يوجد عشب للجياد أو غذاء للرجال. وبسبب هذه الأعذار وغيرها من الأعذار المشابهة ذهب نوروز بنفسه، ورجع إلى بايدو ليقنعه بطريقة أو بأخرى بألا يتحرك، وليبق هادئا وكريما من ناحية غازان . وعندما جاء إلى بايدو استقبله بترحاب كبير وكشف له كل أسراره حتى قال نوروز لبايدو:" إذا لم تضع ثقتك فى غازان ويهدأ بالك من ناحيته، سأذهب بنفسى وأرسل لك رأسه على طبق، على الرغم من أنه كان فى الوقت نفسه يدبر بكل طريقة ممكنة كيف ينقذ نفسه ويرجع إلى غازان فى سلام". وابتهج بايدو وفرح ورقص وقال:" إذا كنت تستطيع أن تفعل ذلك سأسلم لك إدارة جميع مناصب المملكة". وقدم له هدايا بسخاء، ومبلغا من الذهب يساوى "مرياد" وسلمه أمرا، وكتب تصريحا أن يأخذ عشرة آلاف أخرى من مدينة قزوين وتركه ينصرف. وعندما ذهب إلى غازان أخذوا يتعجبون وأخذتهم الدهشة للبساطة التى ألقى بها نوروز بنفسه فى أيدى بايدو، وكيف أن بايدو سمح له فى الحياة ببساطة. ومنذ ذلك الوقت بدأوا يستعدون للحرب ويجمعون القوات. وتسلم نوروز نفسه إدارة الجنود وتجمعاتهم من كل مكان. وأرسل

غازان وبعض الرجال إلى جبال مازندران حتى يصطادوا هناك مع القوات التى تجمعت من مختلف الأحياء. أما هو فقد ظل وحده مع أبناء منزله فى مكان واحد. حينئذ تعجب بايدو لمعرفة أين كان غازان ونوروز، وبماذا هما مشغولان، وهل لديهما نوايا سيئة أو لا؟! وأرسل إليهما كثيرا من الرسل وخططا للتجسس عليهما وكشف سرهما، وعندما وصل رسل بايدو إلى نوروز بذلوا جهدهم لمقابلة غازان شخصيا، والتحدث معه وجها لوجه، فقال لهم نوروز:" ما الفائدة التى تعود عليكم من مقابلة شاب صغير بسيط لا يعرف شيئا ولا يفهم شيئا أبدا .انظر إنه يتجول فى الجبال والمرتفعات ولا يبالى إلا بالصيد. فإذا كنتم مصرين على رؤيته فمعى رجال يأخذونكم إليه". وكذلك أخذ رسل بايدو هؤلاء الرجال، وساروا بهم فى الطريق الصحراوى، وخرجوا بهم عن الطريق وضلوا طريقهم، متنقلين من قرية إلى قرية، ومن مدينة إلى مدينة .وبعد عدة أيام حملوهم إلى غازان . وفى بداية مقابلته معهم اشتكى من بايدو قائلا:" أين هى الوعود التى وعدني بها ؟ إذا كان قد رجع فى كلامه دعوه يخبرنى حتى أرحل وأرجع إلى خراسان". وعندما رجع الرسل إلى بايدو أقسموا، وأنكروا أنه يوجد هناك أى تجمعات للجيوش، وأن غازان يهتم بمحاربتك ولكنه ينتظر منك أن ترسل إليه ما وعدته به ليعود إلى مكانه . حينئذ قبل ببساطة أن يرسل إلى غازان أكثر مما وعد به. ولكن الحكماء وصناديد الرجال الذين كانوا معه شكوا فى الأمر وقالوا:" لا بد أن هناك خيانة، ونواياه نحوك ليست سليمة، وأنه لا يحارب لأخذ مخيم أبيه ولكن ليسيطر ويهاجمك. وسيذهب مع عشرات الآلاف من المواطنين والأجانب ومركبات الخيل والممتلكات التى ستنقل من عندك". وبعد قليل أرسل – أيضا – غازان إلى بايدو فارسا إلى القوات؛ لأن الأعداء من الشرق على شواطئ جيحون يفكرون فى العبور إلى حى من أحياء خراسان. ولقد ظهر فى تلك المنطقة كثير من الثوار والرجال المحتالين وذوى الخبرة. لقد فكر الذين يرافقون بايدو فى هذه المقترحات والكلمات الخبيثة. وعندما رأى غازان أن هذا الاقتراح لم يتحقق أرسل إلى بايدو قائلا : "لا داعى للقوات،

ولا ترسل رجالا". وبذلك أبعد عن نفسه الأفكار الشريرة . حينئذ استراح بايدو قليلا، ونظر إلى الخيال كما لو كان حقيقة، لقد خدع نفسه كالطفل بهذه الخدع والترتيبات والأفكار الخفية وأبعدها عن نفسه، وبدأ يجد اللذة فى الأكل والشرب فقط، ولم تسيطر عليه اللذة والغرائز الجسدية، ولم يتسل إلا مع زوجاته. ولم يشبع رغباته فى اللواط مثل الذى سبقه، ولكنه قاد نفسه بحكمة وعقل مرتب وتواضع مشكور، وانتقل وكرم الرجال ذوى المناصب العالية، والعلماء ، والرهبان ، والنساك الذين كانوا هناك بغض النظر عن المجموعة التى ينتمون إليها، وأغدق على الرجال الهدايا والملابس الملكية الفاخرة.

ولأنه تعرف منذ سنوات بدسبينا[٣٤٣] (ماريه باليولوجس) بنت ملك اليونان التى كانت زوجة أيضا، فإنه كان ذا نوايا طيبة تجاه المسيحيين، ولقد عمل لعدة سنوات بالكنيسة قارعا للوح فى أثناء السير مع معسكره، وعلاوة على ذلك فقد منح نفسه بجرأة اسما مسيحيا لأنه فى هذه الأيام كان المغول من النبلاء والطبقات الدنيا من الشعب قد أصبحوا مسلمين، وتختنوا وتعلموا جيدا الوضوء والصلاة وسائر شعائر المسلمين. ولأن ذلك أعجبه فقد أصبح بايدو نفسه مسلما. ولقد سعد كل نبلاء مملكته، ولكنه لم يستطع أن ينسحب من الحوار مع المسيحيين، ولم يوافق أن يأمن لغيرهم فى إدارة المملكة. وانظر ما ترتب على هذا فقد أصبح محاطا بحاجزين: كان يقول للمسيحيين: "أنا مسيحى" وكان يعلق صليبا فى رقبته وكان يظهر أمام المسلمين أنه مسلم، ولكنه لم يتمكن أبدا من تعلم الوضوء والصوم. وكلما كان رؤساء العقيدة يجتمعون عنده، ويقفون للصلاة كان بايدو يرسل ابنه ليصلى معهم. وبهذه الطريقة كان يطمئن نفوسهم ويثلج صدورهم، ولكنه لم يكن خافيا على العرب أنه كان يتجه أكثر ناحية المسيحيين وكان يعتمد عليهم. وظل لمدة خمسة شهور يدير مملكته بهذه السياسة ذات الوجهين. وعندما سمع حاتم (الثانى) الملك المؤمن العادل الصادق ملك قيليقية أن بايدو قد انتصر وأن مملكة المغول قد دانت له، وأنه صديق للمسيحيين وأنه يميل لهم أكثر من باقي الديانات رغب بشدة أن يحضر بنفسه لخدمته ويقابله بنفسه، ويضع أساسا

ثابتا لأمور كثيرة بين بايدو وبينه. وعندما خرج من بلدته ظل فى الطريق ما يقرب من شهرين حتى وصل إلى ضواحى سيا كوه فى أثناء وصول الأمير الكبير نورو♦(٣٤٤) مع قواته التى كانت معه ليقبضوا♦♦ على بايـدو . ولأن بايدو كان مشغولا بشئونه أرسل رسولا، وقال حاتم♦♦♦ لملـك أرمينيـا:" ارجع إلى مراغة، وهناك استرح قليلا حتى أهدأ وأعود إلى المخيم فأرسـل وأحضره إليك"، وفعل ذلك. وعندما وصل إلى مراغة ومكث هناك ما يقرب من عشرة أيام أو أقل هرب بايدو من أمام نوروز الصاحب الكبير، ووصـل هناك ملك الملوك غازان وذهب وعسكر عند تل أوخاما بالقرب من دياهكو ركان . وعلى الفور استعد الملك حاتم وذهب لمساعدته وقدم له هدايا قيمة، وقال له ملك الملوك: إنك جئت لزيارة بايدو وليس لزيارتنا . حينئذ أجـاب الملك: أنا أتيت لأبدى الخضوع لنسل جنكيزخان وأقدم فروض الطاعة لمـن هو على كرسى الملك. حينئذ استقبله ملك الملوك بحرارة وخلع عليه ملابس ملكية، وأمر أن يُكْتَبَ له مرسوم وأن تلبى جميع مطالبه. وقبل ذلـك بقليـل صدر أمر بتخريب الكنائس، فتوسل الملك حاتم إلى ملك الملوك ألا تخـرب الكنائس، لأنها مساكن الرب وأيضا بيوت الصلاة. لذلك أمر ملك الملوك ألا تخرب وكتب مرسوما أعطاه للرسول: "لا تخرب الكنائس بـأى طريقـة إلا منازل الصور تحول وتصبح مساجد ومدارس للعرب". وبذلك نجت كثير من الكنائس من الخراب بفضل هذ الملك المؤمن. وخرج هذا الملك من المخـيم بقلب سعيد مبتهج.

وفى اليوم الأول من الأسبوع التاسع من شهر تشرين الأول (أكتوبر) من السنة نفسها سنة ١٦٠٧ يونانية ٦٩٥ هجرية ، (١٢٩٥ ميلادية) انقض نوروز وقواته(٣٤٥) فجأة، ودون توقع، علـى بايـدو عنـد مكـان يـدعى:

♦ نوروز : هذه الكلمة غير واضحة فى النص السريانى ولكن BUDGE قام بترجمتها وذكر أنه "نوروز.

♦♦ ليقبضوا : هذه الكلمة غير واضحة فى النص السريانى.

♦♦♦ حاتم : هذه الكلمة غير واضحة فى النص السريانى.

قنغرآلانك، ولم يستطع بايدو أن يصمد ولو لساعة واحدة، فقام ملك الملــوك غازان وقابله، ولكنه تركه وهرب في يوم السبت اليوم الخامس والعــشرين من شهر أيلول (سبتمبر)◆ وطارده نوروز ولحق به وقتله في اليوم الخامس من الأسبوع التاسع من شهر تشرين الأول(أكتــوبر) ســـنة ١٦٠٧ يونانيـــة (١٢٩٦ ميلادية). ولقد أصدر أمرا أن تخرب الكنائس وبيوت الصور ومعابد اليهود ويعامل الكهنة ورؤساء الرهبنة معاملة قاسية، وتفرض عليهم جزيـــة وضرائب وألا يخرج مسيحى إلى الطريق إلا وهو يلبس إزارا حول وسطه، أما اليهودى فيضع علامة على رأسه.◆◆ وفى هذه الأيام اتجهــت الــشعوب الغربية إلى تبريز، وضربوا كل الكنائس التى كانت هناك، وحل حزن عميق على كل مسيحي فى العالم. وعجزت الكلمات عن وصف ألوان الاضـــطهاد والإهانة والسخرية التى تحملها المسيحيون فى ذلك الوقت، وخاصـــة فـــى بغداد. وحسب ما يقوله الناس فلم يجرؤ مسيحى على الظهور فى الـــسوق، ولكن النساء كن يخرجن ويطلبن ويشترين ويسعين؛ لأنه كان من الـــصعب التمييز بينهن وبين النساء العربيات، ولا يمكن معرفة أنهن مسيحيات. ولكن اللاتى كن يعرفن بأنهن مسيحيات كن يُضْرَبن ويسخر منهن، فقد كان كـــل مسيحى تلك الأحياء يتعرضون للعقاب من هذا النـــوع، لا أقـــول هجـــرهم الرب. وبينما هم منقادون هنا وهناك تهلكهم العواصف، وكان يسخر مـــنهم أعداء الحق قائلين لهم:" أين ربكم؟ دعونا نرى إذا كان لكم عون أو مـــساعد يخلصكم أو يعينكم". هذا الاضطهاد لم يحل على شعبنا فقط، ولكن أيضا على اليهود، وكانت شدته مضاعفة على الكهنة الذين كانوا يعبدون الأصنام(وكان

◆ شهر أيلول : فى النص السريانى لم تذكر السنة، ولكن BUDGE ذكر سنة ١٦٠٦ يونانية ســـنة ١٢٩٥ ميلادية.

◆◆ يضع علامة على رأسه : يضعوا خرقة صفراء فى عمائمهم (مصطفى طه بدر : مغـــول إيـــران بـــين المسيحية والإسلام ص ٥٢).

هذا بعد التكريم العظيم الذى تمتعوا به من ملوك المغول)♦♦♦ الذى وصل إلى درجة توزيع نصف ما جمع من أموال المملكة عليهم. ولقد أُنفق فى شراء تماثيل من الذهب والفضة، وقد أصبح عدد كبير من الكهنة الوثنيين مسلمين بسبب سوء معاملتهم. وبعد ذلك صدر أمر من ملك الملوك، وكتب "يارليغ" إلى كل البلاد وأرسل رسلا إلى كل مدينة وبلدة لتخريب الكنائس ولنهب الأديرة . وحيثما ذهب الرسل وجدوا المسيحيين واقفين أمامهم لخدمتهم♦ ولتقديم الهدايا لهم. فكانوا أقل قسوة وأكثر تسامحا، لأنهم كانوا أكثر شغفا بجمع المال من التخريب. وفقا لما حدث فى مدينة إربل عندما وصل الجنود إلى هناك ظلوا عشرين يوما ينتظرون اقتراب بعض المسيحيين ليأخذوا مقدارا من الذهب ويبدون نحوهم كرما(نظير أن يتركوا الكنائس الموجودة هناك بلا تخريب)♦♦ ولكن لم يقترب منهم أحد، ولم يستطع المطرابوليط الموجود هناك تحمل عبء الكنائس، ولم يوجد رجل آخر يتعهد برعايتها. ولكن اهتم كل فرد برعاية شئون منزلهٌ الخاص،وبذلك سنحت الفرصة للكفار للظهور، ووضعوا يدهم هناك على ثلاث كنائس فاخرة (وضربوها نهائيا حتى أساساتها)♦♦♦.

حدث ذلك فى اليوم الرابع♦♦♦♦ من الأسبوع الثامن والعشرين من شهر تشرين من هذا العام .ولما سمع أهل نينوى بالاضطراب الذى حدث هناك فزعوا جدا وخافوا، ولما عبر النبلاء والجنود إلى منطقة الموصل تقرب إليهم بعض الرجال الذين يحبون العمل المقدس للكنائس، وأغدقوا عليهم كثيرا من الذهب. ولأنهم كانوا لا يملكون أى شيء من مال الدنيا

♦♦♦ هذه الفقرة غير موجودة فى الترجمة الإنجليزية.

♦ لخدمتهم : غير موجودة هذه الكلمة فى النص السريانى/ فهى موجودة فقط فى الترجمة الإنجليزية .

♦♦ هذه الفقرة غير موجودة فى النص السريانى.

♦♦♦ هذه الفقرة غير موجودة فى النص السريانى.

♦♦♦♦ اليوم الرابع هو يوم الأربعاء.

وضعوا يدهم على معدات وأثاث الكنائس، ولم يتركوا صليبا ولا أيقونة ولا مبخرة ولا كتابا مقدسا مطعما بالذهب والفضة إلا أخذوه. ولم يكتفوا بذلك بل جعلوا المؤمنين فى المدن والقرى يدفعون مبلغا من المال، فوضعوا يدهم على ما يقرب من خمسة عشر ألف دينار ودفعوها بدلا من خراب الكنائس. وبمساعدة الرب لم تخرب كنيسة واحدة. وفى هذه الأيام كان جماعة من المغول - تدعى أويرات - يمضون الشتاء حول دير مارمتى، واشتكوا من ملك الملوك فجاء إليهم رسل يسبون ويهددون، لأن فى أيام حكم الملك بايدو سيطر الأويرات على بعض التركمان، وأخذوا منهم الخيام والأبقار والقطعان والجياد والخيول والبغال والجمال بدون عدد. وبعد أن انتهت مملكة بايدو وحكم غازان صدر أمر أن كل ممتلكات التركمان يجب أن تؤخذ من الأويرات، وكل من يقاوم يموت موتا. ولأن معظم هذه الممتلكات قد انتهت ولم يبق منها شيء مع الأويرات؛ فقد قاسوا بلاء شديدا واضطُهدوا من الرسل من التركمان؛ فانقضوا على رسل المغول، وعلى التركمان وقتلوهم وأخذوا نساءهم وكل ما أمكن حمله، وهرب ما يقرب من عشرة آلاف جندى ومحارب إلى سوريا. حدث هذا فى اليوم الثالث ♦من الأسبوع التاسع والعشرين من شهر كانون الأول سنة ١٦٠٧ يونانية (١٢٩٦ ميلادية).

وفى هذه السنة لم يخرج رجل من مخربى سوريا القساة إلى الحى الشرقى؛ وتحركت العدالة ضدهم، تلك العدالة التى تمهل ولا تهمل، واتهم بمصائب فى شكل مجاعة وأمراض أصابت بلادهم وخاصة مصر. ولقد قيل: إن الإسكندرية قد خلت من الأهالى. ولأن تلك القصة لم تصل إلينا بدقة، فإننا لا نتحدث عنها بتوسع بخصوص إشاعات الناس المثيرة، وإنما هى تدور بلا شك حول مجاعات وأوبئة، أما عن كيف وأين ومتى فنحن لسنا متأكدين حتى يومنا هذا.

♦ اليوم الثالث: هو يوم الثلاثاء.

أسطورة بناء مدينة وقرية دارا[٣٤٦]

فى سنة ٨٢٠ يونانية السنة الثامنة عشرة لحكم الملك أنسطيا (أنسطوس) بنيت مدينة دارا بجانب حدود نصيبين، وأسماها أنسطيا على اسمه. قال يوحنا الأسيوى فى "كتاب الشمس"، الذى يتعرض فيه للتأريخ عن سبب بنائها ، وهو: أن تاجرا عظيما ذا هيبة من بلدة أنطاكية كان يتنقل بتجارته من بلاد الشرق حتى استقر فى بلدة صغيرة كانت منخفضة عن المكان الذى بنيت فيه دارا. وقد أمضى الليل هناك فى حجرة فى منزل فلاح سريانى مسيحى من العرب. وحدث أن رأى هذا التاجر حلما أنه كان فى حديقة هذا الرجل شجرة عظيمة وجميلة ورائعة ولم يكن فى العالم مثلها، وكانت هناك طيور كثيرة قد اتخذتها مأوى لها وهى تغرد وتصيح على أغصانها، وكانت لهذه الاشجار سبعة وعشرون غصنا رائعًا وبها فواكه تؤكل، وكانت تستقر عليها كل أنواع طيور السماء ، وكانت هذه الطيور تأكل من هذه الفاكهة، ومع ذلك لا تذبل أوراقها بل هى باقية كما هى. وعندما استيقظ التاجر تعجب كثيرا لحلمه ولم يصدق أن صاحب هذا المنزل يمكن أن ينجب ملكا، فنادى عليه وسأله: "هل لك أبناء ؟" فأجاب :"لا ياسيدى، نحن عقيمان وليس لدينا أبناء ". فقال له التاجر: " لو حدث ورزقت بابن فبعه لى. خذ ثمنه منى، واكتب وثيقة يكون بمقتضاها أنه لو جاءكم ابن فيكون لى الحق فى أخذه. اقبض الثمن فلن أطالبك بشىء إذا لم ترزق بابن". وقد نصحه كذلك أهله وزوجته بأخذ الذهب وقالوا له: "إن رزقتما بولد فعلى بركة الله، وإن لم ترزقا فسيزول فقركما". وكتب الفلاح الوثيقة المتعلقة بهذا الموضوع للتاجر الذى أخذها وعين شهودا من كل سادة القرية ووزن له الذهب حسب القيمة المتفق عليها بينهما. وعندما رحل الرجل بأمر الله فتح الرب رحم المرأة، وولد لهذا التاجر صبى ذكر جميل الطلعة مرغوب فيه

وقوبل بسرور وفرح به كل أهل القرية. وعندما كبر وناهز السابعة ظن أهله أن التاجر قد مات، ولكن فجأة ظهر التاجر وجاء مسرورا إلى حديقة المنزل، ولما رأى الطفل عرفه وعندما سأل أخبروه ابن من هو، فأمسك بالولد، وعلى الفور أخرج الوثيقة الموجودة معه، وقرأها وأظهرها لكل الناس. وبعد أن تأكدوا من صحة الكتابة وتوقيعات كل الشهود عليها لم ينازعوا التاجر بأى شكل، فأخذ الولد. فأعطاهم التاجر ذهبا أكثر يعينهم على الحياة لفترة أطول ورجع إلى منزله، فقاموا بتعليم الصبى، ودرسوا له وجعلوه عالما بكل أنواع المعرفة الموجودة فى المدينة وعلموه قوانين الملوك. وكان هذا الصبى كالشعلة المتوهجة يضيء المدينة كلها، وكان كل فرد معجبا به لعمق فهمه وسعة علمه وجم تواضعه، وأجمع الكل على أنه لائق للملك جدير به. وفى أثناء تنقله مع الرجل العجوز متاجرا فى البلاد أراد لهم الله أن يذهبوا إلى مدينة بيزنطة الملكية، وعندما عسكروا عند بوابة المدينة توفى الإمبراطور زينون المؤمن ولم يكن له ولد يجلس من بعده على عرشه، فثارت المدينة كلها. وفى هذه الليلة ظهر ملاك الرب فى منام لكبير قساوسة المدينة وقال له: " اذهب إلى البوابة الشرقية للمدينة وافتحها". فكان هذا الشاب أول من دخل من بوابة أنسطوس فنصبوه ملكا. وعم المدينة السرور وعظم شأنه وزادت قوته، ومنحه الرب كثيرا من البهاء والتكريم، كما لو كان فعلا من سلالة ملكية. ولقد كان التاجر العجوز راغبا فى مقابلة الملك، ولكن لم يجد أى وسيلة يستطيع أن يصل بها اليه. وقد ظل لمدة ثلاثة شهور مضطرب العقل، وعندما سأله رجل من أبناء المدينة كشف له قصة الشاب كاملة فنصحه صديقه قائلا: "الملك لديه حديقة يجلس فيها بجانب النافورة، فاذهب إلى رأس المياه، واكتب قصة الملك كاملة وأخْبِرْهُ فيها بحقيقة شخصيتك، وضع المكتوب فى علبة مشمعة أرسلها مع المّاء". ولما فعل ذلك وصلت اليه، وقرأها الملك وعرف أين الرجل العجوز الذى رباه، فأرسل إليه وأحضره أمامه وكرمه وخلع عليه الملابس الفاخرة ورفعه لدرجات عالية من الفخامة والمجد وأشركه معه فى الملك. وكان الرجل العجوز يكرر عليه

دائما قصته منذ اللحظة التى رأى فيها الحلم حتى هذا اليوم. فأرسل الملــك، وأحضر إليه والديه وكان معهما ابنان آخران فكرمهما، وعظمهما وطلبا منه أن يبنى لهما دارا المدينة العظيمة فأرسل الصناع، وأحضروا المـــاء إليهـــا وبدأوا فى بنائها ولم يوجد ما يماثلها. وجعل والده مشرفا علــى بنــاء دارا، وأعطاه اثنين من الحرفيين شديدى المهارة والعقل: تيودسيوس وتيودوروس ابنى شبينس، وهما رجلان مشهوران ومعروفان ولا يوجد نظير لهمـــا فــى العالم ، فقاما ببناء مدينة دارا وارتفعت، وتوجت بكنائس جميلة وفخمة لم يبن مثلها للمسيحيين. وجعل بناءها قويا لأن أرضها كانت مليئة ببرك الميــاه ، ووضعوا خزانات مياه كبيرة تحت الكنائس أحاطها بحائط كبيــر، وأبـــراج قوية، وخندق خارج الحائط، وبنى على موقع أقل ارتفاعا مقابل نصيبين قلعة قوية ولكنها صغيرة بها اثنا عشر برجا.

مقتل نوروز المطارد

كان هذا الرجل خبيرا بفنون الحرب والقتال، وكانت تخشاه بشدة قوات المغول المرابطة فى منطقة خراسان؛ لأنه كان فى كثير من الأوقات يثــور ويحارب ملك الملوك، ثم يتراجع من جديد ويتــصادق معـــه مـــرة أخـــرى بالكلمات المعسولة والسلوك الملتوى ... كلب ... كلب.

فى هذا العام سنة ١٦٠٧ يونانية ٦٩٦ هجرية أعطى غـــازان ملــك الملوك وعودا وجاء لمساعدته وكان يبدو خاضعا تماما لإرادته، ولم يكن ذلك لخوفه من الرب ولكن لأمور خبيثة أسرها فى قلبه. كان غازان ملك الملوك رجلا حكيما جدا ولايوجد إنسان يمكن مقارنته به من حيث الــذكاء والفهــم ولايخفى عليه تدابير نوروز ونواياه، ولذا لم يسمح له أن يكون دائمـــا فـــى خدمته، ولكنه كان يرسله بعيدا فى مناطق الشرق النائية ومنـــاطق أخـــرى شبيهة، وكان ذلك لا يوافق هوى نوروز لرغبته فـــى أن يكـــون مستـــشارا ومصاحبا للجيش الكبير ومسئولا عن بيت المال، حتى يمكنه أن يجد الفرصة

لتنفيذ أفكاره الخبيثة التى يخفيها. وظل تفكيره على هذا الحال لمدة عــامين ولكنه لم يستطع الانتظار، فعندما ذهب ملك الملوك لتمضية الشتاء فى بغداد كتب المطارد خطابا لكل واحد من إخوانه الذين فى خدمة ملك الملوك قــائلا لهم: "أنا الصاحب الحقيقى هنا.إنى أحكم فى المكان الذى أنت فيه". وبمشيئة الرب وقع هذا الخطاب فى يد غازان، فقبض فورا على الذين تسلموا رسائله وقتلهم جميعا بحد السيف وأفناهم تماما، وجهز جيوشا كبيرة وعين قطلج شاه الأمير العظيم قائدا له ، فذهب ولحق المطارد عند الحدود الخارجية لخراسان وانقض عليه وقتله، وقطع رأسه وأحضرها إلى غازان ملك الملــوك. أمــا الذين كانوا يرافقونه فتشتتوا ومحى اسم نوروز وأصبحت ذكــراه ملعونـــة. حدث هذا بعد أن دمر نوروز الكنائس لمدة عــامين (أى فــى ســنة ١٦٠٩ يونانية ١٢٩٨ ميلادية). وعندما هدأ بال غازان من التفكير فــى الأعــداء ومواجهة الخبثاء شعر بالراحة، ورأى أن ملكه قد توطد، ولم يبق أحد يعمل على إيذائه إلا جنود فرعون(المصريين). كان هؤلاء الرجــال يــأتون مــن سوريا كل عام يأسرون وينهبون ويسفكون دم الجنود المساكين من أرمينيــا وفلسطين وبين النهرين وأشور والقطائع[٣٤٧] ، وكانوا ينشرون الــذعر فــى بلاد صقلية بصورة لا يمكن للكلمات أن تصفها. ولقد قاسى هــؤلا الأرمــن بسببهم حتى أعطوهم فى النهاية نصف بلادهم، كما كانوا يدفعون لكل أميــر جزية فى شكل كميات كبيرة من الذهب والبغال والخيول والشعير والشوفان، وهدايا كثيرة مختلفة وأسلحة كانوا يقدمونها لكل أمير علــى حــدى. وكــان التجار العرب يدخلون ويخرجون بكبرياء استفزازى، ويــشترون ويبيعــون أشياء ثمينة من كل نوع وفى خلال العامين أو الثلاثة التى عاشها الأرمن فى هذا البؤس، وهذه التعاسة كانوا يفضلون الموت على الحياة . لقــد حولــوا بصرهم فى كل الجهات فلم يجدوا نصيرا ولاملجأ ولاصاحب بأس يحمــيهم من استعباد المصريين، إلا غازان ملك الملوك. لذلك لجأوا إليه واحتموا بـــه طالبين مساعدته وانضموا لجيوشه ، وقد أرســلوا إليـــه نــداءهم بواســطة مبعوثين، وذلك بالسجود والتوسل والابتهال والبكاء والعويل والتنهدات ليمــد

لهم يد المساعدة، وينقذهم من الطغيان الفرعونى. كان ملك الملوك رجلا عطوفا وعادلا ومحبا للحق، فاستجاب لتوسلاتهم ورأى موقفهم بوضوح وكيف أسيئت معاملتهم وأن ذلك فوق قدرة الاحتمال ، وكيف أنهم تعذبوا بدون رحمة. كان بعض الطغاة قد أرسلوا ووعدوهم بوعود طيبة . لقد وهب ملك الملوك نفسه تماما لخدمة جميع أهل مجوج، وكثير من جنود مدين وأيبريا وجحافل من جيوش اللان فرسانا ومشاه، وكذلك جمع ملك أرمينيا قواته، وأمر غازان أن يكون هدف كل القوات التى تصل هو غزو سوريا. فالذين كانوا فى بابل يجب أن يسيروا فى هذا الطريق الصحراوى، والذين ينتمون إلى بلاد الروم يتجهون فى طريق ملطية وأبلستين والأرمن من ناحية حلب. أما غازان لأنه كان فى ضواحى الموصل فقد سار مع الذين كانوا معه فى اتجاه سنجار والخابور، وعبروا الفرات بالقرب من قلعة ألبيرة. واتخذ من تلقاء نفسه قرارا أن لا يؤذى أى مزارع أو فلاح من شكيم، وكذلك زرعه، أو أى صانع مشغول فى عمله، ولكن يتعرض فقط لعمال الحقول المقاتلين، وللرجال الأصحاء الجسد المقاتلين الذين يضعون ثقتهم فى سواعدهم ولا يخشون الله. وعندما وجد المغول أنفسهم فى بلاد سوريا بين حماة وحمص أصابهم الفزع من جنود فرعون ، كان هؤلاء القوم يتحلون بالذهب والفضة كالعرائس وكانت ألجمة خيولهم وسروجها وأسلحتهم الحربية مرصعة باللؤلؤ والأحجار الثمينة المختلفة، ولقد وضعت أمام القادة لحوم ومشروبات وأطيب أنواع الطعام من مختلف الأصناف لتغذيتهم بلا حدود، وخرج آلاف المقاتلين ليس عن شجاعة ولكن لأن الحرب قد اقتربت. وقد قال أحد المقربين من غازان إنه عندما نظر غازان فى الصباح الباكر رأى وجوه جحافل المصريين ترسل إشعاعا مثل الفحم المتوهج، بينما وجوه المغول فى الظل ، فانسحب غازان خائفا، وارتعدت ركبتاه وبدأ يقول لرشيد الدين الرجل المسن: "ماذا سنفعل وكيف نستطيع البقاء؟". فشجعه رشيد وشد من أزره وقال له:" الجأ إلى الرب بكل قلبك وعقلك ولا تقلق ". فنزل غازان من فوق جواده واتجه إلى رفاقه وهم يرتدون لباس الحرب، وثبت غطاء

الرأس، ووضع الخوذ على رؤوسهم. ورغم أنه كان شخصيا فى حالة حزن فإنه شجعهم قائلا:" لاتخافوا ، هل هؤلاء رجال ونحن نساء ؟ فى مثل هذا اليوم يتميز الشجاع والمقاتل عن الجبان والخائن. الآن إذا كان بينكم أى رجل لديه الرغبة الشديدة أن يعد من بين المقاتلين الشجعان، فليحارب وسيظهر، وسيرتقى مع رفاقه إلى الرتب العليا فى الجيش".وبهذه الكلمات وغيرها جمعهم للقتال وشجعهم على خوض المعركة. وفى هذه الأثناء كان واقفا من الأمام ليراقب المقاتلين ويداه مرفوعتان إلى السماء يدعو الله أن ينصر جنوده. وكان المصريون متكبرين؛ يضعون ثقتهم فى أسلحتهم ، وكان كل قائد يسخر ويحقر من زميله . وعندما ذهب قائد الألف والذين معه إلى القتال ضحك زملاؤه ولم يبذلوا جهدا لمساعدته وكانوا مهملين. وفى النهاية هُزِمَ هذا القائد وانكسر بواسطة المغول، وانسحب مجللا بالعار كما قام بقتل عدد من الرجال الذين يرافقونه. هكذا خدعوا الواحد تلو الاخر حتى سقط عدد كبير من فرسانهم وانسحبوا ولم يتمكنوا من القتال. عندئذ بدأ المصريون يتشاجرون فيما بينهم ويلقون بالمسئولية، كل على الاخر. فانقض المغول كالطوفان الهابط من جبل عال جدا على هؤلاء البؤساء ، فأطاحوا بهم، وألقوا بأسلحتهم أمام المغول وهم يسحبون ملابسهم وأقواسهم وسهامهم ، وتركوا خلفهم جمالا وبغالا وخيلا لا حصر لها، وهربوا. وقد لحق بهم المغول حتى وصلوا إلى أبواب مدينة غزة، واستولوا على دمشق ونهبوها وكذلك حماة وحمص، ووصلوا إلى أورشليم وأنطاكية وطرابلس، وتسلقوا الجبل الأسود الذى جمع شعوب الأكراد والعرب والتركمان.، وهناك أسروهم واستولوا على عدد لا يحصى من الغنم والماشية.

وبينما الجيوش موزعة فى هذه البلاد بقى غازان ملك الملوك فى دمشق فى جبل الصالحية[٣٤٨] ولكنه لم يذهب إلى المدينة ، وكان ملك الأرمن فى خدمته. ولقد أنشا غازان صلات طيبة معه، وقال له بطريقة ساخرة :"هذا العمل خفيف على قلبك" . وقَبَّل الأرض أمامه، وشكره وبقى هناك لمدة شهر حتى اجتمعت الجيوش المتفرقة على الحدود البعيدة لبلاد سوريا ، وحضرت

من كل جانب. وقد خرب الأرمن تخريبا كبيرا فى جبل الصالحية، كما خربوا تماما الكنائس الكبيرة؛ لأن مبانيها كانت مبينية من كميات كبيرة من الخشب . وعندما اجتمعت الجيوش بأسلابها وكنوزها اتجهت أبصارهم جهة الشرق ووصلوا فى سلام.

وفى سنة ١٦٣٤ يونانية كان المطر قليلا فى نينوى، ولم يكن هناك محصول ، ومن بعد ندرة المطر هاجم المرض كل الرجال بمختلفِ طبقاتهم.

ذهاب الهون والفرس والمغول إلى بلاد ديار بكر

فى سنة ١٧٠٥ يونانية ٧٩٠ هجرية اندفع من سمرقند عدد لا يحصى من الهون والفرس والمغول من سلالة جنكيزخان الأول، وحضروا إلى تبريز، ومن هناك ولوا وجوههم للذهاب إلى بغداد . ونقل السلطان أحمد كنوزه وزوجاته وهرب إلى مصر، ونزلت جنود المغول وكان صاحبهم تيمور لنك ، أما خالهم فكان السلطان محمود، وقد سلبوا وأحرقوا فى بغداد ، ومن هناك جاءوا إلى تكريت. ولكن الأمير حسن صاحبها لم يخضع لهم ، وعسكروا حولها لمدة ثلاثة شهور، ولكنهم لم يتمكنوا من التغلب على قوتها. وكان الأمير حسن رجلا شجاعا جدا، ماهرا فى فن الحرب، فشجع أهل تكريت وأكد لهم أن تيمور قد خان العهد الذى أقسم به أمام والده الأمير حسن وأنه لن يستطيع أن يأخذ المدينة بالسيف، ولكنه خدعهم. ولقد فتحوا القلعة ونزلوا إليه، ورجع بإيمانه، وأمسك الأمير وكبله بالأغلال وقتل كل الرجال المحاربين، وحمل غنائم كثيرة ونساء وأبناء وبنات، ودمر المدينة تماما. ولقد حضر إليه الشيخ على الحاكم الإربلى فتوسل إليه ليؤمنه على حياته، وكذلك صاحب الموصل المسمى يارعلى التركمانى بن بدر خواجة، ونزل إليه واستجداه عهدا يؤمن به حياته. ولقد عبر تيمور خان إربل ولم يتعرض لها، وجاء إلى الموصل بسلام، وخرج رجال الموصل أيضا ليستقبلوا. وعندما سمع صاحب الجزيرة فى قاردو – ويدعى عز الدين الكردى – أن تيمور

وصل إلى الموصل أرسل إليه أخاه المسمى مجد الدين محمـلا بالهـدايا، واستقبله تيمور مسرورا، وأسعد قلبه وعاد ووصل إلى ضـواحى مـاردين. وعندما ذهب تيمور إلى سهل باعربايا ذهب إليه عز الدين ثانيـة واسـتقبله بسرور، وكذلك سيد قلعة كيفا المسمى الملك العادل سـليمان، وسـيد أرزن الروم المسمى السلطان سرتا شوخ،* الذى ذهب إليـه واسـتقبله بعطـف. وعندما وصل إلى ماردين لم ينزل إليه سيدها الملك طاهر الدين عيسى. كان وجه تيمور مصوبا نحو بلاد فلسطين ليس لشن حربا عليها بـالقوة، ولكنـه تحيل على الملك الظاهر وأنزله من قلعته وكبله بالأغلال ووضعه فى قفص ، وبعد ثلاث سنوات أرسله بعيدا . بعد ذلـك هـاجم تيمـور رأس العـين وحاصرها، وقتل هناك وخرب وأحرق كثيرا من الأهالى ، ثم جاء إلى آمـد البائسة وأخذها بالسيف وقتل وأسر من أهلها عددا لا يحصى بـين رجـال صغار ، ونساء صغيرات كالأقمار وأحرقهم تماما بالنار، وهاجم الرها سيئة الحظ وصنع بها أكثر مما عمل فى آمد. ومن هناك ذهب إلى شاطئ الفرات ، ولكنه لم يتمكن من العبور لأن جيوش ملك مصر المسمى السلطان برقوق كانت جاهزة، ومعها كميات كبيرة من الحبوب. ولقد تراجـع تيمـور عـن شاطئ الفرات، ونزل إلى سهل بيت عربايا وعاد إلى الموصل ، ولكن ابنـه الأكبر المدعو الأمير شاه جاء إلى آمد ونزل عند طور عبدين وشن عليهـا حربا شعواء ، وخرب ووضع الرجال فى أماكن خفية . وفـى ديـر مـار جبرائيل فى قرتمين خنق ثلاثمائة نفس واثنين وثلاثين راهبا، وكذلك رئيسهم القديس يوحنا، وذهب إلى قرية صغيرة فى طور عبدين تدعى بيت إسحاق ، وكان سكانها يقيمون فى قلعة القرية فرماهم بالنار وحفر ثقبـا فـى البـرج الجنوبى ودمره. وأسرع رجاله، وانقضوا عليهم كالذئاب الظمأى للدم فقتلوا الرجال وأسروا النساء والبنات، وباختصار أبادوهم جميعا، ومن هناك ذهب إلى الشرق إلى الجزيرة إلى بيت شرابا، وطلب من سيدها بعضا من القمـح

---

* سرتا شوخ : فى الترجمة الإنجليزية: "سراشوخ".

والهدايا.ولكن لم يكن لعزالدين سيد الجزيرة قادة شجعان، فأخفوا القمح وقاموا بإرسال كميات صغيرة على دفعات، فغضب الأمير وأمر قواته أن تسلب وتنهب الجزيرة. ترك عز الدين المدينة وصعد إلى الجبال الشمالية ودخل المغول الجزيرة ونهبوا وأحرقوا . كان الشتاء فى شدته والمدينة محاطة بمياه دجلة كالبحر ، وعبر المغول إلى داخل الجزيرة دون عائق كما لو كان نهرا صغيرا، وأخذوا كل الآثار والمعدات من كنيستنا العظيمة كنيسة اليعقوبيين، واستمر النهابون يعبثون فى المدينة لمدة سبعة وعشرين يوما، واتجهوا إلى الموصل ثم إلى تيمور. وفى الربيع غاد تيمور مرة ثانية وهاجم ماردين فى اليوم الثالث من أسبوع الآلام، اليوم الرابع عشر من شهر نيسان (إبريل)، ودخلها . وفى يوم خميس الأسرار أسر وقتل وسلب وخرب تخريبا عظيما ، ثم أخذ قلعتها ولكنه غادرها وصعد من ماردين إلى البلاد العليا للروم وذهب ثانية إلى تبريز ، وعند نهاية العام نزل إلى بلاد الصين ،أى: "الخطاى"، وعبر إلى الهند وأخذ غنائم كثيرة وذهبا وفضة مختومة ، وقبض على ابن ملك الهند وقيده بالأغلال والسلاسل، وأحضر من هناك كثيرا من الفيلة، وعاد إلى سمرقند.

وبعد سبع سنوات فى سنة ١٧١٢ يونانية(٨٠٢ هجرية ١٣٩٩ ميلادية) جاء إلى تبريز، وأخذ قلعة النجاة من السلطان الظاهر بن السلطان أحمد البغدادى الذى كان يقيم فيها لمدة خمسة عشر عاما ؛ لأنه كان قويا جدا ولأن الأيبريون – أى الجورجايا – ساعدوه لأنه كان من أقربائهم. ورغم ذلك فقد لاقى فى النهاية بعض الصعوبات فهجرها وهرب إليهم، فقام تيمور خان وعبر إلى بلاد قيليقية ودخل سبسطية التى كان فيها السلطان أحمد البغدادى وقرا يوسف وقرا محمود التركمانى، وأسر نساءهم وأبناءهم وسلب كنوزهم. وقد هرب هؤلاء الرجال من هناك وذهبوا إلى بلاد الروم ثم إلى سبسطية.عندما رأى هؤلاء الرجال التعساء ما حدث لهم توسلوا طالبين عهدا بالأمان لأرواحهم ، وأقسم لهم أنه لن تخرج أى قطرة دم من جسد أى واحد منهم وفتحوا أبواب المدينة ودخل الهون الأشرار وأكرمهم تيمور قائلا:

"أجمعوا لى أحسن رجالكم".فجمعوهم أمامه فأمر وحفرت لهم بئـر، ودفنـوا أحياء فى الأرض، وهو ما لم يفعله أحد من قبل. وأسروا الفتيات، وتركـوا المدينة خرابا وصحراء. أمر تيمور قواته وعبرت الفرات سريعا وعسكرت عند حلب، وفى ثلاثة أيام أخذ المدينة وقلعتها ودمر جوامعها ، ومن هنـاك ذهبت قوات تيمور إلى حماة وحمص ، فجمع الناصر بن السلطان برقـوق ملك مصر قواته، وسار أمامه إلى دمشق ، فخاف منه تيمور وأرسل رسولا يفرض السلام. وأجاب برقوق:" هذا سلاحى ويجب أن أقاتلك .إما أن تأخـذ مملكة مصر كلها، أو تترك العرب حيث ألقيت بسيفك". وعندما سمع تيمور خان هذه الإجابة القاسية أصابه خوف شديد وأرسل رسـولا آخـر وقـال لبرقوق:" أنا لا أطلب منك شيئا إلا أن تضرب العملة باسمى، وسأعود إلـى بلادى وأنتم ملوك وحكام فى بلادكم". وأجاب ملك مصر:" من المستحيل أن يكون هناك ملكان فى مملكة واحدة. فقل لنا: ماهى ديانتك؟ إن كنت مسيحيا فاعلم أنك لا تظهر أى رحمة للمسيحيين ، وإن كنت يهوديا فأنت لا تطيق أن يعيش اليهود، ولو كنت عربيا فانظر لقد محوت العرب من الوجود، وهدمت مساجدهم وقتلت قضاتهم، وأحرقت علماء مدينتهم. لايوجد أمامنا طريق للقاء بعضنا إلا القتال بالسيف". وأجاب تيمور:" إذا كان الأمر كذلك، فلم يبق لنـا ما نتطلع إليه إلا الغد". كان تيمور قريبا من دمشق فرفع معسكره، وتراجـع قليلا وجهز قواته يحاربون فى المعركة مبكرا فى اليوم التـالى. ولكـن لأن ملك مصر كان صغيرا ولم يتجاوز الثالثة عشرة من عمره تمرد عليه خمسة من عبيد أبيه، وعادوا إلى مصر فى الليلة التى كان يستعد فيها ليحارب حتى يتمكنوا هم من حكم مصر. وبلغه ذلك فى منتصف الليل فتقدم مسرعا وقال لقواته :" اعلموا جيدا أننا يجب أن نغادر دمشق فورا؛ لأنه لو أخـذت منـا مصر فسنحرم من ملكنا ، وإذا بقيت مصر فى يدنا فإن تيمور خان سـوف يدمر دمشق، ونحن سيمكننا أن نقيم فى المدن الأخرى". وهجر دمشق وعاد إلى مصر مع قواته، وفى الصباح الباكر جهز تيمور قواته وانتظر المعركة. وعندما لم يجد أحدا قد حضر لمحاربته سار بسرعة نحو دمشق ولم يتـصد

رجل لمقاومته، وتشجع كثيرا عندما علم أن الملك برقوق قد رجع إلى مصر، وسارت جيوش المغول فى المدينة المسكينة، وأحرقوها وتركوها كومة من الرماد لأنها كانت مبنية من الخشب، وأخذوا وأسروا وأحرقوا وقتلوا أناسا كثيرين، كما خربوا جامع بنى أمية تخريبا عظيما ، وترك تيمور دمشق سريعا، وعبر الفرات ثانية وعسكر عند ماردين. وكان فى غرب بلاد ماردين دير يسمى الدير الجديد ، وكان يعيش فيه ثلاثة آلاف شخص ، فاستولى عليه المغول بالسيف، ولم يتركوا أحدا حيا صغيرا أو كبيرا . وجاء وعسكر عند مدينة ماردين التعيسة ، فقام الملك العادل سليمان صاحب قلعة كيفا، والسلطان سرتا شوخ صاحب أرزن الروم، وعزالدين صاحب الجزيرة، ومن كاردو انطلقوا، وذهبوا إلى تيمور فقابلهم مقابلة طيبة، ولم ينزل إليه الملك طاهر الدين عيسى صاحب ماردين، الذى كان صاحبها، وحارسها فى الوقت نفسه من قلعة ماردين. فغضب تيمور خان وهدم أسوار المدينة ومنازلها وأسواقها وجوامعها وأبراجها وترك المدينة خرابا. وذهب إلى بغداد وأفناها تماما بحد السيف ، ومن هناك ذهب إلى موطنه فى تبريز، ولم يدخل أى معارك حربية خلال الشتاء. وبعد هذا العام ندر الطعام للغاية حتى إن بوش القمح قد وصل سعره إلى ستمائة زوزا.

وفى سنة ١٧٦٢ يونانية (١٤٥١ ميلادية) جاء شاهنشاه إلى بلاد الترك من بيت عثمان، ودخلوا أرزنجان وأخذوها من الشيخ حسن ، وجاءوا إلى ماردين وعسكروا حولها وحاصروها، ووصل بوش القمح إلى ألف زوزا . ثم حدث أن هزمه حسن بك فى سهل موش، وقتله وأخذ ملكه. المجد للخالق الذى لا يتغير ..آمين.

الحرب التى قام بها تيمور خان فى طور عبدين

فى سنة ١٧٠٦ يونانية استولى تيمور خان على آمد بعد أن خرب جوزه [٣٤٩] وكل القرى، وأحرق المغول كل سكانها بالنيران. ومن هناك

غادروها، وذهبوا إلى بلاد بيت ريشا وطور عبدين ، فاحتمى بعض الأهالى فى قلعة كيفا، أو القلعة الصخرية، وفى قلعة حيتام، وفى القلعة الجديدة، وآخرون اختبأوا فى فتحات الكهوف، وبعضهم اختبأ تحت الارض، فأشعل المغول النيران فوق هذه الأماكن واختنق كل من كان فيها، وفى بيت أبشاى خنقوا أكثر من ثلاثمائة نفس ، وفى كفر شاما ثلاثمائة آخرين، وفى مدياد خنق الملك ومعه رهبان وأناس كثيرون، وحضر (المغول) إلى دير قرتمين. وقد اختبأ رهبانه المعروفون فى كهف تحت الدير فى الجنوب يسمى "بار سيقاى" . كما حضر إلى هذا الكهف جميع مواطنى المنطقة من كل القرى، وكذلك من نصيبين، ومن المعرة حضروا وذهبوا إلى هذا الكهف الذى ذكرناه. لقد سمع عنه هؤلاء الملاعين واجتمعوا كلهم عنده وصروا على أسنانهم ودخلوا عليهم، ولكنهم اختبأوا جميعهم. وقد أدى ذلك إلى اختناق أربعين راهبا كما اختنق أيضا القديس يوحنا، وهو ابن توما السبيرينى ومن مواطنى المنطقة اختنق خمسون نفسا.وقد قاموا من جديد وخربوا البلاد والقرى، وأيضا بيت إسحاق وأخذوه بالسيف، وقتلوا كل من وجدوه ، وأسروا وقيدوا بالأغلال عددا لا يحصى . لقد انتشر هؤلاء المخربون فى كل المقاطعات وقاموا بنهبها كلها ما عدا قلعة كيفا، وقد حلت المجاعة والطاعون فى كل البلاد التى ذهبوا إليها.

وفى سنة ١٧٠٧ يونانية قام نزاع بين الأتراك والملك العادل سيد قلعة كيفا، فى هذه السنة ثار جزر الدين ضد صاحب ماردين وأخذ قلعة برحا وخرب القرى التى حولها، وظلت جميع البلاد الغربية فى حالة خراب. وظل هذا المتمرد كالذئب ينصب الكمائن على كل الطرق.

وفى سنة ١٧٠٩ يونانية قرب نهاية شهر أيلول (سبتمبر) استولى بدر الدين صاحب حيتام على بلدة ديرونيتا الموجودة فى سهل عربايا وكذلك على أهلها وقام خلفهم الشيخ محمد وجعلهم يفرون وطاردهم، وجردهم من تجهيزاتهم وأسلحتهم التى كانت غير قليلة، وأسر منهم الكثيرين، منهم:

بدر الدين، ورئيسنا ملكوس السبيريني وآخرين، وبعد قليل أطلق سـراحهم. وظل بدر الدين مريضا لمدة طويلة وذهب إلى قلعة كيفا، وتوفى بسبب جرح أصابه من بلطة حربية.

وفى ١٧١١ يونانية أسر قرا يوسف التركى معسكر العرب المسمى دوجرايا، وحبسهم مع قائدهم فى قلعة جعبر، وكانت المؤن وأسلحة الحرب تصل إلى قرا يوسف من حلب ودمشق وبلاد أخرى.

فى هذا العام ذهب القس إشعيا ليعبر إلى الأرض المقدسة أرض الميعاد، ولكن ذلك لم يكن سهلا لأن الطرق كانت مقطوعة ، وفى أثناء وجوده بماردين سمع برحيل أبانا مار[٣٥٠] أثناسيوس مفريان [٣٥١] الشرق.

وفى سنة ١٧١٢ يونانية انقسم الأكراد الذين يدعون جشايا إلى فرق، فريق يؤثر سيد ماردين، والآخر سيد القلعة، لأنهم كانوا خاضعين له. وأخذوا القلعة الجديدة وظلوا بها لمدة خمسة شهور، وأتت إليهم مؤن الطعام من سيد قلعة كيفا، ولكنه سحبها منهم بالتدريج. وكذلك أغار الأتراك المسمون "بيت تون لوباج" على بلاد محلم، وقام الملك العادل سيد القلعة بنهبهم وسلبهم ، وقتل عددا كبيرا منهم، وجعلهم يفرون من بلده. كان أعداؤه كثيرين فى بيت سيد قلعة ماردين، ومن هنا كانت بداية العداوة.

وفى سنة ١٧١٣ يونانية هجمت جحافل الجراد على كل البلاد، وكانت تحط وتلتهم كل شيء أخضر ، وكذلك الكروم والأعشاب . كان الرجال يطاردونها بالصراخ والدخان.

وفى سنة ١٧١٤ يونانية شن الحسنايا حربا على بيت ريشا وخربوا المعرة، ونصيبين، وحباب، وأربو حيث خربوا دير القديس شمعون.

وفى شتاء هذا العام سقط الملك العادل سيد قلعة كيفا من فوق جواده، ومال فمه بسبب جرح فى خده، وأصبح أعجوبة لكل من ينظر إليه.

وفى سنة ١٧١٤ يونانية فى شهر حزيران (يونيو) ظهر سحاب كثيف مرتفع على هيئة عمودٍ أبيض فى الفضاء، ولقد شاهده كل الناس.

وفى هذا العام نفسه احتفل القديس يعقوب فى التاسع والعشرين من شهر تموز(يوليو) كان هناك رعد شديد قبل الظهر، ومعه سحابة صافية فى الهواء العلوى ، ولم يكن هناك مطر ، واستمر الرعد لمدة ساعة ، وسمعه الناس طوال اليوم من كل البلاد حتى سهل الجزيرة . ولقد اضطرب الكثيرون عند سماعهم لقصف الرعد، فانكفأوا على وجوههم . كانت هذه علامات من الرب كان يرينا إياها لكى نندم على تمردنا وعنادنا وقسوة قلوبنا، فكافأنا الرب لا وفق أعمالنا السيئة ولكن برحمته وعطفه ..آمين.

جزء صغير من كتاب الأزمنة – تيمور خان

فى سنة ١٧٠٥ يونانية جاء تيمور خان الملعون وخرب شمال قيليقية وبلاد ما بين النهرين، ورجع إلى بلدة سمرقند وإلى بلاده فى الشرق.

وفى سنة ١٧٠٩ يونانية كانت هناك معركة عند ديرونيتا ، قرية فى السهل. وقتل بدر الدين صاحب قلعة حيتام، وهزم رئيسنا الملك ملكوس السبيرينى والذين كانوا معه.

وفى سنة ١٧١٢ يونانية جاء تيمور خان الأعرج للمرة الثانية، وخرب كل من بابل وإربل والموصل والجزيرة فى قاردو وماردين. وخنق خمسمائة شخص فى أبرشية قرتمين فى بارسيقى فى كهف تحت الأرض ، وخنق قس الدير ومعه أربعين راهبا. لم يأت الحظ السيء إلى سكان أربو – قرية فى بيت ريشا – بسبب دعوات هذا الرجل الصالح القس بهنام شبتى الذى كان هناك ؛ لأنه بتواضع قدم نفسه بديلا عن أهل القرية، ونزل أمام ابن تيمور خان وتواضع أمامه، وطلب منه أن يرحم أهل قريته. وتسلم من ابن تيمور خان علامة الأمان، وهى عبارة عن منديل ،وذلك بعد أن أخذتهم الشفقة بهم.

ومن هناك عبر تيمور خان إلى ماردين، وأخذ وخرب آمد والرهـا وحلـب ودمشق، وحرق المسجد الأكبر لبنى أمية، والمدينة المقدسة، ووصـل إلـى مصر وتشاجر مع صاحبها.وكانت هناك مراسلات دون فائدة بين السلطان برقوق صاحب مصر، وهذا الكافر الأعرج.

وفى سنة ١٧١٦ يونانية ظهر طاعون شنيع فى بيت منعيم، وهلكـت فيه أرواح أطفال وشباب ورجال كثيرون.

وفى سنة ١٧١٧ يونانية حدث زلزال عنيف واهتزت الأرض، واندكت قرى كثيرة، ودفن الكثيرون فى باطن الأرض.

وفى سنة ١٧١٨ يونانية جاء تشكام المملوك الشامى من مصر، وشن حربا على عثمان التركى فى بلدة آمد وهزم تشكام والذين كانوا معه، وذهب إلى بلاد الشام.

وفى سنة ١٧٢٤ يونانية حل طاعون شديد على كل البلاد ومات القس عدى السريانى من بيت القدس ومعه أربعمائة رجل .

وفى سنة ١٧٢٧ يونانية حرق باب معبد دير قرتمين ، وقد نقل كـل شيء كان بالمعبد ، وسرق أكراد تاشليق الملاعين جزءا مـن يـد القـديس جبرائيل اليمنى، وكذلك الملابس والصلبان والكؤوس والزجاجات .

وفى هذه السنة خرب الأكراد الملاعين كنيسة قرية كبـرات وأخـذوا أيقونات القديس عزائيل ، وفى هذه السنة مات القس حنا قس بيـت رئيـسنا الملكى.

وفى سنة ١٧٢٨ يونانية قتل الربان يعقوب العمودى على جانب بيت سبيرينا، من جنس الأتراك رب أبونا البطريرك بهنام، ومن الأكراد الملاعين من بيت جارود.

وفى سنة ١٧٢٩ يونانية توفى المفريان بهنام شبتاى العربى.

وفى سنة ١٧٣٠ يونانية قتل رئيسنا دنحا وزملاؤه ورئيسنا عيسى ابن رئيسنا الملك. وتوفى رئيسنا الملك السبيرينى، وبعض من كان معه من المعسكر من رجال سنجار.

وفى سنة ١٧٣١ يونانية حارب عثمان مع إسكندر بن قرا يوسف عند شاطئ البحر، وهزم عثمان والحسنايا الذين كانوا معه.

وفى سنة ١٧٣٢ يونانية انتشر مرض كانت أعراضه حمى خطيرة، ومات بسببه ما يقرب من مائة وسبعين نفسا فى بيت سبيرينا وسبعين رجلا من دافعى الجزية، وكذلك القس أدى قريب القس إشعيا يشوع برسوفا والقس يوحنا من بيت تافليق.

وفى هذا العام عين الربان برصوم المعدنى مفريان المشرق.

وفى سنة ١٧٣٦ يونانية توفى السلطان حسن المسمى سليمان الأيوبى ومعه وزيره، وحكم الأشرف بن سليمان.

وفى هذا العام ظهر طاعون مخيف فى كل البلاد ومات القس إشعيا ملفان سبيرينا ومعه خمسمائة شخص، وخمسة من الكهنة وأربعة وعشرون راهبا. ولقد عين أربعة قسس جدد فى يوم واحد، وفى اليوم نفسه مرضوا وماتوا.

وفى سنة ١٧٣٧ يونانية أخذ بيت سبيرينا من عسكر الصنداى ونهب وقتل رئيسنا العزيز. وهبت ريح عاصفة، وجفت عناقيد العنب بعد نضجها.

وفى هذه السنة لم يكن هناك طعام مطبوخ ولاعسل ولاعنب ولاخمر، وكانت هناك مجاعة كبيرة استمرت خمس سنوات. وارتفع ثمن كيلة القمح إلى ٣٠٥ زوزا وكيلة الذرة إلى ٣١٦ زوزا، والفول والعدس والذرة العويجة إلى ٢٤ زوزا الكيلة.

وفى سنة ١٧٤٢ يونانية كان هناك طاعون شديد فى بيت سبيرينا وتوفى ما يقرب من خمسمائة نفس وقسان ، وهما: القس يوحنا بن نصر، والقس يشوع ابن رئيسنا يوسف، كما توفى - أيضا - يوحنا ابن رئيسنا يشوع حندوس.

وفى سنة ١٧٤٣ يونانية أخذت ماردين من أيدى التاجر أمير بيت قرا يوسف . ولقد هجم عثمان التركى وابنه حمزة وعلى بك وغزوا ماردين ، ونزل الأمير على تصر الذى كان هناك، وطارد عثمان وأمسك ابنه السلطان حمزة، ووضع الحديد حول عنقه وحبسه فى قلعة ماردين. وفى مرة أخرى جاء عثمان مع مجموعة كبيرة من الغزاة وحاصروا ماردين ، وخرج ناصر كعادته لمطاردة جماعة عثمان. ولقد رأى النساء اللاتى كن مع الناصر أن حمزة بن عثمان يظهر بهيئة جيدة وشكل جميل . وبمجرد أن ذهب ناصر ليحارب غزاة عثمان أسرعت نساء ناصر وخدمه المشبعون بحب حمزة وصرخوا بصوت واحد فى قلعة ماردين:" العيش الطويل للسلطان حمزة بن عثمان". وعندما جاء ابن ناصر والذين كانوا معه، وأرادوا دخول قلعة ماردين - أغلقت النساء الأبواب فى وجهه ولم يفتحوها له. كان الأمير عثمان عند الباب الغربى فكسر الناصر وأتباعه بوابة الباب الحديد وهربوا إلى السهل، وخلع الذين كانوا معه ملابسهم ونكسوا رؤوسهم.

وفى هذا العام أخذ الأتراك ماردين التى كانت تابعة لسلطان بيت أرتق، وكانت هناك عداوة بينهم.

وفى هذا العام قتل السلطان الأشرف بن سليمان على الفرات فى خيمته وهو يصلى، وحكم بعده ابنه الملك الكامل ، واستولى أكراد بيت جارود على قلعة حيتام.

وفى سنة ١٧٤٤ يونانية غزا السلطان حمزة بن عثمان التركى أرضنا فى حيتام، وحمل معه كل أهالى بيت سبيرينا أسرى، وأسكنهم فى بلدة ماردين حتى أصبح تفكيرهم واحدا، واشتروا مواطن بيت سبيرينا بثمن

مرتفع جدا من السلطان حمزة، ثم ذهب الوزير حسن وجلبهم إلـى القريـة ليعملوا فلاحين.

وفى سنة ١٧٤٨ يونانية هزم حمزة بن عثمان، والحسنايا أصفهان بن قرا يوسف فى سهل باعربايا.

وفى سنة ١٧٤٩ يونانية ظهر طاعون طفيف فى كل بلدنا وتوفى عدد قليل من الأطفال.

وفى سنة ١٧٥٢ يونانية قتل قس الأبرشية برصوما تاشوعا منعمايـا من أكراد تاشليق.

وفى سنة ١٧٥٣ يونانية جاء أصفهان وخرب بلدة نهروان التى كانت تابعة لبلدة بوكتايا.

وفى سنة ١٧٥٤ يونانية توفى البطريرك شمعون بن عوبيدا المانعمى فى القدس، وتوفى بطريرك آخر هو حانزم من عوردانيا فى صلح.

وفى هذه السنة رسم بطريرك فى صلح يدعى سبيرينا برحيال.

وفى سنة ١٧٥٦ يونانية توفى السلطان حمزة بن عثمان وأصفهان بن قرا يوسف.

وفى سنة ١٧٥٧ يونانية حوصرت بابل من شاهنشاه يوسف، ونهبـت بشدة.

وفى سنة ١٧٥٩ يونانية قبض الأمير أحمد صاحب قلعة حيتـام بـن نبتاح على جرزان من جنايا صاحب القلعة الجديدة .

وفى سنة ١٧٦٠ يونانية انتشر وباء الطاعون بدرجة كبيرة ومخيفة فى كل البلاد، وانتفخت أجساد الناس وتورمت، ومات حوالى خمسمائة وسـتين شخصا فى بيت سبيرينا، وكذلك توفى توما القس بن يعقوب ومعه عـشرون مساعدا.

وفى سنة ١٧٦١ يونانية حوصرت ماردين من الأتراك والمغول من بيت شاهنشاه ، وجاء الأمير ابن تركان رستم بك وعسكر عند ماردين ليأخذها. كان هناك ثأر قديم بينهم، فأرسل ضده حسن بك بن عثمان وأخاه جهنكير، وهزموه وقتل ابن تركان، وأخذت كل ثروته والأسلاب التى معه.

وفى سنة ١٧٦٢ * يونانية قتل السلطان الملك الكامل صاحب القلعة ابنه الملك الناصر الذى حكم بعده لمدة سنة واحدة، ولكن الملك لم يستقر له. وحوصر بيت منعيم من الحسنايا ، وكانت هناك ثورة وانشقاق فى مملكة الحسنايا، وواجه كل منهما الآخر. وخرج الملك خلف من مدينة قلعة كيفا وأخذ سعدر من الأمير عبد الله الكوكتانى، وقتل ابنه نصر الدين وأخذها. وجاء الملك الحسن وحارب ضد قلعة بيت سبيرينا، والملك مكارم، والملك سليم بن الملك الكامل السلطان الذى قتله ابنه الملك الملك الناصر. نزل هؤلاء إلى قلعة حيتام، واستقبلهم الأمير الذى كان بها الحاج عون. ومن هناك بدأ كل المنفيين فى التخطيط سرا.وفى الليل حاصروا قلعة الحصن ولم يقاومهم أحد وقتلوا أخاهم الملك الناصر والذين معه، وحكم الملك أحمد شقيق الملك الناصر.

وفى سنة ١٧٦٤ يونانية حوصرت عويردا من أتراك بيت عثمان من ماردين وحوصرت بلدة سبيرينا من الكوكتايا فى ليلة اليوم الثانى من شهر أيلول ( ) وقتلوا هناك أربعة عشر شخصا وسيدتين، وخربوا ميدو وبيت إسحاق وعربان، ورجعت عصابات كوكتاى إلى بلادهم.

وفى العام نفسه ذهب الحسنايا إلى الجزيرة فى قاردو، وحاصروا البلدة وقتلوا كثيرا من الكوكتاى.

وفى سنة ١٧٦٥ يونانية جاء الملك خلف من سعرد ودخل قلعة "كا"، وجلس فى البرج الموجود فوق كنيسة مار زكا اليعقوبية. ذهب السلطان

* **سنة ١٧٦٢**: هذا التاريخ مكتوب فى الترجمة الإنجليزية سنة ١٧٧٢ وهو غير صحيح.

ابن أخت الملك أحمد ورشا الأتراك فى بيت حسن بك، وحاصره الأتراك من خارج سور المدينة وكان سيد القلعة بداخلها ، وبقى الملك خلف وسط المدينة، وكان يصل إليه القمح والشعير والحلويات والعنب من كل مكان فى القلعة ، وكان معه ثلاثمائة محارب من الرجال الأقوياء. وفى أحد الأيام هاجم السلطان الملك أحمد الأتراك المحيطين بالمدينة ، وعرض عليهم العمل معا قائلا:" تعالوا وادخلوا القلعة من الجانب الآخر وسننزل ونطارد عمنا الملك خلف من المدينة، وسأعطيكم المدينة لأنه لم يبق لى قوة كافية لأخذها بسبب الجنود. ارجعوا خلفى، وإذا طردتم هذا الرجل ستصنعون فىّ ثوابا، وسيصبح المكان لكم". وعندما نزل بعض الأتراك وبعض الحسنايا - حوالى ألف رجل - ليقبضوا على الملك خلف أغلق مواطنو المدينة المدخل الموجود تحت كنيسة مار زكا ، فنادى على خدمه وعلى الرجال الموجودين فى السوق من أبناء المدينة لأنهم كانوا يحبونه جدا، فقبضوا على جميع الأتراك والحسنايا الذين جاءوا لمهاجمته وقيدوهم وهم عرايا، وأخذوا منهم أسلحتهم الحربية، وأطلق سراحهم وطردهم خارج باب المدينة "باب الصور" وقال لهم:" اذهبوا وأخبروا سيدكم حسن بك". ولم يقتل أحدا منهم ، فسحب قواته التركية من هناك ورجع إلى بلده لأنه كان قد هزم من الملك خلف. ورجع الأتراك إلى بلدة القلعة وأسروا ونهبوا وعذبوا الكثيرين بالدخان، وأخذوا أبناء أشتركا وزاز وعين وحاج[٣٥٢] وصلح ومنازل دكفور وكفرشاما وكل منطقة القلعة.

وفى سنة ١٧٦٦ يونانية أخذ الملك خلف قلعة كيفا وحكمها وقتل الملك أحمد ابن أخته وكل الذين كانوا معه. وحدثت كوارث وحروب وحوادث مخيفة، وحل الطاعون وظهرت مجاعة، ونقص فى كل أنواع الطعام وكل ما كان ينفع غذاء كان يباع بسعر مرتفع.

وفى سنة ١٧٦٧ يونانية توفى البطرك قوما[٣٥٣] من صلح من جنس سبيرينا، وكذلك توفى البطريرك بهنام الجدلى على عرش ماردين، وكذلك

توفى المفريان برصوما المعذىن وكان أيضا فى دير الجب[٣٥٤] بطريركان وكذلك ربان خلف ابن أخت المفريان برصوما فى ماردين . وفى صلح رسم ربان يشوع العورديني بن جالو وابن أخت خلف – وهو العزيز – وقد رسم قسا لجزيرة قاردو.

وفى سنة ١٧٦٨ يونانية جاء الأمير ابن تركان من بيت قرا يوسف للمرة الثانية وحاصر ماردين وأيضا بلدة آمد، وقطع الطرق زلزال عنيف فى البلاد المحيطة بها. وخرج إليها حسن بك من جبل ليسون كالأسد وهزمه وقتله عند مدخل مدينة آمد، وقتل عددا كبيرا من الذين كانوا معه ، وجمع أسلابهم وما معهم من كنوز، ورجعوا إلى بلادهم منهكين من شدة الجوع وخافضى الرءوس مجردين من أسلحتهم.

وفى هذه السنة حارب الحسنايا الكوكتايا وهزم الحسنايا وقتل منهم حوالى خمسين، منهم: الحاج عون، والأمير عثمان، والبارودى. وجاء أيضا البوكتايا وقتلوا عشرة من أكراد بيت جارود فى بيت أزجا. وجاء البوكتايا مرة أخرى، وهدموا ميدو وبيت إسحاق وعربان، وقتلوا فى ميدو راهبين ، الراهب بهنام والراهب ملكوس ، وكثيرين غيرهم. ومن عربان قتلوا قسّين، القس بهنام والقس أدى، ومساعد أبو ناصر، أربعين رجلا، وأسروا النساء والاطفال.

وفى سنة ١٧٦٩ يونانية كان هناك طاعون عنيف فى جزيرة قاردو ومات بسببه الكثير من المسيحيين والعرب، ومات الأمير عبد الله صاحبها، وهو الذى جلب هذا الشر على الحسنايا، وأشعل العداوة القديمة التى كانت بينهم حتى مات.

وفى هذه السنة نزل السلطان الملك خلف صاحب قلعة كيفا إلى جزيرة قاردو، وأحرق كل بلادها وخرب ونهب وأسر ، وحمل ثمان من الحجارة السود من باب بلدة الجزيرة التى تسمى: عشيمتا، ووضعها تحت عرشه فى قصر قلعة كيفا.

وفى سنة ١٧٧٠ يونانية شن أحمد بختاى حربا على جزيرة قاردو، وأخذ من الأمير إبراهيم ابن الأمير عبد الله من بوكتانا وطرده منها، وهرب الأمير إبراهيم من قلعة فنيخ حيث كان أبوه يحتضر. وكان الأمير أحمد بختاى فى كاتى وإخوانه كانوا يعيشون فى القلاع التى كانت على جبال قاردو. وعندما توفى الأمير عبد الله أخذ الجزيرة من أبنائه وعقد صلحا كبيرا بينه وبين الملك خلف صاحب قلعة المدينة لفترة خمس سنوات.

وفى سنة ١٧٧١ يونانية انتقلت القلعة الجديدة من المحملايا إلى أتراك بيت حسن بك ، ومات البطريرك يشوع من بلدة عيوردا ورسم مانه فى صلح البطريرك عزيز بن سبط من بسيليا، ورسم مبارك أسقف حاج، والأسقف عزيز ابن أخت البطريرك خلف إلى الجزيرة فى قاردو، والأسقف إسكندر إلى خرتبرت، وأيضا عبد المسيح إلى ميافرقاط.

وفى سنة ١٧٧٢ يونانية نزل الحسنايا إلى باب جزيرة قاردو ، وخرج المواطنون وشنوا حربا على الحسنايا ، وهزموهم وقتل منهم أكثر من مائة رجل.

وفى هذه السنة طرد الأمير إبراهيم ابن الأمير عبد الله من قلعة فنيخ بواسطة الأمير أحمد بختاى ، وأخذ القلعة وقبض على الأمير إبراهيم وأبنائه وأحرقهم فى النار.

وفى هذه السنة أخذ الملك خلف مدينة سعرد من الكوكتانا، وكانوا قد تشاجروا على المنصب لمدة عشرين سنة، وحارب الواحد الآخر وقُتِل الكثيرون منهم.

وفى سنة ١٧٧٣ يونانية قتل سلطان القلعة الملك خلف وأبناؤه الملك موسى، والملك هارون، ومن أبناء عمه الملك أيوب، والملك زين العابدين أخوه، ولم تخضع له المملكة.

وفى هذه السنة جاء حسن بك التركى، وحاصر قلعة المدينة من بداية شهر تشرين الثانى (نوفمبر) حتى بداية حزيران (يونيو) وعسكر الأتراك عند كل القلاع وأخذوا القلعة من الحسنايا، ونصب حسن بك ابنه السلطان خليل ملكا. وقتل حسن بك – أيضا – الملك أيوب صاحب قلعة كيفا وأخاه الملك زين العابدين وكل أمراء الحسنايا، وطرد باقى الرجال من قلعة كيفا وأرسلهم إلى آمد باذدراء وأخذ محصول المدينة.

وفى هذه السنة انتقلت قلعة حيتام إلى الأمير التركى عبد المحسن بك، الذى كان أعور بعين واحدة ويدعى: كرخليل ، فأخذها من الأمير أحمد بن نبطاه الذى كان ضريرا، وأحضر إليه أكراد تاشليق الملاعين والجوردايا والمحملايا وأمرهم أن يأخذوا الأسرى وينهبوا ويحاربوا ويقتلوا هذا الأمير الضرير الموجود فى القلعة. وجاء هذا الضرير خليل بك الذى كان يجلس فى مدينة سروان وفى كل يوم كان يأتى فى الصباح الباكر، ويشن حربا على صاحب قلعة حيتام يخطف، ويقتل أكرادا من عبيد أمير القلعة الضرير. وكان أسياد القلعة يخرجون ويسرقون المسيحيين الذين كانوا بمدينته ويقتلونهم.

وأرسل أمير القلعة عصابة إلى قرية بيت سبيرينا فى اليوم الثانى من منتصف الصوم، وقتلوا هناك ثلاثة رجال وأسروا وقيدوا الكثيرين، وحملوهم إلى القلعة وباعوا كل واحد منهم بمبلغ كبير. وكان فى القلعة حشد من النساء الصغار . وبسبب خوفهم من الحرب والسرقات والحوادث المخيفة نزلوا واختبأوا فى القلعة. وعندما أخذت قلعة كيفا من الحسنايا حكم الأتراك كل البلاد والصاحب اللعين الذى كان فى قلعة حيتام كان ضريرا وثائرا، فقرب إليه الأكراد وعلمهم السبى والقتل وإهلاك أبناء المدينة دون رحمة. وكل من نزل إلى القلعة من النساء والأطفال والشباب والإماء بسبب خوفهم من الأتراك ،وانقض عليهم صاحب حيتام لأن سلطان القلعة قد قتل. وثار صاحب حيتام ضد الحسنايا والأتراك، وصادر كل ما وصل إلى القلعة من: قمح وشعير وعسل وعنب مجفف وفاكهة وحبوب وبقول، ولم يعط شيئا إطلاقا لأصحابه، وذهب بعيدا لأنه كان يبيع النساء والأطفال الصغار

والشباب بأثمان مرتفعة جدا ، وبعد ذلك جعل الأتراك يقسمون أنهم لن يؤذوه وأعطاهم قلعة حيتام، وجعل بلدنا تتحمل اضطرابات عديدة . أدعـو الله ألا يغفر له.

وفى هذه السنة كانت هناك حرائق وزلازل فى ثلاث فتـرات ربمـا لكثرة ذنوبهم، وفى العديد من الأماكن سقط الكثير من الأسـوار والمبـانى والمنازل وكثير من الواجهات.

وفى سنة ١٧٧٤ يونانية وصلت من الشرق جحافل من الجـراد ثـم طارت حتى وصلت إلى مصر والتهمـت المحـصول والكـروم والفواكـه والأشجار حتى الأعشاب، ولم تترك شيئا أخضر على وجه الأرض، وذبـل الكروم وأشجار الفواكه وتعرت باقى الأشجار وأكلها الجراد.

وفى سنة ١٧٧٥ يونانية أصدر حسن بك التركى أمرا إلى خليل بـك الذى كان يعيش فى تلك البلدة، وألقى بالسيف على الأكراد الذين كانوا مـن أهل تاشليق، فقتلهم وقضى عليهم دون أن يحتفظ بأحد منهم.

وفى هذه السنة رسم القس أدى السبيرينى وزملاؤه.

وفى سنة ١٧٨١ يونانية جاء أتراك بيت حسن بك إلى جزيرة قـاردو ليأخذوا المدينة وضواحيها من أيدى البوكتانا، وثار الأكراد ضـد الأتـراك وانسحبوا بعد أن هزموا وولوا الأدبار إلى ماردين.

وفى سنة ١٧٨٢ يونانية عسكرت قوة كبيرة من الأتراك وأمراء عظام عند جزيرة قاردو ونصبوا خيامهم فى مواجهتها، وخـرج كـل البوكتانـا لصاحب الجزيرة، أى الأكراد، هاجموا الأتراك بقوة كبيرة ، وحمدا للـرب الذى لا يغفل عبيده المسيحيين. والآن فإن المسيحيين الذين حكمهم الأكـراد كانوا فى اضطراب عظيم منذ ذلك الوقت ،ألقى الرب شعب بوكتانا فى أيدى الاتراك ، فضربوهم ضربا عنيفا وحاربوهم وطردوهم من أمير إلى أميـر. فقتلوهم جميعا، ولكن هرب منهم القليل وما يقرب من ألف وخمسمائة رجـل

قتل، أما الباقون فقد هربوا، وألقوا بأنفسهم فى البحر وغرقوا فى الماء ، وغزا الأتراك مدينة الجزيرة ولم يقاومهم أحد.

وفى سنة ١٧٨٣ يونانية كانت هناك حرب شعواء ومعارك كثيرة بين حسن بك تركى وشميز من مدينة البيرة التى على شاطئ نهر الفرات . قال البعض: إنه قد قتل من الفريقين أكثر من مائة ألف محارب، ولم يدخل حسن بك البيرة، ورجع هو وقواته منهزمين.

وفى سنة ١٧٨٥ يونانية خربت الكنيسة الكبيرة لقرية بيت سبيرينا وتهدمت كلها. وفى هذه السنة قام كل مواطنى القرية وأرسلوا اثنين من القساوسة إلى ماردين لإعادة تخطيط بناء الكنيسة، وهما: القس أدى والقس يوسف ، ووصلا إلى البطريرك خلف وطلبا منه اثنين من المهندسين ، فأرسل معهما ابن أخته المفريان باسيليوس والعزيز. ولقد أظهر مواطنو القرية مهارة كبيرة وعناية فائقة، هم وأبناؤهم ونساؤهم ، وجاء بطريرك طور عبدين العزيز بن سبطا ومعه جميع أساقفة البلدة. وارتفعت المبانى يوما بعد يوم. وعنما بدأوا فى إقامة المبنى فى منتصف شهر نيسان(إبريل) وانتهوا منه ووضعوا السقف فى اليوم الثانى والعشرين من شهر حزيران (يونيو) – كان هناك على ما يبدو بعض السهو فى التنفيذ بين المهندسين، وأهالى البلدة بخصوص الهيكل الخشبى الموجود تحت السقف ؛ وذلك لأنهم عندما انتهوا من تركيبه انكسر، وسقط السقف، وقتل خمسون رجلا وراهبا وكاهنا. وكان سبب هذا أنهم لم يحملوا السقف على إطار ولم يضعوا تحته أعمدة لتحمل الثقل، فانزلق من موضعه وسقط. وفى يوم السبت وجدنا أن حائط بيت الهيكل بقرب المذبح قد انفتح وظهرت أجزاء من أجساد القديسين ومن السور. كان القس دادا مستلقيا فى صندوق أبيض كبير من الحجر الأبيض الرخامى، وكانت جمجمته بدون غطاء، وكان المكتوب عليه:" هذا تابوت وجثة القديس دادا". وكان هناك أيضا تابوت آخر حجرى صغير مكتوب عليه:"هذا تابوت القديس أسيا". وكان يوجد به بعض أجزاء من

جسمه. وكان هناك – أيضا – تابوت آخر من الحجر الأسود وبه بعض أجزاء من الجسم، وكان المكتوب عليه :" هذا تابوت القديس آجو".وبعد الحزن الذى شمل أهل القرية بسبب مقتل هؤلاء الرجال بسقوط الكنيسة فإن اكتشاف هذه الآثار كان عزاء كبير ؛ لأننا لم نكن نعلم أنه لدينا أى من هذه المخلفات ، لأننا لم نكن نعلم قصة القديس دادا وكنا نظن أنه أحد تلاميذ القديس أوجين. أخيرا وبعد أن سألنا هنا وهناك، علمنا فى النهاية عن طريق أحد الرهبان النساطرة أنه كان له دير(٣٥٥) فى بلدة تبريز ، وأن قصته معروفة هناك. وعندما سمع هذا أحد ربانتنا ، ويدعى ربان جبرائيل من جنس سباسيان ، تملكه الحماس وقام وذهب إلى سيدوس(٣٥٦) وهى قرية للنسطوريين فى مدينة تبريز إلى دير القديس داد، وادعى أنه راهب للكنيسة فى مدينة نصيبين ، وكرموه ، وفى خلال أسبوع كتب وأرسل لنا تاريخ القديس ماردادا . حينئذ سأل الشماس: أهناك شئ يقرؤه؟ وأعطاه كتابا كبيرا للقصص كان به الكثير عن القديس دادا، فأخذه وأحضره إلينا ، فوجدناه حديثا جميلا وأكثره كان مذهلا. وكان يشوع الكاهن والراهب ابن القس إشعيا يجمع من التاريخ والقوانين دعوات الاستغفار والقراءات والأحاديث والصلوات، لكننا لم نكن نعرف ما هى طريقة حياته. وبعد ذلك أعدنا بناء سور المذبح فى الهيكل ووضعنا المخلفات الأثرية فى السور الذى وجدت به ، ووضعنا جمجمة القديس دادا فى الصندوق الفضى الذى كان به ، وتابوت القديس آجو وبعض الأحجار فى السور ، فأخفيناهم فى الجانب الآخر العلوى فى مواجهة السور. وقام أبناء المدينة وأتموا ووسعوا المذبح والهيكل، وزودوه بكل ما هو ضرورى ، وأقاموا فى المذبح قوسا خشبيا، أى قدس الأقداس، وشكل بأيدى الكاهن أدى النجار بن إشعيا، وكان هذا القوس جميلا بقدر الإمكان.

وفى سنة ١٧٨٨ يونانية توفى البطريرك عزيز بن سبطا وبعد خلاف عينوا صاحبين لم يكونا متعلمين، وكانا متخاصمين فلم يتفق الواحد مع الآخر. وعينوا البطريك "شبلة" وهو رجل عربى كبير ومسن قد ضعفت

قوته، والآخر البطريرك يوحنا العورديني الذى كان قس جرجر، وأعطوا مبلغا كبيرا للحكام. ومكث أحدهما فى صلح والآخر فى مدياد، وكان هناك حزن عميق لمسيحيى بلدنا الذين كانوا فى طور عبدين، من هؤلاء الحكام الذين قاموا ليرعوهم وكانوا حجر عثرة فى حظيرة الرب.

وفى هذا العام مات حسن بك التركى ابن عثمان وحكم بعده ابن يعقوب بك، وفى أثناء حكمه ساد السلام بين المسيحيين.ومات القس ملكوس السبيريني ابن أخت الربان يشوع القس ابن القس إشعيا من سلالة بيت عجشام.

وفى سنة ١٧٨٩ يونانية ثار ملوك جورجيا الواحد على الآخر، وجاء قرقور بك إلى حسن بك ابن عثمان، ووعده أن يسلم له البلاد التى كانت قد خصصت له، فأخذ قوة من الأتراك، وعبر إلى بلاد جورجيا وهدم الأديرة والكنائس وخربوا ونهبوا الأوانى المقدسة والصلبان والقنينات والكئوس، وقتلوا الكهنة والرهبان وكثيرا من القسس والخدم، وأسروا وسبوا الرجال والنساء والشباب والأطفال دون حصر.وقد باعوا بعضهم إلى المسيحيين، وبعضهم – وهم قلة – اعتنقوا الإسلام واتخذوهم عبيدا لهم. ومنذ ذلك الوقت ازدادت الذنوب التى ارتكبها حسن بك ، ولقد أصيب بمرض خطير ومات. وحكم بعده ابنه يعقوب بك وقتل أخاه السلطان خليل فى أثناء حكمه، ودان له الحكم المطلق.

وفى سنة ١٧٩٠ يونانية جاء الشوام وجنود مصر فى قوة لا يمكن حصرها، وعسكروا حول الرها فى بيت عثمان ، وحل فزع كبير وخوف على بلدة: يعقوب بك، والرها، وآمد، وماردين، وبدليس، وقلعة كيفا، والموصل، وجزيرة قاردو. وعسكر الشوام حول الرها وضغطوا على الأتراك لأنه كان هناك عداء قديم بينهما، فذهب حسن بك والد يعقوب بك وعسكر فى مدينة الشام فى البيرة على جانب الفرات، وغزاها لمدة سنة وحفر تحت السور ممرا للدخول إليها ، ولكنه لم يتمكن من إضعاف قوتها

فقذفها بالركام، وجعلها تقاسى الأمرين. وبعد ذلك رجع، ولكنه لم يتمكن من التغلب على قوتها لأنه كان قد فقد رجالا كثيرين فى محاولته . ولكن الـرب لم يسلم المدينة إلى يديه؛ ولهذا عاد الشوام بعد سنوات لينتقموا للبيرة ، جاءوا وعسكروا فى الرها التى بجوار الفرات وقريبة من مدينتهم البيرة ، وجاءوا وثار أمامهم كثير من الأتراك الذين كان يزيد عددهم على ستين ألفـا مـن المحاربين والجنود المدربين على الحرب، مثل: سليمان بك، وبياندور بـك، وخليل بك، وكركماس بك، وزهرة بك، وخالد بك، ونور على بك. ووقـف الأتراك والشوام الواحد فى مواجهة الآخر لمدة أربعة أشهر أو أكثر. كـان الشوام غير مؤثرين لأنهم كانوا من عامة الناس كما كانوا منهكين من شـدة الجوع، أما رجال بيت يعقوب فكان يعوقهم وجودهم فى وسط المكان ، وبعد ذلك وفقا لرغبة الرب هاجم الواحد الآخر فى اليوم الأول من شهر كـانون الأول (ديسمبر)، وثار الأتراك وهجموا على الشوام كالأسود علـى قطيـع الغنم، ولكن هرب الشوام، وأخلوا المكان بهروبهم.وقتل رئيسهم باش ومعـه ألف رجل مجهزين بالذهب والفضة والحديد . وأخذوا منهم جيادهم ومعداتهم وآلات الحرب التى لم يكن لها عدد، وأسروا منهم أكثر من ألـف شـخص. وحمدا لله الذى أعطى الأتراك هذا النصر العظيم. وظل الشوام يحاربون مع أتراك بيت عثمان ولكنهم رجعوا إلى رومايا بيت السلطان محمد بن عثمـان الذى كان يقيم فى بلاد نوكا الداخلية. وطالب السلطان محمد الروم أن ينزل القدس، ويهدم القبة الكبيرة التى كان قد بناها الملوك المسيحيين للقسطنطينية.

ولقد طلب ملك الروم من سلطان مصر قائلا: " ساعدنى لكى أهدم قبر المسيح والقبة الكبيرة للمسيحيين فى القدس". ولم يساعده وقال لـه:" كيـف تستطيع هدم بيت صلاة المسيحيين الذى يأتى منـه مـال كثيـر؟". فقـال المصرى: "لن أساعدك ". وتحارب المصريون والرومان وجها لوجه وحطم بعضهما البعض. فى المرة الأولى هزم الرومان، وقتل حوالى سبعين ألفـا، وفى المرة الثانية ثلاثين ألفا، وجاء الفرنجة من ناحية الشمال والمـصريون من جهة الجنوب، وسنة تلو السنة حطموا الروم. وفى المـرة الثالثـة قتـل

الفرنجة ثمانين ألفا من الروم ، وأخذوا من الروم مدنا كثيرة. ولم يقل عددهم لأنهم كانوا كالرمال، والمصريون حطموا الأرض. وما زالت العداوة بينهما "حتى يومنا هذا. أما المصريون فقد غزوا الروم حتى لا يجعلوا يدهم تمتد إلى العمود والقبة التى فوق قبر المسيح.

وفى سنة ١٧٩٦يونانية تسلم سليمان بك ابن بيجان وزير السلطان يعقوب أمرا من السلطان يعقوب بك ابن حسن بك. وذهب إلى جبال قاردو المنيعة وإلى بلدة عمادية ليأخذها من الأكراد الملاعين؛ لأنهم ثاروا ضد السلطان يعقوب ، فحشد سليمان بك قوة كبيرة وجنودا لا عدد لهم لأنه كان أمير عمادية ، كان الأمير الذى يدعى حسن سيف الدين قد احتل كل المدن وملأها بجنود أقوياء لا حصر لهم. لم يشن عليهم حربا بالطريقة المعتادة ولكنه كان يناوشهم قليلا ، وظل هكذا لمدة عامين يغزو ويدور حول بلاد الأكراد. من البداية استولى على قلعة عقرا وأجلس فيها "بير محمد" صاحب قلعة بينخ رئيس بشنوايا ، ولم يؤذ الزراع فى هذه البلاد، وترك كل واحد متفرغا لعمله. وبعد ذلك أخذ قلعة شوش ، وعندما رأى حكام القلاع والحصون التى كانت فى جبال عمادية أنه قد سيطر عليهم وأن قواته كانت كثيرة جدا نزلوا من قلاعهم، وسلموا أنفسهم إلى سليمان بك، ومن هناك جاء ونصب خيمته فى عمادية المدينة المحصنة للأمير سيف الدين الواقعة فى جبال وعرة وهاجمها لمدة سنة أو أكثر. ولم يتمكن من أخذها ، وشن عليها هجمات قاسية ، قذفها كثيرا بالمنجنيق ، والذين كانوا فى الأعلى ألقوا بحجارة ضخمة، وقتلوا كثيرا من أهاليها.

وفى سنة ١٧٩٨ يونانية انسحب منها وكان ضعيفا أمام قواتها ، فجاء وعبر هو وقواته سهل باعربايا ، ولم يؤذ أحدا، ولم يتعرض للمحصول ولا للكروم ، ووصل إلى نصيبين وماردين فى سلام. وصدر أمر صارم بخصوص البلاد أن لا تؤذى محاصيلها بواسطة قواته. وكانت هناك عداوة بينه وبين جولى بك الأمير الذى عاش فى السهل قبل الأكراد والأتراك الذين

كانوا يرعون أغنامهم هناك. وكان خاضعا للسلطان يعقوب وتابعا له، فثار ضد السلطان ولفترة سنتين لم يذهب لتحيته. ولهذا السبب كان سليمان بك غاضبا وانحاز ضده. واستمر الواحد ضد الآخر لمدة شهرين أو ثلاثة، وحارب بعضهما البعض فى مياه دجلة وهزم سليمان بك جولى بك وقتله.

وفى سنة ١٧٩٩ يونانية مات السلطان يعقوب بك وحكم بعده بسنقور بك فانحط جانب مملكة المغول، وثار صوفى خليل ضد أميرزاه على ابن السلطان خليل وخنقه. وغضب أبناء حسن بك، وكذلك جميع الملوك: مسيح بك، ويوسف بك، ومقصود بك، وبودج بك، وقليج بك . وبلغ عدد الملوك عشرين ملكا، فقصدوا صوفى خليل وهزموا وقتلوا كل الملوك ، ودخل الانقسام فى مملكة المغول. وعندما رأى سليمان بك أن مملكة المغول قد محيت وبقى القليل من أعضاء المملكة بعد قتل جولى بك ذهب إلى صوفى خليل وهزمه وقتل أبناءه الذين كانوا ثمانية وعشرين، وأخذ السلطان بسنقور بعد أن سقط من فوق جواده، وأجلسه على جواد آخر وأحضره إلى مخيمه واستقبله بحفاوة. وأخذ رستم بك ابن مقصود بك ابن حسن بك، ولكنه لم يقض عليه بل حبسه فى قلعة النجاة.

وفى سنة ١٨٠٠ يونانية بقيت مملكة بيت حسن فى حالة خراب ، كان صاحبها هو السلطان بسنقور، ووزيرها سليمان بك.

وفى سنة ١٨٠١ يونانية ذهب القس جرجس من دير القديس جبرائيل وتلميذه الربان إسطفان إلى المدينة المقدسة، واشترى القس جرجس المنزل الذى كانت فوقه الكنيسة السريانية لوالدة الرب بمبلغ مائتى دينار ذهبى من العرب ، وأعطاه لكنيسة والدة الرب لخدمة هؤلاء الذين يحضرون للزيارة وللتعبد حتى يتباركوا بقبر المسيح.

وفى سنة ١٨٠٣ يونانية ذهب القس عدى السبيرينى إلى المدينة المقدسة وابنه القس قوما والراهب الربان شابو من صلح، وجبرائيل القس والقس روبيل السبيرينى، ومعه رجال كثيرون من بيت سبيرينة مع الخواجة

حسن الماردينى الأمير الذى كان رسول السلطان ، فقد كان يرسله سليمان بك إلى مصرو معه كثير من الهدايا العظيمة، ورسائل سلام، وكان معه ابنه محمد وحشد كبير من التجار؛ لأنه كانت هناك عداوة طويلة المدى بين المصريين وسلطان المغول فى بيت حسن بك، منذ اليوم الذى جاء الشوام إلى الرها. وقتل المغول بيت حسن بك رئيسهم الذى يدعى باش، وعندما حكم السلطان بسنقورأرسل الخواجة حسن رسولا إلى مصر ومعه قوة عظيمة ، وفرح به سلطان مصر واستقبل الرسول وكرمه وأعطاه سبعمائة دينار ذهبى، وأعطى لكل عبيده هدايا قيمة من القماش المنسوج والمطرز بخيوط من الذهب. وأظهر الخواجة حسن الرسول تكريما عظيما للقس عدى ورفاقه الذين جاءوا معه إلى المدينة المقدسة ،ولم يعطوا شيئا لأحد فى الطريق ولاحتى دريكونا واحدة. ولقد تمتعوا بحرية كبيرة وسعادة بسبب الخواجة حسن وعبيده حتى وصلوا إلى مدينة الرملة. ومن هناك وجدنا أمير أورشليم الذى كان ذاهبا إلى المدينة المقدسة ، ولقد تفاهم الرسول معنا وقال: "سأسلمكم إلى هذا الرجل وسأعطيه أمرا بخصوصكم". وأحضر إلينا حلتين فاخرتين وقدمناهما إلى صاحب أورشليم ودخلنا معه. وكان ينتظرنا فى الطريق مختلف الأعداء ولكنهم لم يتمكنوا من إيذائنا. وعندما رجع الرسول من مصر قال لنا:" ألن تأتوا معى ؟ نحن ذاهبون إلى بلادنا". ورجع فى منتصف شهر كانون الثاني (يناير) ولكنه لم يكن ميعاد رجوعنا. وعندما استقبلنا الضوء المقدس وبركات من القبر المقدس والأماكن المقدسة رجعنا من المدينة المقدسة.

ولقد توفى بعض رفاق القس عدى فى دمشق، مثل: الربان شابو الراهب من مواطنى صلح، وجبرائيل القس السبيرينى. وقد قام القس عدى والقس قوما ابنه والقس صليبا وتلميذه روبين بدفنهما، وعندما جئنا من بحر قبرص ذهب بعضنا إلى دمشق، وذهب آخرون إلى طرابلس ومنها إلى حماة، وبمجرد دخولنا حماة مرض الربان يشوع الراهب السبيرينى ابن القس موسى ومات، وتكفل من ذكرناهم بتكفينه ودفنه. وسقط القس قوما مريضا

بمرض خطير فى دمشق، ولكن الرب تبارك وشفاه، وظل أبونا لمدة أربعين يوما فى حماة يترقب عودتنا إليه . منذ ذلك الوقت ذهب القس عدى بنفسه إلى دمشق بعد مشقة عظيمة ، وجاءوا إلى حماة، وعرقل سفرهم حتى بعد عيد الخماسين فى دمشق،أن كل مدن الشام ومصر وبلاد الروم وقعت فى قبضة الطاعون، وأيضا قطعت الطرق على الأهالى ، أما بعض رفاقهم فقد وصلوا بسعادة إلى منازلهم فى خلال شهر ولم يهاجمهم المرض . ومن حماة وصلوا إلى حلب وقطعت الطرق على التجار، وعلى الذاهبين والآتين من شدة المرض الذى ساد كل بلاد الشام. حينئذ حل الانقسام فى مملكة المغول . لم يسترح الحجاج لأنهم لم يجدوا رفيقا مستعدا لهم ولم يهتموا بقولنا ألا يأتوا إلى الرها، فذهبوا مع جماعة التجار العرب الذين ثاروا على جرجر الواقعة بين الجبال المنيعة على جانب الفرات، وبعد ثمانية أيام دخلوا جرجر، فقبض عليهم صاحبها، وعاملهم بقسوة وحبسهم فى قلعة لمدة ثمانية أيام حتى احتفال القديس توما، فأخذ منهم الأحزمة والصلبان وممتلكات أخرى. وبعد ذلك طردهم فعبروا الفرات، فقام القس بهنام من جرجر بأعمال طيبة كثيرة معهم، فليباركه الرب. كان تلميذ البطريرك يوحنا من جرجر فليباركه الرب. ولقد جاءوا من هناك إلى قلعة حصرام فقبض عليهم صاحب القلعة وحبسهم ونهب كل ما بقى لديهم وجعلهم يتحملون كل مشقة وألم ممكن، ولولا مساعدة الرب لكانوا فى عداد الأموات. ومن هناك وصلوا إلى بلدة شرموج حيث استراحوا قليلا ، ووصلوا إلى آمد فوجدوا كل الأبواب مغلقة. ولقد هرب نور على بك وسلب كل ما أمكن من حسن بك دون رحمة، وعسكر عند قلعة كيفا فجمع جنودا لاحصر لهم وقبض على سليمان بك وزير السلطان بسنقور وقتله، وقطعه إربا وكذلك خدمه وقواده بالمئات؛ وذلك لأن سليمان بك كان قد هرب من بلدة تبريز، وجاء واحتمى فى قلعة كيفا، فسلمه صاحب القلعة إلى نور على فقتله. ولقد أقام الأمير وملك بيت حسن بك وأحضر رستم بك ابن مقصود بك ابن حسن بك من سجنه، ونصبوه سلطان ملكهم.

وفى سنة ١٨٠٤ يونانية كان هذا الشتاء رائعا وأحبه كل الملوك، وكان نور على بك ابن عمه الذى ثار ضده، وقتل سليمان بك وأحضره من قلعة كيفا ابنه "مرزا على" وأحرقه، وأخذ مدن ماردين، وقلعة كيفا، وآمد، وخربها هى وضواحيها. جاء من نصيبين وعسكر عند صلح، وخرب ديرمار يعقوب فى صلح، ونهب المخطوطات، والتوابيت، والأثاث، والكئوس، والقنينات، وعصى القيادة ... وأشياء أخرى.

وهرب الرهبان وكذلك البطريرك مسعود وبقيت الأبرشية خرابا بدون سكان، ونهب كل شئ حتى القلاع، ولكن حى حيتام حفظ من الرب. وخربت كل الأديرة من الأكراد الملاعين، والتاشليق والمحملايا، والجارودنايا من الشراكسة. وقد انتاب المسيحيين نوع من الاضطراب والفزع ، وبعد ذلك أرسل السلطان رستم بك خلفه رسلا مرتين أو ثلاثا، ولم يحضر لتحيته. ومن طريقهم داخل قلعة ماردين مع كثير من الأسرى هناك أرسل قوة كبيرة. وجاء خمسة أمراء من عبيده لقتله ، فهرب منهم وذهب واحتمى فى قلعة شمشكزان، وأرسل رسولا راغبا فى السلام وطالباه به. وحكم قاسم بك عم السلطان الذى جلب الجنود من ماردين وقلعة كيفا، وشق أبناء الثوار طريقهم داخل قلعة ماردين مع كثير من الأسرى.

الهوامش

١ بكتمر : هو الأمير بكتمر بن عبد الله مملوك شاه أرمن بن سكمان صاحب خلاط . كانت وفاته عام ٥٨٩ هجرية، وهى السنة التى توفى فيها السلطان صلاح الدين . قال ابن الوردى وصاحب عقد الجمان في حادث عام ٥٨٩ هجرية ما ملخصه:" في جمادى الأولى قتل سيف الدين بكتمر، وكان له خشداش اسمه بدر الدين آقسنقر هزار دينارى وهو الذى جهز على بكتمر فى قتله طمعا فى الملك، ثم اعتقل ابنه (محمد بن بكتمر) واستمر فى مملكة خلاط إلى أن توفى عام ٥٩٤ هجرية. وقالا فى حوادث عام ٥٩٤ هجرية:" توفى بدر هزار دينارى، فاستولى على خلاط بعده خشداشه قتلغ أرمنى ثم قتل بعد سبعة أيام وأحضر محمد بن بكتمر من معتقله واستمر على ملك خلاط إلى عام ٦٠٠١ أو ٦٠٠٢ أو ٦٠٠٣ أو ٦٠٠٤ (على اختلاف كذا تاريخ) .ثم اتفق عز الدين بلبان مملوك شاهرمن مع العسكر وخنقوه فى التاريخ المذكور ورموه من القلعة وانفرد بلبان بملك خلاط .ومن هنا يتبين أن الذى مات فى هذا العام ابنه محمد بن بكتمر. (مما يذكر أن الذى قتل بكتمر أحد الإسماعيلية، ولعل هزار دينارى هو الذى حرضه على القتل). (*جمال الدين أبو (جمال الدين أبو المحاسن بن تغر بردى:النجوم الزاهرة ج٢ ص١٨٨)*.

٢ خلاط: أو أخلاط، وهى عاصمة أرمينية الوسطى. (*ياقوت الحموى:معجم البلدان ج ٢ ص٣٨٠)*. ولقد ورد فى (*جمال الدين بن واصل :مفرج الكروب ص١٧٧*) أنها تقارب الديار المصرية فى المنزلة، وأنها تشتمل على نحو سبعين بلدا.

٣ صلاح الدين: هو الملك الناصر صلاح الدين أبو المظفر يوسف .ولد بتكريت سنة ٥٣٢ هجرية وتوفى فى ٢٧ صفر سنة ٥٨٩ هجرية(٤ مارس ١١٩٣ ميلادية).وبعد وفاته اقتسم إخوته، وأبناؤه وأبناء إخوته، الولايات الكثيرة التى كانت تحت حكمه.وقد استطاع

العادل الأول سيف الدين شقيق صلاح الدين الذى يسميه الأوربيون (سافادان SAPHADIN) أن يسيطر بالتدريج على سائر أفراد الأسرة .وكان من الطبيعى فى أول الأمر أن يرث أولاد صلاح الدين أجزاء المملكة، فحكم الأفضل دمشق والعزيز فى القاهرة والظاهر فى حلب، ولم يستطع سيف الدين العادل أن يحل محل الأفضل فى دمشق إلا سنة ٥٩٢ هجرية / ١١٩٦ ميلادية . وأما المنصور الذى خلف العزيز فى القاهرة فقد أسقطه العادل سنة ٥٩٦ هجرية /١٢٠٠ ميلادية .وهكذا لم يبق فى يد أبناء صلاح الدين من صلبه إلا حلب وذلك حتى سنة ٦٥٨ هجرية /١٢٦٠ ميلادية *(أحمد السعيد سليمان:تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ج 1 ص 140).*

٤ **ميافارقين** : كانت أشهر مدينة بديار بكر فى شمالها الشرقى *(الحموى:معجم البلدان ج١ ص٢٣٥).*

٥ **هزار ديناري** : هو آقسنقر، ولقبه" بدر الدين"، وقد أطلق عليه شاهرمن اسم: "هزار دينارى" بعد أن اشتراه من تاجر جرحانى .وقد كان هزار دينارى أحد مماليك شاهرمن. لقد ازداد نفوذه وقوى وتزوج ابنة بكتمر (عينا خاتون). ولطمعه فى الملك وضع على بكتمر من قتله. وحكم خلاط. وتوفى سنة ٥٩٤ هجرية (عماد الدين إسماعيل أبى الفداء:المختصر فى أخبار البشر ج ٣ ص٨٨).

٦ **شاهرمن** : هو شاهرمن بن سكمان بن إبراهيم صاحب خلاط *(ابن واصل :مفرج الكروب ص١٧٥).*

٧ **سنان** : هو سنان بن سليمان بن محمد بن راشد البصرى، وكنيته "أبو الحسن". وهو رئيس فرقة الإسماعيلية، وصاحب دعوتهم فى قلاع الشام .استولى على عدة قلاع بالشام وأقام فيها ثلاثين عاما. وسنان: اسم أطلق على عدد من الوزراء العثمانيين، معظمهم من المسيحيين *(أبو المحاسن:النجوم الزاهرة ج 6 ص١٣٢).*

٨ **مصياب**: أو مصيات، أو مصياف، وهو حصن للإسماعيلية بالساحل الشرقى قرب طرابلس.*(الحموى:معجم البلدان ج٥ ص١٤٤).*

٩ ناصر: هو ناصر الدين أرتق بن إيلغازى بن ألبى بن تمرتاش بن أرتق صاحب ماردين. توجه إلى خلاط بمكاتبة أهلها وملكها، فجاء الأشرف فنزل على دنيسر وأقطع بلاد ماردينن فعاد ناصر إلى بلد بعد أن غرم مائة ألف دينار ولم يسلموا إليه خلاط.*(أبو المحاسن:النجوم الزاهرة ج٦ ص١٨٩)*

١٠ بغراس : مدينة فى جبل اللكام فى البلاد المطلة على نواحى طرسوس. فتحها صلاح الدين يوسف بن أيوب سنة ٥٨٤ هجرية *(الحموى:معجم البلدان ج١ ص٤٦٧)*.

١١ سنجار : مدينة مشهورة من نواحى الجزيرة وهى قريبة من الموصل*(الحموى:معجم البلدان ج٣ ص٢٦٢)*.

١٢ الملك الظاهر : هو الملك الظاهر غياث الدين غازى ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن الأمير نجم الدين أيوب . ولد فى القاهرة فى سنة ٥٦٨ هجرية فى سلطنة والده.ونشأ تحت كنف والده وولاه أبوه سلطنة حلب فى حياته. وحضر معظم غزوات والده السلطان صلاح الدين، وتوفى فى ليلة العشرين من جمادى الآخرة سنة ٦١٣ هجرية، وقيل: التاسع والعشرين .وقد حفر له قبر فى "حجرة الذهب" ودفن بها إلى أن نقل بعد ذلك إلى "المدرسة الظاهرية" التى أنشأها بحلب وانتهت عمارتها سنة ٦١٦ هجرية. وقد أنشأ إلى جانبها تربة أرصدها ليدفن بها من يموت من الملوك والأمراء وقام بعده ولده الملك العزيز محمد بوصيته. *(ابن واصل:مفرج الكروب ص٢٤١)*.

١٣ مجاهد الدين بن ناصر الدين : هو الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه صاحب حمص والرحبة وتدمر.*(ابن العبرى:مختصر تاريخ الدول ص٢٣٦)*.

١٤ عز الدين : هو الملك القاهر عز الدين مسعود بن أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكى بن آقسنقر، وهو آخر ملوك البيت الأتابكى بالموصل. ولقد قام بدر الدين لؤلؤ مملوك والده بتدبير ملكه من بعده. ولقد توفى سنة ٦١٥ هجرية فى شهر ربيع الأول بعد أن حكم لمدة سبع سنوات وتسعة أشهر. *(أبو المحاسن:النجوم الزاهرة ج ٦ ص٢١٨)*.

١٥ نور لدين أرسلان شاه : هو نور الدين أرسلان شاه بن عز الدين مسعود بن عماد الدين زنكى بن آقسنقر صاحب الموصل. تولى الملك بعد وفاة أبيه سنة ٥٨٩ هجرية،

وكان يبلغ من العمر وقتذاك عشرين عاما وتوفى فى أواخر رجب سنة ٦٠٧ هجريـــة. وكانت مدة ملكه ثمانى عشرة سنة .وكان شهما شجاعا، ذا سياسة للرعايا شـــديدا علـــى أصحابه. أعاد ناموس البيت الأتابكى وجاهته وحرمته بعد أن كانت قـــد ذهبـــت. ولمـــا حضره الموت رتب فى الملك ولده الملك القاهرعزالدين مسعود، وأمرأن يتـــولى تـــدبير مملكته ويقوم بحفظها وينظر فى مصالحها مملوكه بدر الدين لؤلؤ؛ لما رأى مـــن عقلـــه وسداد رأيه وحسن سياسته وكمال السيادة فيه، وأعطى ولده الأصغر عماد الدين زنكـــى قلعة العقر الحميدية وقلعة شوش. *(ابن العبرى:تاريخ مختصر الدول ص ٢٢٩)*.

١٦ خراسان : منطقة من مناطق إيران الحالية تقع فى الطرف الشمالى الغربى لإيران.كانت خراسان ولاية متميزة فى دولة المغول فى إيران؛ وذلك نظرا لأهميتهـــا الاســـتراتيجية بسبب مواجهتها لحدود مغول ما وراء النهر. ومن هنا درج سلاطين المغول أن يولـــوا عليها كبار الأمراء من الأسرة الحاكمة. وعلى هذا رأينا "أباقا خـــان" و"غـــازان خـــان" و"أولجايتو" قد تولوا حكم خراسان قبل أن يصلوا إلى منصب الخانية. *(فـــؤاد الـــصياد: الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين ص١٥٢)*.

١٧ طغرل (٣٨٥ هجرية –٤٥٥ هجرية/ ٩٩٥ ميلادية –١٠٦٣ ميلادية) : هو محمد بـــن ميكائيل بن سلجوق الملقب بركن الدين طغرل بك. أول ملوك الدولة الـــسلجوقية (٤٢٩ هجرية) مدة ملكه ٢٥ أو ٣٠ عاما *(الزركلي :معجم الأعلام ج٧ ص٣٤٢)*.

١٨ ابن محمود :.هو طغرل بن أرسلان شاه بن طغرل بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان ابن داوود بن ميكائيل بن سلجوق *(ابن العبرى:تاريخ مختصر الدول ص223)*.

١٩ سلجوق بن دقاق : (يقاق أو تاقاق).ينحدر السلاجقة من سلجوق بن دقاق وهـــو رئـــيس التركمان .وزر لأحد خاقانات تركستان، وهاجر هو وقبيلته كلها من استبس القرغيز إلى المنطقة التى توجد فيها مدينة جند فى الوادى الأدنى لنهر سيحون (سيرداريا) .وهنـــاك دخلوا فى الإسلام. وشارك سلجوق وأولاده وأحفاده فى الحروب بين السامانيين والإيلك خانات وبين محمود الغزنوى ، وكان السلاجقة فى هذه الحروب حلفاء للـــسامانيين ثـــم دخلوا فى خدمة "لى تكين" من الإيلك خانات*(أحمد السعيد سليمان:تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ج1 ص314)* .

٢٠ **الملك العادل :** هو السلطان الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب شقيق الناصر صلاح الدين .كان مولده ببعلبك قيل فى سنة ٥٣٤ هجرية، وقيل: ٥٣٨ هجرية، وقيل: مع فتوح الرها سنة ٥٣٩ هجرية، وقيل: فى سنة ٥٤٠ هجرية . كان صلاح الدين يعول عليه كثيرا واستنابه بمصر مدة ثم أعطاه حلب، ثم أخذها منه وأعطاها لولده الظاهر وأعطاه الكرك عوضا عنها ثم حران . توفى فى ٧ جمادى الآخرة سنة ٦١٥ هجرية بالغا من العمر خمسة وسبعين عاما.*(ابن واصل:مفرج الكروب ص٢٧٠)*.

٢١ **الناصر :** هو الإمام الناصر لدين الله أبو العباس أحمد الخليفة العباسى.كانت مدة خلافته سبع وأربعين عاما أصيب فى أواخر أيامه بالعمى وكانت وفاته فى أول شوال .

٢٢ **قلعة جعبر :** هى قلعة على نهر الفرات بين بالس والرقة قرب صفين، وكانت قديما تسمى: "دوسر". وقد حدثت بها الواقعة التى كانت بين معاوية وأمير المؤمنين على بن أبى طالب *(مصطفى طه بدر:مغول إيران بين المسيحية والإسلام ص٨٣)*.

٢٣ **أسد الدين شيركوه :** هو أبو الحارث أسد الدين بن شاذى. توفى فى الثانى والعشرين من جمادى الآخر سنة ٥٦٤ هجرية بعد توليه منصب الوزارة .ولقد جرى الحديث بموته مسموما كما هى عادة أهل الشرق بوجه عام. *(ابن العبرى: تاريخ مختصر الدول ص٢١٢)*.

٢٤ **صرخد :** هى قلعة حصينة، وولاية واسعة، وتعد من أعمال دمشق. *(الحموى:معجم البلدان ج٣ ص٤٠١)*.

٢٥ **يافا :** مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال فلسطين بين قيسارية وعكا . فتحها صلاح الدين سنة ٥٨٣ هجرية، ثم استولى عليها الفرنج فى سنة ٥٨٧ هجرية، ثم استعادها منهم الملك العادل أبو بكر بن أيوب فى سنة ٥٩٣ هجرية وخربها. *(الحموى:معجم البلدان ج٥ ص٤٢٦)*.

٢٦ **تبنين :** بلدة فى جبال بنى عامر المطلة على بلدة بانياس بعد دمشق وصور.كانت فى تلك الفترة بيد "حسام الدين بشارة" .*(ابن واصل:مفرج الكروب ص٧٥)*.

٢٧ عكا : أهم بلد على ساحل الشام ومعناهـا: " الرملـة التـى حميـت عليهـا الـشمس". *(الحموى:معجم البلدان ج٤ ص١٤٣).*

٢٨ ملكشاه بن خوارزم شاه : هو سيف الإسلام ظهير الدين طغتكين بن أيوب . كان يلقـب بالملك العزيز .توفى فى شوال سنة **593** هجرية *(ابن واصل:مفرج الكروب ص 72).*

٢٩ قطب الدين محمد : هو الابن الثانى لملكشاه، وقد تولى ملك خـوارزم بعـد أن تـوفى خوارزم شاه تكش بن أرسلان والده. وقد غير لقبه من قطب الدين إلى علاء الدين، وهو لقب أبيه *(ابن العبرى:تاريخ مختصر الدول ص 225).*

٣٠ الرقة : مدينة مشهورة على الفرات، يقال لها: "الرقة البيضاء". *(الحموى:معجم البلدان ج ٣ ص 58).*

٣١ حران : مدينة عظيمة ومشهورة على طريق الموصل والشام وهى عاصمة "ديار مضر": قد قيل: إنها أول مدينة بنيت على الأرض بعد الطوفان، فتحت أيام عمر بـن الخطـاب رضى الله عنه. *(الحموى:معجم البلدان ج٢ ص٢٣٥).*

٣٢ مجاهد الدين قايماز : هو أبو منصور مجاهد الدين قايماز بن عبد الله الزينى مـن أهـل سجستان . اشتراه زين الدين والد الملك المعظم مظفر الدين كوكبورى صـاحب إربـل، وقدمه فى دولته حتى صار صاحب الأمر فيها .وإليه ينسب الجـامع المجاهـدى فـى الموصل. *(ابن واصل:مفرج الكروب ص١٠٣).*

٣٣ بخارى : من أعظم مدن ما وراء النهر. *(الحموى:معجم البلدان ج١ ص٣٥٣).*

٣٤ ماردين : قلعة عظيمة ومشهورة على قمة جبل الجزيرة، تـشرف علـى دنيـسر ودارا ونصيبين. وتعتبر هذه القلعة من أحصن وأحسن وأحكم القلاع. (الحموى:معجم البلـدان ج٥ ص٣٩).

٣٥ حسام الدين : هو حسام الدين يولوق. *(ابن واصل:مفرج الكروب ص٨٠)*

٣٦ الملك العزيز : هو الملك العزيز عماد الدين أبو الفتح عثمان سلطان الـديار المـصرية، وابن سلطانها الملك الناصر صلاح الدين يوسف. ولى سلطنة مـصرفى حيـاة والـده

صوريا، ثم تسلطن بعد وفاته باتفاق الأمراء وأعيان الدولة بديار مصر؛ لأنه كان نائبا عن أبيه صلاح الدين. لما كان أبوه مستقلا بفتح البلاد الشامية. وكان مولده بالقاهرة في الثامن من جمادى الأولى سنة ٥٦٧ هجرية، وكان الملك العزيز هذا أصغر من أخيه الملك الظاهر غازى صاحب حلب، وأصغر من أخيه الأفضل صاحب دمشق، وكان الأفضل هو أكبر الإخوة. ولقد تضاربت الأقوال فى سبب وفاته؛ قال ابن خلكان:" كان قد توجه إلى الفيوم فطرد فرسه وراء صيد، فسقط به فرسه فأصابته الحمى من ذلك، وحمل إلى القاهرة فتوفى بها فى الساعة السابعة من ليلة الأربعاء الحادى والعشرين من المحرم سنة ٥٩٥ ودفن بالقرافة الصغرى فى قبة الإمام الشافعى. *(أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج ٦ ص١٢٨)*. وقال ابن الجوزى:كان سبب وفاته أنه خرج إلى الفيوم يتصيد، فلاح له ظبى فركض الفرس خلفه فكبا به الفرس فدخل قربوس (السرج) فى فؤاده فحمل إلى القاهرة فمات فى العشرين من محرم ودفن عند الشافعى- رحمه الله- عن سبع وعشرين سنة وشهور، وقيل: عن ثمان وعشرين سنة.*(أبو المحاسن:النجوم ج ٦ ص١٢٩)*. قال ابن القادس: كان قد ركب وتبع غزالة فوقع فاندقت عنقه وبقى أربعة أيام ومات. *(أبو المحاسن:النجوم ج ٦ ص ١٢٩)*. أما ابن واصل فقد ذكر :لقد اعترضه ذئب فركض خلفه فعثر به فرسه فسقط على الأرض فحم من ساعته. ثم ركب وهو محموم وعاد إلى الأهرام وقد اشتدت حماة، ثم توجه إلى القاهرة فدخلها يوم عاشوراء وحدث به يرقان وقرحة فى الأمعاء. وانتقل إلى رحمة الله فى منتصف ليلة السابع والعشرين من محرم .فكانت مدة ملكه ست سنين إلا شهرا. وكانت مدة عمره سبعا وعشرين سنة وأشهرا *(ابن واصل:مفرج الكروب ص ٨٢)*

٣٧ حانى : مدينة معروفة بديار بكر. *(الحموى:معجم البلدان ج٢ ص٢٠٨)*.

٣٨ جبل جور : بلدة متصلة بديار بكر من نواحى أرمينية. *(الحموى:معجم البلدان ج٢ ص١٠٢)*.

٣٩ القاضى الفاضل وحيد زمانه : هو القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى. ولد سنة ٥٢٦ هجرية.وكان القاضى الفاضل هو وحيد زمانه فى صناعة الإنشاء التى ختمت به. توفى فى السابع عشر من ربيع الآخر. *(ابن واصل:مفرج الكروب ص١٠٩)*.

٤٠ **الطفل المنصور :** هو المنصور الأيوبى "محمد بن عثمان بن يوسف بن أيـوب " الملـك المنصور (٥٨٦ هجرية- ٦٢٠ هجرية) (١١٩٠ ميلادية – ١٢٢٣ ميلادية) كان ثالـث ملوك الدولة الأيوبية فى مصر ولقد تولى الملك سنة ٥٩٥ هجرية عند وفاة أبيه وكـان عمره تسع سنوات وبضعة اشهر. وكانت مدة حكمه سنة وثمانية أشهر (*الزركلى : معجم الأعلام ج٧ ص١٤٢*).

٤١ **منبج :** مدينة كبيرة فى الشمال الشرقى من ولايـة حلـب. أول مـن بناهـا كـسرى. (*الحموى:معجم البلدان ج٥ ص٢٠٥*) .

٤٢ **قلعة نجم :** قلعة حصينة مطلة على الفرات. (*الحموى:معجم البلدان ج٤ ص٣٩١*).

٤٣ **أفامية :** مدينة حصينة على سواحل الشام يسميها البعض "فامية". (*الحموى:معجم البلـدان ج١ ص٢٢٧*).

٤٤ **كفر طاب :** بلدة بين المعرة ومدينة حلب. (*الحموى: معجم البلدان ج٤ ص٤٧٠*).

٤٥ **سميساط :** مدينة على شاطئ الفرات طرف بلاد الروم غربى الفرات ولها قلعة يـسكنها الروم. (*الحموى:معجم البلدان ج٣ ص١٢*).

٤٦ **ملطية :** *بلدة من بلاد الروم تتاخم الشام* ، قريبة من نهر الفرات على الضفة اليمنى منه، وهى تعد من أمهات مدن السريان بناها الإسكندر (*الحموى:معجم البلدان ج٥ ص١٩٢*).

٤٧ **أرزن الروم :** بالفارسى: "أرضروم"، مدينة مشهورة ولها قلعة حصينة وكانت من أعمر نواحى أرمينية. (*الحموى:معجم البلدان ج١ ص١٥٠*).

٤٨ **قونية :** من مدن آسيا الصغرى، بها قبر جلال الدين الرومى وهى تعد من أعظـم مـدن الإسلام بالروم. (*الحموى:معجم البلدان ج٤ ص٤١٥*).

٤٩ **السامراء :** مدينة كانت بين بغداد وتكريت شرقى دجلة وقد خربت. (*الحمـوى: معجـم البلدان ج٣ ص١٧٣*).

٥٠ **مرو :** أشهر مدن خراسان وتعتبر عاصمتها. (*الحموى:معجم البلدان ج٥ ص١١٢*).

٥١ سروج : بلدة قريبة من حران من ديار مضر. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج٦ ص١٨٠).

٥٢ رأس العين : بلدة على منابع نهر الخابور فى الجزيرة كانت عامرة فى المائة الثالثة عشرة ثم خربت. وفى سنة ميلادية١٨٦٩ توطنتها عشيرة من الجركس ثم سكنها خلق من السريان والأرمن ولهم فيها بيعتان.(أغناطيوس أفرام الأول برصموم:اللؤلؤ المنثور ٥١٦).

٥٣ قال عز الدين بن الأثير فى كتابه الكامل : "وقد عوقب البيت الصلاحى بمثل ما فعله والدهم السلطان صلاح الدين لما خرجت إليه نساء بيت الأتابك ومن جملتهن بنت نور الدين الشهيد يشفعن فى إبقاء الموصل على عزالدين مسعود فردهن، ولم يجب إلى سؤالهن، ثم ندم رحمة الله تعالى على ردهن. (أبو الفداء:المختصر فى اخبار البشر ج٣ ص١٠٤).

٥٤ التتار : كانوا يقطنون المنطقة التى تحد شمالا بنهرى أرقون وسلنجا **SELENGA** ومملكة القرغيز،وجنوبا بإقليم التبت ،ومملكة التنجوت. كانت هذه القبائل من أشد قبائل الجنس الأصفر بطشا وجبروتا فى أقاليم آسيا الشمالية .وهم يتشعبون إلى شعب كثيرة . ويذكر "رشيد الدين" أن هؤلاء التتار كانوا أكثر قبائل البدو رفاهية وتنعما وأنهم كانوا أثرياء. وهؤلاء التتار كانوا فى أغلب الأوقات مطيعين وخاضعين لملوك الخطا. ولكنهم كانوا من آن لآخر يثورون على الخطا فيسرع هؤلاء لمقاومتهم وإجبارهم على الخضوع مرة أخرى. وقد عرف هؤلاء التتار بشدة البأس والجبروت وكانوا يعيشون فى صراع دائم مع بعضهم البعض. وكانت الحروب تنشب بينهم لأقل الأسباب وقد تستمر المعارك الناشبة بينهم عدة سنوات. وقد اشتهروا بالطعان والنزال ولم يكن لهم قانون يحكمهم أو شريعة يسيرون عليها .إن هؤلاء التتار استطاعوا أن يخضعوا أغلب القبائل وكانوا يتمتعون بشهرة ذائعة وشوكة كبيرة ، بحيث إن قبائل الأتراك الأخرى على اختلاف مراتبهم وطبقاتهم كانوا يتسمون باسمهم فأطلق على الجميع اسم تتار أو (تتر). (فؤاد عبد المعطى الصياد:المغول فى التاريخ ص٢٦).

٥٥ كرايت : قوم KERAIT موطنهم الواحات الشرقية الداخلة فى صحراء جوبى، وجنوبى بحيرة بايكال BAIKAL حتى سور الصين. وهم من المغول . أما جروسيه (GROSSET : L' EMPIRE DES STEPPES P. 245) فيذكر أنه لا يعلم على وجه التحديد ما إذا كان هؤلاء من المغول أم من الأتراك. ولكن من المعروف أن كثيرا من رؤسائهم كانوا أتراكا. وكان هؤلاء القوم يدينون بالمسيحية. ومنذ أن اعتنق ملكهم الدين المسيحى فى سنة ٣٩٨ هجرية (١٠٠٧ ميلادية) ذاع أمره فى أوروبا وراجت الأساطير والخرافات عن هذه الطائفة وملكهم. وقد ظلت قبائل الكرايت منذ القرنين: الخامس والسادس الهجريين (الحادى عشر والثانى عشر الميلاديين) أقوى أقوام المغول لأنهم استطاعوا أن يخضعوا أغلب الطوائف فى الأطراف، وأجبروهم على الدخول فى دائرة نفوذهم. وكان طغرل من أشهر ملوكهم إذ تغلب على عمهم (كورخان) الذى كان ينافسه على العرش ونجح فى طرده بمساعدة رئيس مغولى هو (يسوكاى) والد جنكيز خان .كذلك استطاع أن يهزم التتار تلبية لرغبة بلاط (كين)، وبهذا صار طغرل أقوى ملك فى منغوليا. وقد منحه إمبراطور (كين) تقديرا له على أعماله اللقب الصينى للملك وهو (وانج) WANGوعرف فى التاريخ بلقبيه الملكيين الصينى والتركى، وهما: (وانج خان) .ويذكر رشيد الدين (جامع التواريخ ج ١ ص٨٧) أن الكرايت كانوا يعادون جمعا كبيرا من الأقوام الأخرى لاسيما قوم (النايمان). (*الصياد:المغول فى التاريخ ص ٢٧*).

٥٦ أونك خان : مما يذكر أنه فى سنة ١٥١٤م للإسكندر كان بداية دولة المغول .وفى هذا الوقت كان المستولى على قبائل الترك المشارقة "أونك خان"، وهو المسمى "الملك يوحنا" من القبيلة التى يقال لها "كرايت" وهى طائفة تدين بدين الفرات.(*ابن العبرى: تاريخ مختصر الدول ص٢٢٦*).

٥٧ الأويرات : OIRAT أو "اويراد" OYIRAD .هم من أصل مغولى إلا أن لغتهم تفترق قليلا عن لغة القبائل المغولية الأخرى ، وكانوا يقيمون فى المنطقة الواقعة ما بين نهر "أونن ONON وبحيرة بايكال ،وكان عددهم كبيرا. وقد تشعبوا إلى عدة شعب. وكان لهم ملك يأتمرون بأمره. ولما جاء جنكيزخان خالفوه بعض الشىء إلا أنهم سرعان ما

قدموا له الخضوع والطاعة، وتم ذلك على خير وجـه وقـد حاصـرهم جنكيزخـان. *(الصياد:المغول فى التاريخ ٢٩).*

٥٨ قراخطا : أى "الخطا السود".هم الذين كانوا يكونون دولة كبيرة قبيل الغـزو المغـولى ،وتقع ما بين مملكة الخوارزميين فى الغرب ومساكن المغول فى الشرق. وكان شـاطئ نهر سيحون حدا فاصلا بين ممالك القراخطائيين وأقاليم الدولـة الخوارزميـة .وأصـل هؤلاء القراخطائيين من قبائل الخطا النازحين من شمال الصين .وقد ورد اسم هذه القبائل فى المراجع الصينية منذ القرن الرابع الميلادى، وهم خليط مـن المغـول والتـانجوت. *(الصياد:المغول فى التاريخ ص٢٣)* .

٥٩ تموجين : لقبه: "جنكيزخان". تذكر الروايات أنه فى وقت ولادته سار أبوه(يسوكاى بهادر) لمحاربة التتار .وقد واتاه الحظ فانتصر عليهم، وقضى على ملكهم (تموجين) واسـتولى على أمواله وأملاكه. ولما عاد إلى المنزل علم بنبأ ولادة ابنه، فتفـاءل بتلـك المناسـبة وسمى ابنه: "تموجين". ويقال: إنه عندما ولد وجدت إحدى يديه قابـضة علـى قطعـة متجمدة من الدم .وقد تنبأ البعض أن هذا الطفل سوف يكون ملكا عظيما وسوف تظهـر على صفحة جبينه آثار الغزو والسيطرة، وتبدو على محياه أنـوار الـسعادة والتوفيـق. ويستدل آخرون بهذه الواقعة على استعداد ذلك المولود وجرأتـه علـى سـفك الـدماء. *(الصياد:المغول في التاريخ ص٤١).*

٦٠ الياسا(الياصا) : لقد اقتضت حياة المغول رغم بدائيتها وبساطتها أن تكـون لهـم قبـل جنكيزخان مجموعة من الآداب والتقاليد، ولكنها لم تكن مدونة لأنهم كانوا يجهلون الخط. فلما جاء جنكيزخان أعاد النظر فى هذه العادات ورد بعضها وقبل معظمها وأضاف إليها بعض الأحكام والقواعد، وجعل لها صبغة رسمية ، وأمر بأن تدون النظم والأحكام بالخط الأويغورى وأن يحتفظ بها فى خزائن أمراء الملوك. وأطلق على كل حكم من الأحكـام والقواعد اسم: (ياسا)، وهى كلمة مغولية تأتى بمعنى (حكم ، وقاعدة، وقانون)، وتكتـب بأشكال مختلفة فى الكتب العربية والفارسية .ولما كان كتاب الياسا يشتمل على جزء كبير من الأحكام التى تتعلق بالجزاء أو العقاب وغالبا ما يكون ذلك بإعدام الشخص المـذنب

صار أحد معانى هذه الكلمة: "القتل والموت". *(رشيد الدين فضل الله الهمـــذاني:مـــؤرخ المغول الكبير ص٢٢٨).*

٦١ **لغة المغول:** كتب المغول بخط ينحدر من الشكل السرياني للأبجدية السامية تلك الأبجدية التي يقوم على أساسها الخط اللاتيني أيضا .وكان المراسلون النساطرة قد عملـــوا علـــى نشره منذ قرون حتى بلغ قلب أسيا. والواقع أن هذا الخط اصطنع فى كتابة اللغة التركية الشرقية أيضا ،وحل محل الخط الشبيه بالخط الرونى المنحـــدر بـــدوره مـــن تحريـــف للأبجدية السامية والذى اصطنعه أقدم من نعرف من الخانات الأتراك فى تدوين تاريخهم فى القرن الثامن على ضفاف نهر أورخون. *(كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية ص ٣٩٤)* .

٦٢ **خان :** لقب أطلقه المغول على رؤسائهم الذين يتولون جزء من الإمبراطورية المغوليـــة، وهو يختلف عن لقب (خاقان) الذى أطلقوه على الرئيس الأعلى لدولتهم ومعناه: (الخـــان الأعظم).ولقد استعمل المغول لقب (خان) أيضا بمعنى (خاقان) وربما كان ذلك من بـــاب الرغبة فى الاختصار. *(العريني:المغول فى التاريخ ص ٤٩)*.

٦٣ **قام :** لما كانت البداوة غالبة على المغول والجهل متفشيا بينهم فإنَّ ذلك روج بينهم سلسلة من الخرافات والعادات السيئة فمثلا كانوا يعتقدون أن للشيطان تأثيرا كبيرا على حيـــاتهم وكانوا يخشون السحر ويخافونه. وقد تضمنت (الياسا) أحكاما شديدة رادعة توقع على كل من يهتم بالسحر والشعوذة بقصد الإضرار بالغير. وكانوا ينظرون إلى طائفة الكهنة من البوذيين على أنهم وحدهم هم الذين يستطيعون إبطال تأثير السحر ودفع ضرره، ويعرف كل واحد منهم باسم: (بخشى) . والساحر الملم بضروب السحر يقال (قام) . ولقد كـــان هؤلاء الكهان يزعمون أنهم يستطيعون تسخير الشياطين. كما أن ذوى الأرواح الشريرة يألفونهم ويأتمرون بأمرهم وأنهم قديرون على التنبؤ بالغيب عن طريق تحضير الشياطين والأرواح. وجرت عادة المغول على أن يبرموا الأمور وفق ما يشير به هؤلاء الكهـــان. *(العريني:المغول في التاريخ ٣٥٣)* .

٦٤ **قراقجيان :** كلمة فارسية تعنى: "حراسة الحدود" .

٦٥ السلطان محمد : هو السلطان محمد خوارزم شاه، حكم منذ سنة (٥٩٦هجرية –٦١٧ هجرية) (١١٩٩ ميلادية –١٢١٩ ميلادية).

٦٦ المملكة : ظلت اليونان بأيدي الفرنج حتى سنة ٦٦٠ هجرية، حتى قصدها الروم واستعادوها . (*أبو الفداء:المختصر في أخبار البشر ج٢ ص١٠٥*).

٦٧ القسطنطينية : كانت تسمى قديما: "بوزنطية "BYSANCE ".

٦٨ المركيس : هو "بونيفاس الثاني " مركيس دى مونتفرات MARQUIS DE MONTFERRAT .ولم يكن فرنسيا، وإنما كان مقدم جيوش فرنسيًا وفلاندرا. (*ابن العبرى: تاريخ مختصر الدول ص ٢٢٨*).

٦٩ كندا فلند : COMTE DE FLANDRE .هو " بدوين التاسع " الذى اختاره الصليبيون ليكون أول ملك للمملكة التى أنشأها الإفرنج فى القسطنطينية، وتسمى: "بدوين الأول" .(*ابن العبرى:تاريخ مختصر الدول ص٢٢٨*).

٧٠ *بنطس : كلمة يونانية وهى تطلق على* البحر الذى منه خليج قسطنطينية. منبعه فى أطراف بلاد الترك فى الشمال ويمتد إلى ناحية المغرب والجنوب حتى يتصل ببحر الشام. وقبل اتصاله ببحر الشام يسمى "بنطس"، وهو يعرف ببنطس عند اليونان، ويعرف عند العرب ببحر "طرابزنده "، وهو البحر الأسود. (*الحموى:معجم البلدان ج١ ص٥٠٠*).

٧١ نيقية : من أعمال استنبول فى الجانب الشرقى.(*أبو الفداء:المختصر فى أخبار البشر ج ٣ ص٩٩*) .

٧٢ اللشكرى : لقب أطلقه المؤرخون العرب أول الأمر على "تيودور اللشكرى الأول (THEODORE LASCARIS). وكان إمبراطور الدولة البيزنطية فى نيقية بعد استيلاء اللاتين على القسطنطينية .ثم غلب اسم اللشكرى بعد ذلك على كل أباطرة بيزنطة. (*ابن واصل:مفرج الكروب ص٢٢٥*) .

٧٣ <u>بلد :</u> مدينة قديمة على دجلة فوق الموصل خربت فى المائة الرابعة عشرة. *(أغناطيوس برصوم:اللؤلؤ المنثور ص٥٠٥)*.

٧٤ <u>تليعفر :</u> كانت تابعة لقطب الدين وقد أقام فيها نور الدين سبعة عشر يوما.*(ابن العبرى:تاريخ مختصر الدول ص٢٢٣)*.

٧٥ <u>الناصرة :</u> قرية بينها وبين طبرية ثلاثة عشر ميلا، وولد بها السيد المسيح. ومن هذه القرية اشتق اسم النصارى. *(الحموى:معجم البلدان ج٥ ص٢٥١)*.

٧٦ <u>آبكرم :</u> توفى "بهرامشاه فى سنة ٦٢٢ هجرية /١٢٢٥ ميلادية بعد أن حكم مدة طويلة وخلفه على العرش ولده "علاء الدين داود الثانى"، ولكن "كيقباد الأول" استولى على أرزنجان سنة ٦٢٥ هجرية ونقل داود شاه وأهله وأولاده إلى "قونية وأقطعه قصبة "إيلغين" التى كانت تسمى بسبب مياهها المعدنية "بآبكرم" "أى المياه الدافئة".*(أحمد السعيد سليمان:تاريخ الدول الاسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ج ١ ص٣٣٠)*.

٧٧ <u>خرتبرت :</u> اسم أرمنى، وهو الحصن المعروف"بحصن زياد " فى أقصى ديار بكر فى بلاد الروم. *(الحموى:معجم البلدان ج٢ ص٢٥٥)*.

٧٨ <u>سمنين :</u> هى بلدة من ثغور الروم .*(الحموى:معجم البلدان ج٣ ص٢٥٥)*.

٧٩ <u>أذربيجان :</u> هو إقليم واسع، ومن أشهر مدنه "تبريز" التى تعد اليوم العاصمة وأكبر مدنها. أما قديما فكانت عاصمتها "مراغة" ويشتهر هذا الإقليم بقلاعه الكثيرة وبجباله المرتفعة. *(الحموى:معجم البلدان ج١ ص١٢٨)*.

٨٠ <u>أرجيش :</u> هى مدينة قديمة من نواحى أرمينية الكبرى وهى تقع بالقرب من خلاط، وأكثر أهلها أرمن نصارى. *(الحموى:معجم البلدان ج١ ص١٤٤)*.

٨١ <u>منازجرد :</u> هو بلد مشهور بين خلاط وبلاد الروم أى شمال بحيرة "وان" ويعد فى أرمينية. ومعظم أهله أرمن وروم ويسمون بلدهم " منازكرد" أو " ملازكرد"، وتسمى الآن "ملاشكرد ".*(دائرة المعارف الإسلامية ج٢٧ ص٨٥٤٩)*.

٨٢ دنيسر : هى بلدة مشهورة من نواحى الجزيرة تقع بالقرب من ماردين، ولقد أطلق عليها اسم آخر وهو "قوج حضار". (الحموى:معجم البلدان ج٢ ص٤٧٨).

٨٣ موش : هى بلدة تقع بالقرب من خلاط فى أرمينية.(الحموى:معجم البلدان ج٥ ص٢٢٣).

٨٤ وان : هى قلعة بين خلاط ونواحى تفليس. (الحموى:معجم البلدان ج٥ ص٣٥٥).

٨٥ دير ما هارون: دير يقع فى الجبل المبارك بالقرب من ملطية، أنشأه القديس هارون السروجى الناسك سنة ٣٨٩ هجرية وقد أعان الكنيسة بسبعة أساقفة من سنة ١٠٨٨ إلى ١٢٨٩م (أغناطيوس برصوم:اللؤلؤ المنثور ٥١٥) .

٨٦ قلعة رواندان : قصد الملك الظاهر منبج سنة ٥٩٨وكان الملك الفائز بن الملك العادل قد قصدها فى غيبته وملكها .فاستعادها وخرب سورها وقلعتها ونقل ذخائرها إلى حلب وأقطعها عماد الدين بن المشطوب فأجاب الملك الظاهر إلى ذلك وأقطعه "الرواندان" وكفر طاب. (ابن واصل:مفرج الكروب ص ١٣١) .

٨٧ قطب الدين : ورد فى (ابن واصل:مفرج الكروب ص١٩٣) "أن قطب الدين عندما وجد أن الملك العادل كان يستعد للاستيلاء على سنجار أخرج إليه نساءه وحرمه يتضرعن إليه ويسألنه إبقاء المدينة."

٨٨ جزيرة قاردو : إن كردستان قد استبعدت من لغة الإدارة ومن الأطالس الجغرافية .ففى تركيا يعرف الجزء الكردستانى بشرق الأناضول .وفى العراق يعرف بأقاليم الشمال. وفى سوريا باسم إقليم الجزيرة التى تشتمل على أقاليم "قاردو" و"بازايدا" و"الحسينية". (دائرة المعارف الإسلامية ج ٢٧ ص ٨٥٤٢.)

٨٩ مظفر الدين كوكبورى : هو مظفر الدين كوكبورى بن زين الدين كوجك . وكوكبرى كلمة "تركية" معناها: " ذئب أزرق". كان قد عين "عماد الدين زنكى" قائده المسمى "زين الدين على كوجك بن بكتكين"، وهو من حاشيته التركية، واليا على الموصل سنة ٥٣٩ هجرية /١١٤٤ ميلادية على شهر زور وهكارية وتكريت وسنجار وحران، وصارت إربل عاصمة ملكه. ولما شاخ ابن بكتكين تنازل عن بلاده فى سنة ٥٦٣ هجرية /١١٦٨ ميلادية لقطب الدين مودود واحتفظ لنفسه بإربل، ولكنه ما لبث أن توفى فى نفس العام

وانتقلت إربل إلى ولده "زين الدين يوسف"الذى كان لايزال صغيرا جدا. وأما ابنه الأكبر سنا "مظفر الدين كوكبورى" فقد أعطاه "مسعود بن مودود" حاكم الموصل مدينة حـران. وبعد بضعة أعوام انحاز الإخوان إلى "صلاح الدين" فى حربه ضد بنى زنكـى . وبعـد وفاة "زين الدين يوسف" فى سنة ٥٨٦ هجرية / ١١٩٠ ميلادية استولى أخوه كوكبـورى على إربل. ولما لم يكن له وارث فقد أوصى بممتلكاته للخليفة العباسى وكانت وفاته سنة ٦٣٠ هجرية. (*أحمد السعيد سليمان:تاريخ الدول الاسلامية ومعجم الأسر الحاكمـة ج٢ ص٣٤٩*) .

٩٠ أسد الدين : هو الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه صاحب حمـص والرحمة وتدمر.(*ابن واصل:مفرج الكروب ص٤*).

٩١ فخر الدين الرازى (٥٤٤ هجرية -٦٠٤ هجرية) (١١٥٠ ميلادية - ١٢١٠ ميلادية): هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمى البكرى ، أبـو عبـد الله فخـر الـدين الرازى. الإمام المفسر، وهو قرشى النسب وأصله من طبرستان وولد فى الرى وإليهـا ترجع نسبته. لقد رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان وأخيرا توفى فى هـراة. كان يجيد الفارسية وله شعر بالعربية والفارسيةـــ وكـان واعظـا بارعـا بـاللغتين. (*الزركلى:معجم الأعلام ج٧ ص٢٠٣*).

٩٢ جلال الدين حسن : وهو المعروف باسم "نومسلمان" أى: "المسلم الجديـد"؛ وذلـك لأن "جلال الدين" تبرأ من سلوك ابنه وجده وتمسك بمبادئ الشريعة الإسلامية.وقد حكم فـى الفترة ما بين ٦٠٧ هجرية إلى ٦١٨ هجرية.لقد قدم بغداد رسول "جلال الـدين حـسن" صاحب "ألموت" يخبر الخليفة بأنهم تبرأوا من الباطنية وأقيمت الجوامع والمساجد وصلوا التراويح فى شهر رمضان. (*رشيد الدين الدين فضل الله الهمذانى:جامع التواريخ مجلـد ٢ جزء ١ ص٢٥٩*) .

٩٣ نور الدين أرسلان شاه : هو صاحب الموصل. كان متكبرا بخيلا، وسفاكا للدماء وحبس أخاه سنتين حتى مات فى حبسه. كان مرضه قد طال ولما اشتد أشير عليه بالإنحدار إلى "عين القيارة" ليستحم بها، فانحدر إليها واستحم بها ولم يجد راحة، وازداد ضعفا فأخـذه الأمير "بدر الدين لؤلؤ" مملوكه وكان أستاذ داره والحاكم فى دولته وأصعده فى سـفينة

صغيرة إلى الموصل فتوفى فى الطريق ليلا ومعه الملاحون والأطباء .وقد أخفى خبر وفاته حتى يتم تدبير جميع الأمور ودفن بالمدرسة التى أنشأها مقابل داره. وقد توفى سنة ٦٠٧ هجرية. وكان له ولدان: القاهر عز الدين مسعود بن نور الدين شاه والملك المنصور عماد الدين زنكى بن نور الدين أرسلان شاه .وكان قبل وفاته قد أوصى إلى "بدر الدين لؤلؤ" أن يكون "مسعود" السلطان ويكون "زنكى"فى شهر زور. وكانت مدة ملكه بالموصل سبع عشرة سنة وأحد عشر شهرا. *(ابن واصل: مفرج الكروب ٢٠٣)*.

٩٤ عماد الدين زنكى : قام بحكم الموصل بالنيابة عن آقسنقر الذى كان مشغولا فى العراق وسوريا وكان ذلك منذ سنة ٥١٦ هجرية حتى سنة ٥١٨ هجرية. ثم فى سنة ٥٢١ هجرية أصبح هو الحاكم الفعلى . *(زمباور :معجم الأنساب والأسرات الحاكمة ص٦٠)*.

٩٥ شوش : هى قلعة عظيمة وعالية جدا تقع بالقرب من "عقر الحميدية"، وتعد من أعمال الموصل. لقد قيل: إنها أعلى من العقر وأكبر، ولكنها أقل منها قدرا وشأنا. *(الحموى:معجم البلدان ج٣ ص٢٧٢)*.

٩٦ بدر الدين لؤلؤ : هو يوسف بن لؤلؤ بن عبد الله الذهبى، بدر الدين . كان من أعظم شعراء الدولة الناصرية بدمشق .ومما يذكر أن والد لؤلؤ كان مملوكا أعتقه الأمير بدر الدين صاحب "تل باش" فى شمال حلب؛ ومن هنا جاءت تسميته بدر الدين. *(الزركلى: معجم الأعلام ج٩ ص٣٢٥)*.

٩٧ ابن هبل : هو على بن أحمد، أبو الحسن بن هبل الطبيب المعروف . كان من أهل بغداد واشتهر بعلمه فى الطب والأدب ، وقد أقام بخلاط عند صاحبها "شاهرمن" يطببه. وقد قرأ الناس عليه. وصنف كتابًا فى الطب أسماه: "المختار" فى أربع مجلدات .وتوفى فى سنة ٦١٩ هجرية. *(ابن العبرى:تاريخ مختصر الدول ص٢٤٠)* .

٩٨ أبو البركات : هو طبيب يهودى، كان عالما بعلوم الأوائل . صنف عدة كتب أهمها كتاب "المعتبر" . وفى أواخر أيامه قام هذا الطبيب بإشهار إسلامه. (ابن العبرى: تاريخ مختصر الدول ص٢١٠).

٩٩ **الأتراك الأويغور:** كانوا يسكنون المنطقة الواقعة شمال شرقى تركستان الحالية. وتـذكر الروايات أن (أوغوز) أبا الأتراك كان يؤمن بالله ويدين بالوحدانية، ولكن أباه وأعمامه كانوا كفارا فنازعوه عقيدته وقاموا ضده، وأرادوا القضاء عليه، فانضم إليه بعض من أقاربه وانحازوا إلى جانبه وصاروا يساندونه ويعاونونه فأطلق عليهم اسم (أويغور) فغلب عليهم هذا الاسم. وأويغور كلمة تركية تأتى بمعنى: "الارتباط والتعاون". أما البعض الآخر فقد أخذ جانب أبيه وأعمامه وأخوته . ثم قامت الحرب بين الفريقين فانتصر أوغوز وأتباعه.ومن هذه الجماعة تناسل جميع أقوام الأويغور .والمعروف عن هؤلاء الأويغوريين أنهم كانوا أكثر الأقوام التركية تمدنا وكانت ديانتهم مانوية ومسيحية.*(الصياد:المغول في التاريخ ص ٢١)* .

١٠٠ **إيدى قوت:** المعروف عن الأويغوريين أنهم ظلوا مدة طويلة دون أن يكون لهم ملك أو رئيس .فوقع اختيارهم على شخص يدعى (منكوباى) ولقبوه بلقب (إيل إيلتريـر) ثم اختاروا شخصا آخر عرف بمقدرته وكفاءته من قوم (أورقندر) ولقبوه بلقب (كول إيركين) ونصبوا الاثنين ملكين على جميع الأقوام. وقد استمر أعقابهما يحكمون مدة مائة سنة. وفى النهاية اصطلح الأويغور على تسمية ملكهم: "إيدى قوت"، يعنى: "رئيس الدولة" (الصياد:المغول فى التاريخ ص٢٢) .

١٠١ **المالق :** هى إحدى مدن تركستان وكانت فى وقت من الأوقات من أمهات مدن دولة الخطا، وترجع أهميتها فى أنها كانت تقع على الطريق بين منغوليا وفارس. *(أبو المحاسن:النجوم الزاهرة ج٦ ص١٣٦)* .

١٠٢ **سفتاق :** فى سنة ٦١٠ هجرية قصد جنكيزخان بلاد السلطان محمد، ولما وصل إلى بلاد التركستان أتاه الأمير أرسلان خان من " قياليغ" والأمير "ايدى قوت" من بيش باليغ والأمير "سفتاق" من الماليغ وساروا فى عساكرهم. ولما اجتمعت العساكر جميعها بعصبة مدينة أترار سير جنكيزخان ابنه الكبير فى "تومانين" عسكر إلى جانب خوقند، وتوجه هو بنفسه إلى بخارى ورتب على محاصرة أترار ولديه "جغاتاى" و"أوكتاى"، فدام القتال عليها مدة خمسة شهور لأن السلطان محمد كان قد سير إليها "غاير خان" فى خمسة آلاف فرس وقراجا خاص حاجب فى عشرة آلاف وكانوا كلهم بها. ولما ضاقت الحيلة بمن فى

المدينة وعجزوا عن المقاومة شاور "قراجا "لغاير خان" فى الصلح وتسلم البلـد. فـأبى غاير خان إلا المجاهدة حتى الموت؛ لعلمه أن المغول لا يبقون عليه فلم ير فى المصالحة مصلحة. (ابن العبرى:تاريخ مختصر الدول ص٢٣٠) .

١٠٣ خوقند : لما اقترب جنكيزخان من أترار قسم جيوشه على النحو التالى : قسم مؤلف مـن عدة طومانات (عشرات الألوف) وفيهم الأويغوريون، ويتولى قيادته جغاتـاى. ويقـوم بحصار مدينة أترار ،بينما تقرر إرسال قسم آخر بقيادة "جوجى" إلى نهر سيحون ويتوجه قسم صغير إلى "خوقند " بطريق نهر سيحون .أما جنكيزخان وابنـه الأصـغر "تـولى" فتوجها بمعظم الجيش إلى بخارى لقطع طريـق الاتـصال بـين الـسلطان وجيـشه. (العرينى:المغول ص ١٢٢).

١٠٤ أترار: كانت مدينة أترار أول مدينة قصدها المغول؛ لأنها تعتبر من جهة مفتاح إقليم مـا وراء النهر، ومن جهة أخرى كان لايزال يحكمها إينال خان الحاكم الخوارزمى الذى قتل التجار المغول فأثار بذلك حفيظة جنكيزخان، وجعله يصمم على تأديبـه والثـأر لمقتـل رعاياه. (الصياد:المغول فى التاريخ ص١١٣) .

١٠٥ سينوب : استولى السلطان السلجوقى عز الـدين كيكـاوس الأول سـنة ٦١١ هجريـة /١٢١٤ميلادية على مدينة سينوب، ولكنها ما لبثت أن وقعت فى يد إمبراطور طرابزون ثم استردها السلاجقة فى أواخر سلطنة قليج أرسلان الرابع بفضل الجهود التـى بـذلها الأمير السلجوقى البروانة "معين الدين سليمان " طوال عامين. ولكن معين الـدين اتخـذ سينوب لنفسه ولم يتحرج عندما خاف أن يستولى عليها قليج أرسلان الرابع من الإقـدام على قتله .فلما أرغمته الظروف على ترك سينوب خلف عليها ابنه "معين الدين محمد". وما أن قتل معين الدين سليمان سنة ٦٧٦ هجرية ١٢٧٧/ميلادية حتى أعلن "معين الدين محمد" استقلاله فى سينوب، وقرر قراره على أن يحارب المغول ولكن المـوت عاجلـه سنة ٦٩٦ هجرية /١٢٩٦ ميلادية وخلفه فى حكم سينوب ابنه "مهذب الدين مسعود" الذى كان يجنح إلى مسالمة المغول وتوفى سنة ٧٠٠ هجرية /١٣٠٠ميلادية. وبوفاته انتهـت حكومة أولاد "بروانة" التى دامت أربعة وعشرين عاما فقط. وانتقلت سينوب وما حولها

إلى "غازى جلبى بن السلطان غياث الدين مسعود الثانى" . (*أحمد السعيد سليمان:تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ج٢ ص٣٨٩*) .

١٠٦ **كير ألكس :** هو ملك الروم والمعروف "باللشكرى". وهذا الملك هو الذى قتل والده "غياث الدين كيخسرو" الملك "عز الدين كيكاوس".(*ابن واصل:مفرج الكروب ص٢٠٥*) .

١٠٧ **بابا الروم :** كان مقر البابا فى رومية الكبرى.

١٠٨ **بيسان :** مدينة بالأردن بالغور الشامى، ويقال: هى "لسان الأرض"، وهى تقع بين حوران وفلسطين.(*أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج ٦ ص ١٦٨*) .

١٠٩ **الملك الفائز :** هو الملك الفائز إبراهيم بن الملك العادل.كان قد قصد منبج وملكها ولكن استعادها الملك الظاهر، وخرب سورها وقلعتها ونقل ذخائرها إلى حلب وأقطعها "عماد الدين بن المشطوب". (*ابن واصل:مفرج الكروب ص١٣١*) .

١١٠ **أران :** هو اسم أعجمى لولاية واسعة ويمر بين أذربيجان وأران نهر "الرس" وكل ما جاوره من ناحية الغرب والشمال، فهو تابع لأران وكل ما كان من جهة المشرق فهو من أذربيجان .ولقد قال البعض : إن أران من أصقاع أرمينية. (*الحموى:معجم البلدان ج١ ص١٣٦*).

١١١ **عقر :** هى قرية بين تكريت والموصل وكانت قديما محطا للقوافل. (*الحموى:معجم البلدان ج٤ ص١٣٦*).

١١٢ **عمادية :** هى قلعة عظيمة وحصينة تقع فى شمال الموصل وتعد من أعمالها. ومما يذكر أن عماد الدين زنكى بن آقسنقر هو الذى عمرها وأغلب الظن أنها سميت باسمه. (*الحموى :معجم البلدان ج٣ ص١٤٦*) .

١١٣ **الهكارية :** بلدة وناحية وقرى فوق الموصل فى بلدة جزيرة "ابن عمر" يسكنها أكراد يقال لهم: "الهكارية". (*أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج٦ ص١١٧*).

١١٤ **الزوزان :** هى اسم كورة بين جبال أرمينية وبين أخلاط وأذربيجان وديار بكر والموصل. (*الحموى:معجم البلدان ج٣ ص١٥٨*).

١١٥ **شهاب الدين :** هو شهاب الدين طغرل وهو أتابك الملك العزيز. (*ابن واصل:مفرج الكروب ص٨*).

١١٦ **عالقين :** كان الملك العادل نازلا "بمرج الصفر" ثم رحل منها إلى "عالقين" وهى عند عقبة " أفيق". (*ابن واصل:مفرج الكروب ص ٢٧٥*).

١١٧ **الأبناء الآتيين:** ذكر أن الملك العادل قد ترك ستة عشر ولدا ذكرا غير البنات.(*ابن واصل:مفرج الكروب ص٢٧٠*).

١١٨ **الملك الأشرف :** هو الملك الأشرف مظفر الدين موسى صاحب البلاد الشرقية وخلاط بعد أخيه الملك الأوحد.

١١٩ **الملك الحافظ :** هو الملك الحافظ نور الدين أرسلان سابع أبناء الملك العادل. (*ابن واصل:مفرج الكروب ص٢٧٥*).

١٢٠ **الملك العزيز عثمان :** هو الملك العزيز عماد الدين أبو الفتح عثمان صاحب بانياس وعدة مواضع، كانت بيد فخر الدين جهاركس وكان جوادا شهما. (*ابن واصل:مفرج الكروب ص٢٧٤*).

١٢١ **الملك الصالح إسماعيل :** هو الملك الصالح عماد الدين إسماعيل وكانت له من أبيه بصرى وملك بعد ذلك دمشق وبعلبك.(*أبو المحاسن:النجوم الزاهرة ج٦ ص١٧٢*).

١٢٢ **الملك الأمجد عباس :** هو الملك الأمجد تقى الدين عباس وهو أصغرهم. مولده سنة ثلاث وستمائة، وهو آخرهم موتا. توفى بدمشق ودفن بسفح قسيون سنة ٦٦٩ هجرية.(*ابن واصل:مفرج الكروب ص٢٧٥*).

١٢٣ **ناصر الدين محمد :** نصبه "بدر الدين لؤلؤ" على الملك بعد وفاة أخيه "نور الدين"، وكان آخر من خطب له من بيت أتابك بالسلطنة.(*ابن واصل:مفرج الكروب ص٩٥*).

١٢٤ **نهر الزاب:** هو نهر شديد الحمرة يمتد بين الموصل وآرب ويجرى فى جبال الأودية. (*الحموى:معجم البلدان ج٣ ص١٢٣*).

١٢٥ شهرزور: هى عبارة عن كور واسعة ممتدة فى الجبال بين آرب وهمذان أهل هذه البلدة كلهم أكراد. (*الحموى:معجم البلدان ج٣ ص٣٧٥*).

١٢٦ الكواشي : هى قلعة حصينة تقع فى جبال شرق الموصل. (*الحموى:معجم البلـدان ج ٤ ص٤٨٦*).

١٢٧ عز الدين كيكاوس : توفى على إثر مرض السل، وهو الملقب بالملك "الغالب" صـاحب بلاد الروم. (*ابن واصل:مفرج الكروب ص٢١٧*).

١٢٨ علاء الدين كيقباذ : هو صاحب الروم، كان عاقلا شجاعا، ومقداما جودا. وهو الذى كسر "الخوارزمى" وكسر "الكامل" واستولى على بلاد الشرق. ظلامته وكان الملك "العادل" قد زوجه ابنته فأولدها أولادا ،وكان عادلا منصفا مهيبا ما وقف لـه مظلـوم إلا وكـشف ظلامته وكانت وفاته فى شوال سنة ٦٣٤ هجرية. (*أبو المحاسن:النجوم ج٦ ص٢٩٧*).

١٢٩ قلعة المنشار : قلعة على الفرات بالقرب من ملطية، كان مسجونا بها "علاء الدين كيقباذ". (*ابن العبرى:تاريخ مختصر الدول ٢٣٣*).

١٣٠ الإسماعيلية : كان الحسن بن الصباح هو مؤسس المذهب الإسماعيلى فى أواخر القـرن الخامس الهجرى فى منطقة الديلم من البلاد الإيرانية . وكان قد دخل مصر وهو لايزال شابا فى سنة ٤٦٤ هجرية/١٠٧٢ ميلادية، وبواسطة ابن عطاش داعى الفاطميين الكبير فى إيران فى الجمعية السرية التى تعترف بإمامة الخليفة الفاطمى "المستنصر" ثم توجـه الحسن بنفسه سنة ٤٧١ هجرية /١٠٧٨ ميلادية إلى مصر وانتسب إلى المستنصر، ثـم دخل بعد ذلك فى القائلين بإمامة ابن المستنصر .وفى أثناء عودته استولى علـى قلعـة "ألموت"، وكان ذلك سنة ٤٨٢ هجرية/ ١٠٩٠ميلادية . ولما توفى سـنة ٥١٨ هجريـة خلفه بموجب وصية نائبه (كيا بزرك أميد) وهو الذى تسلسل حكم الإسماعيلية هناك فى ذريته . ويقال لهؤلاء الإسماعيلية أيضا "الباطنية" و"الملاحدة" و"الألموتية" . وقد بلغوا من القوة – لفترة – ما جعل العباسيين والسلاجقة يعجزون جميعاعن الثأر منهم. وكان مـن أصول عقيدتهم قتل أعدائهم بالدسائس وبكل الوسائل . ويقال: إنَّ الرؤساء كانوا يشربون الحشيش للفدائيين المأمورين بتنفيذ هذه الجرائم؛ ولـذلك يـسمى هـؤلاء الإسـماعيلية

"بالحشاشين". وقد حرف الأوربيون هذه الكلمة فسموهم (ASSASSINS) بمعنى "القتلة" فقد اتسع هذا المذهب فى إيران حتى وصل فرع منه إلى سوريا واكتسب أنصارا كثيـرة فى حلب بوجه خاص. ولما ظهر المغول عجز "ركن الدولة" آخر حكام الإسماعيلية عن المقاومة فسقطت "ألموت" سنة ٦٥٤ هجرية/ ١٢٥٦ ميلادية وقبض عليه وأعدم، وهـدم المغول كل قلاع الإسماعيلية بالشرق. وأما حصونهم فى سوريا فقـد اسـتولى عليهـا المملوك التركى السلطان "بيبرس" سنة ٦٧١ هجرية/ ١٢٧٢ ميلاديـة، وانتهـى حكـم الإسماعيلية تماما. ولكن للإسماعيلية الآن بقايا فى جبال النصيرية بسوريا وبجوار "قـم" فى إيران وفى بعض مناطق بوسط أسيا وأفغانستان والهنـد وعمـان. (*أحمـد الـسعيد سليمان:تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ج١ ص٣٠٣*) .

١٣١ **توليّ :** تذكر المصادر أنه هو الذى اعتلى المنبر وليس ابنه، وذلك كما ورد فـى (*ابـن العبرى:تاريخ مختصر الدول ص٢٣٣*)؛ وكذلك (*الصياد:المغول فى التاريخ ص١١٦*).

١٣٢ **ابن المشطوب :** هو عماد الدين أحمد بن سيف الدين على بن أحمد بن المشطوب، توفى سنة ٦١٩ هجرية.(*أبو الفداء:المختصر فى أخبار البشر ج٣ ص١٢٥*).

١٣٣ **السلامية :** هى قرية كبيرة تقع على شرق نهر دجلة فى الموصل وتعد من أكبر قراهـا. (*الحموى:معجم البلدان ج٣ ص٢٣٤*).

١٣٤ **قلعة الحدث :** هى قلعة حصينة بين ملطية وسميساط ومرعش وتعد هذه القلعة من الثغور. ويسميها البعض "الحمراء" لحمرة تربتها، وتقع هذه القلعة على جبل يسمى "الأحيـدب". (*الحموى: معجم البلدان ج٢ ص٢٢٧*).

١٣٥ **الملك المنصور :** هو الملك المنصور محمد بن الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه صاحب حماة. ولقد توفى بحماه فى ذى القعدة من سنة ٦١٧ هجرية وكانت مدة مرضـه إحدى وعشرين يوما.(*أبو الفداء:المختصر فى أخبار البشر ج٣ ص١٢٥*).

١٣٦ **الملك الناصر قليج أرسلان:** هو الملك الناصر صلاح الدين قليج أرسـلان بـن الملـك المنصور صاحب حماة شقيق الملك المظفر تقى الدين محمود ولد سنة ٦٠٠ هجرية.(*ابن واصل:مفرج الكروب ص١٦١*).

١٣٧ **عسقلان :** هو اسم أعجمي، وهى مدينة بالشام وتعد من أعمال فلسطين. (*الحموي:معجم البلدان ج٤ ص١٢٢*).

١٣٨ **الإسبتارية:** الإسبتار طائفة من رجال الدين، كان مبدأ أمرهم فى القرن التاسع الميلادى فى إيطاليا بعنوان: NOTRE DAME DE LA SCALA .ثم زاد عددهم فى الحروب الصليبية، لمساعدة الصليبيين من جهة والدعاية لنشر الدين من جهة أخرى، وهم فرق كثيرة مختلفة.(*أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج٦ ص٣٣*) .

١٣٩ **بارين :** مدينة حسنة بين حلب وحماة من جهة الغرب. (*أبو المحاسن:النجوم الزاهرة ج٦ ص ٢٥*).

١٤٠ **طرسوس :** هى كلمة أعجمية رومية، وهى مدينة بثغور الشام بين إنطاكية وحلب وبلاد الروم ويخترقها نهر أتبردان.(*الحموي:معجم البلدان ج٤ ص٢٨*).

١٤١ **آذنة :** هى بلدة من الثغور قرب المصيصة ويمر بها نهر أتسيحان. (*الحموي:معجم البلدان ج١ ص١٣٢*).

١٤٢ **المصيصة :** هى مدينة على شاطئ الجيحان، وهى تعد من ثغور الشام وتقع بين إنطاكية وبلاد الروم وهى تقرب من طرسوس. (*الحموي:معجم البلدان ج٥ ص١٤٤*).

١٤٣ **سمرقند :**خرج هولاكو خان على رأس جيشه من عاصمة المغول (قراقورم) فى سنة ٦٥١ هجرية / ١٢٥٣ ميلادية . وقد أسرع أمراء الأطراف إلى تقديم كافة التسهيلات لتموين الجيش .كما أنهم أخذوا على عاتقهم تنظيف الطرق من الحجارة والأشواك .وهكذا صار هولاكو وجنوده يقطعون المراحل والمنازل حتى وصلوا إلى سمرقند فى شعبان سنة ٦٥٣ هجرية / فبراير سنة ١٢٥٥ ميلادية، حيث مكث بها حوالى أربعين يوما ثم رحل منها إلى مدينة كش KESCH التى كانت تقع إلى الجنوب الغربى من سمرقند، فمكث بها مدة، كان خلالها موضع تكريم الوجوه والأعيان فى إقليم خراسان.(*الصياد:المغول فى التاريخ ص ٢٣٦*).

١٤٤ **بخارى**: استولى التتار على بخارى فى الرابع من ذى الحجة سنة ٦١٨ هجرية وعصيت عليهم قلعتها فحاصروها وملكوها وقتلوا كل من بها ثم قتلوا أهل البلد عن آخرهم (*أبو الفداء:المختصر فى أخبار البشر ج٣ ص١٢٢*).

١٤٥ **شيخ الإسلام**: هو موفق الدين أبو محمد المقدس الدمشقى الصالح الحنبلى صاحب التصانيف. ولد "بجماعيل" فى شعبان سنة ٥٤١ هجرية، وقرأ القراءات واشتغل فى صغره وسمع من أبيه ورحل إلى البلاد، وسمع الكثير وكتب وصنف وبرع فى الفقه والحديث، وأفتى ودرس وشاع ذكره وبعد صيته. كانت وفاته فى يوم عيد الفطر وله ثمانون عاما. (*أبو المحاسن:النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٢٥٦*) .

١٤٦ **خوارزم** : إقليم يقع فى المجرى الأسفل لنهر أموداريا (جيحون)؛ ونظرا لأن خوارزم تكون دلتا خصيبة فقد كان لها أهمية كبيرة منذ قديم الزمن فى تطور المدنية والحضارة فى آسيا الوسطى. وظل التاريخ السياسى للخوارزمية مجهولا حتى القرن الثامن الميلادى، ولم تكن حدودهم الجغرافيه معروفة .وفتح هذا الإقليم قتيبة بن مسلم سنة ٩٣ هجرية /٧١٢ ميلادية .وفى الفترة الواقعة بين القرن الثامن والقرن الحادى عشر الميلادى تأثرت خوارزم بالحضارة الإيرانية القديمة وكان بها من الديانات الزرادشتية والمسيحية والارثوذكسية. (*الصياد:المغول فى التاريخ ص٨٠*) .

١٤٧ **الجرجانية** : هو اسم لقصبة إقليم خوارزم وهى مدينة عظيمة على شاطئ الجيحون.وقد زالت من عالم الوجود بعد حصار جنكيزخان لها لمدة أربعة أشهر، وهى التى كانت زينة المدن اتساعا وعمرانا واكتظاظا بالسكان .وكانت عاصمة كبيرة تزخر بالمدارس والمكتبات وتموج بالعلماء والشعراء والأدباء الذين يفدون إليها من خراسان وما وراء النهر والعراق. وفضلا عن ذلك كانت لها مكانة ممتازة من الناحية التجارية، إذ كانت تقع على رأس طرق التجارة ما بين جرجان وممالك طوائف الخزر ووادى القبجاق ، كما كانت ترتبط بما وراء النهر وكاشغر والصين، فلا غرو أن كان يؤمها التجار من كل ناحية. (*الصياد:المغول فى التاريخ ص١٢٨*) .

١٤٨ **هركند**: هو بحر فى أقصى بلاد الهند ويقع بين الهند والصين كما توجد به جزيرة سرنديب. (*الحموى:معجم البلدان ج٥ ص٣٩٩*).

١٤٩ أردهن : هى قلعة حصينة من أعمال الرى .(الحموى:معجم البلدان ج١ ص١٤٩).

١٥٠ شيراز : إحدى مدن مقاطعة فارس، وإليها ينسب الشاعران الكبيران فى الأدب الفارسى: سعدى وحافظ. (الحموى:معجم البلدان ج٣ ص٣٨٠).

١٥١ قلعة علايا: حاليا "علائية" .فى زمن كيقباذ الأول (١٢٢٠-١٢٣٧م) الذى يعتبر أزهى عصور سلاجقة الروم ، امتدت الممتلكات السلجوقية على الشاطئ الجنوبى لآسيا الصغرى حتى الساحل المواجه لجزيرة قبرص وإلى دروب قليقية ، واتخذ كيقباذ مقرا له فى "علايا". (العرينى:المغول ص١٠٣).

١٥٢ أمين الدولة توما : هو أبو الكرم صاعد بن توما النصرانى الطبيب البغدادى .لقد قتل فى الثامن والعشرين من جمادى الأولى ليلة الخميس سنة ٦٢٠ هجرية. لقد تقدم فى أيام الإمام الناصر إلى أن صار فى منزلة الوزراء.(ابن العبرى: تاريخ مختصر الدول ص٢٤١).

١٥٣ ست نسيم : كان الإمام الناصر فى أواخر أيامه قد ضعف بصره وأدركه سهو فى أكثر أوقاته. ولما عجز عن النظر فى القصص استحضر امرأة من النساء البغداديات تعرف "بست نسيم" وقربها، وكانت تكتب خطا قريبا من خطه وجعلها بين يديه تكتب الأجوبة. (ابن العبرى:تاريخ مختصر الدول ص ٢٤١).

١٥٤ دير القديس توما : هو المعروف باسم: "دير قنسرين" يقع على شاطئ الفرات مقابل بلدة (جرابلس) .أنشئ سنة ٥٣٠ واستفاضت شهرته وكانت له أيام غر إلى القرن التاسع. وحوى أيام عمارته ثلثمائة وتسعين راهبا ، أحرقه بعض الخوارج، فرممه "ديونسيوس الأول" وأعاده سيرته الأولى سنة٨٢٢ عضد الكنيسة بسبعة بطاركة وخمسة عشر أسقفا حتى سنة ٩٣٠ ، وألحق بأبرشية سميساط حول سنة ١٠٢٥. .وقد ظل عامرا حتى صدر المائة الثالثة عشرة ثم عصف الدهر بأهله. (أغناطيوس برصوم:اللؤلؤ المنثور ٥١٣).

١٥٥ الملك الأفضل : هو الملك الأفضل نور الدين على ابن السلطان صلاح الدين يوسف، توفى فجأة سنة ٦٢١ هجرية .وكان الملك الأفضل بعد وفاة والده سنة ٥٨٩ هجرية ملك مدينة دمشق والبيت المقدس وغيرهما من الشام، فأخذ منه كل هذه المدن سنة ٥٩٢

هجرية وكان لا يملك إلا سميساط فقط. كانت وفاته سنة ٦٢٤ هجرية عن سبع وخمسين عاما. (*ابن العبري:تاريخ مختصر الدول ص٢٣٧*).

١٥٦ الناصر أبو العباس أحمد : هو الخليفة الناصر لدين الله أمير المؤمنين أبو العباس أحمد ابن الخليفة المستضيء بالله أبى محمد الحسن .ولد يوم الاثنين العاشر من شهر رجب سنة ٥٥٣ هجرية، وبويع بالخلافة بعد موت أبيه المستضيء فى أول ذى القعدة سنة سنة ٥٧٥ هجرية. (*أبو المحاسن:النجوم الزاهرة ج٦ ص٢٦١*).

١٥٧ الظاهر : هو الخليفة أمير المؤمنين الظاهر بأمر الله أبو نصر محمد، ابن الخليفة الناصر لدين الله أبى العباس أحمد الهاشمى العباسى البغدادى .ولى الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٦٢٢ هجرية فلم تطل مدته فيها، وعانى الشدائد إلى أن مات فى شهر رجب. وكانت مدة خلافته تسعة أشهر وأياما، وكان مولده فى المحرم سنة ٥٧٠ .ولما مات تولى الخلافة بعده ولده المستنصر بالله جعفر .(*أبو المحاسن:النجوم الزاهرة ج ٦ ص٢٦٥*).

١٥٨ الأمير على : يقول ابن العبرى : لما توفى الناصر لدين الله بويع ابنه الإمام الظاهر بأمر الله عدة الدين أبو نصر محمد فى الثانى من شوال فى سنة ٦٢٢ هجرية. وكان والده قد بايع له بولاية العهد وكتب بها إلى الآفاق، وخطب له بها مع ابنه على سائر المنابر، ومضت على ذلك مدة ثم نفر عنه بعد ذلك وخافه على نفسه فإنه كان شديدا قويا عالى الهمة، فأسقط اسمه من ولاية العهد فى الخطبة واعتقله وضيق عليه ومال إلى أخيه الصغير "الأمير على "، إلا أنه لم يعهد إليه .فاتفقت وفاة الأمير على الصغير فى حياة والده وخلف أولادا أطفالا فبعث بهم إلى ششتر. فعلم الإمام الناصر أنه لم يبق له ولد تصير الخلافة إليه بعده غيره، فعهد إليه وبايع له الناس وهو فى الحبس. وكان عامة أهل بغداد يميلون إليه. (*ابن العبرى:تاريخ مختصر الدول ٢٤٢*). من الواضح أن هذا الكلام يخالف ما ورد فى النص بأنه "عينه ملكا".

١٥٩ الملك المعظم : هو الملك المعظم عيسى بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب. توفى فى شهر ذى القعدة من سنة ٦٢٤ هجرية فى دمشق، وكان يبلغ من العمر ثمانية وأربعين عاما، وكانت مدة ملكه لدمشق من حين وفاة والده الملك العادل عشر سنين وستة أشهر. (*ابن العبرى:تاريخ مختصر الدول ص٢٤٣*).

١٦٠ **المستنصر :** هو المستنصر بالله أبو جعفر المنصور. لما بويع الإمام الظاهر بأمر الله بويع ابنه جعفر المنصور ولقب: "المستنصر بالله". ولد سنة ٥٨٨ في بغداد، وبويع بالخلافة يوم وفاة والده في شهر رجب سنة ٦٢٣ هـ. ولقد أظهر من العدل وحسن السيرة أضعاف ما أظهره والده.وكان أول من عنى من العرب بالعلوم وكان مع براعته في الفقه بارعا في علم الفلسفة، وخاصة في علم النجوم .ولقد سلك مسلك أبيه في العدل وكانت مدة خلافته سبعة عشر عاما إلا شهرًا. وتوفى في العشرين من جمادى، وقيل: في يوم الجمعة في العاشر من جمادى الآخرة سنة ٦٤٠ هجرية ببغداد بالغا من العمر إحدى وخمسين سنة وأربع اشهر .(*أبو المحاسن:النجوم الزاهرة ج ٦ ص٣٤٥*) .

١٦١ **سميت باسمه :** قام المستنصر بإنشاء مدرسته المعروفة "بالمستنصرية"، التي لم يعمر في الدنيا مثلها .فعمرت على أعظم وصف في صورتها وآلاتها واتساعها وزخرفها وكثرة فقهائها، ووقفها على المذاهب الأربعة ورتب فيها أربعة من المدرسين، في كل مذهب مدرسا، وثلاثمائة فقيه لكل مذهب خمسة وسبعون فقيها ورتب لهم من المشاهرات والخبز والطعام في كل يوم يكفي لكل فقيه . وبنى لهم داخل المدرسة حماما خاصا للفقهاء، وطبيبا خاصا يتردد إليهم في بكرة كل يوم يتفقدهم، ومخزنا فيه كل ما يحتاج إليه من أنواع ما يطبخ من الأطعمة ومخزنا آخر فيه أنواع الأشربة والأدوية.(*ابن العبري:تاريخ مختصر الدول ص٢٤٣*).

١٦٢ **القفجاق:** هم فرع من فروع الترك، مساكنهم الأصلية حوض نهر"أرتش " .وقد تنقلوا حتى استقروا بحوض نهر "إتل" (الفلجا) في جنوب الروسيا الحالية، فعرفت تلك الجهة باسم "القبجاق"، كما عرفت به أيضا دولة المغول المسماة باسم "القبيلة الذهبية". وهم أهل حل وترحال على عادة البدو. (*فؤاد عبد المعطي الصياد:الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين ص ٩٧*) .

١٦٣ **تنكوت" :** هي بلاد شرقي التبت وغربي نهر الصين المسمى "هو"، أي: النهر الأصفر. (*ابن العبري:تاريخ مختصر الدول ص٢٤٤*) .

١٦٤ **الناصر صلاح الدين داوود:** صاحب دمشق، تولى الملك بعد وفاة أخيه المعظم سنة ٦٢٤ هجرية، وقد قام بتدبير مملكته مملوك والده الأمير عز الدين أيبك.كان قد كاتب عمه

الملك الأشرف موسى بالحضور إلى دمشق. (*أبــو المحاســن:النجــوم الزاهــرة ج ٦ ص٢٧٢*) .

١٦٥ السامرة : قرية بين مكة والمدينة. (*الحموى:معجم البلدان ج ٣ ص١٧٨*).

١٦٦ الإمبراطور: هو فردريك الثانى الألمانى .

١٦٧ أرمينيا : يدل اسم أرمينيا اليوم _ كما يدل قديما _ على أوسط البقاع وأكثرها ارتفاعا من المنطقة الجبلية الواقعة غرب آسيا، وهى البلاد الجبلية الشاسعة التى تحد غربــا بآســيا الصغرى وشرقا بهضبة أذربيجان والشاطئ الجنوبى من بحر الخــزر، ومــن الــشمال الغربى تحدها البلاد الواقعة على بحر بنطس (يسمى اليوم جــانيق ولازســتان) وبــلاد القوقاز التى يفصلها عن أرمينيا نهر "كروريونة"، ويحدها من الجنوب السهل الــشمالى الغربى من بلاد ما بين النهرين والبلاد الواقعة فى حوض دجلة الأعلى والزاب الأعلى. وهذا الإقليم المسمى – أرمينية والذى تبلغ مساحته ٣٠٠ كم تقريبــا – يكــون وحــدة جغرافية ذات طبيعة خاصة تميزها عن غيرها من البلاد المجاورة؛ فهو إقليم تكثر فيــه الجبال. ومعظم أرمينية يغلب عليه الهضاب الصغيرة والكبيرة التى تمتد مــن الجنــوب الشرقى إلى الشمال الغربى، وتمتاز جميعها بخلوها من الغابات .قسم الأرمن منذ القــدم بلادهم إلى قسمين متساويين هما : ١ إقليم أرمينية الكبرى :وهو الذى تتوسطه خلاط أو أخلاط. ٢ – إقليم أرمينية الصغرى : وهو عبارة عن تفليس وما حولها وقد سميت نسبة إلى "أرمينيا بن لنطا بن أومر بن يافث بن نوح عليه السلام الذى كان أول مــن نزلهــا وسكنها .(*الصياد:الشرق الإسلامى فى عهد الإيلخانيين ٥٩*) .

١٦٨ حسنون الطبيب : هو حسنون الطبيب الرهاوى كان فاضلا فى فنه علما وعملا. كانــت أكثر مطالعاته فى كتاب "اللوكرى" فى الحكمة.وقد دخل إلى مملكة قليج أرسلان وخــدم أمراء دولته كأمير أخور سيف الدين وإختيار الدين حسن واشتهر ذكره. ثم خرج إلى دير بكر، وخدم من كان هناك من بيت شاهرمن وهزار دينارى ثم الداخلين على تلك الــديار من بيت أيوب، ورجع إلى الرها. وتوفى سنة ٦٢٥ هجرية ودفن فى بيعة اليعاقبة فــى حلب. (*ابن العبرى:تاريخ مختصر الدول ص٢٥٣*).

١٦٩ **دير القديسة بربارا :** يقع فى جبل الرها، وطدت أركانه وأخذ فى الأزدهار فى صدر القرن الخامس ونوه به التاريخ حتى سنة ١١٩١ .وفيه تخرج "باسيليوس فارس" مطران الرها سنة ١٢٠٤.(*أغناطيوس برصوم:اللؤلؤ المنثور ص ٥٠٩*).

١٧٠ **كتاب اللوكرى:** هو كتاب فى الحكمة، كان "حسنون الطبيب " يكثر من الاطلاع فيه. (*ابن العبرى:تاريخ مختصر الدول ص ٢٥٣*).

١٧١ **جبرائيل :** هو جبرائيل الرهاوى، كان طبيبا فاضلا عرف فى الرها زمان الطبيب "حسنون"، وعمل بالسريانية كتبا شتى طبية وفلسفية .توفى سنة ١٢٢٧ . (*أغناطيوس برصوم:اللؤلؤ المنثور ص ٤٠٢*) .

١٧٢ **تل العجول :** تقع بالقرب من غزة. (*ابن واصل:مفرج الكروب ص٧٤*) .

١٧٣ **أوكتاى:** (٦٢٦ – ٦٣٩ هجرية)(١٢٢٩– ١٢٤١ ميلادية).بعد وفاة جنكيزخان ظلت بلاد الفرس خالية من ملك لمدة عامين، ثم تم اختيار بالإجماع على تولية "أوكتاى" عرش الخانية. ولكنه حاول التنحى والاعتذار بحجة أنه غير أهل لتولى هذا المنصب الخطير وأن أخاه "تولى" أجدر منه بمباشرة هذا الأمر والالتزام به، غير أن أخويه وأقاربه أغلقوا أمامه كل باب للاعتذار وأصروا عليه أن يقبل هذا المنصب. وفعلا أعلنوا تنصيب "أوكتاى" (خاقانا) أى (خانا) أعظم للإمبراطورية المغولية، وذلك فى القوريلتاى الذى عقد لهذا الغرض فى ربيع سنة ٦٢٦ هجرية/ ١٢٢٩ ميلادية. كان "أوكتاى" ولوعا إلى أقصى حد بالشراب والإدمان على الخمر، وقد تسبب هذا فى ضعفه يوما بعد يوم . وعندما كانت جيوشه تحارب فى أوربا ظل مدة سبع سنوات عاكفا على اللهو والمتعة والشراب إلى أن أثر هذا على صحته .وفى إحدى الليالى عندما حان أجله أفرط فى الشراب . فتوفى وهو نائم، وكان ذلك فى سنة ٦٣٩ هجرية١٢٤١/ ميلادية. (*الصياد:المغول فى التاريخ ١٦٦– ١٨٨*).

١٧٤ **جلال الدين منكبرتى :** فى السنة الثالثة عشرة من ولاية الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر – وهى سنة ٦٢٨ – ساق التتار خلف السلطان جلال الدين بن خوارزم شاه بعد أن أوقعهم عدة وقائع من بلاد تبريز، فانهزم بين أيديهم إلى ديار بكر فقتل فى قرية من

أعمال ميافاقين. وجلال الدين من نسل عبد الله بن طاهر بن الحسين، وجده تكش هو الذى أزال ملك السلجوقية. *(أبو المحاسن:النجوم الزاهرة ج ٦ ص٢٧٧).*

١٧٥ **حسام الدين قيمري** : نزل السلطان جلال الدين خوارزم شاه على خلاط سنة ٦٢٧ هجرية وحاصرها ونصب عليها عشرين منجنيقا على ناحية البحر . وكان بها: الملك الأشرف "تقى الدين عباس" و"محيى الدين يعقوب" و"الأمير حسام الدين القيمرى" و"عز الدين أيبك"مملوك الأشرف. دام الحصار على أهل خلاط واشتد حتى أكلوا لحوم الكلاب. فتسلم خوارزم شاه المدينة والقلعة، وانهزم "حسام الدين القيمرى" وأفلت على فرس وحده، ومضى إلى قلعة "قيمر". ثم تجهز على خدمة الملك الأشرف إلى الرقة وأمام عز الدين أيبك وتقى الدين ومحى الدين مع خوارزم شاه يركبون معه ويلعبون الكرة.*(ابن العبرى:تاريخ مختصر الدول ص ٢٤٥).*

١٧٦ **خوي** : هو بلد مشهور وحصن حصين من أعمال أذربيجان. *(الحموى:معجم البلدان ج٢ ص٤٠٨).*

١٧٧ **آمد** : ديار بكر، مدينة قديمة حصينة دجلة محيطة بأكثرها. *(أغناطيوس برصوم:اللؤلؤ ص ٥٠٤)* .

١٧٨ **جبال صوفيا** :تقع عند جبال كردستان.

١٧٩ **هنزيط** : هو من الثغور الرومية. *(الحموى:معجم البلدان ج٥ ص٤١٨)* .

١٨٠ **حرجا بنو يقسين** : هى مدينة تقع على شط قراموران. *(الصياد:المغول فى التاريخ ص ١٢٢).*

١٨١ **قراموران** : معناها بلغة المغول: " النهر الأسود".*(ابن العبرى:تاريخ مختصر الدول ص ٢٤٧).*

١٨٢ **نامكينك** : عهد المغول إلى القائد "سبوتاى" بفتح العاصمة "كاى فونج" فلجأ ملك الصين "نن-كيا-سو" إلى مدينة "نامكينك" قبل سقوط العاصمة "كاى فونج" .فلما بلغه الخبر بما جرى على أصحابه ارتاع وفزع وانتابه اليأس من الحياة، فجمع أولاده ونساءه وكل من

يعز عليه ودخلوا بيتا من بيوت الخشب، وأمر بضرب النار فيه فاحترق هو ومن معه آنفة من الوقوع في الأسر. (الصياد:المغول في التاريخ ١٨٥).

١٨٣ أوردو باليغ : في سنة ٦٣١ هجرية (١٢٣٤ميلادية) أمر "أوكتاى" مهرة المهندسين الصينيين الذين كان قد أحضرهم معه من بلاد الخطا بأن ينشئوا مدينة جديدة في "أوردو باليغ" (مدينة البلاط) شمال منغوليا، وبالقرب من بلاد قراقورم وعلى أطلال إحدى المدن الخربة التي كانت تقوم في عهد "الأويغوريين" .فتم هذا وأطلق على المدينة اسم: "أوردو باليغ" .ولكن نظرا لقربها من جبال "قراقورم" اشتهرت في التاريخ بهذا الاسم ثم اختارها "أوكتاى" لتكون عاصمة له. (الصياد:المغول في التاريخ ص ١٩٠).

١٨٤ تولى : لقد فوض جنكيزخان إلى ابنه "تولى" مباشرة شئون الدفاع وإعداد الجيوش وكان يدعى: "ألغ نويان" أي "الأمير الكبير .ولقد رأى جنكيزخان بثاقب فكره أن خير وسيلة لتدريب أبنائه على مباشرة مهام الحكم وتحمل المسئوليات هو أن يقسم إمبراطوريته بينهم وهو على قيد الحياة . وطبقا للقانون المغولي يعطى الأب قبل وفاته قسما من أملاكه لأبنائه الكبار بحسب سنهم، ويترك الجزء الأهم لأصغر أبنائه. وقد تم التقسيم على أن تكون منغوليا المنطقة الأصلية لجنكيزخان وآبائه وأجداده، والتي تشمل وديان أنهار كرولين وأونن وأرخن ومنطقة قراقورم كانت من نصيب تولى أصغر أبناء حنكيزخان . وقد استمر يحكم الإمبراطورية مدة عامين ٦٢٤-٦٢٦ هجرية/١٢٢٧-١٢٢٩ ميلادية بصفته وصيا على العرش، طبقا للعرف المغولي وذلك بمساعدة ثلاثة من المستشارين إلى أن انتخب الخان الجديد خلفا لجنكيزخان. وقد مرض "تولى خان " ولم يمهله المرض إذ سرعان ما توفي سنة ٦٣٠ هجرية /١٢٣٢ ميلادية فحزن عليه أخوه "أوكتاى حزنا شديدا .(الصياد:المغول والتاريخ ص ١٦٥).

١٨٥ سرقوتنى بيكى : بينما كان المغول مسرورين بفتح بلاد الخطا تولى "تولى خان" وكان أحب الاخوة إلى "قاآن" فاغتم لذلك كثيرا وأمر أن زوجته المسماة "سرقونتى بيكى" وهى إبنة أخ "أونك خان" تتولى تدبير عسكره. وكان لها من الأولاد أربعة بنين :مونكا – قوبلاى – هولاكو – أريغ بوقا فأحسنت تربية الأولاد كانت سرقونتى لبيبة ،مؤمنة،تدين بالنصرانية. (ابن العبرى:تاريخ مختصر الدول ص ٢٤٨) .

١٨٦ يوحنا : هو أونك خان". كانت قبيلة "كرايت " تمتاز على غيرها من القبائل المغولية بالقوة وتتفوق عليها فى العدة والعدد. وكان أونك خان – الذى يدين بالمسيحية – رئيسا لهـذه القبيلة، وهو الذى عرفناه من قبل صديقا حميما(ليوسكاى بهادر) والد "جنكيزخان". وفـى بادئ الأمر استمر أونك خان أيضا على وفائه للابن "تموجين" وغمره بعطفه، وتوطـدت بينهما أواصر الود والصداقة ورفض التعرض له ومقاومته حين استعداه عليه إمبراطور الصين. ولما رأى فى جنكيزخان الشجاعة والإقدام وبعد النظر أعجب بـه وبـالغ فـى إعزازه وتكريمه. ولكن أبناء "أونك خان" وإخوته والمقـربين لـه صـاروا يحـسدون "تموجين" على ما بلغه من جاه ومنزلة، فعملوا على الإيقاع به عند أونك خـان وكـانوا دائما يحذرونه منه ويوحون إليه بان فى بقائه خطر على دولتـه. وهكـذا دأبـوا علـى وشايتهم حتى تغير موقف أونك خان من "تموجين" وصار يخشاه ويعمل على الخـلاص منه، ولكن "أونك خان" وجد أنه من المتعذر أن يقوم "موجين" علنا ففكر فى حيلة للقضاء عليه سرا. واستقر رأيه على مهاجمته فى وقت السحر. غير أن حـظ "تمـوجين" كـان مواتيا؛ إذ هرب غلامان من أتباع أونك خان وأطلعاه على تفاصيل المؤامرة التى تحـاك ضده، فاتخذ "تموجين" حذره واستطاع أن ينجو بأهله وأتباعه فى الوقت المناسب. وفـى وقت السحر هاجم جنود "أونك خان" منازل تمـوجين فوجـدوها خاليـة فجـدوا فـى طلبه.وعندما التقى الفريقان دارت بينهما حروب طاحنة أسفرت عن انتصار تمـوجين، وقتل خصمه وغنم غنائم كثيرة وكان هذا فى فى سنة ٥٩٩هجريـة/ ١٢٠٢ ميلاديـة. (*الصياد:المغول في التاريخ ص ٤٦*).

١٨٧ نهر أتل : هو نهر "الفلجا" فى جنوب الروسيا الحالية.(*الصياد:الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين ص٩٧*)

١٨٨ سرتاق : هو أحد أمراء (آننده)حفيد قوبيلاى وحاكم إقليم التانجوت .كان سـرتاق ينكـر الإسلام ويعارضه ويدس لآننده عند الخاقان؛ فقد هداه الله وأعلن هـو الآخـر إسـلامه وصار أحد الأمراء المرموقين فى دولة "آننده". (*الصياد:الشرق الإسـلامي فـي عهـد الإيلخانيين ص ٢٦٥*).

١٨٩ **سرماري:** قلعة عظيمة وولاية واسعة بين تفليس وخلاط . (*ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص٢٤٩*).

١٩٠ **أبلستين :** " هي مدينة مشهورة، وتسمى أيضا "أبلستان" تقع شرقي قيسارية بين جبل طوروس والقسم العلوي من نهر جيحان. (*الصياد:الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين ص٨١*) .

١٩١ **الملك العزيز:** هو السلطان الملك العزيز محمد ابن السلطان الملك الظاهر غازي ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب .كان صاحب حلب. تولى ولايتها بعد وفاة أبيه الظاهر. ومولده في ذي الحجة سنة تسع أو عشر وستمائة . وتوفي والده وهو طفل ، فنشأ تحت حجر شهاب الدين الخادم ، فرتب شهاب الدين أموره وأحسن ترتيبه إلى سنة تسع وعشرين وستمائة . استقل الملك العزيز هذا بالأمر إلى أن توفي بحلب في شهر ربيع الأول . وكان حسن الصورة عفيفا ولم يبلغ أربعا وعشرين سنة ودفن بقلعة حلب. (*أبو المحاسن:النجوم الزاهرة ج ٦ ص٢٩٧*).

١٩٢ **الملك الأشرف :** هو الملك الأشرف أبو الفتح مظفر الدين موسى شاهرمن ابن السلطان الملك العادل أبي بكر بن أيوب.أول شئ ملكه الأشرف من القلاع والبلاد هي الرها في أيام أبيه ، وآخر شئ دمشق ومات بها بعد أن ملك قلاع ديار بكر سنين. وولد سنة ٥٧٨ – وقيل سنة ٥٧٦ – بقصر الزمرد بالقاهرة (وكان من جملة قصور الخلفاء الفاطميين). وقيل كان مولده بقلعة الكرك. ولقد توفي في شهر محرم من سنة ٦٣٥ هجرية بدمشق ودفن بقلعتها ، ثم نقل بعد مدة إلى التربة التي أنشئت له (بالكلاسة) في الجانب الشمالي من جامع دمشق. وتوفي وهو يبلغ من العمر ستين عاما . وكان هذا الملك مشهورا بسخائه وحبه للملذات والترف.وقد حكم بعد أخيه الملك الأوحد . (*أبو المحاسن:النجوم الزاهرة ج ٦ ص٢٢٧*).

١٩٣ **مجاهد الدين الدويدار :** لقد قام سنة ٦٣٥ هجرية /١٢٣٧ ميلادية بجمع جيش كبير بقيادته استطاع أن يهزم المغول بالقرب من تكريت ما بين دجلة وجبل ، وأن يفك أسر عدد كبير من المسلمين كانوا قد وقعوا في أيدي المغول أثناء قتالهم في إربل. (*الصياد:المغول في التاريخ ص١٨١*) .

١٩٤ الملك الكامل بن العادل :كان متولى سلطنة مصر فى حياة والده العادل. وكان العادل قد قسم الممالك على أولاده منذ سنوات عديدة قبل فاته .ولما مات العادل تفرد الملك الكامل محمد بالخطبة فى ديار مصر وأعمالها وكان ذلك فى سنة ٦١٥ هجرية.ولد الكامل سنة ٥٧٣ هجرية، وقيل: سنة ٥٧٦ هجرية، وكان أكبر أولاد العادل بعد مودود. وكان العادل قد عهد إليه لما رأى من ثباته وعقله وسداده، وكان شجاعا ذكيا فطنا يحب العلماء ويلقى عليهم المشكلات، ويثبت بين يدى العدو. وأما عدله فإليه المنتهى .توفى فى شهر رجب سنة ٦٣٥ هجرية، وكان سبب وفاته أنه عند دخوله قلعة دمشق أصابه زكام فدخل الحمام وسكب عليه ماء شديد الحرارة فأصابته حمى وتوفى على الفور. وكان وقتذاك يبلغ من العمر ستين عاما. وكان بين موته وموت أخيه الملك الأشرف نحو ستة أشهر. كانت مدة ملكه لمصر حين مات أبوه عشرين سنة، وكان بها نائبا قبل ذلك ما يقرب من عشرين عاما فحكم فى مصر نائبا وملكا نحو أربعين عاما. (*أبو الفداء:المختصر فى أخبار البشر ج٣ ص١٦١*).

١٩٥ الملك العادل الصغير : هو السلطان الملك العادل أبو بكر ابن السلطان الملك الكامل. ولد العادل بالمنصورة ووالده الملك الكامل يقاتل الفرنج بدمياط فى ذى الحجة سنة ٦١٧ هجرية. وسبب تسلطنه وتقدمه على أخيه الأكبر نجم الدين أيوب أنه لما مات أبوه الملك الكامل محمد بقلعة دمشق فى رجب كان ابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب -وهو الأكبر- نائب أبيه الملك الكامل على الشرق وإقليم ديار بكر، وكان ابنه الملك العادل أبو بكر هذا - وهو الأصغر نائب أبيه لديار مصر. فلما مات الكامل وقع الاتفاق -بعد اختلاف كبير- على إقامة العادل فى سلطنة مصر والشام ، وأن يكون نائبه بدمشق ابن عمه الملك الجواد يونس ، وأن يكون أخوه الملك الصالح نجم الدين أيوب على ممالك الشرق على حاله ، فتم ذلك وتسلطن الملك العادل فى أواخر سنة ٦٣٥ هجرية، ونعت بالعادل سيف الدين على لقب جده. (*أبو المحاسن:النجوم الزاهرة ج٦ ص٣٠٣*).

١٩٦ خانقين : فى سنة ٦٣٤ هجرية (١٢٣٦ ميلادية) تجمع جيش كبير بقيادة مجاهد الدين دويدار، واستطاع أن يهزم المغول بالقرب من تكريت، وأن يفك أسر عدد كبير من المسلمين كانوا قد وقعوا فى أيدى المغول أثناء قتالهم فى إربل. ومع هذا لم يمض وقت

طويل حتى عاود المغول الكره فقصدوا هذه المدينـــة فـــى ســنة ٦٣٥ هجريـــة/١٢٣٧ ميلادية، حيث هزموا المسلمين فى "الخانقين" وقتلوا عددا كبيرا منهم، وعاد الباقون إلـــى بغداد. (*الصياد:المغول في التاريخ ص ٨١*) .

١٩٧ أماسيا : مدينة على ضفة نهر يشيل ايرماق على مسافة ٥٠ ميلا من جنـــوبى سمـــسون. (*أغناطيوس برصوم:اللؤلؤ المنثور ص٥٠٤*) .

١٩٨ كركر : أو "جرجر" .هو حصن أو بلدة قرب ملطية بين سميساط وحصن زيـــاد غربـــى الفرات وقد أصابها الخراب.(*أغناطيوس برصوم:اللؤلؤ المنثور ص٥١٨*) .

١٩٩ كاختين : لعلها: "كاختا" . قال أبو الفداء " كاختا قلعة عالية البناء لا ترام حـــصانة بينهـــا وبين ملطية مسيرة يومين. (*ابن العبري:تاريخ مختصر الدول ٢٥٠*) .

٢٠٠ جورماغون نوين: لقد كان انتخاب "أوكتاى "بن جنكيزخان خانا أعظم للمغول إيذانا بشن حملة جديدة على ممالك الدولة الخوارزمية والقضاء عليها نهائيا. على أن المغول الـــذين كانوا لا يزالون يحتلون منطقة ما وراء النهر قاموا قبل ذلك بعدة حملات غير منظمـــة على قوات السلطان "جلال الدين منكبرتي"، كانت تسفر تارة عن انتصار جـــلال الـــدين وتارة أخرى عن انتصار المغول، ولكنها على كل حال لم تؤد إلى نتيجة حاسمة إلى أن عهد "أوكتاى" إلى قائده المشهور "جرماغون نوين" بقيادة الحملة على إيران، فسار علـــى رأس جيش كبير تعداده ٥٠٠٠ جندى مصطحبا معه عددا من أمهر قواد المغول .وقد قدم الجميع إلى تركستان حيث طلبوا المدد من أمراء المغـــول وحكامهـــا فـــى خـــوارزم. وبالإضافة إلى ذلك أضيف إلى هذا العدد الكبير قوات أخرى غير نظامية مـــن أســـرى الأعداء فبلغ عدد الجميع ١٠٠٠٠٠ جندى. (*الصياد:المغول في التاريخ ص١٧١*).

٢٠١ كوساذاغ : كوسه طاغ أى: الجبل الأقرع. التقى المغول فـــى معركـــة "كوســـاذاغ" KOSE DAGH على الطريق بين سيواس وأرزنجان، فحلت بالـــسلاجقة الهزيمـــة الساحقة . وتحطم الجيش السلجوقى ومضى المغول فى نهب سيواس وقيصرية، واشـــتد الرعب بالسلطان كيخسرو فلم يسعه إلا أن يلوذ بالفرار إلى أضاليا، ومنها إلى الحـــدود اليونانية بعد أن تخلى عن كل كنوزه وثروته. (*العريني:المغول ص ١٠٦*) .

٢٠٢ سبسطيا : سيواس بلدة كبيرة مشهورة وبها قلعة صغيرة وهى ذات أعين. والشجر بها قليل ونهرها الكبير يبعد عنها بمقدار نصف فرسخ. ويقول المسافرون: إن مسافة الطريق بين سيواس وقيسارية ستون ميلا ، فيها أربع وعشرون خانا للسبيل ، وفيها ما يحتاج إليه المسافرون المنقطعون ولاسيما فى أيام الثلوج، وفى شرقها مدينة أرزن الروم. (*أبو المحاسن:النجوم الزاهرة ج ٧ ص١٦٩*) .

٢٠٣ بيت الجوز: هى ناحية ذات قرى وبساتين ومياه بين حلب والبيرة التى على الفرات ، وهى من عمل البيرة. (*أبو المحاسن:النجوم الزاهرة ج٦ ص١٩٦*).

٢٠٤ مطرابوليط : هى كلمة يونانية معناها "رئيس العاصمة"، ويراد بها أيضا: "الأسقف " أو: "رئيس الأساقفة" الساكن فى مدينة كبيرة. (*رفائيل بابو إسحاق:أحوال نصارى بغداد فى عهد الخلافة العباسية ص٦٧*) .

٢٠٥ ديونسيوس : هو ديونسيوس صليبا أسقف قلوذية الملقب "بالذكى". قرأ العلم وترهب فى دير "ماذيق" قبيل سنة ١٢٨١ ، ثم رسم قسا فأسقفا لبرية قلوذية حول سنة ١٢٣٠. وصحب أغناطيوس الثالث فى زيارته لبيت المقدس سنة ١٢٣٥ وقد ناب عنه فى ملطية مدة وجيزة ثم عاد إلى أبرشيته. وافته المنية أواخر سنة ١٢٧٣ وقد ناهز الثمانين من عمره. (*أغناطيوس برصوم:اللؤلؤ المنثور ص ٤٧١*)

٢٠٦ حيلان : قرية من قرى حلب. (*الحموى:معجم البلدان ج٢ ص٣٣٢*).

٢٠٧ الكندسطبل : COMES STABULI, CONNETABLE كانت هذه الكلمة تعنى أولا. وظيفة "أمير الأخور" .ثم قصدوا بها بعد ذلك: أمير الجيوش . (*ابن العبرى:تاريخ مختصر الدول ص ٢٥٦*).

٢٠٨ مريضا : كان أوكتاى ولوعا إلى أقصى حد بالشراب والإدمان على الخمر. وقد تسبب هذا فى ضعفه يوما بعد يوم، ولم يتيسر للخاصة ولا للأصفياء منعه من ذلك، بل كان يكثر من الشراب رغما عنهم. وعندما كانت جيوشه تحارب فى أوربا ظل مدة سبع سنوات عاكفا على اللهو والمتعة والشراب إلى أن أثر هذا على صحته. وفى إحدى

الليالى عندما حان أجله أفرط فى الشراب فتوفى وهو نائم وكان ذلــك فــى ســنة ٦٣٩ هجرية/١٢٤١ ميلادية. (*الهمذاني:جامع التواريخ ج ٢ ص٥١*) .

٢٠٩ أوتجكين : على إثر وفاة "أوكتاى" اضطربت أحوال المغول واختلفوا على من يخلفه على العرش، فحرصت "توراكينا خاتون زوجة الخان على أن يتولى ابنها الأكبر "كيوك هــذا المنصب، بينما كان الأمير "باتو" ملك خانات روسيا ووادى القبجاق وأحد كبار الأمــراء البارزين فى أسرة جنكيزخان لم يكن يميل أن يتولى عرش المغــول أحــد مــن أســرة أوكتاى. كذلك كان يرغب كوتان الابن الثانى لأوكتاى، وكذلك أوتجكين شقيق جنكيزخان فى تولى هذا المنصب بعد أبيه. وهناك فريق آخر يرى التقيد بوصــية الخــان الراحــل واختيار حفيده الطفل "شيرامون"، ليكون خانا أعظم للمغول وبسبب غياب "كيوك" الابــن الأكبر عن المقر الأصلى للمغول. (*الصياد: المغول في التاريخ ص ١٩٥*) .

٢١٠ شروان : مدينة من نواحى باب الأبواب الذى يسميه الفرس "الدربند" بناهــا أنوشــروان فسميت بإسمه ثم خففت بإسقاط شطر من اسمه.إن عاصمة شروان هى "شماض"، وهــى قرب بحر الخزر. (*الحموى:معجم البلدان ج٣ ص٣٣٩*).

٢١١ اللور : هــى بلــدة واسعة تقــع بين خوزســتــان وأصبهــان ويغــلب عــليها الــجبال. (*الحموى:معجم البلدان ج٥ ص٢٥*).

٢١٢ كرمان : هى ولاية مشهورة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان. (*الحموى:معجم البلدان ج٤ ص٤٥٤*).

٢١٣ قداق : هو أمير كبير وكان معمدا مؤمنا بالمسيح، وشاركه فى ذلك أمير آخــر اســمه: "جينقاى" ويقال "جنبقاى". وقد أحسنا النظر إلى النصارى. ووطد علاقة "كيــوك خــان" ووالدته وأهل بيته بالمطارنة والأساقفة والرهبان، فصارت دولة الأتابكة دولة مــسيحية وارتفع شأن الطوائف المنتمية إلى هــذا المــذهب مــن الفــرنج والــروس والــسريان والأرمن.(*ابن العبرى: تاريخ مختصر الدول ص٢٥٧*).

٢١٤ فاطمة :حرصت توراكينا خاتون حرصا شديدا، على أن يتولى ابنه الأكبر كيوك منصب الخان الجديد. ولبلوغ هذه الغاية صارت تبذل قصارى جهدها لمدة تربــو عــلــى أربــع

سنوات فى سبيل تحقيق رغبتها .وكانت حاجبة تدعى "فاطمة" أصلها من "مشهد طـوس" ثم ألحقت بخدمتها. وكانت هذه المرأة غاية فى الذكاء والكفاءة وموضـعا للثقـة التامـة وكاتمة أسرار الخاتون. وكان عظماء البلد يتخذونها أداة لتحقيـق أغراضـهم فأخـذت توراكينا تعزل بمشورة تلك الحاجبة الأمراء وأركان الدولة ممن كانوا يتقلدون المناصب الكبرى فى عهد أوكتاى .وكان من بين هؤلاء جينقاى الوزير الأعظم ومحمـود يلـواج صاحب الديوان وحاكم الخطا.(*الصياد: المغول في التاريخ ص ١٩٦*).

٢١٥ **مكان** : المقصود بهذا المكان هو بلدة "قمستكى ".

٢١٦ **ريدا فرانس** : المقصود به هو " الملك لويس التاسع".وهى لفظة مركبـة معناهـا عنـد الفرنج: "ملك فرنسا **ROI de FRANCE**".(*ابن العبـري:تـاريخ مختـصر الـدول ص٢٥٨*).

٢١٧ **تل باشر** : هى قلعة حصينة وبلدة عامرة في شمال حلب ، معظم أهلها أرمن ونصارى. (*الحموي:معجم البلدان ج٢ ص٤٠*).

٢١٨ **قوص** : هى كلمة قبطية .وقوص مدينة كبيرة وهى عاصمة صعيد مصر، وترتفع فيهـا الحرارة وذلك لقربها من البلاد الجنوبية. (*الحموي:معجم البلدان ج٢ ص٤١٣*).

٢١٩ **الملك الصالح أيوب** :لما سمع بأن الفرنج قد ملكوا دمياط رحل عن حمص وسار مسرعا إلى الديار المصرية ومرض فى الطريق، وعند وصوله إلى المنصورة عرض لـه فـى فخذه الداء الذى يسمونه الأطباء "غانغرايا"، ثم استحكم الفساد فيها حتى آل أمرهـا إلـى "سقاقلس"، وهو موت العضو أصلا فقطعوها وهو حى. وتوفى فى ليلة الأحد الرابع عشر من شعبان سنة ٦٤٧ هجرية وكانت مدة ملكه للديار المصرية تسع سنين وثمانية أشـهر وكان يبلغ من العمر أربع وأربعين عاما. (*ابن العبري:تـاريخ مختـصر الـدول ص ٢٥٩*).

٢٢٠ **المعظم بن الصالح** : كانت مدة إقامته فى المملكة شهرين فقط.

٢٢١ **كيفا** : أو حصن كيف . مدينة قديمة فى الجزيرة على نهر الشط تقـع بـين ديـار بكـر وجزيرة ابن عمر . ويرجع تاريخ تأسيس قلعتهـا فيمـا يظـن إلـى سـنة ٨٠٠ قبـل

الميلاد.وكان لهذه القلعة بفضل موقعها أهمية كبيرة في زمن الرومان والساسانيين وفي أوائل أيام المسيحية. واحتفظت بأهميتها أيضا في العهد الإسلامي. وقد امتلكها في فترة اضمحلال الدولة العباسية الحمدانيون ثم المروانيون الأكراد ثم بنو أرتق سنة ٤٩٥ هجرية /١١١٠ ميلادية . وبلغت أقصى درجات العمران في أيام بني أرتق كما ألبست منطقتها أهمية سياسية. (*أحمد السعيد سليمان:تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ج ١ ص١٥٠*).

٢٢٢ عز الدين التركماني : هو السلطان الملك المعز عز الدين أيبك بن عبد الله الصالحي النجمي المعروف بالتركماني، أول ملوك الترك بالديار المصرية .أصله من مماليك السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب، اشتراه في حياة والده الملك الكامل محمد وتنقلت به الأحوال عنده ، ولازم أستاذه الملك الصالح في الشرق حتى جعله جاشنكيره(هو الذي يتصدى لذوق المأكول والمشروب قبل السلطان أو الأمير خوفا من أن يدس عليه فيه سم ونحوه) . ولهذا لما أمره كان عمل "رنكه صورة خوانجا" (الرنك: كلمة فارسية معناها الشعار ، وخوانجا: كلمة فارسية أيضا معناها الخوان أو المائدة الصغيرة . والمقصود من هذه العبارة هو أن الملك الصالح أيوب لما جعل المعز أيبك "جاشنكيرا" عمل شعاره صورة مائدة لكي يتفق مع وظيفته وهي الإشراف على مائدة الملك). واستمر على ذلك إلى أن قتل المعظم توران شاه وملكت شجرة الدر بعده، واتفق الأمراء على سلطنة الملك المعز أيبك هذا وسلطنوه بعد أن بقيت الديار المصرية بلا سلطان مدة، وتشوف إلى السلطنة عدة أمراء فخيف من شرهم ومال الناس إلى أيبك المذكور وهو من أوسط الأمراء، ولم يكن من أعيانهم غير أنه كان معروفا بالسداد وملازمة الصلاة ولا يشرب الخمر وعنده كرم وسعة صدر ولين جانب .فبايعوه وسلطنوه وأجلسوه في دست الملك في أواخر شهر ربيع الآخر سنة ٦٤٨ هجرية. وكانت مدة سلطنة الملك المعز على مصر سبع سنين . ومات وقد ناهز الستين سنة. (*أبو المحاسن:النجوم الزاهرة ج٧ ص٣*) .

٢٢٣ شجرة الدر : لقد انقرضت دولة الأيوبيين بمصر بعد أن شاركت زوجة الملك الصالح شجرة الدر المماليك في قتل "توران شاه" ابن زوجها سنة ٦٤٨ هجرية /١٢٥٠ ميلادية.

ومع أن شجرة الدر اعتلت هذا العام نفسه عرش الأيوبيين إلا أن أيبك التركمانى الذى كان من مماليك الصالح أيوب، وكان يشغل فى أيامه بعض المناصب العالية. كان يقبض فعلا على أزمة الأمور بوصفه أتابكا ونائب سلطنة. ولم يكن لشجرة الدر إلا الخطبة على المنابر وضربت السكة باسمها وكان نقش السكة: "المستعصمية الصالحية ملكة المسلمين والدة الملك المنصور خليل ". وكانت شجرة الدر قد ولدت من الملك الصالح ولدا مات صغيرا وكان اسمه "خليل"، وسميت: أم "خليل" .ثم ما لبثت شجرة الدر أن عزلت بعد ثلاثة أشهر لأسباب كثيرة، منها اعتراض الخليفة العباسى ببغداد على أن تلى امرأة مقام السلطنة وتزوجها الأمير أيبك بعد ذلك. حتى إذا كانت سنة ٦٤٨ هجرية اعتلى أيبك عرش مصر بمساعدة المماليك البحرية، ولقب بالملك المعز مؤسس دولة الأتراك المماليك فى مصر. (*أحمد السعيد سليمان:تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ج١ ص١٥٩*).

٢٢٤ قطز :هو السلطان الملك المظفر سيف الدين قطز بن عبد الله المعزى الثالث من ملوك الترك بالديار المصرية. وقطز هو لفظ مغولى. تسلطن بعد خلع ابن أستاذه الملك المنصور على ابن الملك المعز أيبك فى يوم السبت السابع عشر ذى القعدة سنة ٦٥٧ هجرية. كان المظفر أكبر مماليك الملك المعز أيبك التركمانى، وكان بطلا شجاعا مقداما حازما، حسن التدبير يرجع إلى دين وإسلام وخير وله اليد البيضاء فى جهاد التتار . ولقد قتل الملك المظفر قطز مظلوما بالقرب من القصير وهى المنزلة التى بقرب الصالحية وبقى ملقى بالعراء فدفنه بعض من كان فى خدمته بالقصير وكان قبره يقصد بالزيارة دائما. وكان قتله يوم السبت السادس عشر من ذى القعدة سنة ٦٥٨ هجرية فعلى هذا تكون مدة سلطنة الملك المظفر قطز سنة إلا يوما واحدا. (*أبو المحاسن:النجوم الزاهرة ج٧ ص٨٧*).

٢٢٥ أغول غانميش خاتون : هى زوجة كيوك خان . وصلت هى ومن معها من أولاد الملوك إلى خدمة "باتو" ولم يقيموا عنده أكثر من يوم واحد ثم رجعوا إلى "أوردوهم"، واستنابوا أميرا منهم يقال له "تيمور نوين" . وأننوا له أن يوافق على ما يتفق عليه الجمع كله وإن اختلفت الأهواء لا يستطيع أحد حتى يعلمهم كيفية الحال. وبعد مشاورات فوضوا الأمر

إلى باتو أكبر الجماعة وأشدهم رأيا. وبعد ثلاثة أيام من يوم التفويض قال: "إن مثل هذا الخطب الخطير ليس فينا من يفى بحق القيام به غير "مونكا" فوافقوه كلهم على ذلك، وأجلسوه على سرير المملكة. (*ابن العبرى:تاريخ مختصر الدول ص٢٦١*).

٢٢٦ دوقوز خاتون : تنتمى فى الأصل إلى قبيلة كرايت المسيحية وهى ابنة (يقو بن أونك خان) .كانت زوجة "تولى خان بن جنكيزخان" المفضلة عنده. ثم آلت من بعده إلى ابنه هولاكو خان، فتزوج منها جريا على عادة المغول التى كانت تتبع فى إذا ما توفى أحد أمرائهم فإن زوجاته يصبحن ميراث لابنه. وعندئذ تصير له عليهن سلطة مطلقة فيتزوج منهن من يشاء باستثناء والدته، ويطرد من يشاء أو يزوجهن من الآخرين. كان هولاكو يفضلها على نسائه الأخريات رغم أنه تزوج منهن قبلها. وما ذلك إلا لأنها كانت تتمتع فى عهد أبيه بمنزلة كبيرة، كما كانت سيدة حازمة وذات شخصية قوية .ولما كانت فى الأصل من قبيلة كرايت الذين كانوا يدينون بالمسيحية – عملت دائما على مؤازرة المسيحيين .وفى عهدها قوى حال تلك الطائفة، وكان هولاكو يرعاهم ويعزهم إرضاء لها. وقد بلغ بهم الأمر أنهم كانوا يقيمون الكنائس فى البلاد التابعة للإيلخان ، كما أقيمت لها كنيسة خاصة فى معسكرها دقت فيها النواقيس. كذلك كان لها أثر بارز فى تنشئة ابنه الأكبر (اباقا خان) .توفيت بعد وفاة هولاكو خان بنحو أربعة أشهر وأحد عشر يوما وقبل جلوس آباقا خان بثلاثة أيام. (*الصياد:الشرق الإسلامى فى عهد الإيلخانيين ص ٢٦*).

٢٢٧ المرج: أو "مرجا" ناحية فى شمالى شرقى الموصل كانت قديما رستاقا كبيرا. (*أغناطيوس برصوم:اللؤلؤ المنثور ٥١٩*).

٢٢٨ علاء الدين : هو شمس الشموس بن علاء الدين محمد بن جلال الدين حسن المنتسب إلى نزار بن المستنصر بالله العلوى صاحب مصر. (*أبو المحاسن:النجوم الزاهرة ج ٧ ص٤٧*).

٢٢٩ جلال الدين قرطاى : تزوج السلطان غياث الدين كيخسرو ابنة ملك الكرج، فشغفه حبها وهام بها إلى حد أن أراد تصويرها على الدراهم وأنجب منها ثلاثة بنين: عز الدين وأمه، رومية ابنة قسيس، وركن الدين وأمه أيضًا رومية، وعلاء الدين وأمه الكرجية. فولى السلطنة عز الدين وهو الكبير. وكان مديره والأتابك له الأمير "جلال الدين قرطاى"

(قراطى – قراطاى). رجل خير ودين صائم الدهر ممتنع عن أكل اللحم ومعاشرة النساء، لم ينم فى فراش وطئ، وإنما كان نومه على الصناديق فى الخزانة .أصله رومى وهو من مماليك السلطان علاء الدين وتربيته وكان له الحرمة الوافرة عند الخاص والعام.
(*ابن العبرى:تاريخ مختصر الدول ص٢٥٥*).

٢٣٠ ركن الدين : هو ركن الدين كيقباد بن غياث الدين كيخسرو، وكان عبارة عن صورة بلا معنى والتصرف لغيره. (*أبو المحاسن:النجوم الزاهرة ج ٧ ص٤٧*).

٢٣١ شاهديز : (شاه دز)، هى قلعة شامخة منيفة كانت تشرف على مدينة أصفان استولى عليها "أحمد بن عبد الملك بن عطاش" رئيس الإسماعيلية، مستغلا فرصة النزاع الذى وقع على عرش السلاجقة بين "بركيارق" ابن السلطان ملكشاه وأخيه "محمود"، وكان ذلك فى سنة ٤٨٧ هجرية /١٠٩٤ ميلادية. (*الصياد:المغول فى التاريخ ٧٩*).

٢٣٢ شيروان شاه : كانت المناطق الواقعة جنوبى بحر الخزر وكذلك منطقة "شيروان" تحكمها فى الأكثر أسرات محلية، وكان حكامها يحملون لقب: "شيروان شاه". وينقسم هؤلاء الحكام ثلاثة أقسام . وقد ظهرت دولة شيروان شاه الأولى فى زمان الساسانيين ،وفتح المسلمون شيروان وإيران فى وقت واحد ولكنهم كدأبهم أبقوا على الدولة المحلية، وظهرت فى شيروان فى سنة ١٨٣ هجرية /٧٩٩ ميلادية أسرة من ولاة العرب هناك هى الأسرة المزيدية. وقد توفى أول حكامها "يزيد بن مزيد الشيبانى" سنة ١٨٥ هجرية /٨٠١ ميلادية وبعد فاصلة زمنية فى سنة ٢٠٤ هجرية نصب "خالد بن يزيد "واليا. وقد أعلن رابع السلسلة وهو"الهيثم بن خالد "استقلاله سنة ٢٤٧ هجرية /٨٦١ ميلادية بعد وفاة الخليفة العباسى المتوكل وتلقب بلقب "شيروان شاه" ،وقد ولى أحدهم وهو " فريبرز بن سلار "الحكم سنة ٤٥٥ هجرية /١٠٦٣ ميلادية وانقرضت الشعبة المزيدية بعد سنة ٤٧٦ هجرية /١٠٧٤ ميلادية .وقد ظهرت دولة "شيروان شاه" الثانية فى القرن السادس الهجرى، إلا أنها ما لبثت أن دخلت فى طاعة المغول.وقد قتل " هوشنك" آخر سلسلة هذه الأسرة بيد رجاله فأجلس على عرش بعده ابن عمه الشيخ إبراهيم بن سلطان محمد بن كيقباد الدربندى ، وهو مؤسس الشعبة الشيروانشاهية الثالثة. وقد خضع حكام هذه الشعبة (التى تعرف أيضا باسم الدربندية) تحت تأثير الأحداث لآل تيمور ثم للجلائريين ثم

للتركمان القراقيونلية والآق قيونلية ثم خضعوا فى آخر الأمر للصفويين . وفى سنة ٩٤٥ هجرية أرسل الشاه " طهماسب" الأول أخاه القاص "ميزرا "واليا على شيروان وقد ظهر آخر الشيروانشاهات :برهان على سلطان سنة٩٥١ هجرية /١٥٤٤ ميلادية وهاجم شيروان، ولكنه هزم فالتجأ إلى السلطان سليكان القانونى واسترد شيروان فى سنة ٩٥٥ هجرية /١٥٤٨ ميلادية بالإمدادات التى أخذها منه، ثم توفى برهان على سلطان سنة ٩٥٨ هجرية /١٥٥١ ميلادية بعد أن حكم عامين، فاستولى الشاه "طهمايب" على شيروان استيلاء حاسما وانقرضت بهذا دولة شاهات شيروان. (*أحمد السعيد سليمان:تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ج٢ ص ٣٦١*) .

٢٣٣ **قزوين** :أرسلهم إلى بلدة "جمالاباذ". (*ابن العبرى:تاريخ مختصر الدول ٢٦٥*).

٢٣٤ **قلعة ألموت** :تقع شمالى مدينة قزوين وقد استولى عليها الحسن بن الصباح مؤسس المذهب الإسماعيلى سنة ٤٨٢ هجرية /١٠٩٠ميلادية، واتخذها مقرا لحكومته .ولما كثر أتباعه سيطر على الأقاليم المحيطة بها.(*أحمد السعيد سليمان: تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ج١ ص٣٠٣*).

٢٣٥ **قلعة كرنكوه:** سار القائد المغولى "كيتو بوقا نويان" فى طليعة جيش هولاكوخان إلى قهستان وهى مناطق الجبال الواقعة بين هراة ونيسابور .فاستطاع أن يستولى على كثير من القلاع الموجودة هناك وهى تزيد على خمسين حصنا حصينا وفتحوها، غير أنه عندما تقدم إلى قلعة "كرذكوه" وجدها حصينة محكمة فأمر الجنود بحفر خندق عميق حولها. ولكن طال الحصار واستمر لمدة عامين على هؤلاء المدافعين، فانتشر الوباء بينهم لندرة الماء والطعام فكان ذلك سببا فى وفاة الكثير منهم. (*ابن العبرى:تاريخ مختصر الدول ص ٢٦٥*).

٢٣٦ **نرية الإسماعيليين:** لقد كان لاندحار طائفة الإسماعيلية رنة فرح وسرور عمت العالم الإسلامى رغم ما كان يعانيه من المغول، ورغم ما كان يتوقعه على أيديهم من أحداث أخرى جسام؛ وما ذلك إلا لأن هذه الفرقة التى قاومت فى القرن السادس كل جهود سلاطين السلاجقة واستطاعت أن تفزع الخلفاء العباسيين وترهبهم – كانت سببا من أسباب الفساد المعنوى والتفرق فى العالم الاسلامى . فإذا كان هولاكو قد أبادها أخيرا

فإنما يكون قد أدى بذلك خدمة كبيرة لقضية النظام والحضارة.(*الصياد:المغول في التاريخ ص٢٤٤*) .

٢٣٧ **بايجو نوين**: في سنة ٦٣٩ هجرية/ ١٢٤٣ ميلادية عزل "جورماغون نويان"من قيادة الجيش المغولي على إثر إصابته بالشلل وحل محله القائد المغولي "بايجو نويان" الذي سار في نفس السنة على رأس جيش تعداده ٣٠٠٠٠ جندي قاصدين أرزن الروم، حيث سقطت المدينة في أيديهم بعد أن قتل من أهلها عدد كبير ووقع في الأسر الكثيرون. *(الصياد:المغول في التاريخ ص١٨٢)*.

٢٣٨ **يارليغ** : كلمة مغولية بمعنى " حكم، أو قرار، أو أمر" ثم استعملت لأمر أو تفويض صادر من السلطان مباشرة إلى الأشخاص الممتازين. ويقول القلقشندي: إن اليارليغ هي المراسيم.

٢٣٩ **قلونيا** : حصن كان بقرب ملطية هدم، فأعاد بناءه "الحسن بن قحطبة" سنة ١٤١ هجرية وحوله بلدة باسمه خربت بعد القرن الثالث عشر.(*أغناطيوس برصوم:اللؤلؤ المنثور ص ٥١٨)*.

٢٤٠ **دير مازيق** : باسم العذراء والشهداء الأربعين في بلدة "قلونية" بقرب قرية " سينجس" ذكر سنة ٩٨٦ تخرج فيه عشرة مطارنة وأحرقه أصحاب بن بلاس سنة ١٢٥٧ ميلادية. *(أغناطيوس برصوم:اللؤلؤ المنثور ص ٥١٤)*.

٢٤١ **فخر الدين أياز**: هو أياز بن عبد الله الصالحي النجمي الأمير فخر الدين المعروف بالمقرئ ، أحد أكابر الأمراء بالديار المصرية توفي سنة ٦٨٧ هجرية. *(أبو المحاسن:النجوم الزاهرة ج٧ ص٩٧)*.

٢٤٢ **عبرتا** : قرية كبيرة من أعمال بغداد من نواحي النهروان بين بغداد وواسط .وقد نسب إليها من الرواه والخلق كثير، منهم: "الأسعد بن نصر بن الأسعد العبرتي "النحوي الذي توفي سنة ٧٥٧ وكان يقرئ النحو ببغداد. *(الحموي:معجم البلدان ج٤ ص٧٨)* .

٢٤٣ **سليمانشاه** : هو سليمانشاه بن برجم الإيوائي أحد قواد المستعصم المشهورين،يقترن اسمه بحادثة سقوط بغداد ؛ إذ كان أحد الأشخاص الثلاثة الذين آلت إليهم مقاليد الأمور في

دولة المستعصم: سليمانشاه والدويدار الصغير ومؤيد الدين بن العلقمى وذلك بعد وفاة "إقبال الشرابى والدويدار الكبير. كان سليمانشاه فى مقدمة الأشخاص الذين أشاروا على المستعصم برفض مهادنة المغول والإستعداد للقائهم. ونظرا لأهميته فى دولة المستعصم كان هولاكو فى رسائله إلى الخليفة يطلب إليه أن يرسل سليمانشاه فكان الخليفة يعتذر دائما. وهكذا إلى أن صار النصر محققا للمغول فأجبر الخليفة على إرساله مع الدويدار الصغير إلى هولاكو. ومما يؤثرعن سليمانشاه أنه كان له إلمام بعلم النجوم والكواكب، كما كان ينظم الشعر الفارسى.*(الصياد: المغول فى التاريخ ص٢٦١)*

٢٤٤ بركورر : يقال إن المغول قد قتلوا فتح الدين بركورر وقراسنقر اللذين كانا قائدى الجيش مع اثني عشر ألف رجلا.

٢٤٥ العلقمى: هو مؤيد الدين بن العلقمى. كان يتولى الوزارة للخليفة المستعصم مدة أربع عشرة سنة ،فلما فتحت بغداد نصب وزيرا فى دولة المغول. وقد عرف عنه أنه كان من فضلاء عصره، كما اشتهر بجودة الخط وبلاغة الإنشاء، وكان ينظم الشعر ويحب الأدباء ويقرب العلماء، ويجزل لهم العطاء، فمدحوه بقصائد الشعر وصنفوا له الكتب . كذلك كان وزيرا كفئا خبيرا بتدبير شئون الملك وكان المستعظم أول من يثق به ويطمئن إليه، غير أن بعض حاشية الخليفة كانوا يكرهونه ويحسدونه ويوشون به، فلما رأى من نفسه العجزعن مقاومة هذا التيار تخاذل وكف يده عن أكثر الأمور، لدرجة أنه نسب إليه أنه خان المستعصم وتواطأ مع هولاكو وشجعه على احتلال بغداد، بل حرضه على قتل الخليفة. وتميل أغلب المصادر الإسلامية إلى اتهام العلقمى بالخيانة صراحة وبتدخله فى أمر محاصرة بغداد لصالح المغول وتحريضهم على قتل الخليفة. على أن هناك قلة من المؤرخين خصوصا الشيعة منهم (إذ المعروف عنه أنه كان إيرانيا يعتنق مذهب الشيعة) دافعوا عن ابن العلقمى وبرأوه من تهمة الخيانة، وألقوا التبعة كلها على ضعف الخليفة وظلم ابنه أبى بكر ونفاق الأمراء وقواد الجيش وتنازعهم الواحد مع الآخر. ولقد ظل العلقمى أثناء فتح بغداد وفيا للمستعصم إلى آخر لحظة ولم يلب دعوة هولاكو إلا تحت ضغط الخليفة كما أن هولاكو لما استمع إليه وقع منه موقع الاستحسان .فلما فتحت بغداد

سلمها إليه ولكن لم يلبث الوزير إلا شهور قليلة مرض على إثرها ومات في جمادى الأولى سنة ٦٥٦ هجرية. *(الصياد:المغول في التاريخ ص ٢٧٢)*.

٢٤٦ مار مكيكا الكاثوليكي : هو جاثليق المسيحيين النساطرة .والواضح أن لاختيار الجاثليق أهمية خاصة نظرا لما كان للمغول – الترك والنساطرة – من نفوذ عند هولاكو. وما لجأ إليه الخليفة من إرسال زعيم النساطرة مندوبا عنه إلى هولاكو دل على أن المستعصم أراد استمالة "طقزخاتون" زوجة هولاكو. *(العريني:المغول ص٢١٨)* .

٢٤٧ قتلوه بضربات أقدامهم : لقد قتل الخليفة المستعصم العباسي في ٢٠ فبراير سنة ١٢٥٨ ميلادية، ولقد تضاربت الروايات في الطريقة التي قتل بها المغول الخليفة العباسي. فقيل: خنق، وقيل: وضع في جوال ورفسوه بأرجلهم حتى مات، وقيل: غرق في دجلة .وهنا "ابن العبري"*(ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص ٢٧٢)* يؤيد الرأي الثاني، وهو ضربه حتى الموت.*(الصياد:المغول في التاريخ ص٢٦٨)* .

٢٤٨ قلعة إربل : قلعة حصينة شيدت على مرتفع وكانت ليس لها نظير وهي تشبه قلعة حلب إلا أنها أكبر منها . *(أغناطيوس برصوم:اللؤلؤ المنثور ص٥٠٤)* .

٢٤٩ صاحب بن صلايا : هو الصاحب تاج الدين أبو المكارم محمد بن نصر بن يحيى بن علي، المعروف بابن صلايا نائب الخليفة بإربل. *(أبو المحاسن:النجوم الزاهرة ج٧ ص١٦)*.

٢٥٠ أجودامة : في القرن الخامس الميلادي إشتهر في العراق "مار أجودامة البلدي " أسقف العرب وجاثليق تكريت (ت٥٧٥) بتصانيفه المنطقية والفلسفية القيمة في مواضيع المنطق كافة وفي القضاء والقدر وفي النفس والإنسان باعتباره العالم الأصغر وفي تركيب الإنسان من جسد ونفس. *(الحقائق الجلية ص١١)*.

٢٥١ بهرام :هو بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب، الملك الأمجد صاحب بعلبك. كان السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب قد أعطاه بعلبك عند وفاة أبيه سنة ٥٧٨ هجرية، فأقام فيها خمسين سنة حتى حصره الملك الاشرف موسى بن العادل أبي بكر بن أيوب أخرجه منها وساعده عليه ابن عمه أسد الدين شيركوه صاحب حمص فانتقل الملك

الأمجد إلى الشام وسكنها وقتله بعض مماليكه غيلة سنة ٦٢٨ .كان بهرام فاضلا شاعرا فصيحا كاتبا وله ديوان شعر كبير. (*أبو المحاسن:النجوم الزاهرة ج٦ ص٢٧٦*)

٢٥٢ بدليس : مدينة قرب خلاط وشرقي جنوبي بحيرة وان.(*أغناطيوس برصوم:اللؤلؤ المنثور ص ٥٠٥*).

٢٥٣ يشموط: هو يشموط بن هولاكو خرج على رأس عسكر وأحاطوا ميافارقين . وفي يوم وليلة بنى المغول حول المدينة سورا وحفروا خندقا عميقا، ثم نصبوا عليها المنجنيقات وابتدأوا بالقتال وقاتلوا قتالا شديدا من الجانبين. ولما رأى المغول أنهم لم يمكنهم أخذ المدينة بالقتال أبطلوا القتال وحاصروها، ومنعوا الناس من الدخول إليها والخروج منها. (*ابن العبري:تاريخ مختصر الدول ص ٢٧٧*) .

٢٥٤ عكس في الأسماء العبرية : لقد ورد في كتاب (*ابن العبري :تاريخ مختصر ص٢٧٨*) عكس ما ورد في النص السرياني وذلك بالنسبة للأسماء .فقد جاء : "أصدر ملك الملوك أن يتملك "عز الدين" من قيسارية حتى حدود أرمينيا الكبرى .أما "ركن الدين" فيتملك من أقسرا إلى شاطئ البحر عند حدود مملكة اليونان".

٢٥٥ بدر الدين : هو الملك الرحيم أبو الفضائل بدر الدين لؤلؤ بن عبد الله الأتابكي صاحب الموصل، كان من أجل الملوك .طالت أيامه بالموصل لأنه قام بتدبير أستاذه نور الدين أرسلان شاه .ولما توفي نور الدين قام بتدبير ولده الملك القاهر عز الدين مسعود .ولما توفي بالقاهر سنة ٦١٤ هجرية أقام صبيين من ولده ولكنه قام بقتلهما واستبد بمملكة الموصل وأعمالها سبعا وأربعين سنة وكانت وفاته سنة ٦٥٧ بالموصل. (*أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج ٧ ص٧٠*) .

٢٥٦ قلعة حارم: حصن وكورة تجاه إنطاكية. (*الصياد:المغول في التاريخ ص ٢٩٥*).

٢٥٧ فخر الدين : هو المعروف "بالساقي". عندما رحل المغول إلى قلعة "حارم" أبى أهلها أن يسلموها لغير فخر الدين الساقي، وإلى قلعة حلب لأنه رجل صادق مؤمن خير يوثق به، فغضب عليهم هولاكو ولكنه تظاهر بالنزول على رغبتهم، واستدعى فخر الدين. حتى إذا سلمت إليه القلعة أمر هولاكو بقتل فخر الدين أولا ثم بقتل جميع من في القلعة من

الصغار والكبار الرجال منهم والنساء، حتى الأطفال كذلك سقطت فى أيدى المغول حماة والمعرة وحمص. *(العريني:المغول ص ٢٩٥)* .

٢٥٨ **تومان** : هو رقم عند المغول يساوى "عشرة "آلاف ويطلق هذا اللفظ عادةعلى الجيوش.وفى السكة يعادل عشرة آلاف قطعة نقود ذهبية يطلق على كل منها دينار. *(رشيد فضل الله الهمذاني:مؤرخ المغول الكبير ص ٦٨)* .

٢٥٩ **قلعة الروم** : قلعة حصينة تقع غربى الفرات مقابل البيرة، بالقرب من قرية "خلفتى" وكان اسم القلعة "زوغما" وهى الآن خربة.*(ابن العبرى:اللؤلؤ المنثور ص ٥١٨)*.

٢٦٠ **مونككاخان**: منكوقا آن هو الابن الأكبر لتولى، والذى صار شاهنشاها بعد كيوك *(ابن العبرى:تاريخ مختصر الدول ص ٢٦٦)*.

٢٦١ **خان باليق** :فى سنة ٦٧٩ هجرية /١٢٨٠ ميلادية فتح قوبيلاى دولة "سونغ" بجنوب الصين، وبعد أن ألحقها بما كان فى قبضته حتى ذلك الوقت من ممتلكات استقر فى مدينة "خان باليغ" •ويقال : خان بليغ، وقان بالق) ، ومعناها: "مدينة الخان" وليست "خان باليغ" إلا "بكين الحالية". ولكن BUDGE ذكر فى ترجمته "خان باليق" ووضع بين قوسين "بايكين" أو "بكين" *(أحمد السعيد سليمان:تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ج ٢ ص٤٧٣)*.

٢٦٢ **ابن يونس** : هو جلال الدين عبيد الله بن يونس وزير الخليفة الناصر لدين الله توفى سنة ٥٩٣ هجرية فى المطمورة، وهو بلد فى ثغور بلاد الروم بناحية طرسوس.*(أبو المحاسن:النجوم الزاهرة ج٦ ص١٤٣)*.

٢٦٣ **بعشيقا**: هى قرية من قرى الموصل تقع فى شرقيها. *(أغناطيوس برصوم:اللؤلؤ المنثور ص ٥٠٥)*.

٢٦٤ **برطلى** : قرية كبيرة من أعمال نينوى شرقى الموصل. *(أغناطيوس برصوم:اللؤلؤ المنثور ص ٥٠٥)*.

٢٦٥ **دير مار متى** : دير عظيم رفع بناؤه أواخر المائة الرابعة وصار كرسيا مطرانيا، وهو كذلك إلى وقتنا هذا .حوى فى حقبته الأولى جما من الرهبان غفيرا، وتقلبت به الأحوال حتى جدد سنة ١٨٤٥ .لقد أنجب بطريركين وستة مفارنة وثلاثة وثلاثين أسقفا. *(أغناطيوس برصوم:اللؤلؤ المنثور ص ٥١٤)*.

٢٦٦ **نورين** : كان هناك شخص يدعى: "نورين آقا" من قبيلة(قيات). وكان موضع سر غازان يميل إليه ويثق به ويعتمد عليه ،كما كانت له سلطة كبيرة فى خراسان ومازندران .وكان "أويراتاى" أخو نوروز تابعا له. واعتمادا على جاه نورين وحسبه ونسبه كان لايعبأ كثيرا بأويراتاى وينظر إليه بازدراء واحتقار، مما ضايقه وأخنقه فشكاه إلى أخيه نوروز ومن هنا تولد النفور بين الاثنين. *(الصياد:الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين ص ٢٨١)*.

٢٦٧ **بروانة** : لفظ فارسى معناه "حاجب"، وقد أطلق فى دول الروم السلاجقة بآسيا الصغرى على "الوزير الأكبر"*(العريني:المغول ص٣٣٨)*.

٢٦٨ **سمدغو**: فى سنة ٦٦٠ هجرية عند أواخر الصيف تواترت الأخبار بوصول عساكر المغول إلى الموصل وكان على رأس العسكر أمير كبير يدعى "سمدغو" محب للنصارى. وبينما هم قد نزلوا إلى الموصل، وصل الخبر برجوع الملك الصالح من الشام .ولما سمع المغول بذلك تأخروا عن دخول المدينة حتى دخل إليها، ثم دخل المغول وأحاطوا بها وبنوا حولها الأسوار فى ليلة واحدة وبدأوا فى القتال من الداخل ومن الخارج، وقل القوت عن المدينة .وسير الأمير "سمدغو" يخدع الملك الصالح ويعده بالمواعيد الحسنة وبطل القتال، وانخدع الملك الصالح وفتح أبواب المدينة وخرج إليهم بالمطربين والأغاني. وحينما مثل بين يدى "سمدغو" أحاط المغول به ودخل العسكر الموصل، وسلبوا ونهبوا وقتلوا مدة ثمانية أيام وقتل بها عدد لايحصى عددهم إلا الله تعالى. وبعد ذلك قرر الأمير سمدغو فى الموصل حاكما الأمير شمس الدين بن يونس . وكان قد قتل ولد الملك الصالح "علاء الملك" فقد حدث أن اسقوه خمرا كثيرا ثم شدوه وقطعوه عند القلعة وصحبوا الملك الصالح إلى هولاكو وهناك قتلوه. *(ابن العبري:تاريخ مختصر الدول ص ٢٨٤)*

٢٦٩ وادي شام: كان "لأرغون" ميل شديد وشغف تام بإقامة الأبنية وتشييد العمارات، فأسس قصرين عاليين فى الجانب الغربى من تبريز فى نواحى "شنب" التى يطلق عليها العوام اسم "شام" (*الصياد:الشرق الإسلامي في عهد الإيلخنيين ص ٢٠٠*)

٢٧٠ عز الدين أيبك : لما مات "نور الدين "الملك القاهر صاحب الموصل وملك أخوه" ناصر الدين" تجدد" لعماد الدين" و"مظفر الدين" الطمع لصغر سن "ناصر الدين" .فجمعا الرجال وتجهزا للحركة. فلما بلغ ذلك بدر الدين لؤلؤ أرسل إلى "عز الدين أيبك" مقدم عسكر "الأشرف" الذى بنصيبين يستدعيهم .فساروا إلى الموصل فى الرابع من رجب سنة ٦١٥ هجرية واستراحوا أياما ثم عبروا دجلة، ونزلوا شرقيها على بعد فرسخ من الموصل. وجمع "مظفر الدين" عسكره وسار إليهم ومعه "زنكى " فعبر الزاب. وعند انتصاف الليل سار "أيبك" ولم يصبر إلى الصبح، فتقطعوا فى الليل والظلمة، والتقوا هم والخصم على ثلاثة فراسخ من الموصل. (*ابن العبرى:تاريخ مختصر الدول ص ٢٣٢*)

٢٧١ هولاكو : وقيل "هولاوون" وقيل "هولاو" بن تولى خان بن جنكيزخان المغولى التركى. ملك مكان أبيه بعد موته، وكان من أعظم ملوك التتار، وكان حازما شجاعا مدبرا استولى على الممالك والأقاليم فى أيسر مدة، وفتح بلاد خراسان، وأذربيجان، وعراق العجم، وعراق العرب، والموصل، والجزيرة، وديار بكر، والشام، والروم والشرق وغير ذلك .وهو الذى قتل الخليفة المستعصم وكان على قاعدة المغول لا يتدين بدين وإنما كانت "ظفر خاتون" قد تنصرت فكانت تعضد النصارى وتقيم شعائرهم فى تلك البلاد. وكانت وفاته بعلة الصرع فأخفوا وفاته حتى حضر ولده "أباقا" وجلس مكانه فى الملك، وقيل إنه لم يدفن وعلق بسلاسل ومات وله ستون سنة وذلك سنة ٦٦٤ وخلف من الأولاد والذكور سبعة عشر ولدا. (*أبو المحاسن:النجوم الزاهرة ج٧ ص٢٢٠*) (*الصياد:المغول في التاريخ ص ٣٢٤*). لقد قيل إن هولاكو لم يكن مستقلا بالملك، بل كان تحت رئاسة أخيه "مونكا " الخان الأعظم الذى بعثه مع قسم من الجيوش لفتح البلاد التى فى غربى الفرات .والدليل على ذلك أنه لم يكن يضرب اسمه على السكك بل اسم الخان الكبير . وأرغون خان هو أول من بدأ يضرب فى السكك اسمه مع اسم الخان الأعظم. والذى حمل أبو الفرج بن العبرى" وغيره من مؤرخى العرب أن يذكروا هولاكو أول من ملك

على بلاد المسلمين بعد فتح بغداد وزوال الدولة العباسية. (*ابن العبري:تاريخ مختصر الدول ص ٢٧٧*)

٢٧٢ **قرابوغا :** هو ابن "يشموط "بن هولاكو. أمه هى "قوتوى خاتون" وقد قتل لعدم إخلاصه فى الحكم.(*الهمذاني:جامع التواريخ مجلد ٢ جزء١ ص٢٢٥*)

٢٧٣ **إسحاق** :سنة ٦٣٨ هجرية ظهر ببلدة "أماسيا"- من أعمال الروم- رجل تركمانى ادعى النبوة وسمى نفسه"بابا". فاستغوى جماعة من الغاغة بما كان يخيل إليهم من الحيل والمخازيق. وكان له مريد اسمه"إسحاق" يتزيا بزى المشايخ، فأنفذه إلى أطراف الروم ليدعو التركمانيين إلى المسير إليه. فوافى إسحاق هذا بلد "سميساط" وأظهر الدعوة لبابا فاتبعه خلق كثير من التركمان خصوصا، وكثف جمعه وبلغ عدد من معه ستة آلاف فارس غير الرجال فحاربوا من خالفهم ولم يقل كما يقولون "لا الله الا الله بابا رسول الله" فقتلوا خلقا كثيرا من المسلمين والنصارى من أهل حصن منصور، وكاختين، وكركر وسميساط، وبلد ملطية، ممن لم يتبعهم. وكانوا يهزمون كل من يلقاهم من العسكر حتى وصلوا إلى "أماسيا" فأنفذ إليهم السلطان "غياث الدين" جيشا فيه جماعة من الفرنج الذين فى خدمته فأخرج الفرنج المسلمين، وتولوا بأنفسهم محاربة الخوارج فكشفوهم وقتلوهم وأسروا الشيخين "بابا "و"إسحاق" فضرب أعناقهم وكفوا الناس شرهم. (*ابن العبري:تاريخ مختصر الدول ص٢٥١*)

٢٧٤ **سيس :** هكذا يطلق عليها أهلها .أما الإسم الحقيقى فهو "سيسيه" وهى بلدة تعد من أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس عند "عين زربة". (*الحموي:معجم البلدان ج٣ ص٢٩٧*).

٢٧٥ **دير مار "برصوما "** : يقع بالقرب من ملطية على رأس جبل يشبه القلعة، ولذلك أسماه بعضهم "دير الكهف".صار كرسيا بطريركيا فى القرن الحادى عشر حتى أواخر الثالث عشر ، وكان ديرا عظيما دعم الكنيسة بخمسة بطاركة، وأربعة وثلاثين مطرانا وظل عامرا آهلا حتى أواسط القرن السابع عشر ثم عصف الدهر بأهله. (*أغناطيوس برصوم:اللؤلؤ المنثور ص٥٠٩*).

٢٧٦ **فقسيماط** : أو باقسماط ، هى بلدة توجد فى سيس بقيليقية نزل به "يوحنا الثانى عشر "سنة ١٢٠٨ ميلادية وأحرقه الجنود المصريون ثلاث مرات بين سنة ١٢٦٦ ميلادية وسنة ١٢٧٩ ميلادية، وقتلوا فيه خمسة وعشرين راهبا .(*أغناطيوس برصوم:اللؤلؤ المنثور ص٥٠٩*)

٢٧٧ **البندقدارى** : هو الملك الظاهر زكى الدين بيبرس البندقدارى حكم مصر فى الفترة ما بين سنة ٦٥٨ هجرية وسنة ٦٧٦ هجرية .والبندقدارى نسبة إلى "البندقدار" وهو لفظ فارسى معناه"حامل جراوة" أى كيس البندق خلف الأمير أو السلطان.وقد سمى بيبرس باسم البندقدارى لأنه كان فى أول أمره مملوكا للأمير "إيدكين البندقدار" ثم انتقل إلى الملك الصالح أيوب ، وصار من مماليكه البحرية. (*الصياد:الشرق الإسلامى فى عهد الإيلخانيين ص٤٢*).

٢٧٨ **سنقر الأشقر** : هو الأمير شمس الدين آق سنقر بن عبد الله الفارقانى .كان أصله من مماليك الأمير نجم الدين حاجب الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام(*أبو المحاسن:النجوم الزاهرة ج٧ ص٢٨٠*) (*الصياد:المغول فى التاريخ ص٢٩٣*).

٢٧٩ **البروانة**: هو معين الدين. (*ابن العبرى:تاريخ مختصر الدول ص٢٨٨*).

٢٨٠ **دنحا الكاثوليكى**: رأى جنكيزخان فى منامه راهبا عليه السواد وبيده عكازه وهو قائم على بابه يقول له: لاتخف افعل ما شئت فإنك مؤيد. فانتبه مذعورا ذعرا مشوبا بالفرح وعاد إلى منزله وحكى حلمه لزوجته وهى ابنة "أونك خان" فقالت له" :هذا زى أسقف كان يتردد إلى أبى ويدعو له ومجيئه إليك دليل انتقال السعادة إليك . فسأل جنكيزخان من فى خدمته من نصارى الأويغور :هل هنا أحد من الأساقفة .فقيل له : مار دنحا. فلما طلبه ودخل عليه بلبيرون الأسود قال هذا زى من رأيت فى منامى، لكن شخصه ليس ذاك. فقال الأسقف: يكون الخان قد رأى بعض قديسينا . ومنذ ذلك الوقت صار يميل إلى النصارى ويحسن الظن بهم ويكرمهم. (*ابن العبرى:تاريخ مختصر الدول ص ٢٣٠*)

٢٨١ القلية : هى كلمة لاتينية CELLULA ويقصد بها منزل الراهب ويراد بها أيضا مسكن البطريرك والأسقف .صيغة الجمع منها قلالى وقلايات(*أغناطيوس برصوم:اللؤلؤ المنثور ص٥٠١*) .

٢٨٢ أشنة : بلدة فى طرف أذربيجان من ناحية إربل، وهى تقع بين إربل وأرمينية (*الحموى:معجم البلدان ج١ ص٢٠١*).

٢٨٣ أنازربة: مدينة فى قليقية كانت واقعة على نهر جيحون؛ أما اليوم فهى تسمى"أنازروة (*أغناطيوس برصوم:اللؤلؤ المنثور ص٥١٧*).

٢٨٤ تبريز : فى سنة ٦٢٩ هجرية (١٢٣٢ميلادية) سار المغول إلى منطقة أذربيجان، وشرعوا بفتح مدنها الواحدة تلو الأخرى، ثم هاجموا حاضرتها تبريز فسلمت دون مقاومة؛ وذلك لأن الأهالى هناك لم يكونوا على وفاق مع السلطان "جلال الدين منكبرتى" وعندما تأكدوا من ضعفه ثاروا على الحكام الخوارزميين وقتلوهم وقطعوا رؤوسهم، وأرسلوها إلى المغول، تقربا إليهم وتعهدوا بأن يدفعوا لهم جزية كبيرة كل سنة (*الصياد:المغول فى التاريخ ص ١٨٠*)

٢٨٥ عين تاب : قلعة حصينة بين حلب وأنطاكية وهى الآن من أعمال حلب . (*الحموى:معجم البلدان ج ٢ ص١٧٦*).

٢٨٦ دير سرجيس وباخوس : أو "الدير المعلق" وجد فى أنحاء بلدة جوباس، وقد بناه الراهب "كيسو الأشنوى الأذربيجانى "سنة ٩٥٨ ميلادية وأتم بنائه سنة ١٠٠١ ميلادية (*أغناطيوس برصوم:اللؤلؤ المنثور ص٥٥١*).

٢٨٧ دير ميخائيل: يقع فى شمالى الموصل وقد بلغ عدد رهبانه أكثر من ألف راهب، وكان ملحق به مدرسة يدرس فى صفوفها الفلسفة واللاهوت وسائر العلوم. وكان من أشهر أساتذة مدرسة دير مار ميخائيل الشاعر "عمانوئيل بن شهارى "المتوفى سنة ٩٨٠ ميلادية. وكان من أعظم شعراء القرن العاشر، وكذلك يوحنا الموصلى المتوفى سنة ١٢٧٠ ميلادية الذى كان أحد رهبان الدير. (*رفائيل بابو اسحاق: تاريخ نصارى العراق ص٧٩*)

٢٨٨ **الخواجة نصير** : هو نصير الدين الطوسى الفيلسوف صاحب المرصد فى مدينة مراغة وهو حكيم عظيم الشأن فى جميع فنون الحكمة. *(ابن العبرى:تاريخ مختصر الدول ص ٢٨٦)*

٢٨٩ **المجسطى** : كلمة يونانية معناها "الترتيب" .وهو أفضل ما صنف، ومنه تستخرج سائر الكتب المؤلفة فى هذا الفن، وكتاب لبطليموس يذكر فيه القواعد التى يتوصل بها إلى إثبات الأوضاع الفلكية والأرضية بأدلتها التفصيلية *(أبو المحاسن:النجوم الزاهرة ج ٦ ص٣٤٣)*

٢٩٠ **سرقوسة** : أكبر مدينة بجزيرة صقلية. *(الحموى:معجم البلدان ج٣ ص٢١٤)*.

٢٩١ **هرقلة**: مدينة ببلاد الروم سميت باسم هرقلة بنت الروم . ولقد كان هارون الرشيد يغزوها بنفسه ثم افتتحها عنوة بعد حصار وحرب، ورمى بالنار حتى انتصر على أهلها. *(أبو المحاسن:النجوم الزاهرة ج٦ ص ٢٣٢)*

٢٩٢ **قلعة البيرة** : بلدة قرب سميساط بين حلب والثغور الرومية، وهى قلعة حصينة ولها رستاق واسع*(أبو المحاسن:النجوم الزاهرة ج٦ ص٢٦)*

٢٩٣ **مرعش** : مدينة فى الثغور بين الشام وبلاد الروم *(الحموى: معجم البلدان ج٥ ص١٠٧)*.

٢٩٤ **أرزنجان** : يسميها أهلها " أرزنكان" .هى بلدة من بلاد أرمينية تقع بين بلاد الروم وخلاط وهى قريبة من بلاد الروم، كما أن معظم أهلها أرمن، ولكن يوجد بها بعض المسلمين يعدّوا أعيان أهلها. *(الحموى:معجم البلدان ج١ ص١٥٠)*.

٢٩٥ **ابن خطير** : هو الأمير شرف الدين مسعود بن خطير*(الهمذانى:جامع التواريخ مجلد٢ جزء٢ ص٦١)*.

٢٩٦ **قونقرتاى** : هو الابن التاسع لهولاكو خان. كانت أمه محظية خطائية اسمها "أجوجة إيكاجى " وكان له ستة أولاد.*(الهمذانى:جامع التواريخ مجلد٢ ج١ ص٢٢٧)*

٢٩٧ **الاتاغ** : مدينة تقع شمال "اذربيجان" وجنوب القفقاز وشرق أرمينية الحالية ،بها مراع كثيرة جيدة وكميات وفيرة من المياه ،وأماكن عديدة للصيد، ولهذه المزايا وقع اختيار

"الإيلخانيين" عليها لتكون مصيفا لهم. وقد أقام فيها السلطان أرغون قصرا شامخا لتمضية فصل الصيف . (*الصياد:الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين ص ١٢٢*).

٢٩٨ موغان : أو موقان ،هى كلمة أعجمية وهى ولاية فيها قرى ومروج كثيرة وكان التركمان يقومون بالرعى فيها، فهم يكونون معظم أهلها ،وهى تقع فى أذربيجان. (*الحموى:معجم البلدان ج٥ ص٢٢٥*).

٢٩٩ قوتاي خاتون : إحدى زوجات هولاكو من أصل ملوك أقوام القنقرات، تزوجها بعد أن توفيت "كويك خاتون" فى ولاية منغوليا ولقد منحها مخيمها(*ابن العبرى:تاريخ مختصر الدول ص٢٨٩*). .

٣٠٠ بيسرى : هو الأمير شمس الدين بيسرى قائد القوات المصرية.(*الصياد:الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين ص٧٧*)

٣٠١ أجاي : هو الابن الثامن لهولاكوخان. وكانت أمه محظية اسمها "أريقان إيكاجى" ابنة "تنكر كوركان"، وكانت فى مخيم "قوتوى خاتون" .ولما جاء هولاكو إلى إيران عينها رئيسة لمخيماته.وقد توفيت بعد هولاكو بعشرة أيام.(*الهمذانى:جامع التواريخ مجلد ٢ جزء ١ ص٢٢٦*)

٣٠٢ دير الربان قوما : هو قوما ابن الرئيس "جفل السبيرينى" .سقف فى أول أمره على دير "قرتمين"، ونقل إلى أبرشية "خاح" ثم أقيم بطريركا أى رئيس أساقفة لطور عبدين سنة ١٤٤٤ ميلادية وتوفى سنة ١٤٥٤ ميلادية (*أغناطيوس برصوم:اللؤلؤ المنثورص ٤٤٥*)

٣٠٣ ألبي : هو نجم الدين بن ألبى بن حسام الدين بن تمرتاش بن إيلغارى صاحب ماردين وميافارقين.وكانت ولايته نيفا وثلاثين سنة وولى بعده ابنه نجم الدين ألبى (*ابن العبرى:تاريخ مختصر الدول ص٢٠٨*).

٣٠٤ بركة : المقصود بها "بركة الجب " أو بركة الحاج" تقع فى الجهة البحرية من القاهرة. عرفت أولا "بجب عميرة " ثم قيل لها أرض الجب. وعرفت ببركة الحجاج من أجل نزول الحجاج بها عند مسيرهم من القاهرة وعند عودتهم.(*أبو المحاسن:النجوم الزاهرة ج٥ ص٢٨*)

٣٠٥ الرحبة :هى الرحبة الجديدة قريبة من الفرات استحدثها شيركوه بن محمد بن شيركوه صاحب حمص ،وهى بلدة صغيرة ولها قلعة على تل تراب،وشرب أهلها من قناة من نهر سعيد الخارج من الفرات، وهى اليوم محط القوافل من العراق والشام، وهى أحد الثغور الإسلامية (أبو المحاسن:النجوم الزاهرة ج٦ ص٣٢٨).

٣٠٦ قلعة صهيون : حصن حصين على سواحل بحر الشام، وتعد من أعمال حمص، ولكنه ليس بمشرف على البحر.وهى قلعة حصينة تقع فى طرف جبل خنادقها أودية واسعة هائلة عميقة ليس لها خندق محفور إلا من جهة واحدة.كانت بيد الفرنج منذ دهر حتى استرجعها الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب من يد الفرنج سنة ٥٨٤ هجرية (أبو المحاسن:النجوم الزاهرة ج٦ ص٤٠).

٣٠٧ مرقب : بلدة وقلعة حصينة تشرف على ساحل بحر الشام. (الحموى: معجم البلدان ج٥ ص١٠٨).

٣٠٨ حصن زياد : يقع بين آمد وملطية، وهو أقرب إلى ملطية ويعرف اليوم باسم "خرتبرت" (أبو المحاسن:النجوم الزاهرة ج٦ ص ٢٨٣).

٣٠٩ أسطونا: قلعة فى الثغور الرومية من ناحية الشام غزاها سيف الدولة بن حمدان" (الحموى:معجم البلدان ج١ ص١٧٧)

٣١٠ أباقا : مات فى شهر محرم سنة ٦٨١ هجرية وقيل إنه مات مسموما، وكان موته ببلاد همذان، وكانت مدة ملكه سبعة عشر سنة وكسور.(ابن العبرى:تاريخ مختصر الدول ص٢٦٢).

٣١١ تكودار : هو الابن السابع لهولاكو، كان اسمه فى بادئ الأمر "تاكودار" كانت "تقوز خاتون " أكبر زوجاته من قوم القنقرات، وقد تولى تكودارعرش المغول فى إيران بعد وفاة "أباقا خان" والمعروف عن تكودار أنه قد اعتنق الدين المسيحى فى صغره، وعمد فى صباه وذلك بناء على رغبة والدته التى كانت تدين بالمسيحية على الرغم من أن أبوه كان بوذيا، وتسمى منذ ذلك الحين باسم "نيقولا".ولما توطدت علاقته بعلماء المسلمين

أعلن إسلامه ولقب بلقب السلطان "أحمد تكودار" فكان بذلك أول إيلخانى المغول الـذين اعتنقوا الدين الإسلامى. (*الصياد:الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين ص١٢١*).

٣١٢ أليناق : هو الأمير الكرجى "على إيناق" المشهور بين المؤرخين "أليناق" ولأن السلطان كان يلمس فى "أليناق" الشجاعة ويتوسم فيه الشهامة؛ حاول أن يضمه إلى صفه وعمل على أن ينزع من نفسه جذور الخلاف، فزوجه من ابنته الصغرى. (*الصياد:الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين ص ١٤٠*)

٣١٣ أرغون بن أباقا : على إثر هزيمة السلطان أحمد والقضاء عليه أسرع جماعة من الأمراء والخواتين فى آذربيجان، واتفقوا على تولية أرغون عرش المغول فى إيران. وفى الحقيقة كان الأمير "هولاجو" بن هولاكو خان أحق بالعرس من أرغون باعتباره أكبر الأبناء من أسرة هولاكو خان كما تقضى بذلك "إلياسا" واعتلى العرش بالقوة المسلحة. وكان يعتبرذلك ميراثه الشرعى، وحقا له بعد وفاة "أباقا خان" (*الصياد:الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين ص ١٥٢*)

٣١٤ جبل ماداى : جبال تقع فى الأهواز .ولقد ذكر فى كتاب "جامع التواريخ "أنه ذهب إلى أصفهان ". (*الهمذاني:جامع التواريخ مجلد ٢ ج ٢ ص١١٧*)

٣١٥ يوسف شاه : يقول "ابن لعبرى" لما استقر أرغون فى الملك هرب شمس الدين صاحب الديوان إلى الجبال التى فى الأهواز، واحتمى بطائفة من الأكراد يسمون"اللور" وكان كبيرهم شخصا يسمى "يوسف شاه"، ولما وصل إلى طاعة أرغون قبله قبولا حسنا وأكرمه لأنه قبل عليه أن يلزم صاحب الديوان ويحمله إلى عبوديته، وفعل ذلك ولزمه وحمله إلى أرغون. ومما يذكر أن يوسف شاه كان صهرا لأرغون(*ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص٢٩٨*)(*الصياد:الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين ص ١٥٣*).

٣١٦ مسعود : هو مسعود بن عز الدين كيكاوس .قيل إنه هو الذى تناول السم بنفسه(*أبو الفداء:المختصر في أخبار البشر ج ٤ ص١٧*).

٣١٧ قلعة صفد: مدينة فى جبال عاملة المطلة على حمص بالشام، وهى من جبال لبنان (*أبو المحاسن:النجوم الزاهرة ج ٦ ص٤٢*).

٣١٨ طور عبدين : جبل متصل بجبل الزل المشرف على نصيبين وكورة وهى بلدة كثيرة الأديرة والصوامع قصبتها بلدة مذيات.(ابن العبرى:تاريخ مختصر الدول ص٥١٧).

٣١٩ تكريت: بلدة مشهورة بين بغداد والموصل غربى دجلة، وهى أقرب إلى بغداد كما يوجد بها قلعة حصينة فى طرفها الأعلى .وقد اشتهرت بكرسى مفارنة المشرق منذ سنة ٦٢٨ ميلادية حتى منتصف القرن الثانى عشر.(أغناطيوس برصوم:اللؤلؤ المنثور ص٥٠٥).

٣٢٠ سعد الدولة : هوطبيب يهودى .اسمه العبرى"مردخاى" كان من بين الأعضاء البارزين المناوئين لبوقا وأكثرهم تأثيرا وفاعلية فى الإطاحة به. وكان من أشهر الأطباء الذين يشرفون على علاج أفراد الأسرة الحاكمة فى عهد "أرغون"، فاتخذ بغداد مقرا له كما كان يجيد عدة لغات .وكان أهم ما يتميز به هو أنه كانت له خبرة كافية بكل ما يتعلق بالشئون المالية وقد تم القبض عليه وسيق إلى منزل الأمير "طغاجار". وكان ذلك فى شهر صفر سنة ٦٩٠ هجرية. (الصياد:الشرق الاسلامي في عهد الإيلخانيين ص١٦٢/ ١٧٨)

٣٢١ ثيران بيشان : من قرى هراة (الحموى:معجم البلدان ج١ ص٣٢٣).

٣٢٢ قلعة كشاف : موضع فى الموصل : (الحموى:معجم البلدان ج٤ ص٤٦١).

٣٢٣ باعربايا : إقليم صغير بين الموصل ونصيبين.(أغناطيو برصوم:اللؤلؤ المنثور ص٥٠٥).

٣٢٤ أستا : إحدى قرى سمرقند (الحموى:معجم البلدان ج١ ص١٧٢).

٣٢٥ الخابور: هى ولاية واسعة على نهر الخابور بين رأس العين والفراء، وتعد من أرض الجزيرة. (أغناطيوس برصوم:اللؤلؤ المنثور ص ٥٠٧)

٣٢٦ خربنده : هو أولجايتو بن أرغون بن أباقا خان بن هولاكو خان. يروى أن ولادة أولجايتو كانت بين "مرو" و"سرخس" فى صحراء قاحلة، وكان الناس فى ضيق وعسر لعدم نزول الغيث. فلما كان مولده نذيرا بنزول المطر الذى استمر سبعة أيام أطلقوا على الولود اسم (أولجاى تو) أو (اولجايتو) وهى كلمة مغولية بمعنى (مبارك) ولما كانت عادة المغول تغيير أسماء الذين يحبونهم حتى يكونوا فى مأمن من الحسد أطلقوا عليه أولا اسم (تمودر

بمعنى جهنم) وذلك دفعا لإصابة العين ثم عادوا فأسموه (خربنده) وهى كلمة مركبة من (خر بمعنى حمار) و(بنده بمعنى غلام أو عبد)والمراد المكارى. ولما اعتنق الإسلام لقب (خدا بمعنى الله)و(بنده بمعنى عبد) أى (عبد الله).(*الصياد:الشرق الاسلامي في عهد الإيلخانيين ص٣٤٦*).

٣٢٧ أبرشية : كلمة يونانية يراد بها ولاية الأسقف الكنسية (*أغناطيوس برصوم:اللؤلؤ المنثورص٤٩٧*)

٣٢٨ دير باعوث : يقع بجوار خربوت .ذكر سنة ١٠٥٧ وفيه تخرج أربعة أساقفة.أحتلته طائفة من المسلمين سنة ١٢٩٠ ميلادية ثم استولت عيه سنة ١٣١١ ميلادية.(*أغناطيوس برصوم:اللؤلؤ المنثور ص٥٠٩*).

٣٢٩ سعرد : أو سعرت ، مدينة جنوبى بدليس. (*أغناطيوس برصوم:اللؤلؤ المنثورص٥١٦*).

٣٣٠ إيرنجين دورجي: أو "تورجى" . هو كيخاتو الابن الثانى لآباقا خان بن هوكو خان بن تولوى خان بن جنكيزخان. لقد قام الأمراء الذين كانوا معتقلين بأمره بعد أن تم إطلاق سراحهم بواسطة بايدو أسرعوا بالقبض عليه، وحملوه إلى إحدى الخيام في صحراء موغان وخنقوه بوتر القوس. وكان هذا في يوم الخميس من جمادى الأولى سنة ٦٩٤ هجرية /٢٣ أبريل سنة ١٢٩٥ ميلادية، وكان عمره وقتئذ نحو ثلاثين عاما. وحكم لمدة أربع سنوات.(*الصياد:الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين ص٢٠٥*).

٣٣١ بر صوما : كان اسمه فى الأصل "بار صوما" لكنه اشتهر باسم "ربن صوما"، وكان تركيا ومن أصل الأنجوت (الأنكوت) .ولد فى بكين فى حدود سنة ١٢٢٥ ميلادية، وتذكر الروايات أن "ربن صوما" تعرف على رجل يدعى "مرقس" من النسطوريين – وهو تركى الأصل أيضا – وهما فى طريقهما من الصين قاصدين زيارة بيت المقدس .وقد اجتاز هذان الشخصان أسيا الوسطى وسلكا الطريق المعتاد، يعنى نفس الطريق الذى استخدمه ماركو بولو ومافيو بولو أثناء رحيلهما من الصين إلى إيران، ولكن تعذر عليهما مواصلة السير إلى الشرق الأدنى بسبب اضطرابات الأحوال السياسية فأقاما عدة سنوات فى إيران. (*الصياد:الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين ص ١٩٣*)

٣٣٢ <u>يهبا الله :</u> هو مار يهبا الله الثالث .من الدليل على أهمية الكنيسة النسطورية فى إيران فى عهد المغول ما أورده راهبان نسطوريان أحدهما يدعى"ربان سوما"، والآخر "مرقص"إذ عزما على الحج إلى بيت المقدس فوصلا إلى إيران سنة ١٢٧٦ ميلادية وزارا أثناء رحلتهما المشاهد، والأديرة النسطورية فى طوس، ومراغة، وبغداد، وإربل، ونصيبين .وحدث أثناء رحلتهما أن مات بطريرك النساطرة، فوقع الاختيار على مرقص ليكون بطريركا واتخذ اسم "مار يهبا الله "على الرغم من أنه لم يكن يعرف من السريانية إلا قليلا ويجهل اللغة العربية تماما، ولكنه على الرغم من هذا تم تنصيبه لأنه مغولى. ينتمى إلى عنصر الترك الأنجوت الذى يشتهر أمراؤه بصلتهم الوثيقة بأسرة جنكيزخان، وقد تسلم وظيفته بتقليد من أباقا خان وشهد رسامته فى نوفمبر سنة ١٢٨١ ميلادية بطارقة القدس وسمرقند، والتانجوت <u>*(الصياد:الشرق الإسلامى فى عهد الإيلخانيين ص٥٩)*</u>

٣٣٣ <u>أرغون</u>: كان أرغون يثق ثقة مطلقة فى الكيمياء والنجوم والسحر والشعوذة مثل أغلب سلاطين الملوك. ولهذا ارتفعت منزلة الكهنة البوذيين فى بلاطه. وقد صنع هؤلاء معجونا مركبا من الزئبق والكبريت والمواد الأخرى، وأعطوا أرغون هذا الدواء من أجل إطالة عمره فتسبب هذا فى اشتداد المرض عليه وإصابته بالفالج (الشلل) وأدى فى النهاية إلى وفاته، وكان ذلك فى السادس من شهر ربيع الأول سنة ٦٩٠ هجرية /١٢٩١ ميلادية أى بعد مقتل سعد الدولة بأيام. ويوجد قبره فى جبل "سجاس" جنوبى مدينة السلطانية .وقد أخفى خبر وفاته جريا على عادة المغول، ثم حولوا هذا الجبل إلى منطقة للصيد، فصار سكان تلك المنطقة يلقون بعض المشقات. وبعد ذلك أظهرت أولجاى خاتون ابنة أرغون قبر والدها وأقامت هناك (خانقاه) وأنزلت الناس فيها. (*الصياد:الشرق الإسلامى فى عهد الإيلخانيين ص ١٨٨*) ويروى "ابن خلدون" ان أرغون عدل عن دين الإسلام، وأحب دين البراهمة من عبادة الأصنام وانتحال السحر، وقد غلبه بعض سحرة الهند فركبوا له دواء لحفظ صحته ودوامها، فأصابه منه صرع فمات. <u>*(العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص٥٤٦/٥٤٧)*</u>

٣٣٤ <u>بايدو</u> : بايدو خان هو ابن طرغان بن هولاكو خان بن تولى خان بن جنكيز خان. تولى حكم المغول فى إيران بعد أن بعد أن قضى الأمراء على سلفه "كيخاتو خان" .وقد أسرع

كبار الأمراء إلى الإنضمام إليه، وكان جلوسه على العرش فى شهر جمادى الأولى سنة ٦٩٤ هجرية . وقتل فى ليلة الأربعاء الثالث والعشرين من شهر ذى القعدة بعد أن حكم لمدة ستة أشهر، كما قتل معه ابنه "قبجاق" *(الصياد:الشرق الإسلامى فى عهد الإيلخانيين ص٢٢٩).*

٣٣٥ همذان :هى إحدى المدن الإيرانية القديمة ،ولايعلم تاريخ بنائها على وجه التحقيق. ويزعم المؤرخ اليونانى "هيرودوت" أن الذى بناها هو "ديوكس"(DEYOCES) أول ملوك الميديين والذى كان يحكم من سنة ٨٠٧ إلى سنة ٦٥٥ قبل الميلاد. ثم اختارها لتكون عاصمة له، وبنى فيها قصرا عجيبا. فإذا صح هذا القول كانت همذان أقدم عاصمة أنشئت فى إيران. وعلى كل، فمن المسلم به أن همذان كانت مركزا هاما لاجتماع القبائل الميدية القديمة، لهذا سميت باسم (HAGMATANA") يعنى "محل الاجتماع". وكان اليونانيون يطلقون عليها اسم "ECBATANA)". وفى العهد الإسلامى فتحها "المغيرة بن شعبة" فى سنة ٢٣ هجرية فلحقها الخراب وتضاءلت أهميتها ، ثم عادت فاستردت مكانتها وصارت عاصمة إيران فى عهد السلاجقة ولكن لفترة قصيرة . وفى سنة ٦١٧ هجرية خربها المغول وأباحوا فيها القتل العام .ولكن سرعان ما اعتنى بها نظرا لموقعها الجغرافى الممتاز،فصارت من أهم المدن الواقعة جنوب غربى إيران. كما أنها احتلت مركزا هاما مازالت تحتفظ به إلى الآن. ولهذا السبب اجتذبت كثيرا من اليهود الذين يعنون بشئون التجارة فاستوطنوها .هذا فضلا عن أنها تعتبر إحدى الأماكن المقدسة عندهم إذ يزعمون أن بها قبر "أستر" و"مردخاى". *(رشيد الدين فضل الله الهمذانى: مؤرخ المغول الكبير ص٩٠)*

٣٣٦ صدر الدين : هو صاحب الاقتراح باستعمال أوراق النقد "الجاو" بدلا من التعامل بالذهب والفضة ونال منزلة رفيعة فى عهد غازان خان سنة ٦٩٤ بعد مقتل "نوروز". فبعد أن فرغ "كيخاتو" من الأفراح والمسرات شرع ينظم شئون الدولة، ويدعم أجهزتها فأسند منصب الوزارة إلى "صدر الدين" (أحمد الخالدى الزنجانى) الذى كان فى الأصل من سلالة قضاة زنجان ولقب "بصدر جهان" أى " صدر العالم" . ومعنى هذا أن منصب الوزارة عاد إلى المسلمين بعد أن فقدوه طوال عهد سلفه "أرغون" .وقد أعطى "كيخاتو"

وزيره سلطات واسعة مطلقة فصار هو الشخص الأول فى الإمبراطورية الذى يستطيع أن يقف على قدم المساواة مع القائد العام لجيش المغول، كما أنه نصب أخاه الخوجة "قطب الدين أحمد "قاضيا للقضاة وولاه نظارة أوقاف الممالك المحروسة كلها وأبواب البر والصدقات، وسائر المصالح الدينية والمطالب الشرعية. وما أن حلت سنة ٦٩٢ هجرية/١٢٩٣ ميلادية حتى كان "صدر الدين" صاحب الأمر والنهى فى كل بلاد الايلخان. *(الصياد:الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين ٢٠٩)* .ولكن صدر الدين قتل فى نهاية الأمر فى عهد غازان خان بسبب دسائسه ومؤامراته وذلك فى يوم ٢١ رجب سنة ٦٩٧ هجرية . *(الصياد:الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين ١٠٩)*

٣٣٧ رشيد الدولة : يرجح المستشرق الروسى "بارتولد" أن يكون رشيد الدولة هذا هو نفس رسيد الدين فضل الله الوزير المشهور ومؤلف كتاب "جامع التواريخ" والذى كان يهوديا ثم اعتنق الإسلام .(مجلة MIR ISLAMA (العالم الاسلامى) التى تصدر بالروسية ص٨١ *(الصياد:الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين ٢١٢)*

٣٣٨ الجاو : عبارة عن النقود القرطاسية المعروفة عندنا "بأوراق النقد" يتعامل بها الناس بدلا من النقود الذهبية والفضية. وكانت تلك الأوراق شائعة فى الصين فى ذلك الوقت. والواقع أن الصين عرفت أوراق النقد الحكومية نحو أوائل القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) قبل أن تعرف فى أى بلد آخر. و"الجاو" الذى استعمل فى عهد "كيخاتوخان" عبارة عن قطعة من الكاغد مربعة أو مستطيلة الشكل قائمة الزوايا كتب عليها بضع كلمات بالخط "الخطائي" (الصينى)يعلوها باللغة العربية عبارة (لا اله إلا الله محمد رسول الله) كما سيطر عليها اسم "ايرنجين تورجى" وهو الاسم الذى أطلقه الكهنة الخطائيون على "كيخاتو خان"، ثم رسمت دائرة على الورقة المذكورة كتبت فى وسطها قيمتها النقدية. وكانت تتفاوت بين نصف درهم وعشرة دنانير. كذلك كان منقوشا على هذه الورقة عدة سطور مضمونها :"إنه بتاريخ ثلاث وتسعين وستمائة قرر السلطان تداول هذا الجاو المبارك إلى الممالك ، فمن غيره أو بدله يقتل هو وزوجته وأبناؤه ،وتصادر أمواله وأملاكه وتحول إلى بيت المال." ولأجل إعداد الجاو وترويجه، أوفد السلطان أميرا كبيرا إلى كل إقليم من الأقاليم الهامة التى تضمها الأمبراطورية منها العراق العربى والعجمى

وديار بكر، وربيعة، والموصل، وميافارقين، وآذربيجان، وخراسان، وكرمان، وشيراز، وكلف هؤلاء الأمراء بتشييد دور لصنع الجاو وضربه أطلق على كل منها اسم "جاوحانة"(*الصياد:الشرق الاسلامي في عهد الإيلخانيين ص٢١٥*)

٣٣٩ دقوقا :مدينة بين إربل وبغداد معروفة لها ذكر فى الأخبار والفتوح (*أبو المحاسن:النجوم الزاهرة ج ٦ ص٢٦٠*)

٣٤٠ غازان : غازان خان (محمود)(٦٩٤-٧٠٣ هجرية)(١٢٩٤-١٣٠٣ ميلادية) .هو غازان خان بن أرغون خان بن أباقا بن هولاكو خان، وهو سابع الإيلخانيين حكام إيران. ولد سنة ٦٧١ هجرية / ١٢٧١ ميلادية بالرغم من أنه الابن الوحيد"لأرغو خان" فإن جده "أباقا خان" رغب فى أن يأخذ الطفل الصغير عنده ليتولى تربيته بنفسه .وعندما بلغ الخامسة من عمره عهد به "أباقا خان" إلى أحد العلماء الخطائيين كى يعلمه ويثقفه بعلوم المغول وآدابهم وخلال خمس سنوات اتقن تلك المعارف. كما تدرب على الرماية والفروسية. كذلك حرص جده "أباقا" على أن يكون الكهنة البوذيون ملازمين له، فرسخت الديانة البوذية فى ذهنه خصوصا أن هذا المذهب كان عقيدة آبائه وأجداده. ولما بلغ العاشرة توفى جده "أباقا خان" فأخذ الأب "أرغون" يعد ابنه خير إعداد، ونصبه واليا على إقليم خراسان الذى كان يعد أهم الثغور فى دولة المغول فى إيران فظهرت مقدرته فى إدارة هذه المناطق . وفى خراسان أقام معابد كثيرة للأصنام حيث كان يمضى بها أكثر أوقاته. وقد وقع اختيار"أرغون خان" على الأمير نوروز" ليصحب ابنه "غازان" إلى خراسان فيكون مساعدا له ونائبا عنه فى حكم هذه المنطقة . وكان نوروز يعمل على ترغيب غازان فى الاسلام . وفى سنة ٦٩٤ فى الرابع من شعبان لما هيأ الله الأسباب لبس "غازان" ملابس جديدة ونطق بالشهادتين وأعلن إسلامه، وتسمى باسم "محمود" . وقد كان انتصار الإسلام انتصارا مؤزرا حين اعتنقه "غازان بن أرغون خان" وذلك لأن "غازان" نجح بعد إسلامه بأقل من أربعة شهور فى الحصول على عرش إيران وجعل الإسلام دين الدولة الرسمى، كما دخلت القبائل المغولية فى الإسلام على إثر دخوله فيه.
(مصطفى طه بدر:مغول إيران بين المسيحية والإسلام ص ١٦)(الصياد:الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين ص ٢٥٠)

٣٤١ طغاجار :هو قائد جنود أرغون وقد اختاره "كيخاتو خان" معاونا له. فقد كان "طغاجار نويان" أحد كبار الأمراء المقربين من "كيخاتو خان" فى الظاهر، ولكنه فى الباطن وحقيقة الأمر كان مؤيدا "لبايدو" ومتضامنا معه. وقد كافأ "بايدو" "طغاجار" على خيانته للسلطان "كيخاتو" فولاه منصب أمير الأمراء وعهد إليه بالإشراف على الشئون العسكرية. وقد عرف عن "طغاجار" أنه رجل سريع التقلب ولا يطمأن إلى جانبه؛ لأنه مصدر الفتن وإثارة القلاقل. فرأى طغاجار بثاقب فكره بضرورة إبعاده عن مقر الحكم فأتاه حاكما على بلاد الروم. وفى نفس الوقت لما كان "غازان" يعمل على استئصال عناصر الشر والقضاء قضاء مبرما على المفسدين أرسل أحد أمرائه فى إثر "طغاجار"، وكلفه بالقضاء عليه حتى سنحت الفرصة *(الصياد:الشرق الإسلامى فى عهد الإيلخانيين ص ٢٨١/٢٣٠)*

٣٤٢ سياه كوه : كلمة فارسية معناها "جبل أسود" وهى جزيرة فى بحر الخزر.*(الحموى:معجم البلدان ج٣ ص٢٩٢)*.

٣٤٣ قنغر آلانك: شرع أرغون فى إقامة مدينة فى مراعى "قنغر آلانك" فى ناحية "شروياز" وأجرى العيون والقنوات وأنفق عليها أموالا طائلة .ولكن هذه المدينة لم تتم فى عهده بسبب قصر عمره، فأتمها ابنه السلطان "اولجايتو "فى أيام دولته واسماها "السلطانية" *(الصياد:الشرق الإسلامى فى عهد الإيلخانيين ص ٢٠١)*

٣٤٤ دسبينا : كان هولاكو خان والد أباقا يعتبر التحالف مع البيزنطيين كبير الأهمية ويرى فيه وسيلة لإحكام قبضته على الترك بالأناضول والسيطرة عليهم وعونا له فى حروبه ضد المماليك المسلمين .وفى سبيل توطيد العلاقات بين الطرفين دارت المفاوضات من أجل اختيار فتاة من الأسرة الإمبراطورية بالقسطنطينية يتزوج منها هولاكو خان ويضمها إلى قائمة زوجاته العديدات . ولما اختار الإمبراطور ميخائيل باليولوجوس MICHEL PALEOLOGUS ابنته غير الشرعية (ماريا) لتحظى بهذا الشرف رافقها إلى تبريز البطريرك "بوثيمبوس" الذى كان قد لجأ إلى القسطنطينية ومعه قدر من الهدايا. وعندما وصلت "مارية" إلى بلاط الايلخان كان هولاكو قد مات فبادرت على الفور بالزواج من آباقا خان، الذى لم يلبث أن أظهر لها عميق احترامه. أما رعاياه الذين اشتهرت عندهم

بإسم "دسبسنا خاتو" فإنهم أكبروها وأجلوها لما اشتهرت به من حب الخيـر والحكمـة.
كذلك وجد المسيحيون فى الأميرة "مارية" حاميا جديدا لهم بعد أن فقدوا دوقوز خـاتون".
كانت "مارية" امرأة مسيحية متعصبة وكانت لها كنيسة متنقلة أحضرتها من موطنها.وبعد استقرارها فى إيران أمرت بأن يحضر لها النقاشون من القسطنطينية إلى مدينـة تبريـز لتزيين كنيستها، كما كانت هذه الزيجة سببا فى إحكام الروابط بـين أباقـا خـان وبـين المسيحيين يوما بعد يوم. *(الصياد:الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين ص٥٥)*

٣٤٥ نوروز : الأمير "نوروز" هو ابن أرغون آقا الذى كان يحكم أقاليم خراسان وسجـستان والعراق وآذربيجان من قبل المغول الذين يحكمون فى منغوليا .وقد ظل يحكم هذه البلاد لمدة ٣٩ عاما .وكان أبرز حكام المغول وأكثرهم نشاطا وأشدهم إخلاصا فـى إصـلاح حال الرعايا الإيرانيين والتخفيف عنهم .وعندما قام هولاكو بحملته على إيران سنة ٦٥١ هجرية انضم أرغون إليه وعاش إلى أن أدركه الموت فى سنة ٦٧٦ هجرية. أما الأبـن نوروز فقد اعتنق الإسلام، وصار مثلا أعلى للمسلم الذى يجمع بـين الـشجاعة ونبـل الخلق.*(الصياد:الشرق الاسلامي في عهد الإيلخانيين ص ٢٤٨)* .

٣٤٦ نوروز وقواته : انقض نوروز وقواته فجأة وبدون توقع على "بايدو" عند مكـان يـسمى "قونقولان" .

٣٤٧ دارا : هى بلدة فى لحف الجبل بين نصيبين وماردين*(الحمـوي:معجـم البلـدان ج ٢ص ٤١٨)*

٣٤٨ القطائع : تعرف بقطائع الموالى، وهو موضـع كـان ببغـداد فـى الجانـب الغربـى *(الحموي:معجم البلدان ج٤ ص ٣٧١)*

٣٤٩ الصالحية : هى بلدة بالقرب من الرها فى أرض الجزيرة *(الحموي:معجم البلدان ج٣ ص ٣٨٩)*

٣٥٠ جوزة : قرية فى جبال هكارية الأكراد من نواحى الموصل *(الحموي:معجم البلـدان ج ٢ ص ١٨٤)*

٣٥١ مار : كلمة سريانية بمعنى " سيد " وتطلق على القديسين، والبطاركة، والأساقفة (أغناطيوس برصوم:اللؤلؤ المنثور ص ٥٠٢)

٣٥٢ مفريان : كلمة سريانية بمعنى :المثمر" وهو اسم لصاحب رتبة كنسية خاصة بالكنيسة السريانية مرادفة للجاثليق فهو دون البطريرك وفوق الأسقف، وكان كرسيه فى تكريت ثم نقل إلى دير مار متى فالموصل(أغناطيوس برصوم: اللؤلؤ المنثور ص ٥٠٢)

٣٥٣ ٧٦٢ سنة: هذا التاريخ مكتوب فى الترجمة الانجليزية سنة ١٧٧٢، وهذا غير صحيح

٣٥٤ حاج: بلدة بين المدينة والشام (الحموى: معجم البلدان ج٢ ص ٢٠٤)

٣٥٥ قوما : هو قوما ابن الرئيس "جفل السبيرينى" أصبح أسقفا فى أول أمره على دير قرتمين ونقل إلى أبرشية "خاخ" ثم أقيم بطريركا، أى رئيس أساقفة لطور عبدين سنة ١٤٤٤ ميلادية وتوفى سنة ١٤٥٤ ميلادية (أغناطيوس برصوم: اللؤلؤ المنثور ص ٤٤٥)

٣٥٦ دير الجب : هو دير الجب الخارجى البرانى يقع فى برية الفرات بين حلب ومنبج. شيد بناؤه أواخر القرن الخامس وصدر السادس وانقطع خبره أواسط التاسع. أنجب أربعة بطاركة، وثلاثة اساقفة.(أغناطيوس برصوم:اللؤلؤ المنثور ص ٥١٠)

٣٥٧ دير : يسمى هذا الدير دير مار أوجين وهو فى أسفل جبل الأزل المطل على نصيبين. شيد بناؤه أواخر المائة الرابعة، أو صدر الخامسة وتقلبت به الأحوال فاستولى عليه النساطرة دهرا مديدا ثم عاد إلى اليعاقبة أواخر المائة الثامنة عشرة. نشأ منه أساقفة، ولم يزل عامرا يقطنه راهب واحد. (أغناطيوس برصوم:اللؤلؤ المنثور ص ٥٠٨)

٣٥٨ سيدوس: قرية كانت فى بلدة منازكرد (أغناطيوس برصوم: اللؤلؤ المنثور ص ٥١٧).

المراجع العربية

أحمد السعيد سليمان

تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة/ دار المعارف بمصر

أغناطيوس أفرام الأول برصوم

اللؤلؤ المنثور فى تاريخ العلوم والآداب السريانية – مطبعة السلامية حمص – ١٩٤٣

السيد الباز العريني

المغول/دار النهضة العربية للطباعة والنشر/بيروت–لبنان١٩٦٧

بولس بهنام

مجلة لسان المشرق /العدد الممتاز/الموصل ١٩٥٠

جريجوريوس أبو الفرج ابن العبرى

تاريخ مختصر الدول .طبعة الصالحانى ١٨٩٠

جريجوريوس أبو الفرج ابن العبرى

تاريخ مختصر الدول .طبعة بوكوك ١٨٩٨

جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغر بردى الأتابكي

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة–وزارة الثقافة والارشاد القومى

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

جمال الدين محمد بن سالم بن واصل

مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب تحقيق د.جمال الدين الشيال

الجمهورية العربية المتحدة /وزراء الثقافة والإرشاد القومى

الادارة العامة للثقافة /مطابع دار القلم بالقاهرة

<u>رشيد الدين فضل الله الهمذاني</u>

جامع التواريخ/ نقله إلى العربية د. فؤاد عبد المعطى الصياد/ راجعه

د.يحيى الخشاب-الجمهورية العربية المتحدة/ وزارة الثقافة والإرشاد

القومى/ الإدارة العامة للثقافة.

<u>رشيد الدين فضل الله الهمذاني</u>

تاريخ المغول /تحقيق د.فؤاد عبد المعطى الصياد/القاهرة ١٩٦٧

<u>رفائيل بابو إسحق</u>

تاريخ نصارى العراق منذ انتشار النصرانية فى الأقطار العراقية إلى أيامنا

مطبعة المنصور / بغداد ١٩٤٨

<u>رفائيل بابو إسحق</u>

أحوال نصارى بغداد فى عهد الخلافة العباسية/مطبعة شفيق/بغداد/ ١٩٦٠

<u>عماد الدين إسماعيل أبي الفداء</u>

المختصر فى أخبار البشر.دار المعرفة للطباعة والنشر/ بيروت- لبنان

فؤاد عبد المعطى الصياد

المغول فى التاريخ/ دار النهضة العربية للطباعة والنشر/بيروت ١٩٧٠

فؤاد عبد المعطى الصياد

الشرق الإسلامى فى عهد الإيلخانيين/منشورات مركز الوثائق والدراسات الإنسانية/ جامعة قطر ١٩٨٧

كارل بروكلمان

تاريخ الشعوب الإسلامية /نقله إلى العربية منير البعلبكى/الطبعة الثامنة دار العلم للملايين/ بيروت١٩٧٩

مصطفى طه بدر

مغول إيران بين المسيحية والإسلام/دار الفكر العربى

المعاجم العربية

الزركلى : معجم الأعلام .... (بيانات الطابعة)

زمباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى مطبعة جامعة فؤاد الأول ١٩٥١

ياقوت الحموى : معجم البلدان .... (بيانات الطابعة)

المؤلف فى سطور:

ابن العبرى:

هو جريجوريوس أبو الفرج بن أهرون المعروف بابن العبرى. ولد سنة ١٢٢٦ ميلادية (٦٢٤ هجرية) فى مدينة ملطية عاصمة أرمينية الصغرى على ضفة الفرات، وكانت فى ذلك الوقت تحت حكم الدولة السلجوقية.

نشأ ابن العبرى فى مدينة ملطية، وكان له خمسة أشقاء. وفى سنة ١٢٤٣ ميلادية (٦٤١ هجرية) عندما ناهز ابن العبرى السابعة عشرة من عمره تعرض أهرون – والده – لمتاعب كثيرة شأن سائر سكان هذه المدينة بسبب غارات التتار عليها، فاضطر أن يهرب مع أولاده إلى أنطاكية؛ حيث بدأ ابن العبرى حياة الرهبنة. مكث ابن العبرى مع عائلته فى أنطاكية ما يقرب من ثلاث سنوات، ولكن يد التدمير امتدت إليها فى سنة ١٢٤٦ ميلادية (٦٤٤ هجرية) حين وصل إليها التتار. ظل ابن العبرى فى أنطاكية حتى سنة ١٢٥٢ ميلادية (٦٥٠ هجرية) ثم انتقل مع أهله إلى حلب.

أعماله:

تناول ابن العبرى فى كتاباته كل فروع العلم التى كانت مطروقة فى أيامه. وكان هدفه من وراء ذلك هو المحافظة على اللغة السريانية – لغة وأدبًا – من ناحية، وتقديم علوم المسلمين باللغة السريانية إلى أهل ملته وتعريفهم بها من ناحية أخرى.

لم يتوقف ابن العبرى طوال حياته عن المطالعة والتأليف؛ فألف ما يزيد عن الثلاثين كتابًا بالعربية والسريانية. ومن مجموعة كتبه هذه يتبين لنا أنه خاض معظم مجالات العلوم الأدبية؛ إذ كتب فى المسائل اللاهوتية وشرح الكتاب المقدس والفلسفة والطب والتاريخ والنحو والشعر والفكاهة.

المترجمة فى سطور:

شادية توفيق حافظ:

- ليسانس الآداب فى كلية الآداب – جامعة القاهرة – قسم اللغات الشرقية، تقدير ممتاز مع مرتبة الشرف عام ١٩٧٣.
- دكتوراه فى اللغة السريانية وآدابها فى كلية الآداب – جامعة القاهرة.

الوظيفة الحالية: أستاذ غير متفرغ بقسم اللغات الشرقية – كلية الآداب – جامعة القاهرة.

- رئيس مجلس قسم اللغات الشرقية وآدابها بكلية الآداب لفترتين منذ عام ١٩٩٩ حتى عام ٢٠٠٤.
- عضو بلجنة ترقيات أستاذ مساعد وأستاذ من عام ١٩٩٨ حتى عام ٢٠٠٤.
- عضو بمجلس كلية الآداب من عام ١٩٩٩ إلى عام ٢٠٠٤.
- عضو بلجنة الدراسات العليا من عام ١٩٩٩ إلى عام ٢٠٠٤.
- عضو بلجنة تشكيل اللائحة الجديدة لكلية الآداب عام ٢٠٠٢.
- عضو بلجنة "تقويم الأداء الجامعى" عن كلية الآداب عام ٢٠٠٢.
- عضو بجمعية خريجى أقسام اللغات الشرقية بالقاهرة منذ إنشائها.
- الإشراف على العديد من الرسائل العلمية (الماجستير والدكتوراه) فى كلية الآداب جامعة القاهرة والمعهد العالى لحضارات الشرق الأدنى بالزقازيق.

كتب للمترجمة:

- قصة أهل الكهف فى المصادر السريانية (مجلة الدراسات الشرقية العدد ٥ – سنة ١٩٨٧).
- التأنيث بين العربية والسريانية (الدار العالمية للنشر سنة ١٩٨٧).
- كتابة المخطوط السريانى (الدار العالمية للنشر سنة ١٩٨٧).
- السريان وتاريخ الطب (دار نهضة مصر سنة ١٩٩٢).
- آدم وحواء بين المصادر العربية والسريانية (دار نهضة مصر سنة ١٩٩٢).
- الخير والشر بين هابيل وقابيل (دار نهضة مصر سنة ١٩٩٣).
- قصة يوسف دراسة مقارنة بين العربية والسريانية (دار نهضة مصر سنة ١٩٩٣).
- إبليس فى المصادر السريانية والعربية (دار نهضة مصر سنة ١٩٩٣).
- الأعداد ورموزها فى السريانية (دار نهضة مصر سنة ١٩٩٣).

المراجع فى سطور

السباعى محمد السباعى

- وُلِد فى ١٩٤١/٨/٨ بالمحلة الكبرى – محافظة الغربية .

- حصل على ليسانس الآداب عام ١٩٦٣ بتقدير جيد جدًا مع مرتبة الشرف من كلية الآداب – قسم اللغات الشرقية – فرع لغات الأمم الإسلامية .

- حصل على الماجستير فى عام ١٩٦٦م بتقدير جيد جدًا فى موضوع " جلال الدين الرومى وكتابه: فيه ما فيه " .

- حصل على الدكتوراه عام ١٩٧٢م بمرتبة الشرف الأولى فى موضوع " عطا ملك الجوينى وكتابه: تاريخ جهان گشاى " .

- شغل منصب رئيس قسم اللغات الشرقية من سنة ١٩٨٣م إلى ١٩٨٩م وفى الوقت نفسه شغل منصب وكيل كلية الآداب – بنى سويف .

- عين عميدًا لكلية الآداب جامعة القاهرة فرع بنى سويف من ١٩٨٦م إلى ١٩٨٩م .

- عين خبيرًا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة للغتين الفارسية والتركية اعتبارًا من ١٩٩٢م وحتى الآن .

- رئيس تحرير مجلة "الدراسات الشرقية" التى تصدر عن جمعية خريجى أقسام اللغات الشرقية لمدة ثلاثة أعوام .

- رئيس تحرير مجلة "رسالة المشرق" التى تصدر عن مركز الدراسات الشرقية منذ عام ١٩٩٢ حتى ١٩٩٧م .

الإنتاج والأعمال العلمية :

أولاً: الكتب :

١- اللغة الفارسية (نحو وصرف وتعبير) ، عام ١٩٧٥-٢٠٠٠/٢٠٠١م .

٢- النثر الفارسى منذ نشأته حتى نهاية العصر القاجارى فى إيران ، عام ١٩٧٨م .

٣- الثورة الإسلامية فى إيران من وجهة النظر الإيرانية ، عام ٢٠٠٠م ، الموسوعة العامة، مقاتل من الصحراء [المملكة العربية السعودية] .

٤- عبد الوهاب عزام ، رائدًا ومفكرًا ، القاهرة ، الكتاب المصرى اللبنانى، يناير ٢٠٠٥م.

ثانيًا: الترجمات :

١- " تاريخ إيران القديم " تأليف حسن بيريا والترجمة بالاشتراك مع د. محمد نور الدين عبد المنعم ومراجعة د. يحيى الخشاب .

٢- " الإسلام فى إيران " تقديم وترجمة " الكتاب عن الفارسية " لمؤلفه الروسى بطرشوفسكى ، الطبعة الرابعة ، مارس ٢٠٠٥م .

٣- " من الفكر الصوفى الإيرانى المعاصر " تأليف صادق عنقا مع كتابة مقدمة وافية، والترجمة بالاشتراك مع د. إبراهيم الدسوقى شتا .

٤- ترجمات لمواد خاصة بإيران وتركيا وتاريخ آسيا الوسطى فى الدوريات المختلفة .

٥- كتابة ترجمة عدد من أعلام الفكر والتاريخ الإسلامى ورواد الدراسات الشرقية لليونسكو .

٦- مراجعة المعجم الذهبى : " فرهنك طلائى – المعجم الفارسى العربى – تأليف الدكتور النونجى – مراجعة الدكتور السباعى ، لونجمان ١٩٩٦، القاهرة .

التصحيح اللغوى : أحمد عبد الباسط
الإشراف الــفنى : حـــسن كـــامــل



هذا الكتاب عبارة عن مخطوطة سريانية من تأليف ابن العبرى هى "تاريخ الأزمنة"، وفيها يتناول التاريخ منذ بدء الخليقة حتى وفاته عام 1286 ميلادية.

إن التأريخ الزمنى أو تاريخ الأزمنة لابن العبرى يعتبر موسوعة زمنية وتاريخية يوجد بها حشد ضخم من المعلومات المتنوعة؛ فهو يتعامل مع التاريخ والدين واللغة وعادات الشعوب وتقاليدها علاوة على قصة العلماء والمحاربين الكبار، وهو يصف المعارك وحصار المدن من المغول والتتار وظهور المذنبات الفلكية والظواهر غير الطبيعية فى السماء والزلازل والمجاعات وسقوط الثلج، وهو كذلك يحكى فضائح البلاط كما يحكى بعض القصص الهزلية.

ولقد رأيت - كمحاولة لاستكمال تاريخ الأمة العربية من وجهة نظر المؤرخين السريان - أن أقوم بترجمة مخطوطة "ابن العبرى" سنة 1197 ميلادية، وهو تاريخ وفاة صلاح الدين الأيوبى إلى سنة 1286 ميلادية تاريخ وفاة ابن العبرى.

ويشتمل هذا الكتاب على الفترة التى عاشها بنفسه، ولذا فهى فترة لها أهميتها من حيث إنها لم تكتب نقلاً، وإنما كتبت عن رؤية ومشاهدة؛ فجاءت كتابته صورة حية لأحداث عصره.



تصميم الغلاف : محمد بغدادى